



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية

كتاب

الطلّب

وسائل الوالدين في معاملته ومواجهته مشكلاته

دكتورة

يسريه صادق

أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود
جامعة عين شمس (سابقا)

دكتور

زكريا الشريبي

أستاذ بجامعة الملك سعود
جامعة عين شمس (سابقا)

١٤٢١ - ٤٠٠٠ متر

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
٢٧٥٢٧٣٥ - فاكس: ٢٧٥٢٩٨٤

الفصل الأول

تنشئة الأطفال اجتماعيا



أولاً : مفهوم التنشئة الاجتماعية :

لقد اختفى إلى غير ظهور الوقت الذي كان فيه علماء النفس يشبهون الطفل بكتلة لينة يمكن للوالدين والمربين تشكيلها على النحو الذي يختارونه، وإن كان ينبغي على كل مجتمع أن يصل إلى ثلاثة حلول لقضايا هامة تواجهه بخصوص الأطفال، هي: طرق رعايتهم، وترسيخ القواعد التي تحكم في كيفية تفاعلهم مع الآخرين، ونقل المهارات والقيم من الكبار إليهم.

وإذاء المطلب الأخير واجهت المجتمعات مصاعب متباعدة، معتمدة في ذلك على عملية تعليم وتعلم تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الأطفال سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تكثفهم من مساقرة الجماعة والتواافق الاجتماعي، أى تكسبهم الطابع الاجتماعي وتيسّر لهم الاندماج في الحياة الاجتماعية. إن الأمر هنا ينطوي على ما يعرف بعملية «التنشئة الاجتماعية The Socialization Process» أو ما تسمى أحياناً بعملية التطبيع الاجتماعي، تلك العملية التي يتعلم من خلالها الفرد كيف يصبح فرداً في أسرته وعضوًا في مجتمعه، إنها عملية تعلم القصد منها أن يُنمّى لدى الطفل الذي يولد ولديه إمكانيات هائلة ومتعددة سلوكاً فعليًّا مقبول، ومعتاد وفق معايير الجماعة التي يتميّز إليها.

ويستعرض أبو القاسم الأصفهاني معنى التنشئة لغويًا .. نشأ الشء، والنشأة إحداث الشء وتربيته، قوله تعالى : «ولقد علمتم النشأة الأولى» (الواقعة : ٦٢). ويقال : نشأ فلان، والناشئ يراد به الشاب، والإنساء هو إيجاد الشء وتربيته.

وفي سورة الملك : «قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والبصر» (الملك : ٢٣).

وفي سورة المؤمنون : «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» (المؤمنون : ١٤).

وفي سورة العنكبوت : «يَنْشِئُ النَّشَاءَ الْآخِرَةَ» (العنكبوت : ٢٠).
وعموماً أى يربى ك التربية النشأة، وينشأ أى يربى.

ويرى Reber أنها العملية التي يصبح بها الفرد واعياً بالقيم والمهارات الاجتماعية، ومكتسباً لحساسية اجتماعية تؤهله إلى كيفية التفاعل مع الجماعة في

مجتمعه. بينما يعرفها Kagan بأنها العملية التي تغرس في الطفل قيماً وأنواعاً من السلوك المناسب أو الملائم لمجتمعه. ويتناولها Erikson على أنها عملية تحويل الكائن البشري من حالة الطفولة أو الرضاعة، ومن حالة الضعف والأنانية إلى حالة الرشد المثالى الذي يدين بالامتثال المعمول Sensible Conformity مع وجود سمات الاستقلال والإبداع.

ويرى حامد زهران أن التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم، وتربيه تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية تمكنه من مسايرة جماعته والتواافق الاجتماعي معها، وهي عملية التشكيل الاجتماعي لخاصة الشخصية.

ويرى كل من Hetherington and Parke أن التنشئة الاجتماعية عملية يُعلم فيها أفراد جدد في المجتمع قواعد وقوانين اللعب الاجتماعي من خلال وكالات للتنشئة تساعد هؤلاء الجدد أن يتبنوا قوانين وقواعد تساعدهم على اللعب بنفس الطريقة المرتضاة في ذلك المجتمع.

والتنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي Social learning يتعلم فيها الفرد عموماً - طفلاً أو راشداً - عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية Social Roles، ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية Social Norms والاتجاهات Attitudes النفسية، ويتعلم كيف يتصرف ويسلك بأسلوب اجتماعي توافق عليه وترتديه الجماعة والمجتمع.

إن التنشئة الاجتماعية عملية يتم فيها تشكيل السلوك الإنساني بتكونين المعايير والقيم والمهارات والاتجاهات للأفراد كي تتطابق وتتسق مع دورهم الاجتماعي حتى يسلك كل فرد حسب جنسه (ذكر - أنثى) ودوره المتوقع في المجتمع الذي يعيش فيه حاضراً ومستقبلاً.

والتنشئة الاجتماعية ليست فقط عملية تعلم اجتماعي بل هي أيضاً عملية تحوّل خلالها الأفراد من أطفال اعتماديين متمركزين حول ذاتهم إلى كبار ناضجين يدركون إيّاهم الذات ومعنى المسؤولية الاجتماعية Social responsibility أو التبعية الاجتماعية، يضبطون انفعالاتهم ويتحكمون في إلتحاج الحاجات ويشبعونها بما يتفق وقيم المجتمع. وهذا ما يجعل عادل عز الدين يعرف التنشئة الاجتماعية

بأنها العملية التي يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقي والضبط الذاتي اللازم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم.

وللتنشئة الاجتماعية خاصية الاستمرارية، فهي لا تقتصر على مرحلة الطفولة فقط بل تستمر في المراحل الأخرى كالمرأفة حتى الشيخوخة؛ لأن الفرد في كل من هذه المراحل يتمتع إلى جماعات من نوع جديد يبدو فيها دور جديد ويعدل من سلوكياته ويكتسب أنماطاً مستحدثة من السلوك، وهذا ما يدفع Parsons لتقديم معنى التنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية لدى الطفل والراشد، هادفة إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وتببدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر باتساع أنساق التفاعل كلما كبر المرء. وتتأثر بجماعات الرفاق ونوع المهنة والتخصص . . . وتعبر عن نشاط البناء الاجتماعي بأنساقه (الأسرة - الدين - السياسة - التعليم - المهنة - الاقتصاد) الذي يضغط على الفرد لكي يتواافق مع غيره، ويتعلم كل يوم شيئاً جديداً.

وهذا ما يضفي على عملية التنشئة مفهوم الدينامية؛ لأن الفرد في تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة يأخذ ويعطى في ضوء المعايير والأدوار الاجتماعية، ويؤثر ذلك مع عوامل أخرى على نمو الشخصية لكل فرد، ومن هذه العوامل - كما هو معروف - الوراثة والغدد والغذاء والتضييع والتعلم، بالإضافة إلى متغيرات أخرى مثل: أعمار الوالدين وحجم الأسرة والترتيب الميلادي . . إلخ.

ولعملية التنشئة وظيفة ظاهرة ظاهرة Manifest Function تحصر في تدريب الطفل على أداء أنماط معينة من السلوك يرضي عنها المجتمع، ويستخدمها الشخص دعامة لسلوكه أثناء حياته، كما أن لها وظيفة مستترة أو كامنة Latent Function تهدف إلى توحد الطفل مع مجموعة الأنماط الثقافية للمجتمع تعرف باسم القيم الاجتماعية Social Values التي تتكون منها بنية الشخصية Structure of Personality.

ويختلف الأشخاص في مبلغ قابليةهم للاندماج في حياة الجماعة باختلاف التنشئة التي يتعرضون لها، والتي تحيط بهم أثناء بداياتهم الأولى، مما قد يفسر لنا كيف يبدو بعض الأطفال منشئين اجتماعيين، وبعضهم مقاومون للاجتماعية Anti Social.



وتقى عجلة التنشئة الاجتماعية Acceleration of Socialization سرعة عملية التنشئة الاجتماعية) كلما نما الطفل ونضج، وأصبح لديه رصيده كاف من الخبرات والمهارات؛ لأنّه يكون ذا نشاط فعال ومؤثر في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تميز جماعته عن الجماعات الأخرى.

إنّ علاقة الطفل بعالمه الخارجي تأخذ شكل أفعال وردود أفعال أو استجابات اجتماعية واضحة وخلالية من التناقضات. فالتصرّف الذي كوفئ عليه الطفل في الأمس لا يجب أن يعاقب عليه اليوم، لأنّ إغفال هذه القاعدة يزرع عنده فقدان الثقة في تصرفاته وسلوكه، ولتجنب ذلك لابد للمحيطين به من مراعاة التفاعل الثابت المتسق عند التعامل معه.

ثانياً : لمحّة تاريخية عن التنشئة ومعاملة الأطفال :

وربما كان من المفيد استعراض لمحّة تاريخية حول التنشئة ومعاملة الأطفال : كانت التنشئة قبل الإسلام تتبع أساليب الشدة والقسوة في تربية الأطفال ومعاملتهم، فقد كان الجلد متشاراً والعقاب القاسي شائعاً.

فقد وجدت قبل ظهور الإسلام ثلاثة أنماط من التنشئة تتنازع على السيادة في الشرق خاصة، هي : التنشئة الفارسية، والتنشئة الإغريقية، والتنشئة المسيحية. وكان لكل نمط طابع خاص يميّزه.

وقد اتسع الإسلام لأدب الفرس، وفلسفة اليونان، وأنظمة الروم، ورهبنة المسيحية، حتى إنّه ليصبح القول بأن التنشئة الإسلامية بربت على ما عدّها، وأصبحت ذات خصائص واضحة المعالم بارزة الالسمات.

وأساس التنشئة الإسلامية هو القرآن الكريم، الذي يحفظه الصغار فيهذب أخلاقهم، ويصفى نفوسهم، ويتعودون من خلاله على مكارم الأخلاق. وتبعد التنشئة الإسلامية عن طريق المحاكاة والتلقين، ذلك أن الطفل ينشأ فويرى أبويه يقرءان القرآن بالإضافة للشاعر الأخرى؛ فتنطبع في ذهنه هذه الصورة، ويترسم خططاها بالتقليد أو بالتوجيه والدفع.

ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في توضيح أساليب التنشئة الوالدية، فهو مثلاً يطالب بالرفق بالأطفال، وعلاج أخطائهم بروح الشفقة والرقة والاعطف والرحمة، ومعرفة البواعث التي أدى إلى هفواتهم والعمل على تداركها وإفهام الأطفال نتائجها.

ولم يقر ﷺ الشدة والعنف في معاملة الأطفال، واعتبر الغلظة والجفاء في معاملة الأولاد نوعاً من فقد الرحمة من القلب، وهدد المتصف بها بأنه عرضة لعدم حصوله على رحمة الله حيث قال عليه السلام للأقرع بن حابس حينما أخبره أنه لا يقبل أولاده: «من لا يرحم لا يُرحم».

ولقد دعا نبي الرحمة ﷺ إلى تأديب الأطفال، وغرس الأخلاق الكريمة في نفوسهم وتعويذهم بحسن السمات والتحلى بالصدق والأمانة واحترام الكبير. فقال ﷺ: «ليس من أمني من لم يجعل كبارنا ويرحم صغارنا ويعرف لعلمنا حقه».

وأخرج ابن ماجة عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن». فلا ينبغي الإكثار من لوم الطفل لتأديبه أو تأنيبه وتوبيقه لزلاته، لأن الإكثار من التأديب يميت قلب الطفل، ولهذا فالحكمة أفضل عند تأديب الطفل.

و قبل ٥٠٥ هـ نادى الغزالى بتكوين العادات الحسنة في الأطفال منذ الصغر، بتعويذهم التبكيـر في النوم والتبـكيـر في الاستيقاظ والتشجـع على المشـى والـحرـكة وـعدـم البـصـق فيـ المـجـالـس أوـ التـأـوـب بـحـضـرـةـ الغـيرـ، وـتـجـنبـ الـحـلـفـ بـالـهـ صـادـقاـ أوـ كـاذـباـ، وـأـنـ يـطـيعـاـ الـأـبـوـينـ وـالـمـعـلـمـينـ.

قال الإمام الغزالى : «اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القييم عليه والوالى له».

وقرابة عام ٧٥٥ هـ قدمت وجهة نظر ابن خلدون فى أن القرآن الكريم هو أصل التعليم وأساس التنشئة . ويقول ابن خلدون : «إن الغاية من ذلك الوصول بالوليد إلى رسوخ العقائد الإيمانية فى نفسه ، وغرس أصول الأخلاق الكريمة عن طريق الدين ، الذى جاء مهذبا للنفوس ومقوما للأخلاق باعثا على الخير».

ويقول ابن خلدون : «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين ، أخذ به أهل الملة ، ودرجوa عليه فى جميع أمصارهم ، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه غيره من العلوم . ولكل مصر وجهة فى تعليمه للولدان ، فأهل المغرب يقتصرن على تعليم القرآن فقط ، وينأخذون فى أثناء المدارسة بالرسم ومسائله ، واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسواء ، لا بحديث ، ولا فقه ، ولا شعر . . . وأهل الأندلس جعلوه أصلا فى التعليم فلا يقتصرن لذلك عليه فقط بل يخلطون فى تعليمهم للولدان رواية الشعر فى الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختص عنایتهم فى التعليم بالقرآن دون هذه بل عنایتهم فيه بالخط أكثر من جمیعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبیبة . . . أما أهل إفريقيا فيخلطون فى تعليمهم للولدان القرآن بالحديث فى الغالب ، ومدارسة قوانین العلوم وتلقین بعض مسائلها ، إلا أن عنایتهم بالقرآن واستظهار الولدان إیاه ، ووقفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه».

ويؤكد ابن خلدون على الرحمة بالأطفال ، والرأفة بهم والإشفاق عليهم ، والعمل على تهذيبهم باللين واللطف ، لا بالشدة والعنف ، لأن مجاوزة الحد مضررة

ومفسدة للأخلاق. فإذا أخذ الطفل بالقسوة والشدة ضاعت نفسه وذهبت ريحه، ويحمله هذا على الكذب والخبث والنفاق.

لقد ذاع صيت الفكر الإسلامي في تنشئة الأطفال، واهتم الآباء والمربون بأساليب إسلامية في التنشئة . إلا أن هناك أفكارا جاء بها رواد من الغرب آخرون نبعت أفكارهم وأرائهم من تجارب على عينات Samples مهما كانت محدودة، ولم تأت أساليب المعاملة التي ينشدونها من جذور للدين كما لاحظنا في التراث الإسلامي .

ففي الفترة ما بين ١٩١٠ - ١٩٣٠ نظر السلوكيون Behaviorism وفي مقدمتهم Watson إلى أن الطفل كشىء قابل للتشكيل عن طريق الإشراط والاقتران، ولم يعيروا الاهتمام حاجات الطفل وشعوره إلا القليل، أو حتى للفروق الجينية والاستعدادات والخصائص المزاجية . وركز السلوكيون في هذه الفترة على العوامل البيئية ودورها في إكساب الأطفال ما نريد، وأن نكبح من السلوك ما نريد - أي نوقف غير المرغوب من السلوك - وذلك عن طريق التعزيز والإثابة أو العقاب على السلوك اللا اجتماعي . ومن هنا نكسب الأطفال العادات الحسنة ونبطل العادات السيئة .

ومهمة الوالدين في نظر Watson بعد عن تدليل الأطفال بأسلوب صارخ أو حتى واضح، وعليهم معاملة الأطفال على أنهم بالغون نسبيا، مع اتباع أسلوب موضوعي لا تتجاوز فيه العاطفة حدودها كالإسراف في تقييله أو حضنه، ويوصي الوالدين بالبعد عن استخدام الحنان الظاهر لأنه أسلوب لا جدوى منه . ويشير إلى أن حب الأم عائق شديد وألة حادة يمكن أن تجروح جروحًا عميقة لا تلتئم، و يجعل مرحلة الطفولة غير سعيدة والراهقة مثل الكابوس، كما أن الحب الشديد من جانب الأم يدمر حياة الطفل الزوجية السعيدة فيما بعد بل وتنعكس آثاره السلبية على حياته المهنية مستقبلا . ووصل تأثير Watson إلى الكتب الحكومية في الولايات المتحدة، حتى إن كتب العناية بالطفل صارت إلى أنه لا يسمح للطفل بمص أصابعه، وإذا حدث ذلك فالامر يستوجب ربط ذراع الطفل بالسرير أو إلابسه قفازا أو دهان أصابعه بسائل كريه، بالإضافة إلى عقاب الأطفال إذا تسببوا في اتساخ أنفسهم، كما نصح الآباء بترك أطفالهم ي يكون خوفا من تعزيز سلوكيات غير مقبولة عن طريق تهديتهم .

وفيما بين عام ١٩٣٠ - ١٩٦٠ أخذت التنشئة اتجاهها آخر مبنياً على التسامح، مع نصيحة الوالدين بمراعاة مشاعر الأطفال وتعريف قدراتهم وإمكاناتهم، ويرجع ذلك التحول إلى آراء مدرسة التحليل النفسي وعلى رأسها Freud، الذي ركز على دور العاطفة وأثر الحرمان العاطفي المبكر على بنود المشكلات النفسية. وقد تأثر بهذا الاتجاه أيضاً Gesel ذلك العالم الذي اهتم أيضاً بالفصح ودوره في الاستعداد في عملية التنشئة، ويرى أنه حينما يصل الأطفال إلى سن معينة ويبدون استعدادهم وتقبلهم حيث يتكون التدريب مكناً، مثل ذلك التدريب على عملية الإخراج التي تتطلب من الأطفال التحكم والضبط اللذين يساعدانهم على أدائهم دون ممارسة ضغوط أو قلق من قبل الآباء.

ومع اقتراب الأربعينيات ١٩٤٠ ظهر الاتجاه الأكثر تسامحاً ومرؤنة على يد أصحاب التزعة الإنسانية Humanistic مثل Rogers و Maslow وغيرهما مثل Dewey ذلك الرجل التربوي المتألق. لقد بدأ المبدأ الآن قائماً على فكرة أن الأطفال يولدون ومعهم دافع فطري للتعلم والسعى من أجل تحقيق ذاتهم، وكى يحققوا ذلك لا بد من وجود بيئة مناسبة يشعرون فيها بالحرية ويكون التعامل معهم مبنياً على التفاهم.

وفي الستينيات من هذا القرن ظهرت أفكار Spock التي لم تشجع على التسامح والدليل الكامل في تربية الأطفال، وتركز على الدفء والحنان في علاقة الوالدين بالطفل متبنياً فكرة أن الطفل يستجيب لتوجيهات الآباء المحبين الودودين على نحو أسرع وأيسر من الآباء الذين يغلب على أسلوبهم القسوة، فنحن في حاجة إلى آباء مصدر سلطة أكثر من كونهم متسطلين، ومنذ ذلك الوقت استمر التأكيد على دور الدفء في معاملة الأطفال أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، وبعد عن التسامح والتهاون أو التشدد كل التشدد. إن الواجب على الآباء في ضوء تلك الأفكار أن يسمعوا وجهة نظر الطفل إذا كان يقدوره التعبير عنها، وأن يوضحوا قيودهم ونظمهم وألا يستخدموا قوتهم في ضبط الأطفال من خلال العقاب والعنف.

والبحوث الحديثة حول تفاعلات الأطفال الصغار ترتبط بأعمال Bowlby و Spitz التي أثني عليها Anna Freud و Melanie Klein ويعتمد هذا التيار

الفكري على الرأى القائل بضرورة وجود ارتباط وثيق وحميم دائم بين الأم والطفل، وإن كل شكل من أشكال الانفصال أو فقدانه يضر بالطفل.

وهناك تصور أحدث لارتباط العاطفى على طرف تقىض من وجاهة Bowlby إذ هو يوجه التحليل نحو تأثيرات هذا الارتباط بين الأم والطفل، ليس على الطفل فقط بل على ماله من انعكاسات على الأم. إن الطفل ومن يعنى به مرتبطان بنظام تفاعلات ثرى ومعقد، يشتراك فيه الطرفان اجتماعياً منذ لحظة الولادة.

ففي السبعينيات استطاع Klaus و Stern وغيرهم أن يفصلوا النصيب العائد إلى الرضيع في إقامة هذا الارتباط أو هذه العلاقة والمحافظة عليها وأن يتأملوا الطريقة التي يسلط بها على من يعامله أو من يعنى به بطرق متفاوتة.

ولذا . . . فإننا نهتم أكثر بما يجعل الطفل عامل تكوين وتعديل أو على أقصى حد عامل تعكير سلوك الشخص الذي يعني به. وهناك ميل إلى أن نرى سلوك الرضيع باعثاً لسلوك الأم وإلى اعتبار أشكال التفاعل منظمة مسبقاً بينهما، وأن بالإمكان اكتسابها.

وينظر إلى بعض العناصر كما لو كان لها تأثير على تحريك عناية الكبير بالطفل أو استدراجه مثل جنس الطفل وقوامه وحيويته.

ومن أدق التحاليل وأشملها عن تفاعل الأم والرضيع ما أشار إليه Brazelton عن أن التفاعل خلال الأشهر الأولى يكون في هيئة دورات اتصال أو فترات اتصال يشود أثناءها انتباه الطفل، ويبلغ ذروته، ثم يتناقص إلى أن يدخل في مرحلة أهداً. وينطبق على تفاعل الأم نفس هذا الشكل الذي تزامن معه إذا كانت الأجواء تجرب على خير ما يرام. ويعتبر هذا النسق الذي لا دخل للأم والرضيع فيه أساس الرابطة العاطفية. ومحور التفاعل أساس المحافظة على ضبط بيولوجي للطفل لا يكون فيه هذا الطفل محل حماية زائدة ولا إهمال تام.

وقد لوحظ من جانب الأم ضروب مختلفة من السلوك السلبي، مثل تعتمدها المبالغة في تحفيز الطفل في مرحلة انخفاض التفاعل.

وعندما يكون انتباه الطفل في مرحلة الذروة، فيمكن للأم استئنارة المرحلة أو المحافظة عليها بواسطة الصوت واللمس، وإن كان للنظر هنا مرتبة الصداراة.

إن Stern يرى أن النظر أكثر أنشطة الأم متابعة قبل الرضيع لارتباطه بنظر الولد الذي هو دون ذلك من حيث الاستقرار. وفي اللحظات التي تتأمل فيها العيون بعضها بعضاً يحدث التثبيت أو المحافظة على الرابطة العاطفية بين الاثنين. وهي عملية ذات تأثير مزدوج متبادل، يتحتم مع تكرارها على الطرفين أن يتلازماً ويرتبطاً اجتماعياً وجداً.

إن عجز الرضيع العميان عن إصدار بعض علامات تظهر لدى الرضيع المبصريين، يمثل عائقاً يحول دون إقامة ترابط وجداً بين الأم والطفل.

والأدوات التي تستخدمها الأم مع ولديها للحفاظ على التأثير المتبادل هي: النظر والاتصال البدني والصوت وملامظات الأم. غالباً ما تجحب على ما يديه الطفل من استعداد للتفاعل بواسطة الصوت. وهذه التفاعلات خلال العام الأول للبيلاد ليست مهمة لإقامة الرابطة العاطفية وتثبيتها، وإنما هي مهمة في نمو الطفل اللغوي والإدراكي المعرفي الاجتماعي، وكل ذلك هام للغاية أثناء عملية التنشئة.

وإذا كانت التنشئة الاجتماعية تشير إلى العملية التي يكتسب الأفراد بواسطتها المعرفة والمهارات والإمكانات التي تجعلهم أعضاءً فعاليين في مجتمعهم، فمن الواضح أن خبرة التطبيع الاجتماعي للفرد في الطفولة لا تغدو لكل الأدوار التي يتوقع منها أن يمارسها في حياته المستقبلة في المجتمع.

إن الأمر هنا يتطلب منا أن نوضح علاقة الشخصية بالمجتمع التي تبدو في اتجاهين أساسين :

الاتجاه الأول : يهتم بكيفية تكيف الشخص للمجتمع، وكيف يمكن من أن يبدع، وكيف يغير في النظام الاجتماعي الذي ولد فيه بالتدريج، وذلك مع غيره من الأشخاص الذين يحولون على نفس النحو.

الاتجاه الثاني : يهتم بكيفية بناء المجتمع للشخص بعدما يولد فيه، وكيف يحوله من كائن بيولوجي إلى إنسان له فعاليات اجتماعية مناسبة.

إن التنشئة الاجتماعية تنطوي تحت الاتجاه الثاني، أي إنها تدور حول كيفية تغيير المجتمع للإنسان المولود وليس كيفية تغيير الإنسان لمجتمعه.

والفرد عموماً يعد ودرجات متفاوتة من النجاح، ليلي سلوكه مطالب بيته وأعضاء مجتمعه في مجالات ومناسبات مختلفة، وهذه المطالب دائماً ما تكون مرتبطة بواحد من المراكز الاجتماعية أو الأدوار الاجتماعية كالابن والتلميذ والزوج والموظف . . . إلخ. إن السلوكيات المطلوبة من الفرد الذي في مركز أو دور معين تسمى مواصفات الدور *Prescribed Role*. مواصفات الدور هي في الأساس جهود من قبل أفراد المجتمع أو مؤسساته لينظموا سلوك الأفراد الآخرين حتى تتحقق صور متوقعة أو متمنية.

وعلى أي حال يكتسب الفرد حضارة جماعته خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين :

- ١ - **فهم المراكز أو الأدوار الاجتماعية :** يكتسب الفرد فهماً للمراكز أو الأدوار المعترف بها تقليدياً في مجتمعه وأسمائها.
- ٢ - **تعلم مواصفات وفعاليات الدور :** يتعلم الفرد مواصفات الدور وسلوك الدور وما يصاحب كل دور من شعور وأحساس.

ومن خلال القسمين السابقين تصبح وظيفة التنشئة هي تحويل الفرد الخام (الإنسان الخام) في المجتمع إلى عضو عامل فعال وجيد، ومحظى عملية التنشئة هي فهم كيان الأدوار ومواصفات كل دور وسلوكياته المصاحبة.

وما يجب إلا يخفى على الأذهان أن النظرة التي تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية يأتي بواسطتها للمجتمع أفراد مناسبون لا تنكر أن مطالب المجتمع، أحياناً تبدو غير واقعية أو هي بالفعل غير منطقية أو غير ممكنة وربما تحد إذا لم تجعل مستحيلة، تحقيق الرغبات الشخصية لكثير من أعضاء المجتمع. وربما تسببت واحدة من متطلبات المجتمع في انحلال أو تطرف. وكما أن فكرة كون الطفل صفة بيضاء يجب إعادة النظر في قبولها، فليس هناك ما يبرر بوضوح أن تجارب الطفولة تتعكس بشكل آلى في مظاهر إيجابية أو مظاهر سلبية عند مرحلة الرشد والشيخوخة.

ولقد ظهر الاهتمام بفكرة اكتساب الأدوار من قبل الأطفال في بحوث *Michalson* و *Sewell Maccoby* وغيرها.

وفي ندوة الطفل والتنشئة تحت رعاية الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية جاءت أهمية التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة لأسباب منها :

- ١ - التنشئة الاجتماعية تعكس القابلية إلى تعديل السلوك وتشكيله.
- ٢ - أن التنشئة الاجتماعية تنطوي على العمليات الأساسية الالازمة لاستمرارية الحضارة وتراكم حصيلة المعرفة الاجتماعية من جيل إلى آخر.
- ٣ - أن التنشئة الاجتماعية تبني للمهارات والخبرات الالازمة للعيش في جماعة حضارية بحيث يكون هناك فرصة للنجاح وسط تلك الجماعة.
- ٤ - أن التنشئة الاجتماعية يجمع على أهميتها في الطفولة الآباء والمربون ورجال الدين والمشرعون وعلماء النفس والاجتماع.

ثالثاً : نظريات في التنشئة الاجتماعية :

يرى Field وجود نموذجين يمكن استخلاصهما من النظيرات المتعددة في مجال التنشئة الاجتماعية .

النموذج الأول : وفيه يتم تصوير عملية التنشئة الاجتماعية على أنها جهاز استدخال Internalization لمعايير وقيم المجتمع أو الحضارة، بحيث تحول هذه القيم والتقاليد والمعايير إلى جزء من البناء النفسي للفرد، وهكذا يذوب الفرد في البناء الاجتماعي، ويبدو مذعنًا أو مستسلما Passive فهو عبارة عن إناء حال يتم تعبيته بما تستدخله عليه حضارته التي يعيش فيها، وهنا يبدو الفرد غير قادر على إدراك أو تفسير الفوضى Disorder أو التفاوت الموجد في المجتمع ولا ينقاد إلى التوقعات المعيارية بسبب رغبته الكامنة في الحصول على رضى وحب الآخرين من المحيطين .

النموذج الثاني : وفيه يتم تصوير عملية التنشئة الاجتماعية ليس كجهاز قهري بل طوعي الانقياد Conformity ، ويبدو الفرد هنا فعالاً مشغولاً ببناء الواقع المحيط في ضوء فهو بدءاً باكتساب اللغة والانتماء الطوعي للمفاهيم المشتركة . وهنا أيضاً يبدو الفرد غير قادر على إدراك أو تفسير التفاوت في البيئة المحيطة وإن كان ينقاد من أجل الحصول على الشعور بالانتماء والرغبة في الحصول على حب المحيطين ورضاهما .



ويبدو من النموذجين السابقين عدم القدرة على تفسير احتمالية تخلى أو جنوح الفرد عن الطريق الذى تحدده المعايير الاجتماعية. إن قضية تفسير التفاوت بين الحفاظ على تقاليد وقيم ومعايير المجتمع دون دمار وبين الخطر المهدد بالعودة إلى شريعة الغاب لم ينجح أى من النموذجين السابقين فى حلها. ولا يعنى ذلك أننا سوف نصل إلى حل لهذا الصراع، ولا يعنى أننا نتصور حضارة مجتمعية يصبح فيها الأفراد نسخا مكررة. وربما كان من المفيد استعراض النظريات التى تفسر عملية التنشئة الاجتماعية.

١ - نظرية التحليل النفسي :

يستعرض Watson و Lindgren نظرية التحليل النفسي والفرويديون الجدد The Neo-Freudians لتفسير التنشئة، وتفترض نظرية التحليل النفسي جهازا داخل الفرد يتكون من ثلاثة منظمات عرفت بالهو Id والأنـا الأعلى Ego والأنـا الأعلى Supper. ويمثل الهـو مصدر الغـرائز ومحـتوـاه الـلاـشـعـورـي ويسـعـى دائمـا لـتحقـيق مـبدأ Ego. وـحيـنـما يـتـصلـ الهـوـ بـالمـجـتمـعـ الـمحـيـطـ أوـ الـبيـئةـ تـبـدـأـ عمـلـيـةـ تـكـوـينـ الأنـاـ اللـذـذـةـ.

وتنظر فعالية الأنما عندهما يتعلم الفرد كيف يتمكن من تحقيق رغبات الهو في نطاق الظروف التي يفرضها المجتمع والبيئة بعاداته وتقاليده. إلا أن الأنما لا يستطيع كبح كل الحفظات الغريزية الخطرة التي تتنافى مع هذه القيم وتلك التقاليد، وبالتالي تأتي أوامر الوالدين والكبار ورقبتهم على تصرفات الطفل وسلوكياته، ويصبح للأب مثلاً أوامر ونواهٍ كما له تشجيع ورضى، ومن ثم تشق الأنما الأعلى، ومع مرور الوقت مع تعليمات وتوجيهات هؤلاء الكبار تصبح الأنما الأعلى بمثابة المراقب للسلوك الذي يوجه للأنما الأوامر ويهددها كما كان يفعل الكبار، ومن هنا تتكون معايير السلوك التي يتمثلها الطفل وتصبح جزءاً من بنائه النفسي ويطلق على الأنما الأعلى مصطلح «الضمير».

وترى نظرية التحليل النفسي أن التنشئة عملية قائمة على التفاعل، يكتسب فيها الطفل معايير السلوك.

وتضفي مدرسة التحليل النفسي على الأم أهمية في ذلك الأمر خلال تفاعلها مع طفليها في مواقف التغذية والتدريب على الإخراج. وإن كانت الصيغة الفرويدية Freudians تركز على دور الأم والأب وتعلن عن توحد Identification الطفل خلال مراحل نفسجنسية Psychosexual مع أحد الوالدين، ومن ثم يستدمل Involvement خصائص الوالد المتوحد معه، وهنا تكتمل تنشئته بنمو الأنما الأعلى.

ويلاحظ عدم إمكانية التتحقق من افتراضات فرويد في نظرية التحليل النفسي، وإن كان من إيجابياته التأكيد على علاقة الطفل بوالديه ودورهما في عملية التنشئة.

٥- نظريات التعلم الاجتماعي المبني على فكرة التدعيم:

وتنطوى هذه النظريات على ثلاثة توجهات:

التجه الأول: ويظهر من خلال ما قدمه Miller and Dollard وكذا Sears and Mecoby عملية التنشئة الاجتماعية، ويهتمون بالدافع والجزاءات كشروط لحدوث التعلم، فالطفل يحصل على انتباه والديه أو اهتمامهما عندما يقوم بأفعال أو تصرفات أو

أعمال يفضلها الوالدان أو أحدهما أو ربما يقومان بها. ومع تكرار إتيان الطفل هذه التصرفات تصبح جزءاً منه فيما بعد.

التوجه الثاني : ويظهر من خلال رأى Skinner الذي يفسر السلوك الاجتماعي في ضوء قوانين التدعيم، وأسلوب الثواب وأسلوب العقاب. فالطفل ينمى شخصية محددة نتيجة أنماط مستقلة للثواب والعقاب يطبقها أو يتبعها الوالدان معه، بحيث يميل الطفل إلى تكرار السلوك الذي حصل على الإثابة Rewarded ولا يكرر السلوك غير المثاب Nonrewarded وبالتالي يتعلم الطفل الاستجابات المرتبطة بإثباتات، أو تنشط الرابطة بين منه محدد ومدعوم محدد أو تضعف أو تنطفئ الرابطة بين منه محدد ومدعوم محدد.

التوجه الثالث : ويظهر من خلال ما قدمه و Park و Walter و Ban- dura ويتبنى هؤلاء فكرة تقليد النموذج Model باعتباره نمط استجابة متعلماً للسلوك الاجتماعي، ومن ثم التنشئة الاجتماعية، فالأطفال يقلدون ويحاكون الأب والأم أو الوالد من نفس الجنس وذلك عندما يجدون دعماً ذاتياً كلما اقتربوا من النموذج. وربما كان النموذج من بين ما قدمه وسيلة الإعلام عموماً وبخاصة المرئي.

وعلى الرغم من أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تعديل وتغيير في سلوك الفرد وبالتالي فهي عملية تعلم، إلا أن هذا التعلم قد يكون مباشراً من خلال التدريب عليه أو غير مباشراً من خلال تقليد المحظيين. وقد يتعلم الطفل أنماطاً سلوكية لم يعلماها له الراشدون وربما نهوه عنها، لأن الطفل يعمل ما يشاهده ويراه من تصرفات وسلوك وأغلب ما يحيط بالأطفال يمكن اعتباره نماذج.

ويبدو على ما تبناه علماء نظريات التعلم السابق ذكرهم تحيزهم لدور البيئة المحيطة.

٣ - نظرية الدور الاجتماعي :

وتتخذ هذه النظرية مفهومي المكانة الاجتماعية Social Status والدور الاجتماعي Social Role، فالفرد يجب أن يعرف الأدوار الاجتماعية للآخرين ولنفسه، حتى يعرف كيف يسلك وماذا يتوقع من غيره وما مشاعر هذا الغير. إن

المقصود بالمكانة الاجتماعية وضع الفرد في بناء اجتماعي يتحدد اجتماعياً وترتبط به التزامات وواجبات تقابلها حقوق وامتيازات، مع ارتباط كل مكانة بنمط من السلوك المتوقع وهو الدور الاجتماعي الذي يتضمن إلى جانب السلوك المتوقع ومعرفته، مشاعر وقيمًا تحددها الثقافة.

ويكتسب الطفل أدواراً اجتماعية عن طريق التفاعل الاجتماعي مع الآباء والراشدين الذين لهم مكانة في نفسه فلابد من قدر من الارتباط العاطفي أو رابطة التعلق Attachment . وتعتبر الذات المفهوم الثالث في نظرية الدور. ذلك لأنه إذا كان للطفل أن يتفاعل بنجاح مع غيره في مجتمعه فعليه أن يعرف ما هو السلوك المتوقع منه والمصاحب للمكانات الاجتماعية المختلفة [المدرس ... الخادم ...] وهذا لا بد أن يعرف الطفل ويتعلم كيف يسلك وفقاً للتوقعات. وأن يكون قادراً على أن يحدد لنفسه ويعرف عن طريق اللغة ومراجعة النفس، ما إذا كان سلوكه سليماً أم لا ، ولا يتحقق ذلك كله إلا عندما يرى الطفل نفسه على أنه موضوع ذلك لأن نظرته إلى ذاته على اعتبارها موضوعاً يمكنه من مراجعة سلوكه وتوجيهه كلما أمكن إلى الأفضل (من وجهة نظره بالطبع) وأيضاً الحكم على هذا السلوك .

ويتم اكتساب الدور عن طريق واحد أو أكثر مما يأتي :

أ - التعليم المباشر : فيقوم الوالدان أو أحدهما بتعليم طفلهما ضرورة مناسبة سلوكه لسنّه أو عمره أو جنسه ذكراً أم أنثى ، فيعلم الطفل الولد أن يكون متسماً بالحزم والقوة ويرتدي الملابس التي لا تشبهه بالإناث ، وكذلك يتم تعليم البنت ، وأيضاً تحدد الأسرة للطفل في سن محددة أدواراً معينة مثل الحفاظ على أخيه أو عدم الدخول قبل الاستئذان أو ...

ب - النماذج : يتخذ الطفل من المحظيين به نماذج تحتذى وقدوة ، بالإضافة إلى فهمه لأدوارهم وكيفية تفاعلهم مع بعضهم البعض : الطبيب والمريض ، المدرس والتلميذ ، الأب والابن ، وكذا ما تعكسه هذه النماذج من اتجاهات نحو أصحاب المكانات المختلفة .

ونعود من جديد الآن لنكرر بعد عرض هذه النظريات، أن كلا منها ليس كافيا لتفسير عملية التنشئة الاجتماعية، وأن التكامل بين هذه النظريات في تفسير تلك العملية، أهم وأجدى، مع عدم إهمال دور العوامل الثقافية والاجتماعية في تفسير تلك العملية وبخاصة أننا نعلم أن التنشئة ميكانيزم لنقل دعائم الثقافة. وهذا ما دعا «سويف» إلى أن يرى كل طفل إنسان يدخل مجتمعه وهو موضوع اهتمام سابق على قドومه إلى الحياة. فإن هذا الاهتمام السابق على وجود الطفل له دوره في تحديد إجراءات التنشئة التي سوف يتلقاها مع مراعاة أن التلقى كائن بشري يحمل في طياته عددا من المحددات الجبلية الولادية التي تضع قيودا على حرية فعل البيئة الاجتماعية، وأنه يحمل في أعماقه تاريخ خبراته الذاتية التي تشكل إرثا استجاباته لأنماط التربية والتغيرات والظروف الثقافية الاجتماعية المحيطة به. وهذا ما يجعلنا أمام شخصيات تختلف فيما بينها رغم اتفاق مطالب البيئة الثقافية والاجتماعية.

رابعا : عمليات تحدث أثناء تنشئة الطفل :

ما سبق يتضح أن التنشئة الاجتماعية تشير إلى العملية التي ينمو من خلالها الفرد ليكون كائنا اجتماعيا أو يكتسب الحساسية للمنبهات الاجتماعية ويتعلم السير في إطارها، ويسلك مثل الآخرين في جماعته أو ثقافته. إنها عملية كينونة اجتماعية.

إن تفسير ذلك الأمر يعتمد على عدد شبه محدود من العمليات الأساسية التي يمكن بلوغتها على النحو التالي :

Externalization	- الاستخراج	Internalization
Attachment	- التعلق (بوسيط)	الانكالية
Identification	- التوحد (مع مثال)	التقليد
Self concept	- تكوين مفهوم الذات	لعب الأدوار

وكل عملية من العمليات السابقة تتطوى على شكل من أشكال التعلم الاجتماعي، ومن هذه الأشكال التعلم بالاقتران *Associative Learning* الذي

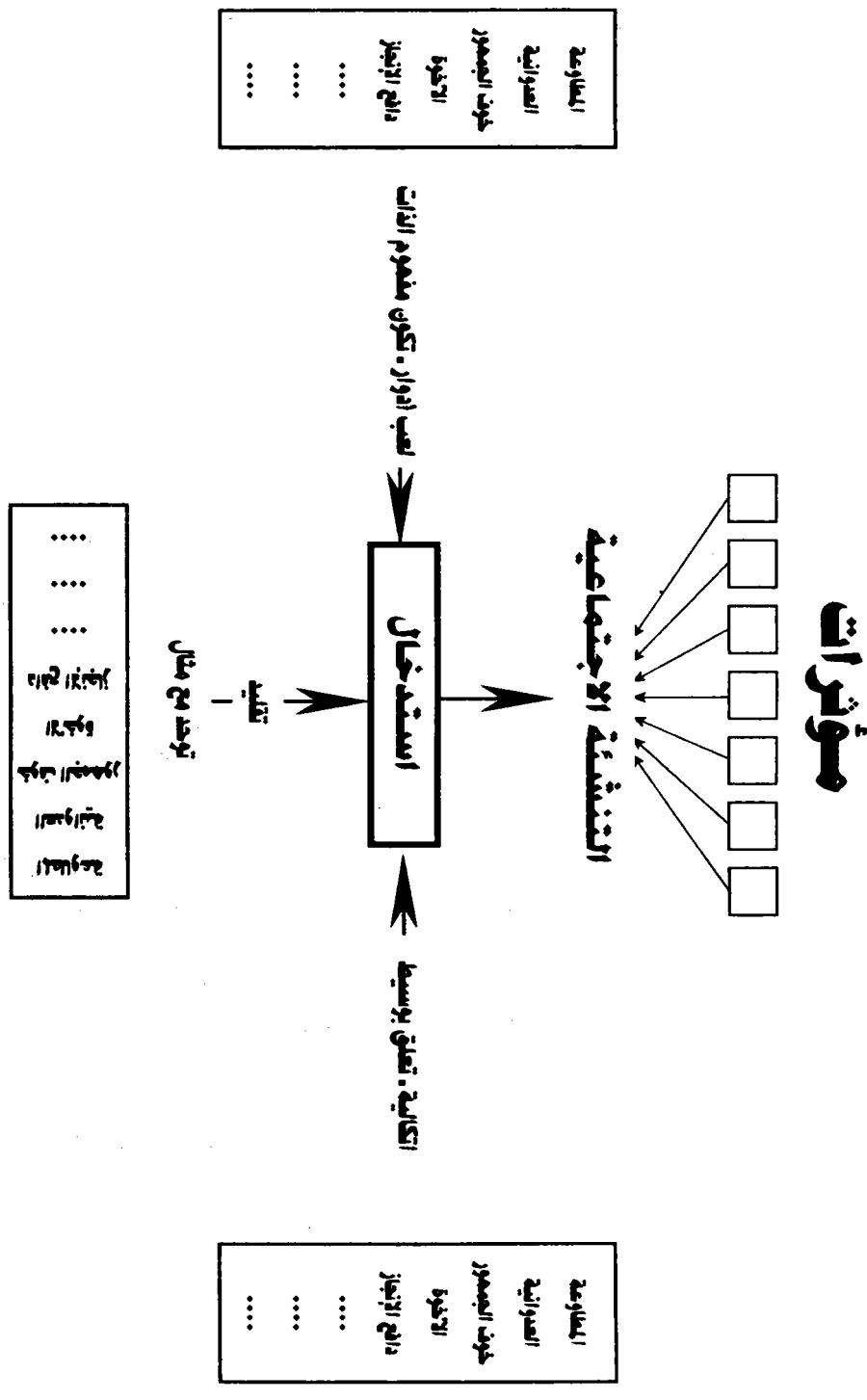
يتحول فيه إرضاء الوسيط (مثل الأم أو الأب أو الأخ الأكبر أو المدرسة . . .) من دافع محدد إلى دافع أولى. مثال ذلك حينما يتعلم الطفل السلوك الحسن إرضاءً لوالديه، لأن إرضاء الوالدين ارتبط في السابق بإشباع حاجات أولية عنده.

وفي الاتكالية - التعلق بوسبيط، فإن التعلم يتصل بالسيطرة على مجالات متعددة من الاستجابات للطفل مثلاً عن طريق مثيرات يوفرها أشخاص (اعتماد على الغير أو اتكالية) أو عن طريق شخص معين (وسبيط مثل الأم)

وفي عملية التقليد - التوحد مع مثال ينطوي الأمر على تعلم لدى الطفل مثلاً عند مطابقة استجاباته مع الإرشادات أو التعليمات التي تُظهر استجابات شخص آخر (النموذج أو المثال). أما التوحد مع مثال فيكون التعلم فيه عندما تتولد في الطفل الرغبة في اكتساب الخصائص السلوكية بحيث يظهر في النهاية تشابه بين سلوك الطفل وسلوك المثال.

أما في لعب الأدوار - تكوين مفهوم الذات، فإن مجالات التعلم الاجتماعي متعدة إلا أن الأدوار الاجتماعية بمثابة قوالب سلوكية جاهزة مكونة من اتجاهات وقيم وبناءات معرفية تتصل بالوظيفة موضوع الدور. والقمة التي ترجم تمثيل كل دور من الأدوار التي مارسها الفرد ورأى فيها نفسه تعطى له مفهومه عن ذاته. ومن هذا المنظور فإن أخذ الأدوار Role Taking متصل بشدة بتكوين مفهوم الذات. ويعتقد البعض أن عمليتي التقليد - التوحد مع مثال والاتكالية - التعلق بوسبيط، هما عمليتان متابعتان، كما أن هناك اعتقاداً في أن لعب الأدوار هو في حقيقة الأمر مطابق للتوحد مع مثال [مثلاً نرى في لعب دور الأب وهو في الحقيقة توحد مع الأب] وسوف نعرض لراحل عملية التنشئة فيما بعد.

وتبقى عملية الاستدلال كعملية أساسية في التنشئة حيث تتعكس ترجمة التعلم إلى مقدرة على التحكم في السلوك ذاتياً. وهنا يبدو المراقب الداخلي الذاتي المتمثل في الضمير مغنايا عن وجود رقباء أو شرطة للأخلاق إذا جاز التعبير. وهذا ما يجعل عملية الاستدلال عند انتظامها داخل الفرد مؤسراً حقيقياً لانتظام عملية التنشئة التي لا يجب أن نغفل دور عدد من المؤثرات المتنوعة عليها.



خامساً : متغيرات خلف العمليات التي تحدث أثناء التشىئة:

هناك متغيرات تكمن خلف العمليات التي تحدث أثناء التشىئة منها :

١ - المطاوعة : Complince

إن هناك ظروفاً يطبع فيها الأطفال غيرهم بخصوص اقراحتهم أو أوامرهم، والميل للمطاوعة يبدأ بصورة مشتتة إلى حد ما ولكنه يثبت مع نضج الطفل، فمن غير الممكن التنبؤ بما إذا كان طفل الرابعة أو الخامسة من العمر سيطبع أو لا يطبع في مدرسته من خلال معرفتنا بأسلوب والديه بشأن طرق إثابته أو عقابه. ولكن يمكن التنبؤ على أساس هذه المعلومات بخصوص أطفال أكبر عمراً. ومع التقدم في العمر لدى الأطفال يتزايد ثبات سلوك الطاعة، فأطفال دار الحضانة يبدون متسلقين إلى حد ما في طاعة الكبار في المنزل أو الروضة أو الحضانة، وإن كانوا ليسوا كذلك مع الأنداد، حتى يصل الأطفال إلى سبع أو ثمان سنوات فيبرز الاتساق في المطاوعة مع الأنداد والكبار.

و طفل الروضة المطاوع مع أنداده ينحو أيضاً بصفة عامة إلى أن يعتمد عليهم للمعونة الجسمية والدعم العاطفي ، وبالرغم من ذلك يكون عدوانياً أو غير ودي معهم ، والطفل المطاوع مع البالغين لا يبدوا عدوانياً بنفس القدر.

وعومما فإن الأطفال الصغار ترتبط مطاوعتهم باعتماديتهم أو عدم تمكّنهم من الاستقلالية عن الأنداد، بينما لا نجد هذه العلاقة أو الارتباط بين المطاوعة والاستقلالية عن الكبار.

وتعتبر المكافآت أكثر فعالية من العقوبات في إظهار المطاوعة. و يبدو أن المطاوعة الاجتماعية Social Compliance كأحد خيوط عملية التشىئة الاجتماعية تستلزم تعلماً طويلاً المدى. فالأطفال يميلون إلى المطاوعة نتيجة لأنواع المكافآت وأنواع العقوبات التي يستخدمها معهم الآباء. وربما لمناذج السلوك التي يقدمها هؤلاء الآباء أو أي أشخاص آخرين مهمين بالنسبة للطفل.

وإن كانت هناك إمكانية لعدم استبعاد فكرة رجوع الميل إلى المطاوعة إلى جذور وراثية ، فإن التفسير في ضوء منظفات فرويدية قد تعتبر مقبولة. إن نمو الميل إلى المطاوعة المتافق من الروضة إلى المدرسة يحدث عندما يستدعي الطفل قيم

واحد من الوالدين في طريقه للتوحد مع الوالد الآخر من الجنس المضاد (ما يؤدي إلى حل عقدة أوديب أو إلكترا). وربما يرى آخرون إلى القدر الأكبر من الاتساق في ضغوط الوالدين على الأطفال الأكبر سنًا، مدعين أن سلوكهم الأكثر اتساقًا إنما يعكس فقط هذا الضغط المكثف بالمتزل، بالإضافة إلى الضغط المتزايد في المواقف العامة للأطفال الأكبر باتجاه قيامهم بأدوار تتطلب السيطرة المتسلقة حينما يكون في وضع قيادي أو المطاوعة المتسلقة عندما يكون في وضع التابع.

٢ - العدوانية : Aggression

من المعروف أن شكلًا ما من أشكال الإحباط Frustration يسبق صدور العدوان أو صدور السلوك العدوانى، وإن كانت الإحباطات لا تؤدي دائمًا إلى العدوان، لأن سلوكًا آخر مثل المطاوعة قد يتضاد معها أو يتعارض مع التعبير عن العدوانية. لقد سبق أن ذكرنا أن الصغار الأكثر مطاوعة يكونون نسبيًا أقل عدوانية.

ويستعرض Lambert أن الفرض القائل أن الإحباط يؤدي إلى عدوان لا يعالج عدداً من الصور العدوانية. فمثلاً عندما يشعر بعض الأطفال بالإحباط فإنهم قد يعبرون عن العدوان بصورة أسرع مما يفعل البعض الآخر : فهل يعود هذا فقط إلى الإحباطات التي سبق تعرضهم لها أم إلى التعزيزات التي كانت بمثابة مكافأة وحجدت على العدوان؟ . كما أن بعض الأطفال عدائون بدون إثارة لهم.

للعدوان متنفسات متعددة، وغالباً ما يتعرض للإزاحة، كما يحدث عندما يركل الولد الحاطط أو اللعبة أو القطة لأنها لا يستطيع أن يركل والديه . وقد تختلف درجة العدوان، مثلما يحدث عندما نرد على الهجوم بالسخرية أو بكظم الغيط أو إضمار الرغبة في العدوان . وقد يسقط العدوان، كما يحدث عندما يرى الإنسان العدوانى الآخرين فقط كمعتدين ، ولا يرى نفسه كذلك ، أو عندما يصف الآخرين بالعدوانية كى يبرر عملاً عدوانياً ارتكبه .

ولقد انتهت الدراسات التي أجرتها Sears وزملاؤه إلى أن الأطفال ذوي العدوانية الواضحة يكونون غالباً من أسر يغلب عليها التسامح بشأن القواعد الحاكمة للعدوانية والشدة في العقوبات . والأطفال الأقل عدوانية هم من أسر

يغلب عليها الصرامة بشأن القواعد الحاكمة مع التهاون في العقوبات. ويبدو أن القواعد المتسامحة تسهم في رفع معدل العدوانية لدى الأطفال أكثر مما تسهم به العقوبات الصارمة أو الشديدة.

وحيثما تتبع نفس الأطفال حتى مرحلة الطفولة المتأخرة، فإن التسامح الزائد من قبل الآباء لا يزال يؤدي إلى عدوانية شديدة مضادة للمجتمع، والآطفال المعرضون لعقاب شديد واقعياً ينحون الآن إلى أن يكونوا من بين الأقل عدوانية تجاه المجتمع.

إن المشكلة التي يواجهها الأطفال حينما تكون لديهم نزعات عدوانية بينما يخشون في الوقت نفسه مغبة القيام بها يتبع عنها حالة تسمى دافع الصراع. وحيثما يصل أطفال السادسة إلى عمر الثانية عشرة وكانوا قد تعرضوا لعقاب شديد، فإنه يفترض أن استمرار العقاب قد خفض الصراع، مما أدى بالأطفال إلى التخلّي عن العداون نتيجة الكشف الشديد للغاية الذي أصبح مرتبطاً به.

وأوضح Sears وزملاؤه أن الأطفال الإناث عموماً أقل عدوانية من الأطفال الذكور، كما أن الإناث يعانين من قلق أكثر من جراء سلوكهن العدواني. كما أن الأطفال الأكبر سناً يقلّلون من عدوانيتهم في حضور البالغين، كما يتعلّمون التخفيف من الشجارات عند الاقتراب من منازلهم، وتنفيس الغيظ في غير أفراد الأسرة بدلاً من تنفيسيه في أشقائهم.

وعموماً فإن أغلب الدراسات تجمع على أن الميل إلى العداون يرتبط ارتباطاً موجباً ببعض عوامل التطبيع مثل: نبذ الوالدين أو اتجاه إثارة الألم النفسي- Atti- tude of Rising Psychological Pain . Parental Overprotection وكذلك هناك ارتباط بين العدوانية وقوة الأمهات في تعويد أطفالهن عادات التخلص من الفضلات.

وعلى أي حال فإن نتائج البحث غير متسقة بشأن صلة الإحباط أثناء عملية التطبيع وقوة الميل إلى العداون لدى الأطفال، وربما عاد ذلك إلى أن أصحاب هذه البحوث لم يحددوا الفترة العمرية أو مرحلة النمو التي يصبح فيها الإحباط مولداً للعدوان، وإن كان من المهم الإشارة إلى أن الإحباط لا يؤدي إلى العداون في

كثير من الحالات إلا إذا كان العدوان قد وجد تدعيمًا من قبل الوالدين أو غيرهم. كما أن الاهتمام بدراسة هذه العلاقة من خلال جهود الوالدين فقط فيه من التحيز لأن من المعلوم عدم انفرادهم بعملية التنشئة.

٣ - التقليد والتعلم البديل :

تعتبر عادات التقليد لدى الأطفال بمثابة محطات على الطريق إلى الإمكانيات الواسعة للتعلم البديل عن طريق الملاحظة. فحين مراقبة طفل لطفل آخر يتلقى تعليمات فإنه يتعلم بمجرد ملاحظته، وربما وصل تعلم الطفل الذي يقوم بالمراقبة إلى مستوى يعادل الطفل المراقب أو حتى يفوقه، حتى عند عدم توافر تغذية راجعة للطفل الذي يقوم بالمراقبة، ولدرجة تصل إلى أنه في حالة غياب النموذج يكون الطفل الذي يقوم بالمراقبة قادرًا على الإتيان بالأفعال التي تعلمها.

إن أغلب الأطفال يمررون بمراحل يقتبسون فيها نشاطات المحظيين بهم بطريقة استسلامية، ويفدواون فيما بعد بتقليد أفعال واتجاهات هؤلاء المحظيين، إن الأطفال يتعلمون من الملاحظة أكثر مما يتعلمون من المواقف التي رتبت خصيصاً لنقل معلومات وتعليمات شفهية لهم.

وتتيح فرصة توافر بعض الشروط تعلماً أفضل وربما تعديلاً لسلوك سابق لدى الطفل الذي يقوم بالمراقبة. ومن هذه الظروف كون النموذج المحتذى له قيمة بالنسبة للطفل القائم بالملاحظة، وحينما يكون النموذج صديقاً وأحياناً عدواً (في حالات الغيرة) وعندما تكون إشارات واستجابات النموذج واضحة. ولقد اهتم Bandura بالظروف والشروط التي يشكل الأطفال تحتها سلوكهم طبقاً لنماذج سلوك غيرهم بحيث يحل السلوك الجديد كسلوك بديل يتعلمه الطفل.

٤ - الحساسية من المشاهدين والمستمعين (الجمهور) :

ويطلق أحياناً على ذلك قلق التواجد أمام آخرين كمستمعين Audience، وقد اهتم العلماء بكيفية نمو الحساسية تجاه المستمعين لدى الطفل، سواء كان يتتجنبهم أو يسعى إليهم. ولوحظ أنه حينما كان الوالدان يكتشران من مكافأة الطفل ويقللان من عقابه ويشجعان سلوكه الاجتماعي، لا ينشأ لدى الطفل سوى القليل من الخوف من الجمهور أو الشعور بالخارج عند التعبير عن النفس أمام

الناس، وينشأ لدى الطفل مستوى مرتفع من الخوف من الجمهور عندما تكثر تقييمات الوالدين غير الراضية وتعقيباتهم السالبة على تصرفاته، بالإضافة إلى كثرة العقاب عند عدم امتثاله لتوجيهاتهم، ولا يجب أن ننسى ظهور عدم الخوف نسبياً من الجمهور مع افتتاح والدى الطفل وانبساطيthem.

ولقد ظهر أن الأطفال أصحاب الميل القليل لحب الظهور والشعور الزائد بالإحساس بالنفس يقل رز من حديثهم بالمقارنة بالأطفال أصحاب الميل لحب الظهور وعديمي الإحساس بالنفس. وعموماً فالأطفال الذين يخشون الجمهور أو الأطفال الذي ينجذبون إليه أكثر وقوعاً في أخطاء الكلام.

٥ - تركيبة الأسرة : Family structure :

إن لهذا الجانب العديد من الدراسات مثل دراسات Marjorbanks ودراسات «يسريه صادق» في البيئة العربية.

وتشير نتائج البحوث إلى أن وضع الفرد الولادي يرتبط باختياره البقاء وحيداً أو في صحبة الآخرين عندما يواجه موقفاً مفزعاً، وأغلب متقدمي المولد أو وحيدى الأسر يختارون البقاء مع الآخرين في الموقف المفزعة، بينما يفضل أغلب متأخرى المولد مواجهة ما يقلقهم وهم وحدهم. والمواليد الأولي يبدو خوفهم أكثر وكذا قلقهم ومحاجرتهم مقارنة بمتاخرى المواليد. وإن كانت السيطرة تقترب بأوائل المواليد.

وتشير الدراسات إلى أنه كلما زاد فرق العمر بين الوالدين قل ذكاء الأطفال وقلت غيرتهم، وكلما زاد حجم الأسرة قل ذكاء الأطفال وارتفعت غيرتهم في الوقت الذي يرتفع فيه الذكاء كلما زاد الفاصل الزمني بين الإخوة.

ومع زيادة فارق العمر بين الوالدين يقل الابتكار، وكذلك مع زيادة حجم الأسرة. كما أنه بكبر عمر الوالد يقل الخوف لدى الطفل وتزيد الغيرة.

إن الاعتمادية تنشأ عند الطفل الأول إلى حد كبير من جراء عدم خبرة الوالدين وقلقهم الزائد حول أمور بسيطة أو تافهة، كما أن الطفل الأول يعطيعناية أكثر مما يتلقاه الأطفال اللاحقون، وغالباً ما يكون أكثر تلقياً للرضاعة.

إن الأطفال متقدمي المولد ينحون إلى طلب المساعدة والتقارب والتلامس الجسدي وحب اعتراف البالغين بهم أكثر من متأخرى المولد.

وهناك أمور تحتاج لمزيد من التتحقق مثل ما ظهر من أن الأطفال الأكثر تأخراً في المولد أصبحوا مدمجين للمخدرات بدرجة أكبر من أوائل المواليد. كما أن الأطفال الأوائل يحاولون الحصول على مطالبهم بطرق لا تناسب الآخرين، بينما يكون الأطفال اللاحقون أكثر عناداً بصرف النظر عن العواقب.

وبحسب المعلومات المتوفرة، فإن الأولاد الذين ينشأون مع أخت أصغر ثم يتزوجون فتاة نشأت مع أخ أكبر تكون حالات الطلاق بينهم أقل مقارنة بالأولاد الذين يتزوجون فتاة كانت الأخت الكبيرة بدون إخوة على الإطلاق.

٦ - دافع الإنجاز : Achievement Motivation

يرى كل من Watson و Lindgren أن من المهم جداً حدوث عملية التنشئة لدى الأطفال الذين هم بمثابة متعلمين، أن تسد توجيهاتنا إليهم بعض حاجاتهم النفسية، مثل الحاجة إلى الحب وال الحاجة إلى التقدير وال الحاجة إلى الإنجاز والتي عرفت بداعم الإنجاز . . . وغيرها.

ويعد دافع الإنجاز من أهم الدوافع التي نالت اهتمام الباحثين، ومن رواده McClelland و Atkinson الذي انتوى تعريف زكريا الشربيني له على أنه حرص الطفل على تحقيق الأشياء الصعبة، والتحكم في الأفكار وحسن تناولها وتنظيمها والقيام بعمل المطلوب منها على نحو جيد وسريع، وباستقلالية قدر الإمكان مع بلوغ معايير الامتياز والتفوق على النفس والآخرين.

وداعم الإنجاز يبدأ في فترة مبكرة من حياة الأطفال وتكون باللغة التطور بحلول الثامنة أو العاشرة.

والدافع إلى الإنجاز يظهر بصورة أكثر تكراراً وقوة في الأسر التي تشجع الأطفال على الاستقلال في سن مبكرة. فنجد من مثل هؤلاء الأطفال ترتيباً لأسرتهم في عمر مبكر، وربطها لأحذيتهم في عمر مبكر، ومحاولات لإصلاح العابهم وتجهيز وجباتهم أو المشاركة في هذا التجهيز قبل غيرهم من الأطفال الذين نشأوا في أسر تشجع على الاعتمادية.

إن الأطفال ذوي الدافع العالى إلى الإنجاز نجد أن آباءهم فى الغالب يحددون لهم أهدافاً عالية، كما أن ردود أفعالهم تجاه الأطفال أكثر إيجابية مما يفعل آباء وأمهات الأطفال ذوى الدافع المنخفض.

وَمَا يَلْفِتُ الْإِتْبَاهَ أَنْ أَمْهَاتِ الْأَوْلَادِ ذُوِّ الدَّافِعِ الْعَالِيِّ لِلْإِنْجَازِ أَكْثَرَ سِيَطَرَةً
مِنْ أَمْهَاتِ الْأَوْلَادِ ذُوِّ الدَّافِعِ الْمُنْخَفَضِ، بَيْنَمَا آبَاءِ ذُوِّ الدَّافِعِ الْمُرْتَفَعِ أَقْلَ سِيَطَرَةً
مِنْ آبَاءِ ذُوِّ الدَّافِعِ الْمُنْخَفَضِ.

٧- بيئة الحنين والطفل : Environment

كما هو معروف فإن البيئة تعنى جميع المثيرات التى تحيط بالكائن والى يتفاعل معها منذ بدء خلقه جنينا حتى رحيله.

ويبدأ اتصال الفرد بيبيته منذ أن يصبح جنيناً في رحم الأم، فهو يتأثر بأغلب ما تتأثر به الأم من أمور حسية وانفعالية وكيميائية وغذائية.

فالجنين يحدث ردود أفعال للأصوات العالية المفاجئة فيصبح أكثر نشاطاً في الرحم، وإذا كانت الأم أكثر تعرضاً للاضطرابات الانفعالية يتأثر أطفالها حديثو الولادة أكثر ميلاً للبكاء وللاضطرابات المغوية، بعكس الأمهات اللاتي كانت حالتهم أثناء الحمل يعم عليها الاستقرار النفسي، يتأثر أطفالهن حديثو الولادة أكثر ميلاً للهدوء والنمو السريع. كما أن كثرة العقاقير أثناء فترة الحمل وتدخين السجائر أو المخدرات تؤثر على صحة الجنين وربما أنت بأطفال مشوهين، ويضيف Shaffer وربما أدى الأمر إلى ولادات قبل الموعود المتوقع.

وحيثما يولد الطفل بين أب وابن بينهما صفة الاستقرار والتعاطف والحنان يكون أكثر اتزاناً من الناحية النفسية وأكثر بعدها عن المشكلات السلوكية الحادة.

كما أن البيئة الجغرافية تلعب دوراً مهماً في نواحي الشخصية التي تُنعكس آثارها على تنشئة الطفل، فقد فسر ابن خلدون في مقدمته الشهيرة أهمية البيئة الجغرافية في تحديد الخصائص العامة للإنسان من حيث حجم الجسم واللون والطابع ونوع النشاط والأخلاق، كما أكد McClelland وزكريا الشريبي على أن العوامل المناخية ودرجات الحرارة هي دافع الإنجاز الذي سبق التحدث عنه.

سادساً : الأخلاق وعملية التنشئة الاجتماعية :

الأخلاق Morality ليست ما يقرره المجتمع حتى ولو كان خطأ فحسب، بل إن الأخلاق ما يعتبره الفرد عدلا Justic وشفقة Kindness وإيثارا Alturism وغيرها، إنه مفهوم دينامي، يتغير من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى مجتمع، وينمو ويتطور أو يتعدل فيتحسن أو يسوء.

وللأخلاق مفهومان أحدهما يعني الامتثال Conformity لمعايير المجتمع وعاداته وتقاليد، والآخر يعني اتباع الغايات والأهداف الصحيحة.

والمفهوم الأول يجعل الأفراد يمثلون السلوك الجماعي وتقاليد الجماعة، والمفهوم الثاني يجعل الأفراد يمارسون الكرم والولاء والأمانة بصرف النظر عن عادات المجتمع لأنها خيرة في ذاتها.

والأخلاق يعني الامتثال لمعايير المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر، فما هو خير في بيته أو مجتمع ربا يبدو شرا في بيئة أخرى أو مجتمع آخر.

ويعنى اصطلاح الخلق، السلوك الخلقي Moral Behaviour أيضا. ويقصد بهما درجة التنظيم الخلقي الفعال لكل قوى الفرد، والاستعداد المستمر الذى يقمع البواعث تبعاً لمبدأ تنظيمي محدد، أو تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات.

والنمو الخلقي للطفل يسير من مجرد رغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقى بالمبادئ الخلقية والاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الطفل.

وبتقدم عمر الطفل تتحول القوى الرادعة من كونها صادرة من خارجه عبر الآباء والأمهات والمعلمين .. إلى قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل تكونت من امتصاص قيم الآباء وأصبحت هي معايير ذلك الصغير نفسه.

والسلوك الذي يقوم به الفرد خوفاً من عقاب المجتمع ليس خلقياً بالمعنى النفسي، ويصبح خلقياً عندما يصدر عن شعور الفرد بالواجب أو العطف أو الشفقة أو الرحمة أو الحب أو الشرف أو البر أو الإحسان والتقوى.

وتصنف الأنماط الخلقية للأفراد إلى :

* نمط نفعي Expedient Type وذلك حينما يسلك الفرد فقط بطريقة لتحقيق أغراضه الذاتية.

* نمط امثالي Conforming Type وذلك حينما يسلك الفرد ما يسلكه غيره، أو ما يقولون أنه ما ينبغي أن يفعل.

* نمط عقلى أو نمط الضمير الحى Rational or Conscientious Type وذلك حينما يسلك الفرد تبعاً لمعاييره الخاصة التي تنقسم إلى :

- نمط إشارى Altruistic وهو أعلى مستويات الأخلاق وصاحبـه له قواعد خلقية ثابتة ومستقرة.

- نمط عقلانى واقعى Realistic يتبع صاحبه حرافية القانون الخلقي، ولا يضطر إلى التفسيرات أو التأويلات لما يفعل لأنـه يحترم القاعدة الخلقية المحددة.

- نمط نسبي Relativist يأخذ في الحسبان النزايا والدوافع والإصرار والتعتمد والتائج العملية لعمله.

ويوجه Perry الأذهان إلى أهمية الأخلاق في التنشئة الاجتماعية للفرد، بل ويعتبرها أساساً لرقي الحضارة والإنسانية عموماً، وبخاصة في عصر تضطرب فيه الحقائق وتتناقض أحياناً مع القيم الخلقية والمثل الإنسانية. إن التطور المادى أسرع وأكثر تنوعاً من النمو الفكرى والخلقى، وهناك تسارع بين العقل وماديته والعاطفة وأخلاقياتها.

إن الخلق مهم جداً للأطفال لأنـه سوف يضعـهم ضمن نظام الاستعدادات أو الصفات التي تمكنـهم من التصرف بصورة ثابتة حيال الأعراف والمواقف الأخلاقية.

ويرتبط النمو الاجتماعي للفرد بالنمو الخلقي، كما يرتبط بالنمو الدينى فى كثير من الأمور، وهذه الارتباطات تتفاوت فى قوتها حسب مدى الاستجابات لمستويات الخير والشر المفروضة فى أعماق الأطفال والكبار وبأثر رجعى يعود لمراحل التنشئة الأولى.

ويعتمد إدراك الفرد للآخرين وتقديره لهم وموذته إياهم وأمانته ليس فقط على ما ائتمن عليه بل وولائه لمن ينتمي إليه، ومدى عطفه على جماعته ومجتمعه وإيمانه بمبادئه وفهمه لنفسه أو مفهومه لذاته.

سابعاً : اللغة وعملية التنشئة الاجتماعية :

لا تستطيع عملية التنشئة الاجتماعية أن تتحقق هدفها دون اللغة. فالكلمات رموز أو علامات تشير إلى أشياء في موقف معينة وتحمل معانٍ للأشياء في تلك المواقف، وعن طريق هذه الرموز يستطيع الفرد أن يستجيب للأشياء حتى في حالة عدم وجودها في مجده الحسي المباشر، وعن طريق اللغة يتمكن الفرد من تحديد سلوكه سلفاً بالنسبة للمواقف المستقبلية، وهذا هو أساس عملية التفكير. فاللغة سلوك لفظي يرتبط بموقف واقعية يواجهها الطفل في حياته اليومية ويسلك نحوها سلوكاً معيناً، ويمكن باستخدام اللغة نقل ما تحمله الألفاظ من معانٍ من موقف إلى آخر، أي يمكن تعديلاً وعملاً سلوك الطفل نحو الموقف المتشابهة.

فاكتساب الطفل لكلمة واستدعاها قد يقوم مقام الأم في توجيهه أو ضبط سلوكه، أي إنه باكتسابه لكلمة يسلك سلوكاً يتناسب مع اتجاه الأم أو النموذج. وهذا يساعد على نمو ما يسمى بالقدرة على الضبط الذاتي *Self Control*.

وعندما يقوم الطفل بأدوار الآخرين - كما سبق أن ذكرنا - وبالتعبير عن اتجاهاتهم بأسلوبه يستخدم اللغة، ومن ثم تكون ذات الطفل.

والكبار يكونون في استطاعتهم باستخدام اللغة أن ينقلوا إلى الطفل معانٍ للمواقف المختلفة التي يواجهها في حياته وكذا عند توجيهه. ذلك لأن الكبار يستطيعون باستخدام ألفاظ لها دلالات أو معانٍ خاصة من خبرات سابقة أن يكونوا عند الطفل اتجاهات سلوكية معينة بالنسبة للمواقف التي لم يخبرها الطفل.

وباختصار فإن اللغة تهيئ الفرد للقيام بدوره الاجتماعي خير قيام بفهمه بداية للمعايير المشتركة التي تمثل القدر المشترك الذي يبني عليه التفاعل والتأثير والتأثير وبفهمه للأدوار الاجتماعية، فضلاً عن أنها أداة الفرد للتعبير عن مشاعره

و حاجاته . وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن اللغة أداة تصبح الفرد بالصيغة الاجتماعية القائمة على تبادل الحوار وفهمه ، وإقامة علاقات اجتماعية تتسم بالعمق .

ثامناً : مراحل عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال :

لم تختلف الآراء في وضع مراحل للتنشئة ، بقدر ما اختلفت في كون هذه المراحل تتم في الطفولة للفرد (محدودة ولها نهاية) أو تستمر عبر عمر الإنسان (مستمرة ولا نهاية) وسوف نعرض لمراحل التنشئة في ضوء هاتين الوجهتين .

١ - مراحل التنشئة كعملية محدودة لها نهاية :

تمر عملية التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء هذه الوجهة بثلاث مراحل :

١- المرحلة الذاتية :

ويتعلم الطفل في هذه المرحلة أن يتكيف لمطلب جسمه و حاجاته البيولوجية والظروف البيئية المحيطة ، ويقبل المعانى التي حددها الكبار للمواقف التي يمر بها ، كما يظهر ذلك عند معاملتهم له ، وهنا يمكننا القول بأن الطفل يكيف نفسه لسلوك الكبار .

ويستجيب الطفل للمواقف المختلفة بحواسه ، وتتحدد بالتدرج بعض أنماطه السلوكية نتيجة ما يترتب على استجاباته من نتائج ، فيتعلم بالتدرج أن يستبعد بعض الأنماط السلوكية التي لا تؤدي إلى إشباع حاجاته البيولوجية . وقيام هذه العملية هو تناسق حسّي - حركي يتحدد بعلاقة الطفل ببيئة المحيطة وسلوكه فيها ، فتصبح معالم بيئته بمثابة علامات أو إشارات لسلوك معين يأتيه الطفل تحت ظروف معينة ، ولكن الكبار يكونون قد حددوا سلفاً أغلب المعانى بالعادة أو بالعرف أو بالتقليد . فثدي الأم مثلاً يعني للطفل الرضاعة ، ومد الأم يدها إلى الطفل معناه أنه سوف يرضع أو يُحمل وهكذا .

ب- المرحلة المطلقة :

ويكتسب الطفل في هذه المرحلة القدرة على الانتقال من مكان إلى آخر مستقلاً نسبياً عن الكبار ، ونموه الحركي يمكنه من التعامل مع الأشياء بفعالية أكبر وحرية أكثر بعيداً عن مراقبة الكبار ، وإن كان كثيراً من عادات الطفل وأفعاله في

هذه المرحلة تجد مقاومة من الكبار، فهم يتدخلون لمنعه من بعض التصرفات مما يتربّب عليه حدوث الصراع بين الطفل والكبير، وقد يتحول هذا إلى صراع في شخصية الطفل نتيجة للتناقض الذي يحدث في معانٍ الأشياء أى حول العلامات التي كان يستجيب لها في الماضي والمعانٍ الجديدة التي أصبح الكبار يفرضونها. وتتعدد وبالتالي معانٍ الأشياء بغير توقعاته، وتميّز الأشياء والعلامات التي تحدد استجابات الطفل بما يؤدى إلى تعديل سلوكه بحسب قيم الكبار وعاداتهم.

ويكتسب الطفل في هذه المرحلة ما يجب وما لا يجب، أى أنه في طريقه لتكوين الأنماط العليا (الرقيق أو الضمير).

وفي هذه المرحلة يقوم الطفل بممارسة الأدوار الأخرى للأفراد الآخرين في بيئته، فالولد يلعب دور رجال البوليس ودور البائع.. والبنت تلعب دور الأم ودور المدرسة .. وغيرها.

ج- المرحلة المشتركة للتعامل بين الطفل وبين غيره من الأفراد :

وفيها يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف الهامة في حياته، وفيها ينتقل الطفل من فهمه وتوقعه الثابت لسلوك الأفراد إلى معرفة اتجاهات الأفراد السلوكية في المواقف المختلفة، لقد أصبح الطفل الآن يذكر أسرار أسرته في حالة عدم وجود الغرباء بينما لا يحق له ذلك إذا كان بين غرباء.

ويستدعي الطفل في سلوكه وأثناء اللعب العلاقات أو الرموز التي تعبّر عن اتجاهات الآخرين، ويستجيب لتلك العلاقات، وبهذا يتعدل سلوكه إلى شكل يساعد على التوافق في تعاملاته مع الغير. ويترتب على ذلك :

- ١ - أن يصبح الطفل أكثر وعياً بذاته.
- ٢ - التنبه إلى اتجاهات الغير نحوه.
- ٣ - تكوين بعض الاستجابات المنظمة حينما تصدر اتجاهات من الغير نحوه.
- ٤ - يوحد الجوانب الأساسية لاتجاهات أعضاء أسرته في كل متّكامل نحو بعض الأمور ويعدل من سلوكه في ضوء هذا الإطار العام.

٥ - الابتعاد نسبياً فيما يتوقعه الغير منه، إلى أن يتوقع من نفسه السلوك المناسب للموقف.

٦ - تحديد معنى الموقف الجديد في ضوء الخبرة الماضية قبل إصدار سلوك بشأنه.

٢ - مراحل التنشئة كعملية مستمرة لا نهائية :

تمر عملية التنشئة الاجتماعية للفرد في ضوء هذه الوجهة بأربع مراحل، وتقسم المرحلة الأولى منها إلى أربع فترات داخلية.

أ - **المرحلة الأولى** : من الميلاد حتى دخول الروضة.

وتحتاج هذه المرحلة إلى أربع فترات.

- **الفترة الأولى** : الطفل في هذه الفترة لا تمارس عليه أية ضغوط اجتماعية، ويعيش في هدوء وسكون. فمنذ مولد الطفل تتحمل الأم مسؤولية رعايته، ويرتبط بها الطفل ويعتمد عليها.

ويمنح الطفل من الأسرة والأم كل العطف والعناية، ولا يتوقع إطلاقاً منه مشاركات إيجابية. والأم رغم حبها وحنانها على الطفل وتحقيق احتياجاته، لا تهمل واجباتها الأسرية الأخرى.

- **الفترة الثانية** : الطفل في هذه الفترة تبدأ الأسرة معه السيطرة والضبط، وتتوب الأم عن الأسرة لأداء هذا الدور، وتحاول إعلاء سلوكه إلى سلوك اجتماعي، نظراً لتعلمها بعض الأداءات واكتسابه بعض الكلمات التي تسهل له الاتصال وإبلاغ بعض الرغبات.

ويبدأ الطفل في التوتر نتيجة الممارسات التي تفرضها الأم، والحرمان النسبي من تلبية كل الرغبات، وهنا يكون سلوك الأم قد بدأ يتغير، ولكن هذا التغير لا يتبعه أن يتحمل الطفل مسؤولية أفعاله. وتسمح الأم للطفل بممارسة بعض السلوكيات إنها فترة سماح *Permissive*، لكنها ليست على نفس النحو في الفترة الأولى، وبالرغم من ذلك فهو يحب الأم.

- **الفترة الثالثة** : تبدأ إمكانات الطفل تنضج لتعيم الحب إلىبعد من الأم، ويبدأ الطفل إدراك نفسه كفرد بين من يكونون الأسرة، ويعرف الأب. وتبدأ مرحلة توحده مع أفراد الأسرة. وتخلى الأم في هذه الفترة عن مسؤولياتها تجاه الطفل نسبيا إلى الأب.

ويعيش الطفل في هذه الفترة زمنا تذكر فيه أغلب رغباته الفطرية، وتلاحمه مجموعة من الأوامر والتواهي والتعليمات التي تقييد حركاته وتضبط سلوكه، التي يعجز عن فهمها رغم إدراكه لها. ويساعد ما يحصله الطفل من خبرات ومهارات في هذه الفترة على اكتساب مركز جديد في الأسرة.

- **الفترة الرابعة** : يتوحد الطفل في هذه الفترة مع الأب كموضوع جديد. ويبدأ دور الأم في التغيير ويصبح دورا والديا، ويبدأ نشوء التضليل ويصبح الأب والإخوة موضوعات عند الطفل يتبادل معهم التفاعلات. وينؤدي الأب في هذه الفترة دورا هاما كموضوع للإشباع العاطفي للطفل، وإن كانت الأم أكثر إيجابية نحو الطفل إلا أنها أقل مساعدة له. وتؤيد الأسرة تحولها إلى ممارسة الثواب والعقاب. إنها فترة توافق مع المراحل الجديدة في الأسرة والتي يكتب فيها رغباته السابقة.

ب - المرحلة الثانية: ويطلق عليها Parsons الطور الثانى للتنشئة، وتكون خلال مراحل الدراسة من الابتدائية حتى نهاية التعليم أو الحصول على المؤهل. والمدرسة أول نسق اجتماعي يدرك فيه الطفل التباين الاجتماعي ليس على أساس بيولوجي، بل على أساس التحصيل والقدرات، يقابل الطفل رفاقا جددا. ويواجه الطفل لأول مرة فترة توضع فيها قيم أسرته وأفكارها في الميزان.

ويت忤د الطفل نماذج غير الأب والأم كموضوع، ويتحرر أكثر من الارتباط بهما مع وجود معلم أو معلمة. ويعدل المنهج الدراسي من بعض الأفكار ويتكيف التلميذ مع النظام الاجتماعي الجديد.

حتى يصل الطالب إلى الجامعة، ويبدأ الإحساس بالفروق في التخصصات تبعا للقدرات. ويدرك الفروق في التخصصات المهنية.



جـ- المرحلة الثالثة : وتبداً من الخروج من التعليم إلى العمل . ويبداً تكيف المرأة من جديد مع الأسواق الجديدة التي يرتبط بها وارتفاع عدد الأدوار وتغير توجيهات القيم ، وربما أدى ذلك إلى بعض التوتر ، نتيجة خبرات حياة عملية جديدة .

دـ- المرحلة الرابعة : تبدأ بتكوين الفرد أسرة جديدة . وهي فترة تداخل مع الفترة الثالثة ، وربما تسبقها في بعض الأحيان لدى بعض الأفراد .

تاسعاً : حدود التنشئة الاجتماعية :

تبعد التنشئة منذ اللحظة الأولى في حياة الأفراد مروراً بالعديد من الأمور حتى اختيار الوالدين للون الذي يلائم الإناث والألوان التي تناسب الذكور. فهي عملية معقدة متشابكة تتأثر بعوامل خارجية وداخلية.

والجماعات والمؤسسات الموجودة في المجتمع تلعب الدور الأساسي في هذه العملية مثل الوالدين والإخوة وجماعة الرفاق. وجميع هؤلاء يبذلون جهداً كبيراً ويقضون جزءاً من أوقاتهم في العمل على إيصال القيم وتشكيل وتعديل سلوك الأطفال.

وتحتفل كل من القيم والمعايير والأهداف والوسائل التي تتطوّر عليها عملية التنشئة الاجتماعية عبر المجتمعات، بل إنها تختلف داخل المجتمع الواحد من جماعة إلى أخرى، بل وفي المجتمع الواحد عبر الأزمنة والعصور.

وتعتبر التنشئة الاجتماعية للأفراد في مراحل الطفولة ليست كافية تماماً لمواجهة مطالبات الحياة اللاحقة، فهم يتّنقّلون عبر سلسلة من المراحل تكون مصاحبة لمراحل الحياة. وعلى الرغم من أن بعض توقعات المجتمع شبه ثابتة، إلا أن هناك توقعات تتغيّر من عمر إلى آخر، في الوقت الذي يتّظر من الفرد الاستجابة لهذه التوقعات المتغيّرة بأسلوب مناسب عندما يصبح في حياته أشخاص جدد في العائلة أو العمل أو الدراسة.

وبطبيعة الحال فإن فعالية التنشئة الاجتماعية في الطفولة يكون لها التأثير الأعظم في المجتمعات عديمة التغيير أو ضئيلة التغيير، ولكن لا يتوقع لها الثبات. وربما يأتي الاستقرار في مثل هذه المجتمعات الهدأة من الاستمرار مدة زمنية مع الآخرين المهمين أنفسهم، والذين ينغمّر معهم الفرد، مثل الأبوين أو الأقارب الذين يعيش معهم الطفل حتى منتصف العمر وأحياناً الأصدقاء الذين يستمرون خلال معظم حياة الإنسان. إلا أنه حتى في بعض المجتمعات عديمة التغيير نسبياً لا تتمكن تنشئة الطفل في الطفولة من مواجهة في التعامل مع كل الأدوار التي يتم مقابلتها في المستقبل، كما أن الأفراد لا يمكن تنشئتهم في الطفولة على أدوار سوف

تقابليهم في المستقبل، ومثال ذلك دور الزوج عند الزواج والمدنى عندما يجند ويساهم كل من التنقل الجغرافي والانتقال الاجتماعى المتميز به في مجتمع الطبقات المفتوحة في إظهار عدم كفاية التنشئة في مرحلة الطفولة لمواجهة المواقف التي يتعرض لها الأفراد حينما يصبحون مراهقين أو شبابا.

إن تنوع الحضارات الفرعية في المجتمعات الحديثة العقدة، يضاعف تأثير الانتقال عن طريق متطلبات الأدوار الجديدة وغير المتوقرة التي تتوضع على الفرد. كما أن التغيرات الاجتماعية السريعة التي تحدث خلال مراحل العمر تظهر عدم كفاية كثير مما وجهنا به في مرحلة الطفولة.

وأمام هذه التحديات فإن المجتمعات تحاول وضع اللبنات الأساسية لتعلم ضروري في الفترة التالية من العمر عن طريق تزويد الأفراد بما يساعدهم على المبادرة والإبداع والمرؤنة والقدرة على مواجهة الجديد والبعد عن التلقين وغير ذلك من الصفات التي تقييد في مواجهة متطلبات الحياة الاجتماعية المتغيرة.

ويضيف ذلك على المجتمعات الحديثة أعباء تجديد التنشئة الاجتماعية للأفراد الذين لم يتم إعدادهم مثل هذه التحديات، وعلى المؤسسات التي تعنى بتنشئة الأجيال أن تتطور، ولابد من توفير برامج تكرس فيها جهودها لهذا الأمر وتأخذ على عاتقها تربية الآباء مع اختلاف الأجيال.

ويجب أن نعترف أولاً بالصفات المستمرة للتعلم والتنشئة في مرحلة الطفولة والصعوبة النسبية في تغيير أغلب ما تم تعلمه، وبخاصة إذا كان هناك العديد من الآراء تجد الرأى الشائع بأن أغلب الجانب غير الوعي من الشخصية (اللاشعورى) يتجمّع خلال التنشئة الاجتماعية المبكرة.

وإذا افترضنا وجود صفات دائمة للتعلم في مراحل الطفولة، فإن تأثير مثل هذا التعلم على تنشئة الفرد في المراهقة أو الرشد يكون أكثر تعقيداً مما قد يبدو. فليس التعلم المبكر وحده المتدخل والمحدد للتعلم المتأخر، وإنما هو واحد من مجموعة تأثيرات. والأصح أن علاقة التعلم المبكر أو عدمه بالنسبة للتعلم المتأخر تقرر هل ستتحدد أو ستسهل التنشئة الاجتماعية للأفراد الأكبر سنا.

وإن كانت هناك فائدة من إدخال التعلم المتأخر بالتعلم المبكر بخصوص التنشئة والقديم بالجديد، إلا أن هناك حالات يمكن أن يسهل التعلم في مرحلة

الطفولة التعلم في الرشد، وبالتالي تكون تنشئة الكبار مراراً ناتجة من خلق توفيقات Combinations من عناصر استجابات قديمة، ويكون غياب تعلم معين في مرحلة الطفولة هو نقطة سالبة في تنشئة متأخرة لأن إثبات الفرد إلى دور اجتماعي في حياته المتأخرة بدون معلومات ولو بسيطة من التنشئة الاجتماعية في الطفولة يعرقل أو يعوق التعلم في السنوات المتأخرة. إن هناك أشياء يجب أن تعرف في مراحل عمرية معينة، وتعلمها في الوقت المناسب (مرحلة حرجة) يجعل التعليم اللاحق ممكناً.

ورغم كل ذلك فإن الجدل ما زال دائراً حول تأثير التنشئة المبكرة أو غيابها على التنشئة المتأخرة، ولكن الواضح أن المحتوى الأساسي للتنشئة الاجتماعية يختلف بطرق هامة في المراحل المختلفة لحياة الأفراد وباختلاف المؤسسات الاجتماعية الأساسية. ويتعلم الأفراد أشياء مختلفة في أوقات مختلفة من حياتهم بل وفي أماكن مختلفة أيضاً، ومع ذلك فإن معظم المجتمعات تعيد وضع قيمها الاجتماعية جيلاً بعد جيل، وأسباب نجاحهم في ذلك معقدة. فقد تعمد المجتمعات إلى إدامة هذه التشابهات عن طريق التلقين الوعي أو تدريب الصغار، أو بفرض ضغوط اجتماعية على كل أعضائها من المهد إلى اللحد، أو عن طريق عدم إتاحة بدائل تكون أكثر قبولاً.

وربما أضافت الأمثلة التالية مزيداً من الإيضاح وبعضاً من عدم التفاؤل :

١ – أطفال الكيبوتس :Kibbutz

هناك تجربة إسرائيلية في تنشئة الأطفال، تمت على أطفال نسبتهم صغيرة يعيشون في مجتمعات زراعية، تعطى الأطفال فوائد ومزايا العيش في جماعة (تربيه جماعية) وذلك خلال جزء من اليوم، وتترك رعاية الوالدين باقي اليوم، وأطلق على نظامهم هذا (الكيبوتس) الذي ساعد في حل بعض صعوبات تواجهها الأمهات العاملات، وكذا عاون هذا النظام في القضاء على بعض مشكلات المراهقين من نظير الاستقلال عن الأسرة.

إن الأطفال في هذا النظام يعيشون في جماعات مختلفة من حيث الحجم، ويتمون إلى مجموعات كل حسب عمره، بحيث تكون كل مجموعة تحت رعاية مربية أو مدرسة. وعلى الرغم من كون أولياء الأمور مسؤولين أساسين عن الأطفال الكيبيوتر إلا أن هؤلاء الأطفال يقضون وقتاً كبيراً مع أقرانهم ولهم علاقات وطيدة بهم ويقضون وقتاً قليلاً جداً بمفردهم، ويتعود الأطفال في هذا النظام الانفصال عن والديهم لمدة يوم أو أكثر في سن مبكرة. مما يشجعهم ويدعم لديهم الاستقلالية من الصغر مقارنة بالأطفال في غير هذا النظام. ولأطفال الكيبيوتر شلة كبيرة من الأصدقاء مقارنة بالأطفال العاديين.

وإذا كانت المربية أو المدرسة في نظام الكيبيوتر تتولى رعاية الطفل وتعلمه الانضباط والنظام وحسن التعامل مع غيره، كما أنها في غالبية الأحيان مصدر للحب والعطف، فإن الوالدين يصبح لديهم الوقت الكافي لمنع الدفع والخنان وتوفير المأكل للأطفال. على الرغم من أن الأطفال لا يعتمدون كلية واقتصادياً على والديهم كما يشير Fong and Resnick ، فكل الأطفال يحصلون على قوتهم من المجتمع الذي ينشأون فيه ويعملون فيه مما يدعم الاعتماد على النفس. ونتيجة لهذا النظام ينشأ مراهقون في جماعات ليس لديهم نفس الخلافات أو مستواها مع الوالدين من أجل الاستقلال والشعور بالحرية، فهي تمنع وتشبع من خلل هذا النظام.

٢- استحالة المجتمعة للطفل :

وهناك فكرة تقول أن أناساً معينين لا يصبحون اجتماعيين أبداً. ولتأمل المثال التالي الذي عرضه Lambert عن Davis و Dollard :

لقد أطلق معارف التلميذة جوليَا عليها اسم المشاغبة أو المشاكسة ذات المتابع. إن جوليَا صديقة وحيدة، فهي لا تكون جماعة رفاق مقربة أو تشتراك فيها. ويرى المدرسوں والتلاميذ الذين يعرفونها أنها تحب جذب الانتباه وحب الظهور، وتتفخر جوليَا بأن من يعرفها داخل المدرسة يعتقد أنها مجونة ويمكنها أن تتصرف أو تفعل أي شيء من سب وشجار للرفاق أو المدرسين، ولأنها في بيته

غير عربية فلا تتردد في أن تقبل زميلا لها في فناء المدرسة .. ولا يستثنى من شجارها حتى والدها أو والدتها، وتعلم جوليا أن أمها لا تحبها ولم تحبها ولن تحبها نهائيا، ورغم أنها رقيقة الجسم إلا أنها فتاة مسترجلة تتشاجر بكلتا يديها بدلا من الأدوات الحادة كالسكين، ولا تهدأ إلا بعد أن تنتقض من فتian المدرسة وتصفعهم على وجوههم خلال الشجار العنيف.

وعندما نعلم أن جوليا كانت فتاة زنجية من أسرة تقع في أدنى مراتب الطبقة المنخفضة لا يعود هناك شك في نمط تكيفها الاجتماعي، ربما أمكننا القول أن هذه الفتاة أعدت إعدادا حسنا لنوعية الحياة الفضحة البائسة التي كان من المتوقع أن تعيشها، وليس في مدرستها أو بيئتها الحالية.

٣ - محو آثار التنشئة :

وهناك مثل آخر شهير اتبعه الشيوعيون الصينيون لنزع الطابع الاجتماعي ومحو آثار التنشئة الاجتماعية السابقة من بعض الأسرى الأمريكيين خلال الحرب الكورية. لقد أجريت مقابلات مع العديد من الأسرى عقب إطلاق سراحهم، فعرف منهم أن الصينيين لم يكتفوا بمحاولة محو آثار التنشئة الاجتماعية للأسير الأمريكي فحسب، بل حاولوا أيضا أن يعيدوا تشكيلهم اجتماعيا، بجعلهم يؤمنون بالمعتقدات والقيم الشيوعية الصينية. وعلى الرغم من أن الصينيين قد نجحوا في أمور هامشية قبل التغيير لدى الأسير الأمريكي، إلا أنهم فشلوا في هدفهم الرئيسي، مما يوضح قوة التأثير للتنشئة الاجتماعية التي مرت بها الجندي الأمريكي قبل الأسر.

ويشير Lambert and Lambert إلى أن نزع الطابع الاجتماعي عن إنسان إلى الدرجة التي يتغير بها تغييرا جذريا يتطلب التعامل بذكاء مع البنية Structure الفسيّة الاجتماعية التي تحكم في شعوره بذاته. والجيش الأمريكي مثل باقي الجيوش، منظم بحيث يحول الفرد المجنّد إلى رجل عسكري باسل، وهو أمر يتطلب عملية تنشئة اجتماعية قوية. ونظرا لعلم الصينيين الشيوعيين بذلك فقد كان هدفهم الرئيسي تدمير الثقة بين الأسرى الأمريكيين، وتم إبعاد الضباط عن

الجنود، وإبعاد الأصدقاء عن بعضهم البعض، ومنع أشكال التعارف لكي لا يوجد الأسير الطمأنينة في الصحبة، وأغرى الأسرى الضعفاء بالمعاملة الخاصة كى يبلغوا عن رفاقهم، وأظهرت هذه المعاملة للأسرى غير الضعفاء حتى تنخفض الروح المعنوية وتنهمم، ومع ذلك فقد بقى كل أسير في حالة من الحيرة حول ما إذا كان هناك عملاء سريون بين الأسرى. وحينما أصبح الأسرى شبه معزولين وحيدين على هذا التحول أجبروا على الاستماع إلى أفكار دعائية مستمرة تلقن الجوانب السالبة في حياتهم السابقة والجوانب الإيجابية في حياتهم المستقبلية إذ اتبعوا الأوامر الصينية، وقد أرغم الأسرى على المشاركة بفعالية ونشاط في عملية إعادة تصوراتهم عن قيادتهم الأمريكية عن طريق الاعتراف بالأخطاء التافهة التي تحدث في جيشهم الأمريكي، هذه الاعترافات التي كانت تدعم بالكافات بالإضافة إلى التهديدات لغير الراغبين في الإدلاء باعترافات.

لقد شعر الأسرى بالوحدة والخوف وعدم الثقة بين بعضهم البعض، وملأت عقولهم الدعاية، والشعور بالتقدير والمعاملة الحسنة إذا تغيرت معتقداتهم، والثقة في ظهور الرعب إذا بدت منهم أدنى مقاومة. ورغم انهيار بعض الأسرى بسبب أوجه النقص في تنشئتهم الاجتماعية المبكرة، وانحنى بعض الأسرى قليلا ثم استعادوا قواهم، وتعدد كثرة منهم ضد عملية غسيل المخ Brain washing المتبعة معهم، فمات بعضهم. وعموما فشل الصينيون في مهمتهم، ورغم أنه من غير المعروف على وجه التحديد لماذا فشلوا، ولكن يأتى مع فشلهم ما ظهر من فعالية وقوة عمليات التنشئة التي جعلت هؤلاء الأسرى الأمريكيين على هذا الصمود، لدرجة أن أحد الأسرى أخذ يقرأ بصوت مرتفع فقرة من كتاب كارل ماركس بالهجة فكاهية مما أدهش الصينيين عدم الخوف والإصرار الذي يظهر على من هم مثل هذا الأسير.

عاشرًا : أهداف ومحفوظات التنشئة الاجتماعية للأطفال :

هناك أهداف حددتها Parsons و Selznick and Broom للتنشئة الاجتماعية

وقد تمثلت في :

أ - إعلاء رابطة الحب بين الطفل والأم، وإقامة التزامات حول إمكانيات

الأخذاب نحو الغير.

ب - التنشئة الاجتماعية ترتبط بما تقوم به من عمليات تعليم، وبما يحتاج أن يعرفه الشخص حتى يتواافق مع مجتمعه، وحتى يتمكن من تنمية لقدراته وإشباع لحاجاته.

ج - تلقين الأطفال نظم المجتمع الذي يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لثقافة هذا المجتمع.

د - تلقين الأطفال مستوى الطموح اللازم للعيش وسط هذه الثقافة.

ه - تعليم الأطفال الأدوار الاجتماعية.

و - إكساب الأطفال المهارات المطلوبة للتواافق مع أفراد المجتمع، وحصولهم على الأدوات التي تساعدهم على الاندماج مع الجماعات مثل اللغة.

ز - غرس القيم وأهداف الجماعة التي يتسمى إليها الطفل والتي تشكل ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، لتحقيق توقعات الأدوار التي سوف يواجهها يوماً ما مثل إعداد الطفل لأداء دور الأخ والابن والزميل والآب.

ح - إكساب المرء نسقاً من المعايير الأخلاقية التي تنظم العلاقات بين الفرد وأعضاء الجماعة، وتمثل هذه المعايير السلطة الخارجية على الفرد.

وعموماً لا توجد أهداف دون توافر أدنى محتوى يتطلب عدداً من الاحتياطات الجوهرية.

لقد وهب الله الإنسان القدرة على إدراك الزمن والمكان، وهو قادر على جعله يتمكن من استحضار الماضي ومعايشه الحاضر وتصور المستقبل، مما جعل الإنسانية توارث ثروة حضارية تمثل في القيم والعادات والتقاليد والاتجاهات التي يعبر عنها في ضوء أنماط من السلوك. وتضييف الإنسانية لهذه الثروة يوماً بعد يوم نتيجة للتغير والتطور. وتستمر الإنسانية التراث بنقله للأجيال، بحيث يصبح للفرد في هذه الأجيال وعي وإمكانية للاستجابة إلى المؤثرات الاجتماعية، وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات كي يعيش مع غيره ويسلك

مع الآخرين مسلكهم في الحياة، ويتعلم الأنماط السلوكية التي تميز ثقافة مجتمعه عن الثقافات الأخرى. ومن هنا يحتوى ذهن الفرد على أفكار ومارسات ومعايير وقيم المجتمع الذى يعيش فى إطاره، ولا يصبح مجرد راوية أو مقلد، وهذا ما يعلنه Watson و Lindgren .

ولكن محتوى التنشئة يتطلب عددا من الاحتياطات تجعلنا نقترب بأطفالنا من السوية والتوافق الاجتماعى، وهذه الاحتياطات هي :

- البعد عن القيم والاتجاهات التى تجعل الأطفال يستسلمون للخرافات [الشيخ لحاف وأمنا الغولة...].
- البعد عن العادات التى تزرع فى نفوس النشء الاستسلام أو اللامبالاة أو التواكل أو الأنانية.
- البعد بالنشء عن النماذج التى تنجح دون رادع عند استخدامها لأساليب المغافلة والتضليل والخداع والغش والكذب - الشخصية الفهلوية
- عدم تعريض الأطفال لأنماط متناقضة من التنشئة مثل الانقياد لأوامر الوالدين بالمنزل دون مناقشة فى الوقت الذى نطلب منهم فيه إيجابية التفاعل والمبادرة وحرية الرأى أمام الزملاء والمدرسين بالمدرسة.
- عدم التناقض أثناء التنشئة للأطفال بين القول (عدم الكذب مثلا) والفعل (إنكار وجود الأم عند اتصال صديقة لها بالتلفون).
- البعد ببعضهن التنشئة عن الانفتاح الثقافى المنحرف بعدم الانغمار فى نقل ثقافة بعض المجتمعات الأخرى غير المناسبة لمجتمعاتنا إلى أطفالنا [الأفلام الإباحية - قصص العنف - غاذج العدوانية].

حادي عشر: شروط تحقق التنشئة الاجتماعية الملائمة :

هناك بعض الشروط الأساسية فى ضوئها تتحقق التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وقد عُرفت هذه الشروط لدى Elkin and Hardel . وفي مقدمتها أن الطفل حديث الولادة، يأتى إلى مجتمع موجود بالفعل له

معاييره وقيمته وقوانيه، واتجاهاته، وبه بناءات اجتماعية منمطة ومتنظمة، ومع ذلك تتعرض للتغير. ولا يكون للطفل المولود غير المهيأ اجتماعياً أى دراية بتلك البناءات أو التغيرات الممكنة، وتصبح مهمة الشعور والتفكير والتفاعل من جانب هذا الصغير محددة للوسائل والطرق التي يجب أن يمر بها كقادم جديد New Comer إلى التنشئة في مجتمع ما.

كما أن مدخل التفاعل الرمزي يشير إلى أن طبيعة الإنسان تتضمن المقدرة على القيام بعمل الآخرين في الوقت المناسب، وكذلك الشعور مثلهم. أو بصفة عامة القدرة على التعامل برموزهم Symbols ، ولا يخفى أن هذا التعامل يختلف باختلاف الرموز الاجتماعية مثل الأصوات Sound and Voice والإيماءات Gesticulation and Gesticulation and Hints and Insinuation وما إلى ذلك. وهذا الاختلاف يذكره وجود الطفل بين والديه ومربيه وروضته أو مدرسته وملعمة .. إلخ، وربما كان كل من هؤلاء على طرف، مما يوقع الطفل في كثير من اللبس، وربما التعقيد أو التناقض في الوقت الذي تختل هذه الجهات أهميتها لدى الأطفال. وهنا يكون الاتساق هاماً جداً.

وكذلك فإن تفسير تصرفات الطفل ومظاهر تنشئته يجب أن تدور في نطاق بيئته التي نشأ فيها والتي يمكن تقسيمها إلى :

أ - تنشئة اجتماعية أولية Primary Socialization داخل الأسرة فيما قبل Covert السنوات الأولى من العمر، أو يطلق عليها مرحلة مغطاة وهي أعمق أثراً في تكوين شخصية الفرد.

ب - تنشئة اجتماعية ثانوية Secondary Socialization يتعرض لها الطفل خارج أسرته في الحضانة والروضية والمدرسة والمسجد والنادي ووسط الرفاق ، ويطلق عليها مرحلة مكشوفة Overt و持續 مع الإنسان أثناء حياته، وقد يتعرض خلالها لإعادة تنشئته Resocialization نظراً لتردداته على مجتمع مغاير أو أكثر عن الأسرة.

ج - تنشئة اجتماعية موازية Parallel Socialization وتعتبر موازية لأى من الصورتين السابقتين وهي عبر وسائل الإعلام (تلفزيون - راديو - قصص - مسرح).

ثاني عشر : نتائج التنشئة الاجتماعية على الأطفال :

علمنا فيما سبق أن طريقة تنشئة الأطفال في مجتمع ما تعكس طبيعة ذلك المجتمع، بحيث نقترب بالشخصية المنشكدة من نمط أو طريقة الحياة في هذا المجتمع.

فالمجتمعات المحبة للحروب تدرب أطفالها على السلوك العدوانى، والمجتمعات السلطانية تدرب أطفالها على احترام السلطة . . . أما الأطفال الذين لا ينشأون بهذه الأساليب في تلك المجتمعات فإنهم يميلون فيما بعد إلى عدم التوافق وربما الانحراف. ويأتي التباين بين أنماط المجتمعات الإنسانية إلى أنماط التنشئة الاجتماعية التي اتبعت مع شعوبها والتي شجعتها تلك المجتمعات في ذلك الوقت . . . ومع كل ذلك فإن التنشئة الاجتماعية تصل بالأطفال إلى :

١ - التعلم الاجتماعي للطفل :

من خلال التنشئة الاجتماعية يكتسب الطفل عادات وقيم وتقالييد مجتمعه، حتى يصبح فهمه وإدراكه للعالم المحيط مصبوغاً بطبيعة المجتمع، وحتى يأتي تفسيره للأمور في نطاق ذلك الفهم. وبعد هذا الالكتساب تعلماً اجتماعياً .

ويصل تأثير هذا التعلم الاجتماعي إلى أقصى درجاته في الطفولة. ويتحقق التعلم الاجتماعي عدداً من الحاجات مثل : العطف والحب والاستقلال وتأكيد المكانة الاجتماعية. كما أن تقمص الطفل دور الكبار في سلوكهم الاجتماعي له أهميته في هذا التعلم الاجتماعي للطفل. ويسهل التعلم الاجتماعي الذي حصل عليه الطفل لتعلم اجتماعي في مراحل تالية من عمره.

٢ - تكوين الأنماط الأعلى عند الطفل :

تعتبر عملية تكوين الأنماط من أهم نتائج التنشئة الاجتماعية، ويتحقق الطفل الأنماط الأعلى سمعياً من أوامر الأب ونواهيه.

٣ - التحكم في العدوان عند الطفل :

لا تعنى التنشئة الاجتماعية للأطفال القضاء على السلوك العدوانى لديهم ولكن يجب أن توجه التنشئة الاجتماعية النساء كى يثوروا للحفاظ على كرامتهم

وعلى أنفسهم وعلى ممتلكاتهم، وما هي المواقف التي يجب ألا يبدأ هو فيها بالعدوان

ولذلك فالتنشئة الصحيحة تراعي تجنب الأطفال مواجهة المثيرات التي تؤدي إلى العدوان وتجبر المخارج لتفريح الشحنات العدوانية أو البدائل التفيسية.

٤ - تعلم الأطفال للأدوار الاجتماعية :

تنتهي التنشئة الاجتماعية للأطفال بأن تعلمهم كيف يسلكون بما يتفق مع أدوار اجتماعية معينة (دور الابن - دور التلميذ - دور الأخ ...).

٥ - تعلم الطفل ضبط السلوك :

تصل التنشئة الاجتماعية بإيجاد ضوابط تأتي من داخل الطفل توجهه إلى السلوك المقبول في بيئته مثل :

- ضبط التبول.
- ضبط التبرز.
- ضبط البكاء والصراخ.
- اكتساب الآداب العامة ومبادئ هذه الآداب.

.....

٦ - تعلم الطفل التعلق :

إن الفرد خلال مراحل نموه من طفولته إلى رشده، يسعى لأن يكون على مقربة من بعض الأفراد، وينفصل أيضاً عن آخرين أو يبتعد عنهم، وبذلك تتشكل تنشئته وجهتها السوية.

ومن مظاهر التعلق عند الطيور سير الفراخ وراء الأم، ولدى الحيوانات التصاق صغار القردة بالأم.

ومن مظاهر التعلق عند صغار الأطفال .. كف الطفل عن الصراخ عندما تحمله أمه، والمناغاة والابتسم للأم أسرع من الآخرين عندما يداعبونه .. واستجابات الترحيب عندما يجد الأم مقبلة مثل تحريك الأرجل أو رفع الأذرع.

وكذا الزحف خلف الأم عندما تمشي أمامه والالتصاق بها عندما تحمله أو الهروب إليها طلبا للنجدة حينما توجد أشياء تخيفه.

٧ - التوافق الاجتماعي للطفل :

خلال عملية التنشئة يتغير سلوك الطفل ليتسق ويقترب من سياق الجماعة التي يعيش معها أو وسطها، ويختبر أكثر بمرور الوقت للالتزامات الاجتماعية، ويتم ذلك طبقاً لمرحلة النمو التي يمر بها الطفل، وفي ذلك محاولات للتوافق مع الآخرين والبيئة المحيطة . . . يصل الأمر قرب الطفولة المتأخرة إلى توافق اجتماعي إذا ما كانت التنشئة قد اتخذت وجهتها الصحيحة.

٨ - نقل ثقافة الأجيال :

تعمل التنشئة السوية على إكساب الفرد ثقافة من سبقة. فنجد أنه مثلاً يرتدي نفس نوعية الثياب أو الزى ويفضلها على غيره من أنواع الزى، ويطلب بالاحتفال بالمناسبات التي علمها بها أسرته أو وسطه الاجتماعي.

واحتفاء مثل هذه النواحي وغيرها لدى الأطفال من جيل إلى آخر يعني فشلاً في جزء من أجزاء التنشئة، وإذا كثرت نقاط الفشل في أجزاء وأجزاء فإن التنشئة لا تكون قد حققت وظيفتها الثقافية، وربما أدى ذلك إلى انتهاء مجتمع قائم أو تحوله إلى مجتمع آخر.

٩ - السمو بحاجات الطفل :

تصل التنشئة الاجتماعية بالأطفال إلى عدم غلبة بعض الحاجات البيولوجية مثل الطعام على اتباع أو الإتيان بسلوك حميد، ويشبع فقط الحاجات البيولوجية التي يرضي عنها المجتمع في ضوء الضوابط المعمول بها مثل الحاجة إلى الجنس، ويرجح بعض الحاجات في الأوقات غير المناسبة.

١٠ - تعلم الطفل عدم الاتكالية :

إن السلوك الاتكالي يرتبط لدى الأمهات من الإفراط في حماية أطفالهن، وهو ما لا تؤكده التنشئة السوية، ويبيدو هذا الإفراط في اتباع الأنظمة الصارمة للتغذية والرضاعة والتشدد في فطام الطفل، لأن ذلك يؤدي إلى إحباط الطفل الذي ينعكس بدوره على الميل إلى الاتكال على الغير.

ثالث عشر: الإخفاق في تنشئة الأطفال :

إن عملية التنشئة الاجتماعية هي أكبر الإنجازات، يؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الأفراد حياة تعسّة فيها شقاء مستمر، إنهم يفتقدون القدرة على التكيف ويغّانون سوء التوافق Maladjustment ، ويضعون عراقيل في طريق غيرهم، وربما نتج الدمار في بعض الأحيان مثلما يحدث لبعض المجتمعات. بل إن الحروب كما يشير عبد الرحمن عيسوي ماهي إلا نتيجة الفشل الذريع في عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات.

ويسبب الإخفاق في تنشئة بعض الأفراد نجدهم أكثر عرضة لأن يصابوا بالذهان Psychosis أو يدمّنوا الكحول Alcohol Addiction أو إدمان المخدرات، وربما سقطوا في الجنوح Delinquency أو الجنسية المثلية Homosexuality أو اندرّجوا تحت وطأة المرض النفسي Neurosis .

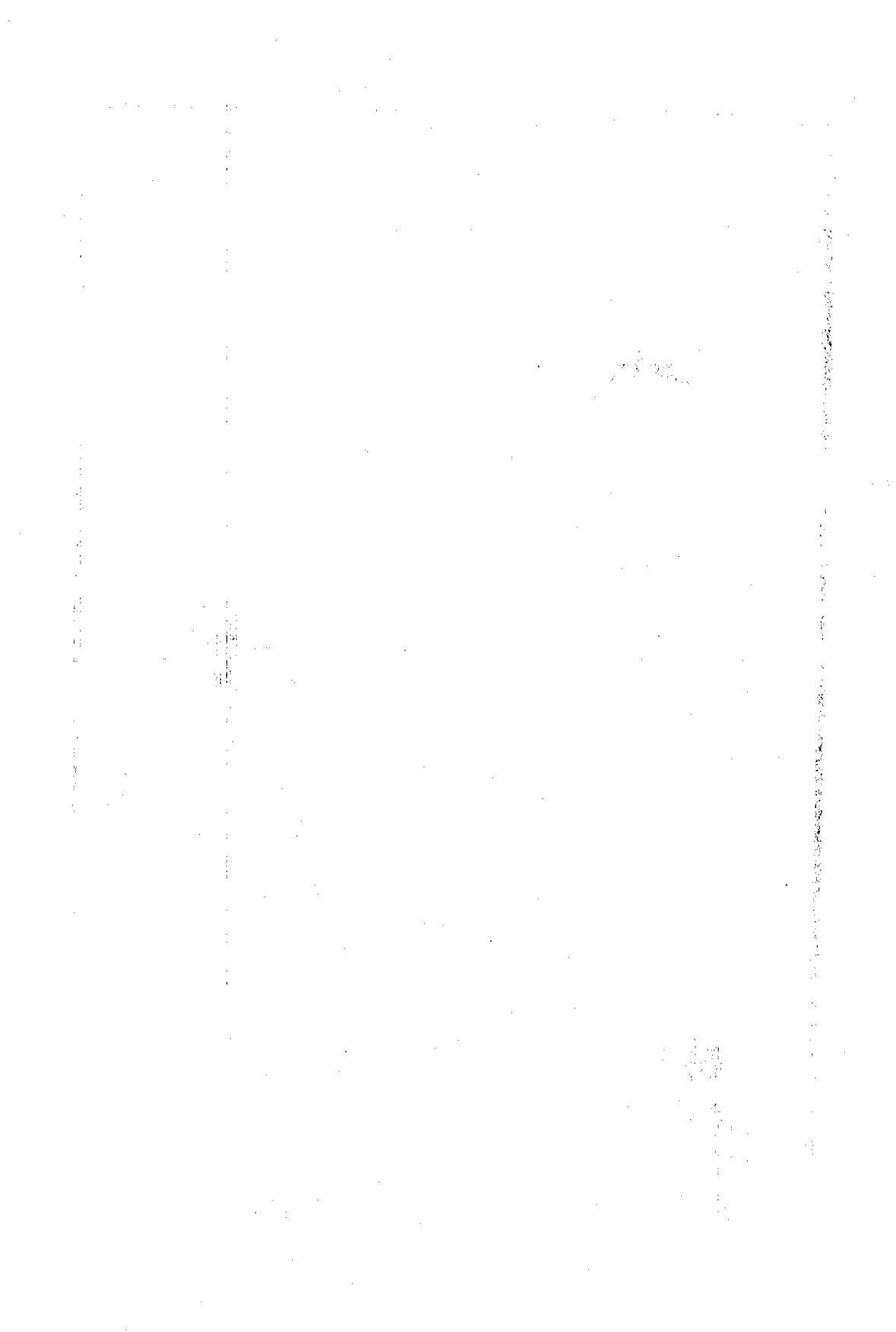
وهناك مجتمعات رغم تقدمها العلمي والتكنولوجي إلا أن انتشار الأمور السابقة بين أبنائها نسبة عالية، مثل المجتمع الأمريكي.

وأهم مرحلة في التنشئة هي مرحلة الطفولة، فإذا أهمل الطفل في بدء حياته، خرج في الأغلب عن السائد والمعروف في الجماعة، فاسد الأخلاق مرتكبا للأفعال الذميمة منحرفا وجانحا عن السواء.

الفصل الثاني

دور الثقافة
فى تنشئة الأطفال





أولاً : للثقافة معنى :

الثقافة هي مجموع ما يُتعلم وينقل من نشاط حركي وعادات وأفكار وقيم وتقاليد ومعتقدات والاتجاهات وفكرة الصواب والخطأ وما ينشأ عن ذلك من سلوك ومشاعر وأنمط للعلاقات يشترك فيه أفراد المجتمع، كما أنها مجموع طرق ووسائل صنع الأشياء والتكنولوجيا المستخدمة في ضوء القوانين والقواعد المنظمة والديانات المعتقدة.

ويتعلم الفرد عناصر الثقافة أثناء نموه الاجتماعي، أى منذ نعومة أظفاره من خلال تفاعله في الواقع الاجتماعي. وتؤثر الثقافة في تشكيل شخصية الصغير؛ ولذلك فهي تحدد سلوك الطفل الاجتماعي وحتى الكبير عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية. فهي تبلور الأطفال وتشكلهم خلال مراحلهم المبكرة عن طريق نظم أولية Primary Institutions أو أعراف أولية مثل المتعلقة برضاعة الأطفال وفطامهم وتعليمهم ضبط عمليات الإخراج .. ونظم ثانوية Secondary Institutions.

فالثقافة تناج إنساني للتفاعل الاجتماعي والقبول الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد، وتتوفر أنماط اجتماعية عامة مرضية يستجيب الأفراد في ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية، وهي تنتقل من جيل إلى آخر، وهي ليست فطرية، وتعتمد في وجودها واستمرارها على استمرار المجتمع، وإن كان هذا الوجود والاستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها على الرغم من أنها وسيلة للتماسك بين الأفراد في مجتمع واحد.

إن الاستعدادات الممكنة التي تأتي مع الطفل لا تصبح واقعة إلا بعد تشربه الجزئي للثقافة التي ولد فيها، فهي توفر للطفل ما يؤمن أن يكون عليه. فالطفل في بداية حياته يتقبل الثقافة التي ينشأ فيها مثل تقبله للهواء والماء.

والثقافة توفر للفرد وسائل إشباع حاجاته البيولوجية، فليس على الطفل أن يتعلم في بداية حياته كيف يجلب لنفسه الدفء أو ينقد نفسه من الجوع أو العطش، أو يوفر لنفسه الأمان. إذ إن الأنماط التي توفر هذه الأمور الأولية وتوجهها توجد في الثقافة ويفاعل معها الفرد منذ طفولته. كما أنها توفر للطفل - منذ مولده حتى يصبح كهلا - المعانى والمعايير التي توضح الأحداث هل هي طبيعية أم غير طبيعية؟ هل هي منطقية أم غير منطقية؟ هل هي جميلة أم قبيحة؟ هل هي هامة أم تافهة؟.

وتعتبر الأسرة الوعاء الثقافي الأول الذى ينشأ فيه الأطفال، فهى وسيط الثقافة الأولى لما يلى :

- ١ - ترعى الطفل أوليا في الغذاء والنظافة والملابس ... إلخ.
- ٢ - توجه الطفل للتعامل مع غيره من خلال مبادئ وأساسيات التعامل خذ - هات - أعط - اشكر ... وهكذا.
- ٣ - تنقل التراث الثقافى للطفل بتعريفه وتعليمه وتلقينه العادات والتقاليد التي يجب أن تراعى وأوقاتها ومناسباتها.
- ٤ - تساعد الطفل فى تعلم المبادئ الأولية التى تساعد على التوافق الاجتماعى فى ضوء رغبات الآخرين وإمكاناتهم.

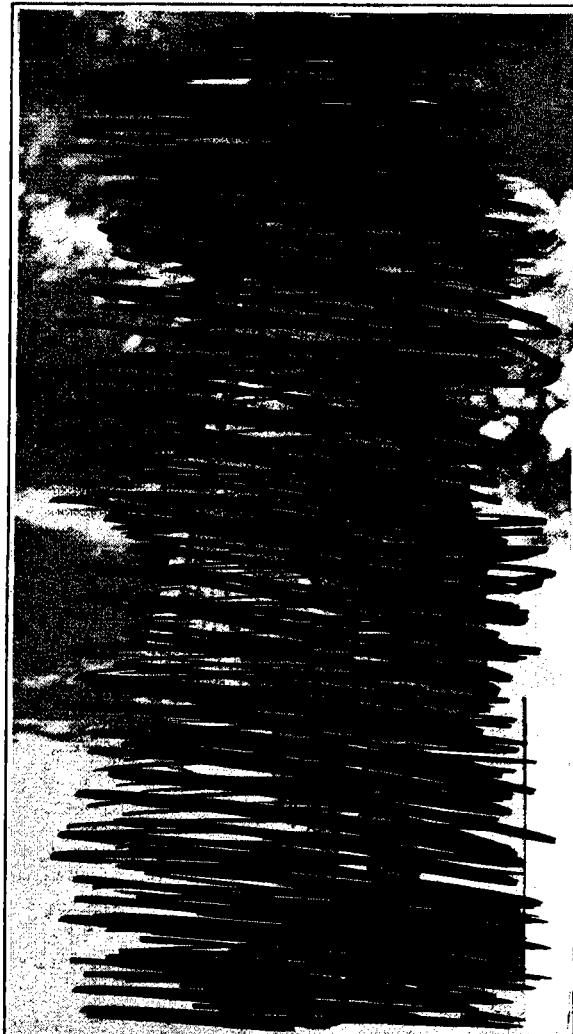
ولما كانت الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، لذا فإن النمط الشائع بين أسر المجتمع الواحد يعكس ثقافة ذلك المجتمع. وتصبح الثقافة السائدة في المجتمع لها دورها في تشكيل شخصية الإنسان الذي نشأ فيه، وينعكس ذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي ترسم الإطار العام لسلوكيات الأفراد، وهذا ما جعل Mead تضفي أهمية دراسة المجتمعات البدائية وغير البدائية لاعطاء صورة عن تأثيرات الثقافة السائدة على سلوك الأطفال، وهو الأمر الذي لم يغفله المؤلفان الحاليان.

ويشير ماهر عمر إلى أن دور التفاعل بين الأطفال الصغار وبين الثقافة المحيطة بهم تفسره النظريات التطورية للمعرفة Cognitive - Development Theories على أنه يسهم إلى حد كبير في تنشئتهم الاجتماعية المتعلقة بتحديد

أدوار الجنس - Sex - Role التي يمارسونها بما يجعلها تتصف بالذكورة أو الأنوثة. ومن ثم يستبطن الطفل من هذه الثقافة نمطه السلوكي الذي يجده معمماً على أفراد جنسه من الذكور إذا كان ذكراً، أو معمماً على أفراد جنسه من الإناث إذا كانت أنثى.

وإذا كانت النظريات التطورية للمعرفة تركز بصورة أساسية على دور التفاعل الإيجابي بين الأطفال والثقافة السائدة في دعم التنشئة الاجتماعية التي تحدد الأنماط السلوكية لأدوار

الذكور منهم ولا أدوار الإناث، فإن نظريات التقمص Identification Theories تربط التنشئة الاجتماعية لصغار الذكور بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار الرجال التي يقلدونها من النماذج الذكرية التي يلتقطون بها أو يشاهدونها أو يقرءون عنها في كل مرحلة من مراحلهم العمرية، ولا سيما مراحل الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة مثل الآباء والأقرباء والأصدقاء والزعماء والقادة والفرسان... وغيرهم. كما تربط هذه النظريات (التقمص) التنشئة الاجتماعية لصغار الإناث بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار النساء التي يقلدونها



من النماذج الأنثوية في مراحلهم العمرية المختلفة مثل الأمهات، والحالات والعمات والمدرسات .. وغيرهن.

أما نظريات التعلم الاجتماعي Social Learning Theories فترتبط التنشئة الاجتماعية للأطفال بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار الرجال أو أدوار النساء، بناء على ما يتعلمونه من المحظيين بهم من وسائل الإعلام المنتشرة حولهم مستخدمين مبدأ التعزيز أو الدعم Reinforcement للسلوك النمطي الصحيح للدور الملائم لجنس الطفل ومبدأ الإطفاء للسلوك النمطي غير السليم للدور المخالف لجنس الطفل.

وسوف نعرف فيما يلى بعض النظم التي تختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات، وربما باختلاف الطبقات داخل نفس المجتمع. وسوف نقسمها إلى نظم أولية ونظم ثانوية :

ثانياً : نظم تشكيل الأطفال تبعاً للثقافة :

١ - النظم الأولية :

أ - نظام الرضاعة :

إن الأم بتنظيمها عملية الرضاعة للطفل تمهد لإعداده لنظام التغذية المتبعة في الثقافة التي تعيش فيها، إن هناك معايير اجتماعية تتصل بتغذية الطفل تختلف باختلاف الثقافات من حيث درجة تشدد الجماعة في إلزام الطفل الناشئ بها عند التعبيغ. مثلاً إن الطفل يعتمد على ثدي الأم لمدة أطول من الغذاء الصناعي أو العكس، أو إن الطفل يعتمد على ثدي الأم لفترة قليلة جداً خشية التأثير على رشاقتها وجسمها.

وربما يختلف الأمر داخل الثقافة الواحدة باختلاف الطبقة الاجتماعية والحضارية، فبينما نجد الأم في الريف المصري تحافظ على رعاية عملية غذاء الطفل عن طريق الثدي نجد الأم في المدينة تتعجل عادة تقديم الرضاعة الصناعية.

ولا تقتصر أهمية الرضاعة على مجرد إطعام الطفل، بل يحس الطفل أثناء الرضاعة بالحب والعطف والطمأنينة والتمتع بعملية المص في فترة مبكرة والتي تتعكس آثارها على إقبال الأطفال على مص أصابعهم في حالة عدم إتاحة فرص

كافية لهم للامتصاص من ثدي الأم، وعلى أي حال فإن الأطفال الذين تقل فرصتهم في الرضاعة الطبيعية أو الصناعية غالباً يزداد ميلهم فيما بعد لمص الأصابع بالإضافة إلى مشكلات أخرى.

ب- نظام الفطام :

تختلف الثقافات فيما بينها في توقيت عملية الفطام، وكذا الطريقة التي تتم بها هذه العملية، في بينما تتم بقوس في بعض المجتمعات نجدها في مجتمعات أخرى ييدو فيها اللين، وإن كانت الثقافات كلها تهدى للأمر بإطعام الطفل بمواد لينة وإعطائه السوائل والعصائر.

فهناك ثقافات تهجر فيها الأم طفلها بضعة أيام حتى يتعود فراق ثدي الأم بينما نجد ثقافات تتحذى من الصبار أو المر دهاناً لثدي الأم لتنفير الطفل في حين نجد ثقافات تستخدم الشطة أو الفلفل.

وعلى أي حال فالقصوة في عملية الفطام لها آثار سلبية على البناء النفسي للطفل، وليس غريباً أن يعاني الطفل عقب تلك القسوة من قلق دائم.

كما أن الحرمان المبكر للأطفال من ثدي الأم يجعلهم يقتربون مستقبلاً من الاتصاف بالبخل والخين الدائم للأم أو بديل لها، بينما الحرمان المتأخر يجعلهم يقتربون مستقبلاً من الاتصاف بالشجاعة والكرم والميول الاجتماعية.

ج- نظام الإخراج .

تختلف الثقافات في السن التي تبدأ فيها عملية تعويذ الطفل ضبط الإخراج، في بينما نجد بعض الثقافات تهتم بهذه العملية وبحرص شديد في عمر مبكر، نجد ثقافات أخرى تدرج في هذا الحرص وربما لا تعنى بالأمر.

إن الخبرات الصديمية المبكرة المتّبعة في ضبط الطفل لإخراج الفضلات تؤدي إلى ما عرف بتشكيل الخلق الشرجي الذي يتبدى في مظاهر الميل إلى البخل والبالغة في النظام والنظافة والدقة، كما أن القسوة في التدريب على الإخراج تؤدي إلى النزعة العدوانية والميل إلىبالغة Exaggeration.

وتشير البحوث إلى أن التدريب على الإخراج يمكن أن يتم بيسير، ودون ردود فعل سيئة إذا كان الطفل متقدماً في السن بصورة تسمح له بفهم التعليمات المناسبة، ولا يمكن أن يتم ذلك بسهولة قبل عمر السنة والنصف.

د- تعديل العادات الجنسية :

تختلف الثقافات في بعض النواحي المتعلقة بالجنس، وتختلف في مقدار التسامح في هذا الأمر عند تنشئة الأطفال.

ففي ثقافتنا العربية نعود الأطفال على ستر العورة في سن مبكرة وخاصة في الطبقة المتوسطة والعليا، كما نلزم الطفل بأداء التخلص من فضلاته في أماكن محددة أو بشروط محددة.

وفي الوقت الذي نجد فيه ثقافتنا تحيط الجنس بجو شبه غامض أمام الأطفال نجد ثقافات أخرى ربما تباهي له، وربما تقدم مقررات وبرامج تربوية للأطفال الأكبر سنا. وإن كان أغلب علماء الشعوب يعترفون بضرورة تعديل الميول والغرائز وخاصة الجنسية لضمان النظام الاجتماعي.

وفي الوقت الذي نجد فيه المجتمعات الإسلامية تفرق بين البنين والبنات في المجتمع وفي المضاجع في سن محددة، نجد مجتمعات أخرى لا تعير الأمر أى اهتمام، وهذا ما سوف يbedo لنا بوضوح عند استعراض نماذج من طرق المجتمعات في التنشئة للأطفال.

ه- اللعب والثقافة :

الألعاب جزء من ثقافة الناس وأسلوب حياتهم العام، وقدمنا الدراسة الدقيقة للألعاب ببعض الاستبصارات عن نوع الثقافة.

وللألعاب وظيفتان بجانب أنها تخلص الإنسان من الملل. فهي تمثل طريقة لتعليم الأطفال وحتى الكبار بعض الطرق للقيام بالأشياء المهمة، وهي تقدم كذلك نوعا من العلاج، حيث إنها تسمح للشخص الواقع في نوع ما من الصراع الثقافي أن يعيش فترة في عالم خيالي أسهل تتجنب النماذج التعبيرية فيه ذلك العالم الحقيقي الذي يزعجه.

ويذكر John Roberts Lambert أن له أن :

- ابداع ألعاب إستراتيجية مثل البوكر أو المونوبولي أو الشطرنج التي تمنح فرصة تجربة اتجاه الأمل في النجاح من خلال اتخاذ قرارات ذكية، يتصل بالضغط العامل على إيجاد الطاعة في عملية التنشئة الاجتماعية.

- ألعاب الحظ مثل الروليت أو البنجو أو السلم والعبان ترتبط بالتدريب على المسئولية.

- ألعاب المهارة الجسدية مثل المطاردة والتسابق بالأقدام أو السباحة تنشأ أو تفضل حينما تكون الضغوط نحو الإنجاز عالية.

وما هو جدير باللحظة أيضاً من وجهة نظر عبر ثقافية أنه حينما توجد أنواع عديدة من الألعاب في المجتمع يوجد قلق بشأن الأداء الإنجازى. وباختصار فإن ثقافة الألعاب في المجتمع تتحمّل الأفراد فرضاً للتخفيف من القلق بشأن سلوكهم الإنجازى (لأن الربح أو الخسارة في اللعبة ليس له أي ناتج غير تخفيف القلق)، بينما تعمل في نفس الوقت على تدريب اللاعبين على عمليات التنافس نفسها.

وتتحمّل الألعاب أشكالاً معقدة لدرجة تصبح في الظاهر على الأقل مخالفة لفعاليتها الأصلية مثل البهجة والسرور وغيرها، كما نلاحظ ذلك في ألعاب القمار، وهو ما توافق على ممارسته بعض المجتمعات والبيئات وتخرمه بيات آخرى.

والطفل إذا كان يريد أن يلعب فلأنه يريد أن يلهو ويمرح، ولكن هذا لا يمنع من تحقيق بعض الأغراض الجدية عن طريق اللعب، كما لا يمنع من أن تكون متعة اللهو غير ظاهرة مباشرة على الطفل ذاته لأنّه يمارس اللعب بكلّيّاً. وإننا نحدث خلطاً في الوقت الذي نحاول فيه أن نقطع على الطفل لعبه لشأن من الشّئون، حيث يظهر تذمره الشديد، وقلما فهمنا سبب ذلك، إنه جدية الطفل في لعبه فوق كل الأسباب.

وإذا نظرنا إلى ما يمارسه الطفل من الألعاب داخل الأسرة وما يرتبط بها من إعداد وغرين للقدرات والمهارات أو تفسيس عن الصراعات أو القلق، فهو أيضاً له دوره في تكوين حبّ النظام المتمثل في وضع الأشياء وضعاً معيناً في الزمان أو المكان بناءً على قواعد، وإقام هذا النظام يصبحه شعور بالانسجام وإدراك له. ويميل الطفل إلى النظام عملية تشييفية اجتماعية تسرّبت بوادرها من هندسة المباني والأثاث والملابس . . . وهذا ما يجعل النظام لا يبتعد عن المعنى المطلق وإنما هو نظام البيئة الاجتماعية الكبيرة التي يحيا فيها الطفل، فالطفل هنا يحاكي نظام البيئة من أبنية (يبني كوم أو هرم من الرمل) ومناسبات (تطلق الطفلة مجتهدة الزغاريد للعبتها الصغيرة في لعبة عروسة وعريس) ومواقف (تُمسك الطفلة عصاً وطباشير بينما تلعب مع الأطفال دور المدرسة).

وتظهر هذه العوامل الاجتماعية المؤثرة في حب الطفل للنظام من خلال الألعاب المناسبة للزمان والمكان، فهي تختلف باختلاف البيئات الاجتماعية بل تختلف باختلاف الطبقات داخل المجتمع الواحد.

حقا إن هناك عاباً تتشابه بين الأطفال في جميع أنحاء العالم، ولكننا لا نرى في هذا ما يعارض هذه النسبة ولا ما يدعو إلى افتراض أنها تبعاً لذلك العاب بالفطرة. فتحن نرى فيها مجرد تشابه من جهة، ومن جهة أخرى فإن تشابه البشر في القدرات والإمكانات العقلية لمكونات مع اتصالية الحضارات كفيل بتسويقه. واللاحظ أن الطفل يصاحبه الخجل عندما يخرج عن قانون اللعب أو لا يحقق النجاح المناسب فيها وربما يعيشه غيره من الأطفال، وإنه يتقبل الجزاء وهذا ما يدعو إلى التساؤل عن هذه الطاعة لقانون اللعب وعن الداعي إليها.

إن اللعب لا يحظى لدى كثيراً من البيئات العربية عموماً، وأغلب العائلات المصرية خصوصاً بالاهتمام اللازم، وذلك نتيجة تصور ضمني يحمله كثير من الآباء المصريين للعب على أنه نشاط ثانوي على الأقل، وأن الطفل الجدي بعيد عن اللعب هو المثالى، فعن طريق تصرف الآباء والأمهات يوحى من هذا التصور في علاقتهم بالطفل، يتكون لديه تناقض وجاذبي بين ميوله الطبيعية إلى اللعب وبين إرضاء رغبة الكبار في أن يرثوه مقلعاً عن اللعب أو مقللاً منه بقدر الإمكان، منصراً إلى الأمور الجدية، بالإضافة إلى رغبته في أن يكون مثل هؤلاء الكبار، متدمجاً في منظومة علاقتهم.

إننا لنشاهد بين وقت وآخر كثيراً من الأسر العربية تقارن بين الأطفال بقولهم: «ذاك الطفل هادئ مجدأً أما أخوه فعقله في اللعب والجري». إن الإيحاء هنا قوى التأثير في جعل أحد الطفلين يمتن في هدوئه وانصرافه عن اللعب للحصول على مثل هذا الإطاء، وجعل الطفل الآخر يكون صورة غير صالحة عن نفسه وعن اللهو واللعب. وكلتا الحالتين تساهمن في تكوين مفهوم لذات الطفل غير سوية.

إن الاعتراف بمشروعية اللعب للطفل، لا ينفصل عن الاعتراف باستقلالية شخصيته، وحقه، وحرrietه. إن هذه الظاهرة المتمثلة في عدم الاعتراف بحق الطفل في اللعب تظهر في التسلطية التي يقطع بها الآباء على أطفالهم ممارسة العابهم لقضاء أمر من الأمور التي يرونها جدية، وما يبيده الآباء في نهي الطفل، وربما يفاجئه أحد الآباء وكأنه متلبس.

حقا إننا ربما نلاحظ مع ذلك في بعض العائلات ذات المستويات الثقافية منحهم حق الطفل ببعض حرية اللعب وبخاصة مع طفولته المبكرة، ولكن كلما أصبح الطفل أكبر عمراً، قل نصيبه في الحصول على هذا الحق. كما أن معظم الأسر المصرية فقيرة من اللعب، وما يمارسه الأطفال من الألعاب إنما هو من قبيل تركه لشأنه يفعل ما يشاء، عندما تصبح الظروف مناسبة من وجهة نظر الآباء، أي عندما لا يكون هناك خطر من تكسير أو إحداث ضجة أو صياح أو نزاع، وبالتالي عندما يكون لعب الأطفال جميلاً كتحرّك السلحفاة أو تنقل العصافير داخل قفص صغير من السلك، هادئاً يمثل سلوك الكسالى لا حركات الشياطين.

وسواء لعب الأطفال لعب الملائكة أو لعب العفاريت فليس في معظم البيوت المصرية وسائل أو أدوات للعب، لأن أهم دور في الأسرة هو توفير المأكل والمشرب واللبس وتأديب الابناء وعقابهم إذا لزم الأمر لا إتاحة جو للعب أو المرح كما هو موجود في مجتمعات أخرى. وحتى إن توافر اللعب فإن مبدأ عدم الاعتراف بحرية الطفل وحقه في اللعب بها مرفوض إلى حد ما، والأجدى من وجهة نظر الآباء النظر إلى هذه اللعب وهي مرتبة أو مرصوصة في جوانب من صالات الاستقبال أو في مكان بحيث لا يتمكن الطفل من الوصول إليها خوفاً عليها من الكسر وليس خشية على الطفل من الشعور بالإحباط.

إن تنشئة الأطفال مرتبطة في جزء كبير منها بما يمارس من اللعب في المنزل، وبقدار ما يشارك به الآباء أطفالهم في اللعب وهم صغار، وما يعطونه من وقت معهم ليصبحوا أعضاء في اللعبة، ولا تكتمل التنشئة السوية في حرمان الطفل من هذا الحاب أو ممارسة اللعب خفية وتسترا.

و- التدريب على الاستقلالية :

تختلف الثقافات فيما بينها في مدى الشدة واللين المستخدم لتعويذ الأطفال على ممارسة أمورهم وألعابهم والمشاركة في بعض الأمور.

وقد اتضح أن سلوك الاعتمادية والاتكال عند الأطفال يرتبط بالتشدد في فطام الطفل واتباع نظام محدد في تغذيته، كما أن الإحباط الذي يعانيه الأطفال مثلما يحدث أثناء اختيار الأشياء أو اللعب يؤدي إلى ميل متزايد من الاتكالية على العبر

كما أن من عوارض الإفراط في حب الطفل وتدليله أن ينشأ طفيليًا، عالة على غيره.

في الشعوب الإسلامية والتي تتخذ من الدين قانوناً مستمراً، ينفي الدين عن الاعتماد على الغير ويظهر المسئولية الفردية، ويحذر من هذه الصفة الذميمة. وفي هذا الصدد يقول الإمام على بن الحسين عليه السلام: «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس»، كما أن انتظار ما في أيدي الناس أساس الحرمان المادي، ويسبب الذل والهوان عند الله وفي أنظار الناس، وفي ذلك يقول أبو عبد الله عليه السلام: «اليأس بما في أيدي الناس عزٌ للمؤمن».

ويقول الله تعالى في كتابه الحكيم في سورة الطور آية ٢١: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُوكُمْ ذَرْيَتُهُمْ بِإِيمَانِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذَرْيَتُهُمْ وَمَا اتَّنَاهُمْ مِنْ عَمَلٍ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرٍٍ بِمَا كَسَبُوا رَهِينٌ».

ولقد وجدت علاقة ضعيفة بين سلوك الاعتمادية لدى الأفراد وهم أطفال في عمر ثلاث سنوات ودرجاتهم في سلوك الاعتمادية حينما أصبحوا راشدين، كما أن الأطفال المعتمدين في عمر ٦ سنوات أميل لأن يكونوا سليبين ومعتمدين في الرشد.

والبنات أكثر استقراراً في سلوك الاعتمادية مقارنة بالذكور، بينما الذكور أكثر استقراراً في سلوك تأكيد الاستقلال. وتأكد على ذلك Maccoby مشيرة إلى أن هناك اتساقاً في سلوك الاعتمادية على الغير عند الإناث خلال المراحل العمرية المختلفة مقارنة بالذكور. كما تختلف درجة الاعتمادية عند الأطفال الأكبر وفقاً لاختلاف التعزيز والعقاب الذي يتبعه الوالدان والمحظوظون بالطفل.

وقد دلت البحوث على أن السلوك الانكالي عند الأطفال يرتبط إيجابياً بما لدى بعض الأمهات من ميل إلى الإفراط في الحماية لأطفالهم، وهذا يختلف باختلاف المجتمعات وثقافتها. والثقافة تنقل هذا السلوك من جيل إلى جيل مثله مثل أنواع أخرى من السلوك.

ز - التدريب على العدوان :

على الرغم من أن كثيرا من الآباء والمعلمين في أغلب الثقافات يذمون السلوك العدواني إلا أن هذا السلوك شائع عند الأطفال في الثقافات المختلفة وبدرجات وأساليب متفاوتة .

ومن الأمور الشائعة في مجال العدوان كسلوك ، أنه يُسبق بإحباط غالبا ، وقد عرض Dollard وزملاوه في كتابهم الشهير *Frustration and Aggression* العلاقة بين العدوان والإحباط . وبالرغم من ذلك فإن العلاقة رغم وجودها في أحوال كثيرة إلا أنها غير مؤكدة من حالات أخرى كما سبق أن ذكرنا .

إن هناك آباء في ثقافات معينة يحاولون عمدا تعليم أطفالهم الذكور وخاصة ممارسة العدوان من قبيل الدفاع عن النفس ، وربما لتصورهم كى يصبحوا رجالا أشداء في المستقبل .

كما أن سلوك الوالدين المتبعة في وقف المنازعات الشائع بين الأطفال ربما أسهם بطرق مباشرة أو غير مباشرة في تنمية العدوان . فالوالدان اللذان يستخدمان العقاب البدني بأسلوب متطرف يميل أطفالهم إلى أن يكونوا عدوانيين . وتعد دراسة Patterson ذات أهمية خاصة في هذا المجال ، فقد تبين اختلاف بينات أو ثقافات أسر الأطفال العدوانيين عن الأطفال العاديين .

إن الطفل الأمريكي مثلا حينما يكون قد اقترب من المراهقة يكون قد شاهد ما يقرب من ١٣٠٠ حالة قتل خلال برامج تلفزيونية ، وهو أمر لا يصل إليه الطفل العربي ، وإن كانت الدلائل تشير إلى إمكانية انتقال تأثير مثل هذه النماذج العدوانية بعد انتشار الأطباق الفضائية المعروفة بـ *Dish* .

إن الثقافة تنقل هذا السلوك بين الأجيال ، وربما حدث نوع من الاطراد فيه .

٤ - النظم الثانوية :

وتمثل في النظم الاجتماعية التي تشكلها جملة الأفعال والأفكار التي يجدها الأفراد أمامهم جاهزة ومفروضة عليهم ، وقد يتجاوز عليها بعض الثوار أو المفكرين والمصلحين ويغيرونها ويجددونها ، فإذا حدث التغيير في هذه النظم وأثبتت

فعاليته يصبح الجديد مفروضا على هؤلاء المجددين وبقية أفراد المجتمع والأجيال المتعاقبة إلى أن يأتي ثوار جدد.

وفيما يلى سوف نعرض لأهم النظم الاجتماعية :

أ- نظام الاقتصاد :

تتميز الحياة الاقتصادية لكل بيئة اجتماعية بنوعية خاصة، بناء على طبيعة ما تنتجه وما تستهلكه في ضوء كونها زراعية أو صناعية.

والطفل الذي يربى في ظل حياة اقتصادية زراعية أو صناعية مثلاً يتأثر بها، بناء على الوضع الذي هي عليه من حيث الكم والكيف ومن حيث القوانين المنظمة والمبادئ المعمول بها مثل :

(١) مبدأ توزيع الثروة :

وأول ما يحدده هذا المبدأ درجة الغنى والفقر التي تكون عليه أسرة الطفل في ضوء كسب قوت حياة الأسرة بالجهد الشاق أو الجهد المعتدل في ضوء الآفاق السهلة أو المعقّدة العسيرة للغنى.

وهذا يؤثر فيما يمكن أن يوفر من غذاء وملبس وتعليم ومستوى ذلك الذي توفره. ولا تؤثر درجة الغنى والفقر فيما ذكرناه، بل في درجة حرمانه من عواطف الأم. ففي الظروف الصعبة ربما اضطرت الأمهات إلى ترك أطفالهن لساعات أو طوال اليوم للعمل خارج المنزل من أجل توفير ما يسد رمق الأسرة أو أكثر بقليل.

وتحت هذا الوضع وعند إحساس الطفل به، تتكون بذور الكراهيّة والنفور من بعض فئات المجتمع المحظوظة، وتنمو بذور احتقار النفس والشعور بالنقص.

وربما قال البعض إن أمامنا بعض الحالات التي كانت على شكل أطفال محروميين تمكنوا بجهودهم أن ينجحوا ويحصلوا على الثروة، ولكن ذلك لا يستتبعه بالضرورة سلامة البناء النفسي لأغلبهم، فضلاً عن شخصيته البخيلة الشرسة. إن من المعروف أن أبناء الفقراء يدركون وحدة النقود في مجتمعهم أكبر من حجمها بالنسبة لغيرهم من الأطفال الأغنياء.

(٢) مبدأ السياسة الاقتصادية :

إننا أمام ثلاثة منطلقات لهذه السياسة، إما سياسة ليبرالية مفتوحة أو سياسة موجهة أو سياسة معتدلة بينهما. والنظام المعمول به يجعل الأفراد منذ أن كانوا أطفالاً يشعرون بمستوى المسؤولية الاجتماعية أو الفردية التي يتتحملونها أو التي يجب أن تكون على عاتقهم.

(٣) دور الطفل كمتعج :

ينتهي مبدأ توزيع الشروة ومبدأ السياسة الاقتصادية بتحديد دور كل فرد في الإنتاج. وهذا الدور يجعل الفرد يشعر بذاته وأهميتها وفعاليتها إزاء نفسه وإزاء الآخرين من أبناء مجتمعه، وحتى وإن كان الفرد صغيراً، فهناك من الأطفال من يشعرون بانعدام أهميتهم نتيجة وجودهم حتى فترة المراهقة غير مؤهلين لشيء. إن ذلك نتيجة المبادئ التي اعتنقها مدارس الصغار القائمة على أن مرحلة الطفولة كلها فترة إعداد وليس فترة إنتاج ولو بسيطاً.

إننا نلاحظ أطفال الريف أو البدو يمارسون أعمال الزراعة أو الرعي منذ سن ٦ سنوات أو أقل أو أكثر بقليل، ويشعر هؤلاء الأطفال بمسؤولياتهم كاملة، في الوقت الذي نجد نظائرهم من الأطفال في المدينة يقونون غير مدركين لأمور الحياة حتى فترة المراهقة.

والنظام الاقتصادي في المجتمع الذي يقوم على جهود أحد الجنسين يجعل الجنس الآخر يعاني من الاغتراب Alienation ، إن العامل الاقتصادي المبني على دور كل من الذكر والأنثى في الإنتاج هو الذي يؤدي إلى تطوير بنية الأسرة من سيادة المرأة إلى سيادة الرجل، أو إلى التعاون بينهما، كما نشاهد اليوم في أغلب الأسر في الدول المتقدمة أو بعض طبقات المجتمع المصري.

ب - نظام السياسة :

من المعروف أن البنية الاجتماعية العامة ترتبط بقيام السلطة، ومع تطور وتعقد الحياة الاجتماعية تتعقد نظم قيام السلطة. والنظام السياسي يطبع الحياة العامة للأفراد بطبع عالمي في المنزل والشارع والمدرسة، ونتيجة لوجود الطفل في هذه الأماكن لأوقات ليست بالقصيرة؛ يمارس أهل الطفل والطفل نفسه بعض الحقوق السياسية التي ينشأ فيها ويتنشأ عليها.

فالنظام السياسي الاستبدادي يقلل من وجود المكان المشتركة بين أفراد المجتمع عن طريق ما يلقيه في نفوسهم من خوف ورعب، والطفل الذي يتربى في ظل نظام من هذا النوع يهياً لأن يكون انطواياً وأنانياً.

والطفل الذي يتربى في مجتمع ديمقراطي، يجد أمامه العلاقات اليومية التي تعكس عليه آثارها المتمثلة في الاعتزاز بالنفس والمجتمع وأفراده.

فالطفل الذي يشاهد مراسم اختيار رئيس دولة وما يسبقها من حرية في اختيار الزعيم، ويعيش ظروف الكشف عن قضية مثل قضية وترجيت أو تطرفات سابقة للرئيس الأمريكي كلينتون . . . وكيف تتخذ فيها الإجراءات القانونية . . يرى كيف أن منصب الرئاسة لا يحمي صاحبه من الاتهامات له أو لكيان المساعدين . . وينمو هذا الطفل وائداً من نفسه معتزاً برأيه وغير خائف من قول ما يرى ورؤيه آثار ما يقول . . يرى حق الانتقاد . . في الوقت الذي نرى فيه غيره من الأطفال الذين نموا في ظل أنظمة نازية . . تطبق مثل القائل «من له ظهر لا يضرب على بطنه».

إن المجتمعات المتقدمة تختلف أيضاً في مستويات سياستها ونظمها، ومثال ذلك ما نلاحظه من نفتح أمريكي مقابل تحفظ إنجليزي عندما يعرض Allport عن سفينة الركاب الأمريكية التي تسمح للأطفال والكلاب بالتجوال فيها بحرية بينما لا يسمح في الباخرة الإنجليزية للأطفال بدخول الصالونات وبعض المرافق.

جـ- نظام القضاء والدين :

هذا النظام يتسم نظام السياسة، ويتوقف عليه حقوق الأفراد، فالنظام القضائي والدين يدعم نظام السياسة، ومن المعروف أن «العدل أساس الملك». وهذا العدل هو تساوى الأفراد أمام القانون وتجبرد القاضي عن الأغراض وكل سلطة يمكن أن تتدخل في أحکامه إلا القانون والدين.

فالطفل الذي ينشأ في مجتمع عادل في قوانينه وشرائعه عند اتخاذ القواعد أو التطبيق والتنفيذ لها يهياً لحب العدالة واحترام الغير، والطفل يتشرب كل ذلك في علاقته بأفراد الأسرة والرفاق في المدرسة.

إلا أن ما يعتبر عدلاً في بعض الأمور في مجتمع ما ربما كان ظلماً في مجتمع آخر، فهناك مجتمعات قائمة على التمييز العنصري أو على التمييز بين

الذكور والإناث. فأنظمتها في ضوء قوانينها وتعاليمها عادلة، وفي عرف ثقافات أخرى تعد ظلماً فادحاً. وهذا لا يجعلنا ننسى المبادئ العامة التي لا يمكن أن تقوم عدالة بدونها مثل احترام الإنسان وعدم استغلاله، أو التقليل من كرامته.

فمثلاً في الدين الإسلامي لا تعد تربية الأطفال تربية صحيحة واجبة وطنياً وإنسانياً فحسب، بل إنها فريضة روحية مقدسة، وواجب شرعاً لا يمكن الإفلات منه. لقد وجدنا في هذا الحديث أن الإمام زين العابدين عليه السلام يصرّح بمسؤولية الآباء في تربية الطفل، ويعتبر التنشئة الروحية والتنمية الخلقية لمواهب الأطفال واجباً دينياً يستوجب أجراً وثواباً من الله تعالى، وإن التقصير في ذلك يعرض الآباء إلى العقاب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وتجب للولد على والده ثلاثة خصال: اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والبالغة في تأديبه».

ويذكر على عبد الواحد وافي أن Linton درس ثقافتين تميزان أساساً بنظام دينية مختلفة في درجة التسامح والتشدد إحداهما بجزر المركيز والثانية بجزر تانالاس بمدغشقر. فال الأولى تميز بديانة متسامحة لا تثير الخوف والرعب في الأطفال، والثانية تميز بالشدة والصرامة في الأمور الدينية. وقد وُجد اختلاف بين نمط الشخصيات للأطفال في الديانتين. وفي الديانة الطوطمية يتضح كيف أن عواطف الطفل في مجتمعاتها تتجه إلى الحيوان والنبات لتبلور حوله فتحبه وتقdesه، مما يدل على قوة العاطفة الدينية وأثرها على تنشئة الأطفال. فالآفكار الدينية يؤثر بها الطفل لأنها تزرع في نفسه الحب والإيمان، وربما الرعب والخوف وربما من هذا الجنس (رجل) أو ذاك (امرأة)، فيتهيأ الطفل إلى إقامة علاقات مع أفراد ويفتح على موضوعات وينغلق على أخرى من خلال سلوك عملى، فتُنمى روح التضحيّة بما لا يضحي به في الظروف العادلة، وتُطبعه بالتسامح أو التشدد وتهيئه على النحو الذي يجب أن يترجم عليه حوادث العالم المحيط به.

د- نظام العائلة:

ويتمثل في القواعد التي تخضع لها الأسرة عند تكوينها ووظائفها وعلاقتها بأفرادها بعضهم بعض، من زواج، وطلاق، وحضانة، ونفقة، وواجبات،

وميراث . . ويرتبط ذلك بدرجة أو بأخرى بالدين والقانون باختلاف المجتمعات . فالطفل يتأثر في تكوينه بالعلاقة بين الوالدين ، ويتأثر بنع من يتصل بالأسرة من أقارب ومدى أهميتهم طبقاً لطبيعة المجتمع ، فبعض المجتمعات يأخذ فيها العُم أو الحال الأهمية الكبرى لدرجة أن عقدة أوديب تتجه إلى العُم أو الحال لما لهم من سلطة حقيقة في الأسرة خولها نظام العائلة المعمول به في ذلك المجتمع .

وهناك نظم عائلية تبيح الطلاق في الوقت الذي تحرمه نظم أخرى أو تمنعه ، ولذلك آثاره على الأطفال في ضوء الرابطة بين الوالدين وإيجابياتها وسلبياتها .

وتتضمن النظم العائلية حضانة الأطفال ومن يقوم بها ، فالعرب قدّيماً في مكة المكرمة كانوا يوكلون أبناءهم إلى مرضعات ، وكون الطفل يحمل اسم أبيه ولا يحمل اسم أمه ، وتفاوت نصيب كل من الذكر والأُنثى في الميراث . . كل ذلك يهمن تنشئة مختلفة عموماً باختلاف الثقافة وأيضاً باختلاف الجنسين .

وكذا تعدد الزوجات أو الأزواج والمحارم وغيرها ، تعد نظماً عائلية تختلف باختلاف المجتمعات وباحتلال البيانات المعتقدة ، وتباور عواطف الأطفال الناشئين في اتجاهات معينة ، فتحدد له موضوعات حبه وكيفية التعبير عن هذه العاطفة . . كما تحدد له أعداء الذين يمكن أن يكونوا موضوع كراهية باعتبارهم يخرجون عن النظام العائلي المعروف له .

هـ- نظام الأخلاق :

الأخلاق عبارة عن جملة من القواعد التي يلتزم بها الفرد مع غيره ، وتحدد المبادئ التي يقيّمون على أساسها علاقاتهم والمعايير التي يستندون عليها في اتخاذ القرارات من حيث هي خير أو شر ، فصصيلة أو رذيلة كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وهذه القواعد ثمرة تفاعل نظام القضاء والدين والعائلة وحتى النظام السياسي . . بالإضافة إلى التقاليد والأعراف ، وبطبيعة الحال تختلف من بيته إلى آخرى .

وعن طريق مفهوم «العيب» و«الخسنة» و«الالتزام» تتسرب الأخلاق إلى الطفل عبر أسرته ومدرسته وقبلها روضته . ومن هنا يتكون الضمير أو الأنماط على

بلغة فرويد، وت تكون منظومة القيم الأخلاقية مصاحبة مشاعر الاستحسان والإقبال نحو موضوعات، ومشاعر التفور والاستهجان نحو موضوعات أخرى.

وبالنسبة للأطفال الصغار في مرحلتهم المبكرة تتركز المسألة الأخلاقية حول مناطق الإخراج بصفة خاصة، وتجد كلمة «عيّب» صداتها إذا تعرى جزء من جسم الطفل ثم إذا تحدث بكلمة جارحة أو إذا استخدم أو لبس أشياء معينة، ثم تسع المسألة إلى أن يصل الطفل إلى مرحلة يستطيع فيها أن يقيس ما لم يُمنع على ما مُنع . . إلى أن يصل الكبير في الدين الإسلامي إلى أن البر حسن الخلق.

ويبدو تأثير النظام الأخلاقي على الصغير في مرحلة مبكرة من عمره مع بدايات تدريسه على الإخراج والأكل والكلام . . وهذا ما يجعل أثراها أقوى وأطول في المدى.

و- النظام الفني الجمالي :

إن عناصر الفن والجمال في المجتمعات تمثل في الطبيعة والموسيقا والتصوير والرسم والغناء والرقص . . .

وتتضافر الأنظمة الأخلاقية والفنية والجمالية أثناء تنشئة الطفل، ففي الجانب الخلقي نجد المنع والردع والحب والتفضيل، وفي الفن والجمال نجد ذلك أيضا مع التفتح والابتكار لإظهار كل فن وكل جميل.

إن معايير نقد الفن والجمال في بيئه الطفل تكون جزءا من شخصيته وتأهله ليكون متذوقا . والبيئة الاجتماعية بنظامها الفني الجمالي تمنحه ما يؤهله للكشف عن قدرة الخالق وجمال الطبيعة وإمكانات البشر، بالإضافة إلى عدم تجاوز الحدود في بعض الأمور مثل النحت أو التشكيل كما نرى في ثقافتنا الإسلامية. أما بقية الأمور الجمالية فهي تهين ناشئا يمكنه التنفيذ عن نفسه في مواقفه الصعبة أو المكدرة التي لابد أن يمر بها كل إنسان، فيشعر بأنه يعيش حياة ممتلئة امتلاء ليس حالة من «النرفانا» كما يقول Rogers بل افتاحا وثقة متزايدة.

ويشير مصطفى سويف أن ما أظهرته البحوث في الإبداع أن كاتب القصيدة يرمي من إبداعها ترميمها للصدع الذي يشعر به أو الذي يعانيه بين الأنما ونحن.

ز - نظام اللغة :

ويتمثل ذلك فيما تتخذه البيئة الاجتماعية من وسائل للتواصل والتفاهم والاحترام، وما يستعمل من إشارات أو أصوات في التعبير. واكتساب الطفل لهذه الأمور هو جزء من الاندماج الحقيقي في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

ويعد استخدام الكلمات والألفاظ والإشارات وحركات العين أو اللسان أو الفم أو الوجه أو الأطراف مؤشراً لوصول الطفل إلى مستوى مناسب من الذكاء يمكنه من ذلك. وهذا ما يجعل اتقان نظام اللغة مرتبطاً بالذكاء، وهذا ما يدفعنا بين وقت وآخر إلى إعداد اختبارات للذكاء مشبعة بالعامل اللغوي، وجعل Piaget يهتم بمجال اللغة والتفكير عند الأطفال.

ح - النظام الديموغرافي Demographic والmorphologique

ويتمثل ذلك في مناطق السكن وتعداد السكان ونسبة المعمارين وعمليات الهجرة من القرى إلى المدن.

ولهذا النظام ومكوناته آثاره على نمط الشخصية، فنجد سكان المناطق الساحلية لهم خصائصهم التي تتعكس على تنشئة الأبناء، وكذا سكان الصحراء والجبال.

فنحن لا نجد رجل الريف متقدراً عندما تشاركه حيواناته مكان نومه، بينما نجد أن رجل المدينة ربما يطلب إخراج قطة صغيرة هادئة من غرفة نومه.

ويستعرض مبارك ربيع أن سكان سوس في جنوب المغرب معروفون بالهجرة إلى المناطق النائية داخل المغرب وخارجها، سعياً وراء الرزق والكسب. وهم في هذا معروفون بأنهم تجار يتميزون بالأمانة، إلا أنهم معروفون كذلك بأنهم يفارقون أبناءهم وزوجاتهم سنوات طوالاً، يعودون خلالها مرة على الأكثري كل عام لرؤيتهم، وهذا يدل على أن عاطفة الحب عند الأبناء والزوجات تختلف في قوتها ما هو موجود عند غيرهم من سكان المناطق الأخرى وخاصة سكان السواحل.

ك - التصورات عن الأطفال :

ويشبه ذلك بعملة ذات وجهين : أحدهما ما يحمله الطفل من تصورات عن نفسه ، والوجه الآخر ما يحمله الكبار من تصورات عن الطفل .

وليس هناك خلاف حول التصورات التي يحملها الطفل عن نفسه في أنها انعكاس لما يحمله الكبار من تصورات عنه .

وبقدر ما تنظر البيئة المحيطة بالطفل إليه على أنه وديع ، أو شرير وطبيعته شريرة وتحتاج إلى القمع ، تكون فكرة الأطفال عن ذواتهم ويميلون إلى الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص .

وتحت هذا النطاق نجد بعض المجتمعات ما زالت تنظر إلى الذكور على أنهم أفضل من الإناث ، وينعكس ذلك على الذكر والأنثى على حد سواء ، فالتصورات التي يحملها الطفل عن نفسه والتي تتسرب إليه من خلال ما تلقفه به بيته ، تؤثر على الدور الذي سيتقمصه الطفل ودرجة قبوله لهذا الدور .

وهناك من الأطفال من يكون لهم خصائص لها أهميتها عند تنشئتهم مثل الطفل البكر والطفل الأكبر والطفل الأخير والطفل الوحيد .

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن التشابه في مستوى الحضارة لا يعني بالضرورة تشابها في التصورات المتعلقة بالأطفال .

لقد أظهرت بحوث Mead عن عشائر الأرابش بغينيا الجديدة ، وهم سكان الجبال أنهم يختلفون في تصوراتهم عن الطفولة مقارنة بغير أنهم مندوكومور سكان الوادي . ففي الوقت الذي يبدوا فيه سكان الجبال أكثر تعلقا بأطفالهم وأشد عطفا عليهم ، نجد سكان الوادي لديهم لا مبالاة في معاملة الأطفال . وهذا ما أظهر أطفال أرابشين واثقين من أنفسهم مقابل أطفال مندوكوموريين يحفهم القلق والاضطراب .

الفصل الثالث

وكالات التنمية الاجتماعية



وكالات التنشئة الاجتماعية

Socializing Agencies

ليس للمجتمع أن يترك مهمة التنشئة الاجتماعية، وهي من أهم عوامل بقائه واستمراريه دون تنظيم أو تحديد لمن يقومون بها.

والوكالات هي تنظيمات أو مؤسسات أو هيئات اجتماعية أو جماعات أو وسائل، نضع لها مصطلحاً لكل منها وهو «وكالة»، لأن المجتمع يوكل إليها أمر التنشئة الاجتماعية. وتعد وكالات التنشئة مسئولة أمام المجتمع صراحة أو ضمناً في أمر التطبيع الاجتماعي لأبناء ذلك المجتمع، بهدف استمرار الوجود الاجتماعي للجماعة بالإضافة للوجود المادي. وهذا ما يجعل وكالات التنشئة الاجتماعية خاضعة للمراقبة، ومعرضة دائماً للتقويم، فيوجه لها من الإثابة ومن النقد بدرجات متفاوتة.

وهناك العديد من الوكالات والوسائل منها : الأسرة، والحضانة، والروضة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام، ودور العبادة .. وغيرها.

وقد أشارت البحوث إلى أنه عندما توحد تباينات تولد صراعات بين الأفكار، والمثل والمهارات التي تنتقل عن طريق الأسرة، والتي تنتقل بواسطة رفاق اللعب، أو بين تلك التي تنقلها الأسرة في مقابل ما يتنتقل عن طريق الروضة أو المدرسة، فإن تنشئة الطفل تميل إلى أن تصبح بطيئة وغير مؤكدة، ومن ناحية أخرى فإنه عندما تكون جميع وكالات التنشئة Socializing Agencies متفقة ومتوافقة، فإن ذلك يقلل من الصراع والخلط عند الأطفال، ولا نحسب أن ذلك يتحقق في جو أسرى تقوم فيه مربية أجنبية مثلاً غريبة عن المجتمع وثقافته، دخيلة بثقافتها المغایرة تماماً لغةً وعادات وربما ديناً بعمل المنشئ الاجتماعي للطفل

منفردة أو حتى مساهمة مع الوالدين، إذ إن مساهمتها يصعب جداً أن تأتي مطابقة لاتجاهاتها، وبالتالي فهي تضيف عنصراً آخر أو عاملاً دخilaً من شأنه أن يعمل على زيادة اختلاط الأمور أمام ذلك الصغير (الطفل) في مراحل تختتم على القائمين على شئونه بتجلية الأمور وشفافيتها، حتى يمكن للطفل أن يلتقط ويستوعب على نفس النسق في يسر وسهولة.

وينبغي على أي وكالة من وكالات التنشئة الاجتماعية أن تعتمد على الأقل على أربعة أركان هي : المكافآت والتسامح والقبول والعقاب.

ففي هذه الأركان الأربع يكون الطفل اللياقة الاجتماعية والاتجاه نحو احترام وطاعة القاعدة أو القانون.

إن التنشئة لا تعلم الطفل الخوف من الأشياء المحسوسة كي يقول الطفل لنفسه : لابد أن تكون ذا سلوك حسن حتى تبتعد عن العقاب أو لا ينكشف أمرك. ويكون الضبط هنا من خلال الشعور بالعار. ولكن التنشئة تعلم الطفل أن يضبط نفسه من خلال الشعور بالذنب عند اقتراف الأخطاء، بحيث لا يكون الشعور بالذنب قاسياً ومبالغاً فيه. إن الشعور بالعار نراه في انتظار الطفل للرقيب أو المدرس أو حتى رجل الشرطة لمعاقبته على أخطائه أو تأنيبه الحاد.

أولاً : الأسرة :

على الرغم من أن وكالات التطبيع والعوامل الاجتماعية والجماعات تؤثر في تنشئة الأطفال، إلا أن الأسرة من أهم الوكلالات التي تقوم بهذه العملية.

والأسرة نظام اجتماعي معقد يتضمن وظائف متداخلة بين أعضائها، وهذه الوظائف يمكن أن يحدث بها من التغيير في الشكل أو في سلوك واحد من أفرادها نتيجة متغيرات مثل وجود أحد الوالدين فقط Single Parent أو عمل الأمهات Working Mothers.

والأسرة هي الخلية الأولى التي يحتك الطفل بها، وهي المكان الأول الذي تبدأ فيه معالم التنشئة الاجتماعية للطفل ابتداءً من عامه الثاني.

وت تكون معظم الأسر في مجتمعاتنا الحديثة من الأب والأم والإخوة والأخوات، فلقد تعرضت الأسرة في تطورها إلى التقلص في حجمها من حيث

عدد الأفراد الذين تضمهم، ففي أشكالها البدائية كانت تضم بالإضافة إلى هؤلاء الأجداد والأحفاد والخلفاء والأنصار. وإذا كانت مجتمعاتنا العربية ما تزال تضم عناصر من أسر متعددة، كما هو شائع في الأسر الفقيرة والأسرة البدوية، وبعض الأسر الكبيرة في المدن، إلا أن الشائع الآن هو الأسرة التوأمة التي تشمل الأبوين والأولاد.

ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على وظيفتها في إعداد أفرادها لحياة المستقبل، ومن المهم هنا أن نلاحظ فيما يخص الوظيفة التربوية للأسرة أن تقلصها من حيث الامتداد لا يعني بالضرورة تناقصها في التأثير من حيث العمق.

وفي أغلب الدراسات التي تناولت الأسرة يحاول الباحثون إيجاد العلاقة بين خصائص الوالدين واتجاهاتهم وأساليبهم في معاملة الأبناء، وبين شخصية هؤلاء الأبناء أو النمو العقلي أو الاجتماعي لهم. ولقد كانت هذه الدراسات تضع في حسبانها أن أسلوب الوالدين يقرر سلوك الأبناء معاملة مع الأمر بمعالجات ارتباطية لا تعلن عن سبب ونتيجة.

نتائج الدراسات التي انتهت إلى وجود علاقة بين العقاب الجسدي وجنوح الأبناء الذكور لا تعنى أن اتباع الآباء لهذا الأسلوب أدى إلى زيادة سلوكهم المنحرف، فربما شارك مع العقاب الجسدي من الوالد سرعة غضب الطفل وكثرة إلحاحه في الطلبات مما جعل الوالد يقبل على أساليب قاسية وشديدة للسيطرة، يمكن أن تكون قد بدأت بالمعقولية وتوضيح المبررات وتفسير الأمور دون جدوى، مما جعله يتبع أساليب أشد من سابقتها مثل الحرمان من الرحلات أو منع الخروج مع الأصدقاء أو حتى مشاهدة التلفزيون، وجاءت أساليبه الجديدة غير مجدهية. وربما أصاب الوالد الإحباط وخيبة الأمل، فأسرف في العقاب القاسي للتغلب على تمرد الطفل.

وهكذا يدفع الأطفال والديهم أحياناً للإقبال على أساليب للمعاملة لم تكن في الحسبان، بل نبعت من خصائص وسلوكيات الأطفال أنفسهم أو خصائصهم كما اتضح في نموذج الوالدية المقترن في هذا الكتاب، وكما سوف يتضح في الفصل السادس. وليس من الإنصاف أن نقول إن مثل هذا النوع من الأطفال

مسئلون عن أنفسهم وما يحدث لهم، فإن الظروف الاجتماعية والاقتصادية وسلسلة من التغيرات الأخرى ربما تشارك فيما يصدر. إن التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة لا يحدث بين الطفل والديه، بل يحدث بين كل أفراد الأسرة بالإضافة إلى الظروف والتغيرات المحيطة. والأمر هنا ليس بين طرفين، بل يمكن تشبيهه بميدان مع طرق متقاطعة.

وترجع أهمية الأسرة في تنشئة الأبناء إلى ما يلى :

- أن الأسرة وما تشتمل عليه من أفراد هي المكان الأول الذي يتم فيه باكورة الاتصال الاجتماعي الذي يمارسه الطفل مع بداية سنوات حياته الذي ينعكس على نموه الاجتماعي فيما بعد.

- إن القيم والتقاليد والاتجاهات والعادات تمر بعملية تنقية من خلال الآباء متخلدة طريقها إلى الأبناء بصورة مُصفاة وأكثر خصوصية. فهناك عوامل كثيرة تتدخل في إكساب الأبناء القيم والتقاليد منها : شخصية الوالدين، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، وجنس الابن، وهذا ما تعرضا له في النموذج المقترن في الفصل الخامس. فالمعايير والقيم المرغوب تشيكيلها في فتاة من طبقة اجتماعية منخفضة ووالد متسلط سوف تختلف بالتأكيد عن المعايير والقيم المرغوب تشيكيلها في فتاة من طبقة اجتماعية راقية ووالد متسامح.

ويعتبر الآباء بمثابة مصفاة Filter تصفى أو تنقى القيم قبل عبورها إلى الطفل، كما أنهم نماذج Models أمام الأطفال يقلدونها.

- الأسرة هي المكان الوحيد في مرحلة المهد وما بعدها بقليل للتربيه المقصودة، ولا تستطيع أي وكالة أخرى تقريرها أن تقوم بهذا الدور، فهي تعلم الطفل اللغة وتكتسبه ببدايات مهارات التعبير.

- الأسرة هي المكان الذي يزود الأطفال بذور العواطف والاتجاهات الازمة للحياة في المجتمع.

- الأسرة أول موصل لثقافة المجتمع إلى الطفل.

- الأسرة أكثر دوما وأثقل وزنا من باقي الوكالات المؤثرة على الطفل وبخاصة في مرحلة الطفولة، وأكثر أهمية في تأثيرها من تأثير الجيران والأقارب والأقران وحتى المعلمين.

- إن التفاعل بين الأسرة والطفل يكون مكثفا وأطول زمنيا من الجهات الأخرى المفاجئة مع الطفل.
- الأسرة هي الجماعة المرجعية التي يعتمد عليها الطفل عند تقييمه لسلوكه.
- والوالدان لديهم أفكار وأعمال عن الخصائص الشخصية والاجتماعية التي يرغبان تحقيقها في أطفالهم، ورغم ذلك فلا توجد معايير سحرية لتحديد التنشئة الفعالة السوية، ورغم ذلك أيضاً يعرف الآباء أن هناك أساليب لها آثار سلبية على الأطفال وأساليب لها آثار إيجابية عليهم.
- وفي كثير من الأحيان نجد حالات متشابهة في المعاملة الوالدية ومستوى الأسر الاجتماعي أو الاقتصادي، وتتشابه بعض التغيرات الأخرى، ولكن تأثير سلوكيات الأطفال هذه الأسر المختلفة في صور متباعدة.
- وكما أن على الأسرة أن تربى طفلاً يلتزم بقيم ومعايير مجتمعه عليها لا تنسى أن لكل طفل فرديته. فمعرفة الوالدين للحالة المزاجية للطفل تجعلهم في موقف أحسن من حيث توجيه عملية النمو الخاصة به. فمثلاً إذا كان الطفل من النوع البطئ التقبل للأمور كان على الأهل إلا يتبعجلوه في تقبل المواقف الجديدة، فقد يؤدي ذلك إلى ارتفاع خوفه وربما ميله إلى الانسحاب والسلبية.
- وكذلك إذا كان لدينا طفل من الصعب تهدئته نجد أن التسامح لا يتناسب معه وربما يشجعه على التمادي في الصياغ حتى يحصل على ما يريد، ولكن إذا أحبط بجو حازم عطوف كانت النتائج أفضل.
- للطفل أثر مباشر على علاقة الوالدين ببعضهما البعض، فالطفل إذا كان مريضاً أو عصبياً أو معوقاً زاد من عبء المسؤولية، وينعكس ذلك على مقدار التحمل للوالدين وعلى فترة الاهتمام والرعاية بالإخوة أو نوعية هذا الاهتمام، وربما انعكس الأثر على دور الوالدين برمته في الحالات السيئة للأطفال.
- وعلى الرغم من أن عملية التنشئة الاجتماعية يمكن القول أنها تبدأ من السنة الأولى من حياة الإنسان إلا أنها تصبح بطريقة واعية ومنظمة مع بداية التحرك ونشاط الأطفال وبدء اللغة، ولم يعد التدليل على نفس النحو السابق أو نفس المستوى، لسقى بدا له ضوابط وحدود وبدأ الآن مصطلح لا تفعل كذا واردا

على نحو أكثر مما سبق. لقد بدأ التدريب على الإخراج وبدأ المرح والتشجيع على السلوكيات المقبولة، والعقاب على السلوكيات غير المقبولة . . هنا بدأت عملية التطبيع الاجتماعي . . إن الآباء الآن يقومون بتعليم أبنائهم القواعد والقوانين الاجتماعية.

والأطفال دائماً يميلون إلى تقليد الآخرين وفي مقدمتهم الآباء كنماذج . . . وعملية التقليد هذه توجد كثيراً من التشابهات بين هؤلاء الأطفال وآبائهم. ويطلق المتخصصون في علم النفس على ذلك التطابق والتوحد Identification كما سبق أن أشرنا، ويطلق عليها علماء الاجتماع مصطلح المحاكاة Imitation التي تبدأ في فترة مبكرة من عملية التنشئة داخل الأسرة.

وتم عملية التنشئة بسهولة وفي أحسن صورة إذا أحبط الأطفال بيئة ملوبة بمعايير وقيم مجتمعهم. أما إذا وجدوا في بيئة آباء منحرفين أو حتى متقللين عاطفياً فالاحتمال الأكبر أن ينموا بسلوك وقيم منحرفة.

إن الأطفال الذين يأتون في أسر تتصف بالأمانة والجد والعمل غالباً ما يتصفون بالخلق والإحساس بالغير ودافع الإنجاز Achievement Motivation.

ومن أشهر أنواع السلوك القابلة للتقليد والمحاكاة القدرة على ضبط النفس والسلوكيات الأخلاقية والسلوكيات المناسبة لكل جنس.

وعلى الرغم من أن الوالدين يعدان النموذج الأول للمحاكاة، فهناك أيضاً الإخوة والأصدقاء. وبالتالي تؤدي عملية التقليد إلى مفاهيم . . نحن - هم . . وهناك ثلاث خصائص والدية تسهل أو تساعد على تقليد الأطفال للوالدين هي : الحنان والعطف - القوة - العقاب وتأثير كل منها في عملية التقليد. ويختلف تأثيرها باختلاف الجنس (ذكور - إناث).

فالإناث يملن إلى تقليد النموذج الذي يتصف بالحنان والعطف، ويميل الذكور إلى تقليد النموذج الذي يتصف بالقوة والهيمنة أو السيطرة. كما أن العطف والحنان يسهل تقليد الحركات والأخلاق والتعليقات، والقوة تسهل تقليد اتخاذ القرار وإيجاد الحلول.

ولقد شاع منذ وقت ليس ببعيد تأثير عمل الأم على تنشئة الأطفال. ويرى Etaugh أن أطفال الأمهات الراضيات سواء يعملن أم لا، لهم درجات غير مختلفة

في التوافق النفسي والاجتماعي. ويبدو أن الإشراف الكافي من قبل العاملات هو الذي يسد الشغرة الشائعة عن تأثير غيابها. إن المهم هنا هو استقرار بيضة الطفل و موقف الأم تجاه عملها ووظيفتها كأم، فمشكلات الأطفال إلى حد بعيد لا صلة لها بعمل الأم أو وجودها المستمر في المنزل. إن الاستقرار الأسري والوفاق بين الوالدين خلف التنشئة المناسبة للأطفال.

ولقد أشارت بعض الدراسات أن الأمهات العاملات يواجهن صراعاً في الأدوار نتيجة تحملهن لأعباء متنوعة، مما ينعكس على العلاقة بين الأم والأبناء. ولكن هذا يتضاءل حينما يكون هناك نوع من التعاون والدعم من قبل الزوج لزوجته في إنجاز بعض المهام أو المشاركة فيها، وإن كانت من اختصاصات الأمهات فقط. حتى وجود الزوج أثناء الولادة يعمل على تخفيف حدة الآلام، كما أن لعب الآباء مع الأطفال ومتاعبهم وحملهم ودهنهن يخفف الكثير على الأمهات و يجعل الحياة الأسرية أكثر متعة و يجعل الأب يدخل عالم طفله كما سوف يتضح بالتفصيل فيما بعد.

إن الفاخص لعلاقة الطفل بأمه كموضوع أول لحبه، وكأول شخص يتعرف من خلاله على العالم يجد أن الأب يدخل متأخراً عالم الطفل. إن ذلك راجع إلى كونه لا يلبى رغبات حيوية بالنسبة للطفل.

ومن المعروف في مجتمعاتنا العربية أن الآباء غالباً لا يولون الأطفال عناية في الأسابيع الأولى، وحتى الشهور الأولى من باب أنه ربما لا يليق بالرجل. وهذا لا يمنع من مداعبة الطفل. واللاحظ أن الأم كثيراً ما تحاول توجيه انتباه طفلها إلى وجود أبيه بمجرد إحساسها أن الطفل أصبح الآن بإمكانه تحويل نظره. مما يشير هنا إلى أن الأب يكون خارج عالم الطفل لفترة معينة. ولكن هذا التأخير لا يعني أن دخول الأب سوف يكون ثانوياً، بل يمكن أن نقول عنه أنه يدخل عالم الطفل بقوة، وتبعاً لشدة هذه القوة يكون الأثر على علاقة الطفل بالأب، بل وبالأم أيضاً والإخوة.

وهذا الدخول القوى من قبل الأب في عالم الطفل من مدخل التأديب، حيث يكون الأمر والنهاي للأب، وحيث يجد الطفل اندماجه الحقيقي في الأسرة وفي المجتمع متوقفاً على استيعاب عالم الأبوة وتمثله Assimilation بما فيه من سلطة وقيم، يجعل تقمص شخصية الأب ضرورةً تتطلبها عملية النمو ذاتها، بفعل

موقف الاندهاش Astonishment من مدى قدرة الأب على التأثير في الأسرة ومن فيها، وفيما تعانه من ابتسام وما تشعر به من ابتهاج، فهو مفتاح عوالم أسرته. ومن هنا تتولد حالة نفسية للطفل نحو الأب نسميتها عاطفة الإعجاب. تلك العاطفة التي تبدو في موقف ثابت نسبياً ومستمر للطفل تجاه الأب، تتسرب في أعماق الطفل، وبذلك يتسرّب عالم الأبوة بما فيه من قيم داخل الطفل، ويكون العامل الأساسي في تكوين الطفل من الزاوية الاجتماعية وفي تنشئته.

إن دراسة علاقة الطفل بالأب من منظور إعجابي، يخالف الرؤية الفرويدية التي ترکز في هذه العلاقة على الكراهة والعداء.

حقاً إن في تحليل عقدة أوديب لدى فرويد ما يبيّن اختلاط هذه الكراهة بعنصر الإعجاب. ولكن محور النشاط النفسي في نظريته يظل حول الكراهة والعداء. وتفاصيل عقدة أوديب تعطي الأب إمكانية تجعله قادرًا على أن يتتجنب هذا النوع من العلاقة، أو لا تجعل علاقته بابنه مصطبغة بهذه الصبغة وحدها، أي أن الموقف التربوي من قبل الأب في علاقته بابنه هو القادر على الحيلولة دون تعقد الموقف بعناصر الكراهة والعداء.

ولكن ذلك لا يمنع مطلقاً أن يكون إعجاب الطفل ممزوجاً بعواطف أخرى ملائمة ومنافية. على أن تعرّض الطفل للإحباطات وضرر من المنع والردع من قبل الأب (النموذج) ظاهرة طبيعية في مراحل نموه، وهي الكفيلة بتقوية الجانب الإرادي في الطفل. ولكنها من دون شك تثمر حزازات ومشاحنات في نفس الطفل تجاه أبيه، وتكون وبالتالي ذلك التناقض الذي لا يخلو من عاطفة من العواطف، وهو احتواها على عناصر وجданية واتجاهات متناقضة. وعلى ذلك ليس من المغامرة في شيء أن نذهب إلى أن عناصر كراهة وغيره تجاه الأب تتولد في نفس الطفل مصاحبة للإعجاب به.

فإذا كانت الدهشة باعث الإعجاب بالأب كنموذج، فإن الرهبة والخوف حتى في أقل مستوياتهما من سلطة هذا النموح وقوته المادية والمعنوية ومكانته، وعلو صوته ورأيه وقدرته على التوجيه والتأثير في حياة الأسرة، هذه الرهبة وهذا الخوف كفيلان بأن يولدا في الطفل مشاعر كراهة وغيره من الأب. وإن من



المشاهد أن بعض الأطفال ابتداءً من عمر الثالثة يبدأون في إظهار مثل هذه المشاعر المتناقضة في الظاهر لعاطفة الإعجاب بالأب عندما يقول بعضهم مخاطباً الأب: لماذا تفعله أنت؟ أو يخاطب الأم قائلاً: لماذا يفعله أبي ولا أفعله أنا؟.

إن عاطفة الإعجاب بالأب تنشأ في جوها السليم عندما يشعر الطفل بأنه مرغوب فيه ومحبوب. فانعدام النضج الانفعالي لدى بعض الآباء كانعدام الرغبة في الأطفال تؤدي إلى أسوأ الآثار العاطفية على الأطفال. ومن المعروف في مثل هذه الأحوال

عن الآباء أنهم يتخذون لموقفهم من الأبناء تبريرات مصطنعة، كان يعلل بعضهم ذلك بأسباب اقتصادية أو اجتماعية، بينما يكشف التحليل عن عوامل نفسية لا شعورية لمواقفهم تلك. ويفكك ذلك ما هو معروف في آباء آخرين من تقبل لأطفالهم وحسن معاملتهم وعلاقتهم بهم مع سوء حالتهم الاقتصادية.

وعلى ذلك يمكننا القول أنه بالإمكان أن تنشأ عاطفة إعجاب بالأب تيسير إدماج عالم الأبوة في عالم الطفل، وتسهل بالتالي عملية التمثيل والاقتداء، ومن ثم التنشئة الأسرية المنشودة. وإن انخفاض مستوى النضج الانفعالي للأب سواء تجلى في مظهر الرفض اللاشعورى للطفل، أو في مظهر العلاقة الاستحواذية به، ذات الحب التملكي، لا يؤدي إلى انحراف عاطفة الإعجاب بالأب لدى الطفل فحسب، بل يؤدي إلى آثار نفسية تتعكس على الأب نفسه ويكون لها ردود أفعال على ذلك الصغير الذى يجب أن يكون فى حالة افتتاح لعالم الأبوة، فلا يجد ما يحاكي من نماذج سوى مظاهر مرضية.

حقاً إن ثم عمليات نفسية إعلانية أو تحويلية يمكن بواسطتها تحريف هذه التأثيرات عن مجريها المتوقع، ولكن تلك العمليات ربما تبوء بالفشل.

ولعل ما عاناه «هتلر» في طفولته من طريقة وأسلوب أبيه نحوه من قسوة وما علق في اللاشعور لديه من ارتباط هذه القسوة بمستوى اجتماعي منخفض لموظفي بسيط أنشأ عنده رغبة في تحدي الواقع، هذه الرغبة الكامنة خلفها اندفاع ضد شخصية أبيه، وبالتالي نحو مستوى اقتصادي واجتماعي فوق ذلك الأب. إن هذا كله كان دافعاً لا شعورياً «لهتلر» فيما قام به من أعمال.

وعموماً فكلما اتجه موقف الأب مع طفله إلى الصدقة والتفاهم وتجنب السلطة والعنف أثمر ذلك عاطفة إعجاب الطفل وسهل اندماج عالم الأبوة وقيمته ومعاييره، ومن ثم جزءاً كبيراً من قيم ومعايير المجتمع الذي ينتمي إليه ذلك الأب العادى. وأصبح الصغير في سيله إلى تنشئة اجتماعية راضية مرضية، وانعكست آثار ذلك على علاقة الأم بالطفل الصغير وعلاقة الصغير بآخوه، أي على التفاعل الاجتماعي في الأسرة كلها، وإن كانت هناك عوامل تؤثر على ذلك التفاعل الاجتماعي في الأسرة وعلى نوع ودرجة تأثير الطفل به في أثناء تنشئته الاجتماعية يمكن إجمالها في:

- الطبقة التي تنتهي إليها الأسرة: إن الأسر تختلف في تفاعلها مع الأطفال باختلاف المستوى الاقتصادي والمستوى الاجتماعي والمستوى الثقافي الذي يميزها.

فقد تبين أن أمهات الطبقة المتوسطة أكثر واقعية في التعامل مع أطفالهن، على حين أن أمهات الطبقة العالية الأفضل تعليماً يملن إلى معاملة أطفالهن بطريقة أكثر دفناً وأكثر تفهمها وقبولاً، كما أنهن أقل تدخلاً في شؤون الصغار. أما أمهات الطبقة الدنيا فلديهن ميل إلى معاملة أطفالهن بالعنف والعقاب الشديد، وخاصة في التدريب على استخدام المرحاض. وفي أسر الطبقة المتوسطة كان نفوذ وسيطرة الأب تدعو إلى الاطمئنان والأمان نسبياً مهماً كانت أعمار الأبناء. على حين نجد أن الأب في الأسر ذات الطبقة الدنيا يميل إلى فقد سلطته على ابنه المراهق.

وتبدو الاختلافات في الأسر حسب طبقتها في نواح متصلة بالتنشئة الاجتماعية مثل: نوع وكمية المسؤوليات التي تلقاها على الطفل - المرح والتشجيع ودفع المعاملة وتجنب العقاب - مستوى ضبط عدوانية الأطفال - مستوى الشدة

المتبع في ضبط عملية الإخراج - أسلوب التغذية - اتجاه الأسرة نحو الأمور الجنسية التي يديها الأطفال وتصرفاتهم نحوها.

ولا يغيب عن الأذهان أن تأثير الأسرة بثقافة الطبقة أو المجتمع الذي تعيش فيه، لا يعني إلغاء الخصائص الشخصية للوالدين وطريقة تعبيرهم عن مشاعرهم وأساليب توجيههم لأطفالهم كما سبق أن ذكرنا في الفصل الخامس. كما أن نتائج أطفال الطبقة الفقيرة يمكن أن تكون إيجابية على الرغم من حرمانهم من الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية.

فنجد ارتباطهم الشخصي والعائلي للأصحاب والجيران الذي يدعم المشاركه والدعم المتبادل. وعلى الرغم من سخريتهم من الأقدار والتشاؤم من الحياة إلا أنهم أكثر واقعية في نظرتهم إلى المحيط من حولهم. كما أن إحساسهم بأنهم عرضة للأزمات وأنهم مهددون، ينمى عندهم الإحساس والوعي والقدرة على مواجهة الضغوط والصراعات. يعكس أطفال الطبقة الوسطى الذين يواجهون معاناة في مواجهة المواقف الصعبة.

وعلى الرغم من الاختلافات الواضحة في طرق حياة وخصائص كل طبقة إلا أنه لا توجد اختلافات في القيم والأهداف من تربية الأطفال. والاختلاف يكون واضحا في بعد القوة والتوجيه الذاتي للطبقة المتوسطة مقابل الخنوع والطاعة في الطبقة الفقيرة.

فالآباء في الطبقة الوسطى يفرضون الاحترام والطاعة للسلطة بينما يفرض آباء الطبقة الاجتماعية الوسطى حب الاستطلاع والتحكم والسيطرة على النفس والقدرة على تأجيل إشباع الرغبات والعمل من أجل تحقيق الأهداف طويلة الأمد.

وفي الطبقة الوسطى يكون الآباء أقل عنفا وشدة مع الأطفال حديثي السن من الميلاد حتى سن خمس سنوات، ويكونون أشد نصرا وتقويا وتجويفا وتجويفا لأبنائهم في مرحلة المراهقة. ويتوقعون من أطفالهم النضج المبكر في تحمل المسؤولية، ويخططون لأطفالهم أهدافا وإنجازات عالية يجب تحقيقها.

أما في الطبقة الفقيرة فالآباء يكونون أشد عنفا مع الأطفال حديثي السن من الميلاد حتى خمس سنوات، ويقل هذا العنف تدريجيا ويتحول إلى نوع من التهاون والتسامح الشديد مع الأطفال الأكبر سنا. وربما عاد ذلك إلى توقعات الآباء المتطرفة

من الأبناء للاعتماد على أنفسهم والاستقلال الاقتصادي. يعكس توقعات الآباء في الطبقة المتوسطة لهذا الاستقلال الاقتصادي عند الانتهاء من التعليم الثانوي أو الجامعي لأبنائهم.

- حجم الأسرة : تأثر شبكة العلاقات والتفاعلات داخل الأسرة من ناحيتها اتساعها وتعقدتها بحجم الأسرة ومن ثم التطبيع الاجتماعي للأطفال.

إن البحث تشير إلى أن أكثر من ٨٠٪ من الأسر تشمل على أكثر من طفل أي، بها ثلاثة أفراد فأكثر، وكلما زاد حجم الأسرة قلت الفرصة أمام الآباء للاحتكاك والتقارب بين كل قرد على حدة، وكذا قلت مساحة هذا الاحتكاك، ولكن تسع الفرصة للتفاعل بين الإخوة.

وكلما زاد عدد الأبناء في الأسرة حددت الأدوار في العائلة وطبقت الأنظمة بشكل صارم، وتفرض القوانين فرضا على أفرادها، ولا يستطيع الآباء تدليل هذا العدد الكبير وإلا انقلب الأمر إلى شبه فوضى .

إن الأسرة ذات الطفل الواحد مثلا، تظهر فيها ثلاث علاقات ثنائية هي العلاقة بين الطفل والأم، وبين الطفل والأب، وبين الأب والأم. ويزداد هذا العدد من العلاقات حينما يكون حجم الأسرة خمسة (أب وأم وثلاثة أبناء) وعندما نأخذ في الاعتبار العلاقات بين شخصين والعلاقات بين الشخص وأكثر من شخص يصل عدد هذه التفاعلات الممكنة إلى ٦٥ علاقة. هذا الكم الضخم من العلاقات يؤثر من غير شك على طبيعة العلاقات وعمقها العاطفي، وعلى أنماط السلطة ونوعها، كما يؤثر على الأنشطة الممارسة والمشكلات التي يخبرها الطفل وإخوته سواء كان الطفل طرفا أو مشاهدا لها.

ووسط هذا الحجم يقل الوقت للشرح والتفسير ويزداد ميل الآباء إلى بعض القسوة للضبط والتحكم.

وإذا زاد العدد يكون دور الفتيات واضحًا في المساعدة على تربية الأطفال الأصغر. والتفاعل الأقل مساحة مع الآباء وسط هذا العدد يظهر الاعتماد على النفس بدرجة أكبر أو يكون الانخفاض نسبيا في مستوى التحصيل الدراسي للأبناء. وتشير البحوث في نتائجها إلى انخفاض في مستوى الذكاء عموما، وتبعه دراسات يسرية صادق من الدراسات الرائدة في هذا المجال على عينات عربية.

ويعد من عيوب صغر حجم الأسر على التنشئة الاجتماعية للأبناء، ذلك التركز والعمق في العلاقات العاطفية بين أفراد الأسرة الواحدة مما يتربّ عليه الحماية الزائدة للأطفال بالإضافة إلى ضيق مجال تحركه وتعامله وخبرته وربما ظهور الغيرة بين الأطفال.

الترتيب الميلادي للطفل : سوف يظل الطفل الأول متربعاً على عرش الحب والرعاية والاهتمام لدى الوالدين إلى أن يصل طفلهما الثاني وبعده الأطفال الآخرون، عندئذ تختلف طريقة التعامل اختلافاً واضحاً، لقد أصبح هناكأطفال آخرون يشاركون الأول هذا الاهتمام وربما يسرقون منه تلك الرعاية.

وعلى الرغم من أن الطفل تظهر عليه علامات الغيرة لإحساسه بفقد جزء من الاهتمام، لكن تبقى الحقيقة بأن تفاعل الوالدين مع الطفل الأول كانت أعلى من مستوى التفاعل مع الطفل الثاني أو الأطفال الآخرين، لدرجة أنه ربما يقتصر احتكاك الآباء بأطفالهم بعد الأول على الاستجابة حاجاتهم وتلبية مهامهم الأساسية.

لقد جاءت الدراسات معلنة أن التعلقات والمحادثات تكون موجهة غالباً للطفل الأول على الرغم من قدوم إخوة آخرين له، مما يرفع معه الحصيلة اللغوية مقارنة بإخوته. كما يلاحظ ما يلى :

بخصوص الطفل الأول : تكون توقعات الوالدين للطفل الأول أكثر والأمال أعلى، ويكون دفع الوالدين للطفل الأول على أن ينجز بطريقة أعمق، بالإضافة إلى تحميله المسئولية وإفحامه في بعض الأمور أكثر من إخوته. ويقع الطفل الأول أكثر من إخوته في العقاب وربما العقاب الجسدي.

بخصوص أواسط المواليد : يكون الوالدان الآن بعد خبرتهم مع الطفل الأول أكثر مرونة وارتخاء في معاملاتهم، وربما عاد ذلك إلى تمرسهم مع الطفل الأول الذي يعتبر طفل التدريب وكبس الفداء، ويقول البعض أنه يأخذ حد السكين.

وهذا ما يجعل للطفل الأول خصائص أكثر وضوحاً مثل القدرة على ضبط الذات والقلق مع انخفاض مستوى العدواية، والجدية والتفوق الأكاديمي فيما بعد، وكذا التفوق المهني ربما للمعايير العالية التي يضعها الوالدان له. ويميل هؤلاء

الأطفال إلى عدم الثقة بالنفس والشعور بالخوف من الفشل ، كما أنهم أكثر إدراكا للخطر وأقل إقبالا على المغامرة .

ونتيجة لهذه الحساسية لدى أولئك المواليد فإنهم يكونون أكثر عرضة للوقوع في اضطرابات ، ومشكلات نفسية مثل اضطرابات النوم والتبول اللاإرادى ، أما أواسط المواليد فهم يقعون بين طرفين إخوة أكبر وأباء لديهم بعض التهاون عن ذى قبل .

ويكون مستوى الإن Bhar الأكاديمى لهؤلاء الأطفال أقل من أولئك المواليد وأحيانا ضعيفا ، وقوة تركيزهم ضعيفة ومداها قصير ، ونجدهم دائم البحث عن رفاق ، ومرحين وباحثين عن المتعة وأكثر جرأة ومخاطرة .

بخصوص الطفل الأخير : هذا الطفل غالبا مدلل ، إنه (آخر العنقود) كما يقال . يتوافق لديه كثير من النماذج - إخوة والدين - يشعر غالبا بالأمان . ومثابر - ومتفائل وأكثر ثقة بالنفس مقارنة بالطفل الأول ، وله شعيبة عنه .

١ - **الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في الأسرة :**

يطلق عليها البعض ميكانيات التطبيع الاجتماعي ، وهى أساليب نفسية واجتماعية ، مقصودة وغير مقصودة واضحة أو ضمنية تتخذها الأسرة لإكساب الطفل سلوكا أو تعديل سلوك موجود لديه . ومن أهم هذه الأساليب :

أ- الاستجابة لأفعال الطفل :

إن مجرد استجابة الوالدين أو الإخوة لأفعال الطفل ، يؤدى إلى تأثير على هذه الأفعال وعلى المشاعر المتصلة بها . وحتى هذا لصغار الأطفال ، فالطفل الذى يصدر صوتا ما ويستجيب له عضو من أفراد الأسرة (مجرد استجابة) فإن الطفل يميل إلى تكراره ، وكأنه يعلن لنا أن نكرر معه الاستجابة لما يفعل ، وهذا ما يحدث حتى مع الأطفال الأكبر سنا . وبطبيعة الحال يبدو أن استجابتنا هنا للطفل استجابة إثابة أو مكافأة .

ب- الثواب والعقاب للطفل :

إلا أن الاستجابة للطفل كما يمكن أن تكون نوعا من المكافأة قد تكون نوعا من المعارضة أو التشبيط أو العقاب . وهذا شيء شائع بلا استثناء في جميع الأسر .

إن الوالدين أثناء تعاملهما مع الطفل يستعملان الثواب أو المكافأة والتأييد عندما يصدر من الطفل سلوك يرغبه أو يجذبه أو عندما يظهر من المشاعر ما يتناسب مع الموقف. وكذلك يقع الوالدان العقاب في عكس ذلك.

وتدرج الإثابات من مجرد نظرة رضى أو إيماءة موافقة إلى هدية أو تقبيله، ويتدرج العقاب من إشارة ناهية باليد أو إغماضة لها معنى بالعين أو تقطيب للجبين أو ضغط على الشفتين إلى الحرمان من متعة أو العقاب البدنى.

وبطبيعة الحال يختلف الثواب والعقاب في الدرجة والنوع باختلاف طبقة الأسر، فبعض أنماط السلوك لا يعاقب عليها مستوى طبقي وربما شجع عليها في الوقت الذي يرفضها مستوى طبقي آخر.

مثال ذلك السلوك العدوانى الذى يشجع عليه لدى أطفال المستوى الاقتصادي والثقافى المنخفض، بينما يعاقب عليه الطفل فى المستوى الاقتصادى الثقافى المتوسط، وإذا كانت الأسر فى المستويات المنخفضة تميل إلى استعمال العقاب الجسدى، نجد الأسر فى المستويات المتوسطة تميل إلى استعمال الحرمان أو العزل قليلاً لبعض الأطفال.

ج- إشراك الطفل في بعض المواقف الاجتماعية :

ربما دعا الوالدان أو أحدهما الطفل بقصد الذهاب معهما في موقف عزاء أو موقف عرس بقصد إكساب الطفل السلوكيات المناسبة في مثل هذه المواقف، وربما جاءت الدعوة لهذه المواقف وغيرها عن غير قصد . . . وهنا يتعلم الطفل ليس فقط كيفية السلوك المناسب بل والمشاعر المناسبة في مثل هذه المواقف . . . وهنا يكون التعلم بالتقليد وربما بالتقىص.

ء- التوجيه الصريح لسلوك الطفل :

قد يلجأ الوالدان إلى توجيه سلوك الطفل بطريقة مباشرة وصريحة، فتعلم ما يجب وما لا يجب أو تدربه على السلوك المناسب وربما هيأت له من المواقف الحية لدعم خبراته وسلوكياته.

وإذا كانت الأساليب السابقة يغلب عليها إمكانية الحدوث للأطفال، فإن تغيراً جوهرياً يحدث لديهم عندما يبدأ مفهوم الذات Self Concept في البزوغ أى

عندما ينظر الطفل إلى سلوكه باعتباره موضوعاً، فيصبح هذا السلوك خاصاً به للتأمل، والحكم والتقدير بل والتقويم، وعندما يضع في اعتباره اتجاه المهمين في حياته مثل الوالدين، وعندما يدرك إمكاناته ومكانة الآخرين وما يرتبط بها من التزامات وتقعات للسلوك وحقوق الآخرين واجبة عليه، في ذلك الوقت تزداد الفعالية والإيجابية للطفل، وتتدفق قدرته على العطاء دون الاكتفاء بالأخذ، ويتحرك مع كل ذلك قوى التنشئة الاجتماعية لتصبح داخلية بعد أن كانت كلها خارجية، وبالتالي تسع الخطى في طريق التطبع الاجتماعي.

٢- معالجة آثار الإحباط على الأطفال أثناء تنشئتهم اجتماعياً داخل الأسرة :

إن أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتبعها الأسرة لا تخلي من تعطيل أو كف بعض رغبات أو نزعات الطفل. وأحياناً يكون العقاب مسيطرًا على الأمر نتيجة إقبال الطفل على سلوكيات غير مقبولة. ويكون نتيجة ذلك تراكم لشعور الطفل بالإحباط ومن ثم كراهية أو مشاعر سالبة نحو الوالدين أو الإخوة الأكبر.

وتشير مؤشرات الإحباط في عناد الطفل أو عدوانه على إخوته أو الانطواء وغير ذلك من المؤشرات . . وكلها ردود فعل طبيعية . . ومن الضروري على الوالدين الاعتماد على أساليب تجنب معها تعقيد الأمور أو زيادة عمقها وحدتها. ومن أساليب مواجهة هذا الطفل المحبط :

أ- **تعادلية القائم على التنشئة :** ويشير في موازنة الأب مثلاً بين ما منع الطفل منه وما يمكن أن يسمح له به كبديل. فإذا حرم الأب طفله من عمل سلوك يستغرقه باعتباره غير مناسب فإنه غالباً يجب أن يسمح له بممارسة سلوك آخر يحقق له إشباعاً. وكذا الأم التي تعاقب ابنته ثم يعقب الأمر نوع من الملاطفة مع هذه الصغيرة «تضرب وتلaci» وذلك بعد مدة كما سوف نرى فيما بعد.

ب- **تعادلية الطرفين :** ويطلق عليه البعض التعادل المشترك، أي التصرفات التي يقوم بها مثلاً الوالدان ليعادل كل منهما أثر الآخر «واحد يشد والآخر يرخي» وليس المقصود هنا التسلطية والتهاون بل الحزم والدفء الداعم للوالد الآخر. ومثال ذلك الأب الذي مارس نوعاً من العقاب على طفله، فإن الأم تتولى تخفيف

الآثار الناتجة عن العقاب بحيث لا يؤدي تخفيف الأثر إلى إلغاء التأثير أو التمرد على الأب أو تكوين اتجاهات سالبة ضده.

جـ- تفريغ شحنة الطفل : وهو أسلوب يعتمد إلى امتصاص الصدمة وخفض التوتر الناتج عن الإحباط بسبب العقاب أو غيره، فتتيح الأم مثلاً أو الأب للطفل مجالاً للتعبير اللغوي أو الرمزي عن انفعالاته بطريقة مناسبة، وإذا لم يتع هذا التفريغ القائم على التنشئة يمكن أن يقوم بها شخص داخل الأسرة مثل الأخ الأكبر أو الجد أو العم ومن الممكن ضيف أو صديق للأسرة.

٣ - معالجة ما يصيب الوالدين من إحباط أثناء قيامهم بالتنشئة :

من نتائج قيام الوالدين أو أحدهما بتنشئة الأبناء أن يصابا بالتوتر والضيق والإحباط، مما يترتب عليه اتجاهات سالبة نحو الأطفال، وربما عبر بعض الآباء عن ذلك ليس فقط أمام الكبار مثلهم، بل أمام أطفالهم، فيقول الأب مثلاً أو الأم : «أنا زهقت منكم ..» أو تعبيرات من هذا القبيل.

والأساليب السابقة التي تخفف الإحباط تعمل بوجهها الآخر على تخفيف العنااء من القيام بدور المنشئ. وكذلك فالآحاديث الصريرة بين أعضاء الأسرة تساعد على تخفيف آثار الإحباط.

وتعتبر الآثار الإيجابية لما يقوم به الوالدان من دور في عملية التنشئة وظهور هذه الآثار على سلوكيات أطفالهم، نوعاً من الإشاع يجعل الوالدين يتحملان عناء رحلة التنشئة الاجتماعية لأطفالهما.

ثانياً : دار الحضانة *Nursery School* :

بعض الأسر تدفع بأطفالها بين الثانية والرابعة من العمر إلى دار الحضانة، وهذا التوجه المبكر لوضع الطفل في مؤسسات مفترض أنها تربوية يمكن أن يكون بالنسبة إلى العديد من الأطفال خبرة ثمينة جداً.

وأوضح قيمة للطفل في إرساله إلى الحضانة، هي أنها تهئه له الفرصة للعب مع أطفال من نفس عمره تقربياً، في جو تنظم فيه الألعاب والأدوات، وكذلك تنظيم الفعاليات والأدوار للأطفال بما يتناسب وعمرهم ودون قيود.

والطفل الذى يذهب للحضانة، ولا يصبح المترزل هو اهتمامه الوحيد، ولا غرفته هى مكانه المفضل، ولا أبواه وإن خوطه إن وجدوا هم أصدقاؤه فقط. لقد أصبح له غرفة أخرى يقوم بالمشاركة فى ترتيب أو تزيين بعض أدواتها، وأصحاب جدد يسعد برؤيتهم كل يوم فى أغلب الأحوال، لقد أصبح له شيء آخر يشير اهتمامه. إنه يقابل مرية تهتم به وبالألعاب بطريقة تختلف عما تفعله الأم وعن جو المترزل الذى تعود عليه.

فإذا كانت دار الحضانة مكاناً جيداً، وكان تكيف الطفل معها مناسباً، فإن الطفل لن يقضى فى الحضانة وقتاً ممتعاً فحسب، بل إن الذهاب لها يكون بالنسبة له خبرة تزيد من تكيفه مع حياته المترزلية واكتشافه لعالم جديد.

واثمة أطفال آخرون يبدون غير مقبلين للمكان الجديد، ويبدو ذلك من عدم استمتاعهم الظاهر عند الذهاب، وأحياناً تزداد ثورتهم أو تعبهم أو ربما مرضهم. وغير ذلك من الإشارات التي تدل على أنهم يلقون عنتاً في الذهاب إلى الحضانة.

١ - بنية الحضانة وأثرها في التنشئة الاجتماعية للأطفال :

في هذا النطاق يتطلب الأمر التحدث عن جانبين هما حجم سكان الحضانة والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمع الحضانة.

أ - حجم سكان الحضانة : إن عدد سكان الحضانة لا شك أكثر من عدد أفراد الأسرة التي منها الطفل، لقد أصبح الآن بين عدد أكثر من الأطفال، ويرى داخل غرفة النشاط مشرفة تشبه الأم، وهناك عاملات يتربدن بين وقت وآخر للحفاظ على النظافة، ويصاب الطفل في البداية بنوع من الدهشة مع هذا العدد الكبير، وربما يبكي مثل أطفال معه، ولكنه أصبح يصمت أو يهدأ مثلما حدث لأطفال آخرين، إنه مقلد جيد حتى لسلوك البكاء أو الهدوء والطاعة الذي يظهر من قبل أطفال آخرين معه، إنه يذهب مثل بقية الأطفال إلى حوض الرمل حينما تطلب المشرفة منهم ذلك، ويعودون إلى غرفة النشاط حينما تطلب منهم ذلك ... إننا الآن في سبيل خطى للمسايرة وسط الجماعة.

ب - التفاوت العمرى والجنسى لمجتمع الحضانة : إن أفراد الروضة من الأطفال لا يختلفون عمرياً، ولكن الطفل يلاحظ نساء في عمر أمه يطلبن منه

أحياناً تنفيذ بعض الألعاب أو الذهاب إلى الحمام أو إحضار علب الألوان، ويجد الطفل أن الذين معه من الأطفال ليسوا من جنسه فقط بل من الجنس الآخر.

٢ - **الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية بالحضانة :**

ويطلق عليها ميكانيات التطبع الاجتماعي، ومنها :

أ- **برنامـجـ الحـضـانـة:** هناك برامج لبعض دور الحضانة، ودليل للمشرفة، وعبر المناشط المدرجة بالبرنامج التي يشارك فيها الأطفال يكون هناك بث لبعض المعايير عن قصد مثل الاشتراك مع الجماعة والتعاون مع الأطفال والنظام وترتيب أدوات اللعب على الأرفف المنخفضة .. وغيرها.

ب- **المنـاشـطـ الحـرـة:** إتـاحـةـ الفـرـصـةـ لـلـطـفـلـ كـىـ يـلـعـبـ حـرـاـ هـدـفـ جـوـهـرـىـ منـ أـهـادـ الحـضـانـةـ، وـهـوـ فـىـ ذـلـكـ إـمـاـ يـسـتـقـلـ بـلـعـبـهـ أـوـ يـشـارـكـ فـرـداـ أـوـ أـكـثـرـ، وـيـكـوـنـ نـتـيـجـةـ ذـلـكـ إـنـجـازـ بـعـضـ الـأـعـمـالـ مـثـلـ أـكـوـامـ الرـمـلـ أـوـ نـقـلـ المـاءـ بـالـأـوـانـىـ أـوـ .ـ.ـ.ـ وـأـحـيـاـنـاـ الـعـرـاـكـ وـالـشـجـارـ الـذـىـ لـاـ يـلـبـىـ أـنـ يـتـهـىـ بـالـلـعـبـ ثـانـيـةـ دـوـنـ تـدـخـلـ المـشـرـفةـ، وـكـلـهـاـ خـبـرـاتـ مـنـاسـبـةـ لـلـأـطـفـالـ فـىـ تـشـتـهـمـ، عـنـ تـقـضـيـلـ لـعـبـةـ عـلـىـ أـخـرـىـ أـوـ صـدـيقـ، عـلـىـ آخـرـ أـوـ الدـخـولـ فـىـ شـجـارـ.

٣ - **المـشـرـفةـ وـعـلـمـيـةـ التـنـشـئـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ لـلـطـفـلـ بـالـحـضـانـةـ :**

من المفروض أن تضم الحضانة مشرفات يعرفن كيفية مساعدة الأطفال الذين هم من جنسين مختلفين على اللعب المقيد والمرح .. بعيداً عن التزمت والصرامة أو الضيق والقلق من الأطفال. والمفروض على المشرفة في هذا المجال أن تكون ذات بال طويل وقدرة على توجيه سلوكيات الأطفال المفاجئة واستغلالها في النشاط الذي تقدمه لبقية الأطفال.

إن المشرفة لا يتوقف دورها على العمل وسط الأطفال أو رعايتهم عموماً وقت الحاجة، ولكن أن تتحدث مع الأمهات حول أمور أطفالهن ومشكلاتهم. وهنا نكون مع مربيات عطفات موجهات لسلوك الأطفال ولسن مسلطات عليهم.

و عبر هذا الدور الذي تقوم به المشرفة فإنه يمكن عرض صوره فيما يلى :

أ - المشرفة كمنفذة للبرنامنج : وفقا لما هو وارد في دليل المشرفة يجب أن يتم السير في غرس أوليات السلوك الحسن كالمشاركة والمرح وحب النظام.

ب - المشرفة كنمودج سلوك : المشرفة بالإضافة إلى أهمية كونها موجها لسلوك الأطفال دون تزمر أو تسلط يجب أن تكون الشكل الذي يحتذى به . لأن الأطفال مقلدون جيدون حتى لأنبسط السلوكيات التي تصدر من الكبار . فتكون منظمة وصبورا ولا تتفعل بسهولة مع المواقف المحبطه . إن الأطفال يقلدون المشرفة في مواجهة مثل هذه المواقف ، فالمشرفة التي اندفع الماء بقوة في وجهها من الصبور وصرخت تكون قد فشلت أمام الأطفال في مواجهة المواقف المحبطه مقارنة بالمشرفة التي ابتسمت .

٤ - رؤية الآباء لدور الحضانة في تنشئة الأطفال :

إن من المدهش أن نسمع بعض الآباء يقولون إن مشكلات أطفالهم مثل العناد أو قلة الأكل أو العلاقات السيئة مع الإخوة قد قلت أو اختفت مع مواصلة الطفل الذهاب للحضانة . وتقول بعض الأمهات إن الطفل أصبح أكثر استساعا وطوعاوية . وإن كان هناك من الأمهات من يقلن إن الطفل تعلم المزيد من التمرد والعصيان وأصبح لا يسمع الكلام ، أو يقلن إن الطفل يكى باستمرار عندما يعرف أنه في طريقه إلى الحضانة .

وهكذا فليس هناك إصرار على وجوب ذهاب جميع الأطفال إلى دار الحضانة ، وتبعاً لحالة الطفل فإنه يجب أن ينظر بجدية في تأجيل ذهاب الطفل للحضانة ول يكن سنة مثلا ، ولكن من الرأي أن غالبية الأطفال تستطيع أن تتكيف مع ظروف الحضانة وتفيد منها ويساهم ذلك على تنشئتهم الاجتماعية .

ثالثاً : رياض الأطفال **Kindergarten** :

من المناسب للغاية أن يتجه المعنيون بتنشئة الأطفال للأخذ بفكرة جعل روضة الأطفال جزءاً معترفاً به من كل مدرسة ابتدائية رسمية ، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية .

ونسبة من الأطفال ليست قليلة بين الرابعة والسادسة يوجهون إلى الروضه سواء كانوا قد ذهروا من قبل إلى الحضانة أم لم يذهبوا .

ولما كانت الفترة العمرية بين الرابعة وال السادسة فترة تكيف سهل لدى الأطفال، ورياض الأطفال تسير على نفس النهج الذي تسير عليه دور الحضانة، ولا تطالب الطفل إلا بفعاليات حركية أو عقلية استكشافية أو فعاليات لعب فردية لهذا العمر. فإننا لا نبالغ إذا طالبنا المدارس الابتدائية بتقديم ودعم هذه الفعاليات بجدية في غرفة الدراسة حينما ينتقل إليها الأطفال.

وإن كانت العوامل التي أدت إلى انتشار رياض الأطفال والحضانات تكاد تكون واحدة، ومن هذه العوامل خروج المرأة للعمل، وظهور الأسرة قليلة الحجم أو الأسرة النواة. بالإضافة إلى أن البيئة خارج المنازل أصبحت خطيرة وصاخبة ولا تشبع حاجات الأطفال للانطلاق.

ولقد كان لإصدار الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ من إعلان حقوق الطفل، واعتبار عام ١٩٧٩ عاماً دولياً للطفل، أكثر الأثر في توجيه الأذهان إلى أهمية إعطاء الأطفال فرصاً أكثر مناسبة تعوضهم ما ينقصهم في بيئتهم. وهذا لا يقلل من شأن فروبل وغيره من الذين أسلوا إلى الطفولة عموماً وفكرة رياض الأطفال بافتتاحه أول روضة للأطفال في عام ١٨٣٧.

لقد أطلق Froebel مسمى «المدرسة القائمة على غرائز الأطفال الفعالة» على روضته، ثم سماها «مدرسة التربية النفسية» وبعد ذلك أطلق عليها اسم «حديقة الأطفال» ومنه ظهرت التسمية التي شاعت في جميع أنحاء العالم وهي «روضة الأطفال» ولذلك يعد فروبل المؤسس الحقيقي لرياض الأطفال.

وأعطى فروبل قيمة كبيرة للعب والموسيقا والتشكيل والرسم والتلوين، وأكد على أهمية الأنشطة اليدوية ودراسة الطفل للطبيعة.

والروضة تقدم الأفكار والمناشط في جو مرح وفي هواء طلق كلما أمكن ذلك. كما أن الاهتمام بمبادئ الصحة مثل غسل الأيدي ومبادئ الدين مثل حمد الله وشكره ومبادئ الوطنية عن طريق الممارسة الأخلاقية جزء جوهرى من مهمتها.

وتأنى Montessori في عام ١٩٠٧ م معلنة أن الأطفال ينبغي أن ينالوا قدرًا كبيراً من الحرية في عملهم تحت رعاية مشرفة، وأن المقاعد رمز للاستبداد. والأهم من ذلك أن يكون لكل طفل أدواته التي يختارها بنفسه ويعمل بها ثم

ينادى المشرفة لترى ما يفعل ، وتطلب من الأطفال الصمت لحظات أو ثوانى ثم يتتصورون ويتخيرون ويفكرون فيما يحبون أن يعملا ويصنعوا ، و تستطيع الحرية على هذا النحو تكوين نظام ، فليس النظام شيئاً مجرد قائماً على الرهبة ، ويصبح المشى في الحقول أو وسط الحديقة والمشاركة في زراعة بعض النباتات وملاحظة نوها من المناشط الهدافة .

فللروضة أهداف منها : تنمية الشعور بالثقة لدى الطفل وفي الآخرين ، في جو غير قهري ، وتنمية الاستقلالية في القبول والرفض والذهاب والعودة مع تعويذه وجود وقت لا يستطيع أن يفعل فيه كل ما يريد . مع تحبب إهراجه أو إشعاره بالخجل .

والروضة تهدف إلى تنمية رغبة الطفل في العمل مع غيره ، ويتعلم أن يكون له دور وللآخرين دور . كما أن الاعتماد على النفس من خلال خلق الأطفال للمعاطف وغسلهم للأيدي مثلاً يمكن أن ينمو . وهذا بالطبع لا يتنافي مع دور الروضة في تهيئة الأطفال لحياة المدرسة ومارسة مناشطه لمبادئ القراءة والكتابة والرياضيات مبتدئين عن طريق التلقين وعبر برامج أو أركان أعدت لهذا الغرض .

إن دور الروضة ينحصر فيما يبذلو في كونه دور تهيئة أو استعداد للدخول المدرسة وليس بديلاً عنها ، أو عوضاً لها ، فمهمة الروضة تكمن في اكتشاف قدرات الطفل ومواهبه النامية والسماح لبراعتها بالظهور عن طريق النشاط الحر الموجه ، مع تزويدها بمهارات اجتماعية مثل التحية والاستذان والعفو والسماح . . في جو طليق خال من الضغوط أو الإرهاق للطفل ، وهذا ما يجعل الطفل يشعر بأن الروضة مكان آمن يشعر فيه بالرضا ، ويزيل من نفسه ما يعتريها من رهبة أو خوف ، حين يترك المنزل ليجد نفسه في محيط جديد ، وتقوى عنده سمة الجرأة ليصبح أكثر انضباطاً وأقرب إلى النظام وأكثر تقبلاً له ، فينتظم في المدرسة فيما بعد دون جو مضطرب .

١ - بنية الروضة وأثرها في التنشئة الاجتماعية للأطفال :

في هذا النطاق يتطلب الأمر التحدث عن جانبين هما : حجم سكان الروضة والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمعها ، ولن يختلف الحديث عما عرضناه

عند تحدثنا عن دار الحضانة من قبل. إن الفارق ليس كبيراً بين الجو في دار الحضانة ورياض الأطفال كبنية، ولكن الاختلاف فيما يدرك الطفل، وفيما يرى ويسمع.

في الروضة يتسلق الطفل إلى بيئة جديدة عليه تماماً إن لم يكن قد التحق بالحضانة حيث يتساوى في المعاملة مع أطفال مثله، وهنا تمتد عملية التنشئة الاجتماعية تدريجياً، إذ إن الأمر يتطلب تعلمه كيف يتقبل ذلك ويسلك معهم السلوك المناسب - سلوك نحو الآخرين - وهنا يبدو مفهومه عن نفسه وعلاقاته بالغرباء من سن، فتنمو اتجاهاته الأخلاقية والأساليب التي تجعله يتعامل بنجاح مع الآخرين. والطفل هنا لا يعلم ماذا يحدث ولكنه يحدث.

٢- الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في الروضة:

وفي هذا نعرض لنظام برامجه العمل بالروضة والمناشط الحرة:

أ- نظام برامجه الطفل في الروضة: من غير المقبول أن روضة أطفال تكون بدون برامجه، وهناك برامج متعددة ربما تختلف باختلاف المدن داخل نفس الدولة، وقد أخذت برامجه رياض الأطفال أنماطاً متنوعة متالفة تارة ومتختلفة تارة أخرى، ولقد اقترح Doreen قضيبات ثنائية تتراوح بينها هذه البرامج.

برامجه محددة البنية مقابل برامجه غير محددة البنية.

برامجه تؤكد على المهارات المعرفية مقابل برامجه تؤكد على المهارات الوجدانية.

برامجه تعتمد على التعليم مقابل برامجه تعتمد على الاستكشاف .. وغير ذلك.

كما أن هناك ما يطلق عليه نظام الوحدات التعليمية Teaching Units. وقد وضعت Eliason مؤشرات لجملة من الوحدات التعليمية تدور حول الألوان والأعداد والأحجام ووسائل النقل والأصوات والحيوانات .. إلخ، وغير ذلك من البرامج والأنظمة.



وإن اختلفت المداخل للنظام المعتمول به نجد أنها تنطوى على أهداف لها أهميتها في التنشئة الاجتماعية للأطفال، مثل الاستقلال الذاتي والجرأة والدعاية والضحك وتعلم أدوار الجنس والإصغاء والتقييد بالتعليمات بالإضافة للعادات المناسبة للمواقف وغيرها.

ب - المنشط الحرة المنضبطة : مما يلاحظ أن البرنامج المحدد البنية لا يعني أنه محدد بصورة مطلقة، أو بصورة لا تترك أي مجال لمبادرة المعلمة، أو لاقتراحات الأطفال المفاجئة أو الآنية. كما أن البرنامج غير محدد البنية لا يعني العشوائية التي لا يحكمها ضابط، كما أن الدافعية الخارجية لا تعني التجاهل أو الإهمال لكل الدوافع الذاتية من لدن الطفل. ويفيدو من ذلك أن الطفل أمام عمل جاد مشوق. ودور يسوعب ميول الأطفال الطارئة ضمن المنشط اليومية، وهذا ما يمكن الطفل من تطوير مفهومه عن إمكاناته وذاته وضبط النفس وإدراك المسئولية والتعاون. وكلها من قبيل النمو الاجتماعي.

٣ - المشرفة وعملية التنشئة للطفل في الروضة :

تبدو الحاجة إلى مشرفات يحبهن الأطفال، في الغالب يبدأ حبهن للأطفال ويأتي في المقابل حب الأطفال لهن. مشرفة تحترم إمكانات الطفل ورغباته ولا تحكم عليه بمقاييس الكبار، لديها القدرة على أن تجعله يعبر عن أحاسيسه

ومشاشره، ومتمنكة أن تكون مستودعاً لأسراه البسيطة النامية، والإفضاء بمشاكله مع غيره.

إن دور المشرفة يجب أن يتضمن دور الملاحظ والموجه لأعمال الطفل تاركة له بعضاً من حرية التصرف، ليشعر بأنه يقوم بعمله بمحى من ذاته ووفق رغبته وإرادته، ولا يعني ذلك أن ترك للطفل في الروضة الحبل على الغارب، بل تراقبه عن كثب وتكون له القدوة. إن المشرفة تؤدي دورها متوجبة الإساءة إلى الطفل، لا توبخه أو تحرميه من المشاركة في النشاط، وعليها أن تبتعد عن كل ما هو من شأنه أن يسوء علاقتها معه، كما تزيل من نفسه ما قد يعتريها من رهبة.

فعلاقة الطفل بالمشرفة التي يراها الآن والأطفال الذين وجدوا معه سوف تحدد ماله وما عليه .. معنى الحق ومعنى الواجب .. دون أي نوع من أنواع التلقين، إنها طبيعة وجوده في ذلك المجتمع. إن ذلك أول بديابات الإحساس بالانتماء للمجتمع الذي أصبح عضواً فيه. والطفل حتى الآن لن يسمع ولن يفهم معنى كلمة انتماء في هذه السن المبكرة، ولكن بذرتها قد وضعت في أعماقه.

أما الأخلاق والاتجاهات الاجتماعية فلن تنمو تلقائياً لمجرد وجود الطفل وسط ذلك المجتمع الجديد (الروضة). إنما للمشرفة في الروضة دور هام في إعداده اجتماعياً حيث يكون الطفل ما زال متمراً حول ذاته وأحياناً مارساً للعدوان، وهو يرى المشرفة في توجيهه تصرفه وفعل سلوكيات أخرى، يحسن أنها جميلة لأنها من المشرفة التي أصبح يحبها، مشرفة أصبحت شركه معها ومع غيره من الأطفال فيتحول تمرزه حول ذاته إلى نوع من المشاركة والتعاون.

وعبر هذه الأدوار التي تقوم بها مشرفة الطفل في الروضة يمكن عرض صورها فيما يلى :

أ- المشرفة كمنفذة للبرنامج : وفقاً لما هو وارد في البرنامج المعمول به تسير المشرفة في دعم أوليات السلوك المناسب للمواقف، متاحة له فرص الإفضاء بما يخالجه والتعبير عما يشعر به.

ب- المشرفة كنموذج سلوك : المشرفة يجب أن تكون مرحة ضاحكة، مرنة الحركة مستبشرة، لا تستخدم الصراخ في توجيهه دفة الأمور، تحب الأطفال، وتظهر حبها لأدائهم.

جـ- المشرفة كمنفدة للمكافأة ولتعزيز السلوك الإيجابي المشرفة تكافئ الأطفال على أعمالهم عن طريق السماح لهم القيام بأعمال جديدة، ولا تستخدمن معهم أساليب الحرمان.

٤- رؤية الآباء لدور الروضة في تنشئة الأطفال :

إن دور الوالدين لا ينتهي بمجرد دخول طفلهم الروضة، وإنما هو امتداد لدور المنزل. وإن من الواجب أن ينظر الوالدان تبعاً لظروف ابنهما غير الراغب في تقليل فترة دوامه بالروضة.

ويقول آباء كثيرون أن الروضة بالإضافة إلى أنها أراحتهم من أطفالهم، تعلمهم أشياء مفيدة، وسلوكيات هامة للغاية. إلا أن هؤلاء الآباء يطلبون المزيد من جهود الروضة في تعليم الأطفال الكتابة والحساب واللغة، ونسوا أو تناسوا أن الهدف الأول والأهم للروضة هو العمل على إسعاد الطفل، وإكسابه العادات المقبولة في سنه وبيئته. وهي أمور أهم من التنشئة الاجتماعية.

رابعاً : المدرسة

المجال المدرسي هو المجال التربوي المقصود الذي تحدث فيه الظواهر التربوية التعليمية، وهو بالتالي مجال نفسي واجتماعي في نفس الوقت، ويقصد به جميع الظواهر التي تحدث في وقت معين بالنسبة لفرد أو مجموعة ما في جو المدرسة.

فالمجال المدرسي مجال نفسي واجتماعي، لا يمكن فيه فصل الظواهر النفسية في الأفراد عن الظواهر الاجتماعية الخاصة بالمجموعات التي تلتقي فيه وتفاعل في إحداث الظواهر التربوية. فالمتغيرات السيكولوجية الخاصة بالأفراد من حاجات وأهداف ومدركات . . . تلتقي بالمتغيرات الاجتماعية من منظومات القيم الثقافية، وهذا ما يجعل المجال المدرسي مجالاً عاطفياً لسبعين :

الأول : أنه مجال معرفة ولا يمكن أن توجد آلية معرفية بدون عناصر وجدانية، كما لا توجد الأخيرة بدون الأولى داخل المدرسة.

الثاني : إنه من حيث هو مجال نفسي واجتماعي هو مجال علاقات إنسانية، وحينما تكون علاقات إنسانية تكون هناك عواطف

إن مرحلة المدرسة تبدأ في حياة الطفل منذ السادسة فأكثـر، إنها توافق مرحلة الهدوء بالنسبة لنموه النفسي والاجتماعي، لأنـه يكون قد تجاوز مرحلة المعارضة والعناد أو في سبيـله للخروج منها. فهو بذلك قد خطـا في مراحل الاندماج الاجتماعيـ. كما أنـ حياته العاطفـية قد اغـتـلتـ واكتـسبـتـ خـبرـاتـ لا بـأسـ بهاـ، فيـ موـاقـفـهـ منـ ذاتـهـ أوـ منـ الآخـرـينـ وـمـنـ الـمـوـضـوـعـاتـ الـمـحـيـطـةـ بـهـ.

وبـعـدـ دـخـولـ الطـفـلـ الـمـدـرـسـةـ، يـصـبـعـ خـاصـعاـ لـهـاـ فـيـ نـسـبـةـ كـبـيرـةـ مـنـ وـقـتـهـ، فـالـمـدـرـسـةـ تـؤـثـرـ فـيـ بـاـ تـعـطـيـهـ مـنـ وـاجـبـاتـ مـنـزـلـيـةـ Home Assignmentsـ وـاسـتـذـكارـ وـوـاجـبـاتـ اـجـتـمـاعـيـةـ مـنـ خـلـالـ رـوـابـطـ تـرـبـيـطـ الطـفـلـ بـالـزـمـلـاءـ، وـجـمـعـيـاتـ وـجـمـاعـاتـ مـدـرـسـيـةـ.

إنـ الـبـيـةـ الـأـسـرـيـةـ وـالـوـسـطـ الـاجـتـمـاعـيـ بـصـفـةـ عـامـةـ، يـكـونـ قـدـ مـارـسـ تـأـثـيرـاتـ عـلـىـ الطـفـلـ فـيـمـاـ يـخـصـ إـعـدـادـهـ لـلـحـيـةـ الـمـدـرـسـيـةـ: فـالـأـسـرـةـ فـيـ مـوـاقـفـهـاـ مـنـ الطـفـلـ وـمـعـاملـتـهـ لـهـ طـوـالـ مـاـ مـرـ مـنـ عـمـرـهـ قـبـلـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ وـكـذـاـ الـخـضـانـةـ أوـ الـرـوـضـةـ قـدـ جـعـلـتـهـ يـحـمـلـ تـصـورـاتـ خـاصـةـ عـنـ جـوـ الـمـدـرـسـةـ، وـعـنـ سـخـصـيـةـ الـمـعـلـمـ وـجـزـءـ مـنـ دـوـرـهـ، وـطـبـيـعـةـ الـعـلـمـ الـمـدـرـسـيـ، وـهـذـهـ كـافـيـةـ لـجـعـلـهـ مـكـونـاـ بـعـضـ الـعـوـاطـفـ الـإـيجـاـبـيـةـ أوـ السـلـلـيـةـ تـجـاهـهـاـ.

لـقـدـ تـرـدـدـتـ عـلـىـ مـسـامـ الطـفـلـ مـقـارـنـاتـ كـثـيرـةـ بـيـنـهـ حـيـثـ لـمـ يـدـخـلـ الـمـدـرـسـةـ بـعـدـ وـبـيـنـ أـخـيـهـ الـأـكـبـرـ الـذـىـ دـخـلـهـاـ، أـوـ غـيـرـهـ مـنـ أـبـنـاءـ الـجـيـرـانـ الـمـنـخـرـطـينـ فـيـ حـيـةـ الـمـدـرـسـةـ. كـمـاـ أـنـهـ قـدـ تـأـهـبـ لـكـثـيرـ مـنـ الـمـوـاقـفـ الـتـىـ تـجـعـلـهـ يـنـظـرـ إـلـىـ دـخـولـ الـمـدـرـسـةـ كـمـرـحـلـةـ ضـرـورـيـةـ لـابـدـ مـنـهـاـ، وـذـلـكـ لـإـحـرـازـ قـيـمـةـ إـضـافـيـةـ لـذـاتـهـ وـتـوـسـيـعـ دـائـرـةـ مـتـلـكـاتـهـ وـتـصـفـاتـهـ. فـدـخـولـ الـمـدـرـسـةـ يـعـنـيـ اـمـتـلـاكـهـ لـأـدـوـاتـ مـدـرـسـيـةـ وـزـيـ خـاصـ، وـعـنـيـةـ خـاصـةـ عـنـدـ الـخـرـوجـ وـفـيـ فـتـرـاتـ الـامـتـحـانـاتـ.

إنـ هـذـاـ التـهـيـؤـ لـحـيـةـ الـمـدـرـسـةـ الـذـىـ تـمـارـسـهـ الـبـيـةـ عـلـىـ الطـفـلـ، وـالـتـهـيـؤـ الـذـىـ يـقـومـ بـهـ الطـفـلـ ذـاتـهـ قـدـ يـنـطـوـيـ عـلـىـ مـظـاـهـرـ سـلـلـيـةـ أوـ إـيجـاـبـيـةـ.

فـقـدـ يـغـلـبـ عـلـىـ هـذـاـ التـهـيـؤـ عـاـمـلـ الـقـمـعـ، بـحـيـثـ تـكـوـنـ حـيـةـ الـمـدـرـسـةـ وـعـيـداـ وـتـهـدـيـداـ لـاـنـطـلـاقـ الطـفـلـ وـحـيـوـيـتـهـ، وـهـذـاـ مـاـ يـجـعـلـنـاـ نـسـمـعـ صـرـاخـ الـأـطـفـالـ حـفـاـوـةـ فـيـ الـفـسـحـةـ أوـ فـيـ حـصـصـ الـأـلـعـابـ أـوـ مـعـ آخـرـ الـيـوـمـ الـدـرـاسـيـ أـوـ مـعـ آخـرـ يـوـمـ فـيـ الـدـرـاسـةـ وـبـعـدـهـ تـبـدـأـ الـأـجـازـاتـ.

كل هذه أمور تعلن أن الطفل يشعر بأن المدرسة أقيمت للحد من رغباته ولقمع حريته أيضاً. لكن الطفل يصبح مقتناً بضرورة المرور بهذه المؤسسة أو الوكالة ليحظى بالمكانة أو الاعتراف، فهو عن طوعية يشارك في قمع ذاته ومارسة الضغط على نفسه. ويعنى ذلك أن الطفل رغم ما سمعه ويسمعه عن الدراسة ويعايشه فيها يقبل عليها، وقد اتخذ موقفاً منها وتكون في أعمقها ما يشير إلى إمكانية تقبله لها أو نفوره منها. ولا شك أن باستطاعة المدرسة أن تصلح كثيراً من الموقف السالب الذي أصبح لدى الطفل ولكن يبقى دائماً موقفاً مبتدئاً له دوره وتأثيره في كثير من المجتمعات.

وللمدرسة وظيفة اجتماعية هامة، هي استمرار المجتمع الذي هي فيه، وذلك لأن تيسير لاطفال المجتمع، تمثل قيم هذا المجتمع ومعاييره، وتدريبهم على السلوك الذي يرضيه عموماً في المواقف والمناسبات، وهي بذلك وكالة من وكالات التنشئة الاجتماعية ذات الأهمية.

وقد تكون المدرسة أول مجتمع يواجه الطفل بمفرده بعد خروجه من المنزل إذا لم تسعن له ظروف الالتحاق بالروضة. ويختلف هذا المجتمع الجديد عن أسرته التي قضى فيها فترته السابقة.

إن أسرة الطفل كجماعة أولية كانت العلاقات تميز فيها بالواجهة والعمق والدفء، وإن الطفل فيها تقدر قيمته لذاته، أما الآن وقد دخل المدرسة فهي جماعة ثانوية، ليس فيها دائماً علاقات المواجهة لا بين المدرسين والأطفال ولا بين الأطفال بعضهم والبعض، فالعلاقات ليست على نفس الدرجة من العمق والحرارة.

فأعداد الأطفال داخل المدرسة كبيرة مقارنة بالأسرة، وتبدل المدرسين من عام إلى آخر، بل ومن مادة إلى أخرى يجعل تكوين مثل هذه العلاقات ونموها أمراً صعباً جداً، كما أن المدرسة كتنظيم اجتماعي له وظيفة محددة، لا ترحب بنشأة هذه العلاقات؛ لأن تقويم التلاميذ وتقديرهم جزء أساسي من وظيفتها، وإن نشأة علاقات حميمة عميقة بين المدرسين والتلاميذ أمر يؤثر في سلامة أداء المدرسة لدورها التقويمي.

إن العلاقات في المدرسة أهم ما يميزها أنها رسمية يغلب عليها الخصوص
لقواعد محددة ومعايير متفق عليها يخضع لها الجميع، أو على الأقل مطالبون
بالخصوص لها.

ويعد تقدير قيمة الطفل في المدرسة قائما على أساس مختلف عما كان في
الأسرة، ففي الأسرة كان مصدر قيمته ذاته وأنه أحد أبناء الأسرة، أما في المدرسة
فقيمة التلميذ تبع من ثلاثة جوانب.

الجانب الأول مقدار ما يستطيع أن يتعلم، أي تحصيله المدرسي، والثانى
مدى مساعيرته لأنظمة المدرسة وقواعد السلوك المطلوبة، أما الجانب الثالث فهو
مشاركته في الأنشطة اللاصفية ومدى ما يهتم به في ألوان النشاط.

والاختلاف بين الأسرة والمدرسة في طبيعة العلاقات والتفاعلات، لا يعني
فقدان أو انقطاع الصلة بين الوكالتين، فالمدرسة تدفع الإمكانيات العقلية والمهارات
الاجتماعية التي بدأتها الأسرة أو الروضة وتبني عليها ما يتناسب مع طبيعة
المجتمع.

١- بنية المدرسة الاجتماعية وأثرها في التنشئة الاجتماعية

للأطفال :

في هذا النطاق يتطلب الأمر الحديث عن أربعة أمور رئيسية هي : حجم
سكان المدرسة، وحركة المجتمع المدرسي، والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمع
المدرسة والتفاوت الاجتماعى والاقتصادى لمجتمع المدرسة.

أ- حجم سكان المدرسة : لا يختلف أن عدد الأفراد الموجودين في المدرسة
ضخم، من تلاميذ ومدرسين وإداريين . والطفل أصبح الآن - بعد دخوله ذلك
المجتمع الجديد - مطالبًا بأن يكتسب لنفسه مكاناً، واستخلاص هذا المكان
والاعتراف ليس بالأمر الهين أو الذي تسمح به المدرسة بسهولة، وإنما يحتاج إلى
مثابرة من التلميذ ومنافسة وتحلّب على الصعوبات والعقبات، وربما تعرض الطفل
للضياع وسط هذا الخضم الهائل، وخاصة عند انتقاله من أسرة تميل إلى صغر
الحجم في عصرنا الحالى إلى مدرسة تتجه إلى التضخم والاتساع، وقد يترتب على
هذا فقدان ذلك الصغير للثقة بالنفس نسبياً وربما لاحترام الذات، مما يترك آثاراً
سلبية على نموه الاجتماعي ومن ثم تنشئته الاجتماعية.

ومع الأعداد الكبيرة لا يسهل عادة إقامة علاقات اجتماعية عميقة بين التلاميذ بعضهم والبعض وبين التلاميذ والمدرسين، ولا يمكن المدرس من إنشاء هذه العلاقات بينه وبين التلاميذ بسهولة إلا إذا كان عدد التلاميذ مناسباً.

بـ- حركة المجتمع المدرسي : إن أعضاء المدرسة يتميزون بالحركة والتغير، فاللاميذ يتغيرون بالنجاح من سنة إلى أخرى أو حتى الرسوب، والمدرسوں يتغيرون مع سنوات الدراسة وربما ينقلون.

وإذا كانت هذه الحركة لأعضاء المدرسة تتيح لللاميذ فرصاً وخبرات جديدة ومواجهة مع أنماط جماعية وأفراد مثل الذين يواجههم مستقبلاً في المجتمع، فهذا أمر لازم لعملية التعليم الاجتماعي، إلا أن فيه ما يجعل الطفل غير شاعر بالاطمئنان وخاصة مع سنواته الأولى بالمدرسة.

جـ- التفاوت العمري والجنسى لمجتمع المدرسة : إن أفراد المدرسة مختلفون من حيث العمر، ففي المدرسة الابتدائية مثلاً نجد من هم في السادسة من العمر ومن هم في الثانية عشرة، وربما وجد تلاميذ وتلميذات، وربما وجد فيه مدرسوں ومدرسات من أعمار أكبر. إن هذا الاختلاف والتفاوت له أهميته في التنشئة الاجتماعية للطفل. فهو يمنح الطفل فرصاً للتعامل مع فئات عمرية مختلفة من الجنسين، مما يجعله يتعلم أو على الأقل يلاحظ بعض أنماط التعامل والسلوك. غالباً جرب بعضها وأصبح على الطريق لاكتسابها.

ومن ناحية أخرى ربما كان لذلك أثر سالب، فقد يأتي توقيت الخبرة التي يلاحظها أو يسمعها ليس في وقته أو موعده، فاللاميذ الذي لم يصل إلى سن البلوغ قد يسمع عن الاحتلام من تعامله مع تلاميذ أكبر منه.

دـ- التفاوت الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع المدرسة : لا يأتي التلاميذ في نفس المدرسة من مستويات اجتماعية واقتصادية متشابهة تماماً إلا تحت بعض الشروط، غالباً ما نجد أنهم أتوا من أوساط ثقافية واجتماعية مختلفة إلى حد ما، و يؤثر ذلك في العلاقات التي تنشأ بين التلاميذ بل وفي صبغتها.

ويعكس ذلك على تنشئة الطفل، فالحاجة المدرسية نوع من التفاعل. ولا يتوقف الأمر على مستويات التلاميذ، فلمستوى المدرسين أنفسهم أثر أيضاً، فلقد

أظهرت البحوث أن المدرسين من طبقة ما (متوسطة أو غير ذلك) يدعمون قيم واتجاهات ومعايير وسلوك هذه الطبقة في تلاميذهم من نفس الطبقة.

وربما كان هناك نمط طبقي شائع في مدرسة ما، تعكس آثاره على سلوكيات التلاميذ مقارنة باللاميذ في مدارس أخرى لهم نمط طبقي آخر أكثر شيوعاً. وعموماً فإن التكوين الطبقي لللاميذ المدرسة يؤثر على أحاط التفاعل والسلوك فيها، وبالتالي على دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية لهم.

٢ - **الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في**

المدرسة :

يطلق البعض كما سبق أن ذكرنا مصطلح ميكانيات التطبيع الاجتماعية على هذه الأساليب ومنها :

أ - عن طريق المقررات المدرسية : فقد تلجأ وزارة التعليم إلى الاعتماد على طرق مباشرة لبث قيم ومعايير غالب عليها الاتفاق في المجتمع، وتتأتى هذه القيم صراحة في الكتب المستخدمة بالمدارس وأثناء شرح المدرس، أو تحدث بأساليب غير مباشرة مثلاًما يعرض مدرس للرياضيات مسألة عن الاستثمار أو التأمين، أو عندما يطلب المدرس من التلاميذ أن يبح寇وا قصصاً عن الصدق وعن الأمانة والمنافسة أو عن الإخلاص. وعلى الرغم من ذلك فالمدرسة تعطى التفوق الدراسي في المقررات الدراسية أهمية كبيرة فيما تمارسه من أساليب التنشئة الاجتماعية للاميذها الصغار.

ب - الأنشطة المدرسية : هناك أنشطة مدرسية منظمة وموجهة ليكتسب منها الطفل بعض المعايير والقيم مثل حسن الاستماع للمتحدث، أو التوقعات المرتبطة بالمكانة للقائد والمرءوس، مثلاًما نجد في النشاط المسرحي أو في نشاط التربية الرياضية والمباريات، أو ما هو متوقع من الغالب والمغلوب في مباراة، أو المتوقع من المضيف أو المستقبل لزائر في حفل.

ج - الشواب والعقاب لللاميذ : يمارس مثلاً السلطة المدرسية الثواب والعقاب، فنجد تشجيعاً لقيم معينة وتعزيزاً لتصيرات التلاميذ بأنواع من الثواب مثل المدح ومنح الجوائز وإعطاء الامتيازات، ويحدث العكس فيما يتصل بالقيم والسلوك الذي لا يتفق مع النظام المدرسي. والمدرسة في ذلك مثلها مثل الأسرة

في تطبيق الثواب والعقاب، وإن كانت الرسمية في التطبيق من جانب المدرسة تبدو واضحة.

فتطبيق مبدأ الثواب والعقاب من جانب المدرسة نابع من أداء التلميذ وليس من كونه أبنا في الأسرة، هذا الأداء الذي يقارن في ضوء أداءات التلاميذ الآخرين وترتيباتهم فيه، ولا يتم منح التعزيز أو تقييم العقاب في ضوء عمق عاطفي كما يحدث داخل الأسرة، ولا تبدو فيه الحدة الانفعالية، فالمتفذ غير متعاطف في جميع الأحوال لأنه يطبق نظاما يعرفه الجميع.

د- تحقيق استقلالية الطفل عن الأسرة : تتمسك المدرسة بأن يخبر الطفل علاقات ومعاملات وتفاعلاته مختلفة في النوع والدرجة بما عهده في أسرته من خلال فاعالية الثواب والعقاب المستخدم، وتحرص المدرسة على هذا الاستقلال باعتباره شرطا لازما لنجاح ما تفعله لتنشئة الطفل اجتماعيا.

هـ- تقديم نماذج للسلوك : وهو من الأساليب التي تقوم بها المدرسة لتنشئة الأطفال، إما بالحديث عن النموذج وشرحه ومناقشته بقصد الترغيب في الخصائص المقبولة، أو بمجرد عرضها دونما ترغيب، أو دعوة للاقتداء بالنماذج. وعلى أية حال فتأثير الطفل بالنماذج متوقع في الحالتين.

ومع كل الأساليب التي تتبعها المدرسة في سبيل تنشئة الأطفال، لا يخفى على الأذهان، أن الطفل لا يبقى خاملا أو مستقبلا للأساليب المستخدمة معه، فالللميذ يلاحظ ويعيش كل ما يجري في المدرسة من أحداث صغيرة وكبيرة، تتعلق بالزملاء أو بالمدرسین أو حتى أصحاب السلطة، وما يدور فيها من مناسبات كالامتحانات أو زيارة المسئولين. إن التلميذ ليس مسجلا جيدا فحسب بل مشاركا فعالا في كل هذه المناسبات، وله دوره النشط الذي تقصده المدرسة أو تسهل له أن يتبنّاه.

٣- معالجة آثار الإحباط على التلاميذ أثناء تنشئتهم داخل المدرسة :

الأمر مختلف تماما بالمدرسة، فليس من الضروري في المدرسة - كما هو الحال في الأسرة - أن نقوم بمعالجة آثار الإحباط أو الألم الناتج من الحرمان من ممارسة نشاط داخل المدرسة، أو عدم الحصول على جائزة لتدنى مستوى التلميذ،

أو خفض درجته في السلوك مع نهاية الشهر لتجاوزه حدود الألفاظ اللائقة مع الزملاء، أو توقع أي نوع من أنواع العقاب الأخرى المسموح بها في المدارس.

٤- المدرس وعملية التنشئة الاجتماعية :

المدرس هو المركز الذي تلتقي عنده بالתלמיד كل النظم الموضوعة في المدرسة وكل الأساليب المتبعة للتنشئة الاجتماعية.

والمدرس له عدد من المكانات والأدوار الاجتماعية التي تحددها المؤسسة التي يعمل بها، وهو يعمل و يؤثر في التنشئة الاجتماعية للطالب من خلال هذه المكانات والأدوار.

والتלמיד يدرك المدرس بصورة قد تتفق أو تختلف عن تلك الصورة المحددة اجتماعياً بواسطة نظم التعليم أو التربية، ولا يمكن أن نغفل البصر عن خصائص المدرس ونواحي شخصيته وانعكاساتها على دوره.

ثم ظاهرة مؤكدة يعرفها كل من مارس مهنة التعليم، كما يعرفها عن تلاميذه الأطفال أو حتى المراهقين، تلك الظاهرة هي المحاولة المبدئية من جانب المدرس والمدرس لتصنيف الآخر.

فأول ما يفكر فيه المدرس هو أن يعرف نوعية التلاميذ الذين وكل إليه أمورهم، كما أن التلاميذ يقومون بنفس المحاولة، وفي ضوء هاتين المحاولاتين نجد الهدف هو العثور على مفتاح شخصية الطرف الآخر للسيطرة عليه وربما أسره.

وإذا كانت للمدرسين وسائل وظاهر أرقى لتحقيق هذا الأسر، فإن التلاميذ قد يتخذون في هذا السبيل ما يدعون أحياناً إلى الرثاء، لو أن بعض المدرسين يقعون مع ذلك فيها، مثال ذلك ما يلاحظ من سابق فئة خاصة من تلاميذ الفصل على تقديم بعض الخدمات للمدرس، كتنظيف المكتب أو مسح السبورة .. إلخ. مع أن مثل هذه الأفعال يمكن أن تتحقق في جو من التنظيم مبني لقائدة الجماعة وليس للتقرب من المعلم.

إن التلاميذ رغم صغر سنهم في المدرسة الابتدائية، يبدون وكأنهم سيكولوجيون صغار بالنسبة لعلميهم أو بالنسبة لآبائهم حينما كانوا يعتمدون المساومة لتحقيق المطالب أو وصف الطرف الآخر.

ومن الملاحظات أن نجد المدرس وهو يسأل تلاميذه الصغار بطرق متنوعة عن أفضل مدرس بالنسبة لهم، فهذه الواقعة التي تبدو في ظاهرها مجرد فضول، إلا أنها تدل في عمقها على أن المدرس يسأل في سبيل جلب الاعتراف بأنه الأحسن، أو ليتعرف على الأقل على الصورة المفضلة لدى التلاميذ التي يمكنه بواسطتها أن يستحوذ على دارسيه، وهو نوع يشبه نوع الموقف الذي يتخذه أحد الوالدين سائلاً الطفل إن كان يحب أمه أو أباً أو أيهما أفضل ولماذا؟ إنه موقف المساومة والارتقاء العاطفي والأنانية في الاستحواذ على الطفل.

ومع أهمية مثل هذه المواقف في العلاقة الناشئة بين المدرس والتلميذ، وقوة دلالتها، على أن دور المعلم في المدرسة يتحدد بواسطة هذه التصورات التي يكونها من الواقع، أو انطلاقاً من تصورات التلاميذ.

ومهما كان الأمر فإن للمدرس أدواراً من المقيد أن نستعرضها :

أ- المدرس كمنفذ سياسة : وفقاً لما تتطلبه سياسة المدرسة، يعمل المدرس على إكساب التلاميذ القيم والمعايير وأنمط السلوك التي تعكس سياسة السلطة التربوية في المجتمع، وليس من حقه التغيير، وإن كان تنفيذ هذه الممارسات للإكساب يعكس ذاتية المدرس وخصائصه الشخصية، وربما وقع في صراع بين السياسة المطلوب تنفيذها منه وما يؤمن به، إلا أنه في النهاية عليه أن يسير طبقاً للسلطة التربوية الكبرى، وهو في ذلك يكون قد اتخذ أحد المسالك لعملية التنشئة الاجتماعية للتلاميذ.

ب- المدرس كممثل سلطة : السلطة داخل المؤسسة التعليمية ضرورية، وللمدرس نصيب منها يقدر ما يسمح له بإحداث التأثير المناسب في مجالات ضبط سلوك التلاميذ والحكم عليهم واتخاذ قرارات تتصل بهم.

والللميذ هنا من خلال تفاعله مع مدرسه الذي يعتبر مثل السلطة، يتعلم أن هناك قوى مراقبة لضبط سلوكه، وأن هناك سلطات تقدير وتقدير ترنه وتحكم عليه حسب أدائه وسلوكه.

ج- المدرس كنموذج سلوك : المدرس يجب أن يكون مثالاً أو نموذجاً لللاميذ، ومتوقع منه أن يسلك تبعاً لصورة لها أهميتها. إلا أن الأمر يختلف بين التلاميذ عند اتخاذهم مدرسيهم أو أحدهم نماذج لهم. فاللاميذ الذي يتمتع بمستوى

اقتصادي مرتفع قد يحب مدرساً ويحترمه ولكنه ينظر إليه أنه من فئة أخرى أو من جماعة معينة، وربما نظر إليه على أنه أقل منه في المستوى بحيث لا يسمى أن يصبح مثله، بعكس الحال إذا نظر إلى هذا المدرس تلميذ له مستوى اقتصادي منخفض. وهذا لا يعني أن التلميذ صاحب المستوى الاقتصادي المرتفع لا يتأثر ببعض السمات البارزة في هذا المدرس.

إن التأثير العاطفي لشخصية المدرس في التلميذ، يأتي من مبدأ اتخاذ المدرس كنموذج، فكل الظروف القائمة في مجال المدرسة وشروطه المادية والمعنوية، ومضمون عملية التنشئة التي يقوم بها المجتمع تؤدي إلى هذه النتيجة. وإن المدرس نفسه وهو يتعامل مع التلميذ يكون في ضوء هذا المبدأ، كما أن التلميذ يعامل المدرس على أساس منه.

وهذه النموذجية الشاملية على المستوى المعرفي والأخلاقي والوجوداني هي ما يجعل العمل التربوي صعباً، وهو أمر واضح من تردد وتحفظ المبتدئين في التدريس أو المقبولين عليه. وهذا التأثير للنموذج ربما استمر معهم وعلق بهم إلى مراحل متأخرة من حياتهم، وخاصة ما يتصل بالجانب الخلقي والمهني من شخصية المدرس.

د- المدرس كممثل قيم : إن المدرس في سلوكه ومن خلال مركزه الاجتماعي يعكس العديد من القيم مهما اختلف المدرسوون، مثل قيمة النظام، وقيمة المعرفة والتحصيل، وقيمة المسيرة الاجتماعية أو التمشي مع الأوضاع. ويتأثر التلميذ عبر سلوك المدرس وتصرفة في المواقف بهذه القيم، في الفصل أو أثناء النشاط أو أثناء حفلة أو مباراة.

ه- المدرس ككفيل أو مُعيل **Supporter** : ربما كان أعمق تأثير للمدرس في نمو التلميذ اجتماعياً، هو ما يشعره التلميذ بأنه مكفول بالمدرس أو أن المدرس راع له. تلك العلاقة التي تقوم على الاهتمام والحرص من جانب الكفيل (المدرس) على المكفول (التلميذ) وتنعكش من التلميذ في صورة احترام أو إعجاب بهذا المدرس، ويسقط معها الفتور بين التلميذ والمدرس مع بقاء الموضوعية والاتزان.

٥ - نماذج العلاقة بين المدرس والتلميذ أثناء تنشئته :

إن العلاقة بين المدرس والتلميذ وشكلها لها أثر فعال على تنشئة التلميذ اجتماعياً. إن هذه العلاقة هي علاقة بين طرفين أحدهما أدنى والأخر أسمى، فالمدرس مكتمل افتراضاً وغواص يحتذى به، والتلميذ تابع في مرحلة التكوير، والمدرس كممثل للسلطة يوقد في التلميذ ردود فعل من قبيل مشاعره نحو الأب. ولا يعني هذا أن صورة كل من الأب والمدرس تتطابقان، أو أن تأثيرهما واحد على التلميذ.

ويمكن إجمال نماذج المواقف بين المدرس والتلميذ في ثلاثة :

أ- الفتور : في مثل هذا الموقف يتمثل التلميذ كوسيلة يؤدى بها المدرس وظيفته التعليمية، أو يرضى بها رغباته الشخصية.

وفي هذه العلاقة يصبح الهم الرئيسي للمدرس هو ضخ المعلومات في ذهن التلميذ، وبلغ حد اللامبالاة بهذه الفتة من المدرسين إلى انعدام أي قلق يمكن أن يخامرهم حول مدى استجابة التلاميذ لعملهم، أو حتى حول ما حُشر في أذهانهم من معلومات. فموقف المدرس هنا خال من كل لون عاطفي وأحياناً يهتم المدرس بالسرد والشرح لحبه مادته وحبه لإثبات ذاته. والأمر هنا ينطوي على أنانية من المدرس.

ولا يمكن الحديث عن أي علاقة هنا، لا علاقة الخضوع أحياناً للتلميذ والنفور أحياناً أخرى من المدرس ومادته.

ب- المبالغة في حب التلميذ : على النقيض من الموقف السابق، إنه ليس موقف الخلو من الدفء العاطفي، بل موقف فيض الحرارة العاطفية. يظهر هنا الاهتمام الزائد بالتلميذ والغيرة الشديدة على مستوى التحصيلي، ومستوى أدائه عموماً، إنه موقف حب التلميذ، يهدف المدرس من ورائه إلى اقتناص الضاحية (التلميذ) وربطه في حبائل علاقة لا يريد له منها فكاكاً، إنه استحواذ، وهو مظهر لأنانية من جانب المدرس أيضاً لا تناح معه للطفل فرصة المناخ الضروري لتبلور عاطفة إعجاب، ولذلك فهذا الأسلوب وإن اختلف مع موقف الفتور واللامبالاة السابق في مظهره لا يختلف عنه في طبيعته، فكل منهما موقف تسلطي. وإن كان

الموقف الأول يؤدى إلى موقف سلبى فى التلميد، فإن الموقف الثانى يولد داخل التلميد صراعاً وتوترًا وربما تمنى الفكاك من هذه العلاقة.

وتعتبر درجة النضج الاجتماعى والعاطفى للمدرس من الأمور التى لها أهميتها فى هذا الشأن، وتؤدى إلى تكوين مواقف عاطفية مناسبة إزاء الدراسة عموماً.

جــ الاعتراف بشخصية الطفل : إنه موقف خال من الأنانية، موقف يعترف باستقلالية الطفل، ويترك مجال النمو العاطفى للطفل مفتوحاً، لا يأسره بحب زائد ولا يقتل فيه اعتبار الذات عن طريق لا مبالاة عاطفية أو تحكم ضمنى.

إن الطفل شديد الحساسية بمحاذيف الآخرين إزاءه، لذلك فهو أقدر من غيره على استشفاف دلائل الاعتراف بشخصيته، وهو قابل للإجابة بالمثل، وهذا ما يؤدى إلى تكوين علاقة انسجام بين المدرس والتلميد مبنية على افتتان التلميد شعورياً ولا شعورياً بمنموذجه (أستاذه) خارج كل قيد مادى أو معنوى.

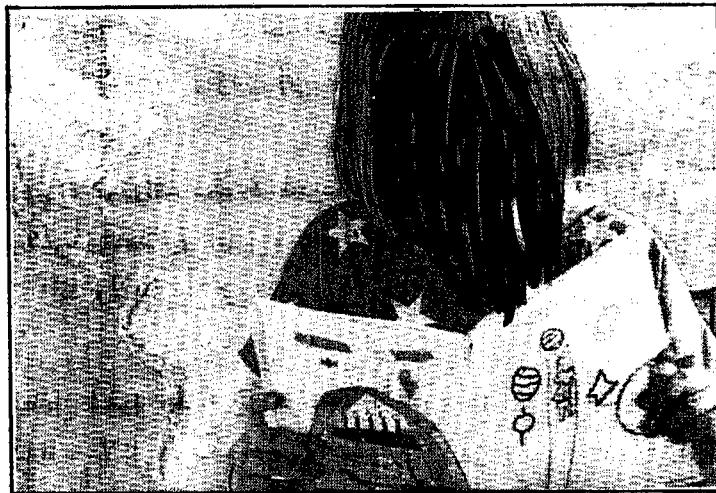
ويعمل المدرس نتيجة نضجه على تخلص التلميد من الأسر الوجدانى، والخروج به من دائرة التقليد والاحتذاء، ليمارس قدرته على الاختيار.

ويفضل علاقة الانسجام العاطفى ونكران الذات هذه يتكون ثنائى مثالى Ideal Couple بين المدرس والتلميد، وفى ظل هذه العلاقة تنمو عواطف الاحترام للذات وللغير، وللمدرس خصوصاً، ولا يجب أن يكون التصور من هذا الحديث وجود علاقة ذات بعد واحد، لأن علاقة الانسجام الحقيقية بين المدرس والدارس ليست مجرد حوار بين شخصين، بل تأخذ مضمونها كعامل فى إطار الفصل الذى يدرس فيه التلميد من حيث هو مجموعة تلاميد أو ما يعبر عنه الفصل - المجموعة Groupe - Class وبذلك تكون هذه العلاقة ذات امتداد فى جميع الاتجاهات.

٦ـ معالجة ما يصيب المدرس من إحباط أثناء قيامه بالتنشئة :

يصاب المدرسوون غالباً بخيبة أمل مع بعض تلاميذهم، ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هؤلاء الأساتذة من أصحاب المبالغة فى حب التلميد أو حتى الذين يعترفون بشخصية التلميد. وذلك يجعل المدرسين فى حالة من التوتر والقلق إزاء ما كانوا يتوقعونه وما حدث بالفعل سواء من تفوق أو تأخر للتلميد أو حتى سلوك صدر

منه. وربما قال بعض الأساتذة إن هذه المهنة سيئة، أو وضعوا لها أمثلاً تشير الضحوك أحياناً، وتتواسي المدرس المنفعل أحياناً أخرى.



وقد أشرنا أنه لا توجد أساليب لمعالجة إحباط الأطفال في المدرسة تخفف من عنائهم، وكذلك لا توجد وسائل لمعالجة ما يحدث للمدرسين من إحباطات. ولكن الأحاديث الصريحة التي تتم بين المدرسين أحياناً، وتوقيع العقاب على التلاميذ المخالفين ربما يخفف القليل من آثار الإحباط. كذلك تعد النتائج الإيجابية مع نهاية الامتحانات ليست فقط إشباعاً حاجة المدرسين إلى التقدير بل وتخفف أيضاً من عناء الإحباطات، بالإضافة إلى الامتحانات القليلة التي ربما يوجهها بعض الآباء المخلصين لمدرسي أبنائهم.

ومن الآراء الحديثة إشراك أحد تلاميذ الفصل ليقوم بدور المدرس (قرين المدرس) Peer - Teacher وفي الغالب ما يكون أكبر التلاميذ عمراً، يعاون المدرس ويعلم الأطفال الأصغر. ويستفيد من هذا الأسلوب كل من المدرس والطفل الأكبر والطفل الأصغر. ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام عرفته التربية الإسلامية وانتشر باسم «العريف» الذي يطلق على التلميذ الأكبر الذي يتمكن من ضبط سلوك التلاميذ في غيبة المدرس، ويقلل هذا الأسلوب نسبياً من بعض الإحباطات.

٧ - رؤية الآباء لدور المدرسة في تنشئة الأطفال :

معظم الآباء يتوقعون أن تقوم المدرسة بمعاونة الأسرة في تنشئة الأطفال اجتماعياً، أي بتدريبهم بشكل واع على اكتساب القواعد الأخلاقية والاجتماعية. فإلى جانب المهارات المعرفية التي يتعلمها الطفل في المدرسة كالقراءة والحساب والكتابة فإنه يجب أن يكتسب معلومات عن المعايير والقيم والأدوار الاجتماعية.

ولكن في حين يتفق جميع الآباء أن يتعلم أولادهم الكتابة أو غيرها نجدهم يختلفون فيما يتعلق بالمعايير والوسائل التي تتخذها المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية.

ويرى البعض مثلاً أن على المدرسة أن تؤكد على صفات الطاعة والأدب، ويرى آخرون ضرورة معاونة الطفل على التعبير عن ذاته وثقته بنفسه، ويرى البعض الآخر أن تكون التنشئة دينية.

هناك قواعد أخلاقية واجتماعية تعمل في ضوئها المدرسة مثل التأديب والطاعة . . . وقد لا يكون مثل هذه القواعد أهمية أو غير مناسبة للبيئة خارج الفصل، حيث يكون التقييم بين الأقران قائماً على مبدأ الشجاعة والجرأة والاستقلالية والحرية.

ولا تسلم الوكالات التعليمية والتربوية عموماً من تفريط أولياء الأمور وملحوظاتهم رغم الموقف الضخم الذي تقوم به هذه الوكالات مع أعداد كبيرة من الأطفال.

خامساً : جماعة الرفاق (الأقران - الأنداد) Peer - Group

يبدى الأطفال بعض مظاهر المشاركة الوجدانية مع بعضهم البعض من سن مبكرة. ولا نغالى إذا قلنا أنها تبدأ من العام الأول للميلاد، فنجد أن الطفل يلاحظ غيره من الأطفال ي يكون فغالباً يبكي مثلهم. ويزداد تأثير الأقران في سن المدرسة وقبلها بقليل حيث يطرأ على سلوك اللعب عند الطفل تغير ظاهر في نمط اللعب.

فيتحول نمط لعب الأطفال من اللعب الانعزالي Isolated Play إلى اللعب الاجتماعي Social Play ويلاحظ تفضيل الطفل اللعب في جماعة الأقران عن اللعب مع الكبار.

والجماعة جملة أفراد أو أشخاص، تربط بينهم علاقات متبادلة ومترادفة، ويضمهموعي، ولا يمثل دخول فرد فيها زيادة عدديه فحسب، بل تغيراً كييفياً فيما يخص تأثيراتها الوظيفية السلوكية فيه.

والجماعة تبدو كلاً مخالفًا لمجموع عدد أفراده، ليست منعزلة بذاتها، بل توجد داخل تنظيم اجتماعي تظل تتأثر به مستمدة منه نماذجها، ومتفاعلة على نحو ما مع بقية ما فيه من مجموعات أخرى، هذه المجموعات التي تتفاوت في مقدار اتساعها، ومدى توافر أعضائها، بحيث يمكن التمييز بين جماعات كبرى وجماعات صغرى . . . كما أن الجماعة كييفما كانت حدودها ومداها، تحتوى داخلها على ترتيب وتنظيم للأعضاء حسب أدوارهم ومستوياتهم.

فهناك منصب الرئيس أو القائد أو الزعيم Leader ومن ينوب عنه أو يساعدته، أما الطابع العام لسلوك جميع الأفراد فهو التعايش والتعاون.

واللائمذ في الفصل، من حيث إنهم مرتبطون بعلاقات متبادلة فيما بينهم، وبوحدة ويانمط ثقافية مشتركة، يكونون بالفعل جماعة، وهو قابل كمجموعات كبرى نسبياً إلى أن يضم مجموعات صغرى .

إن وجود الطفل في المدرسة بين مجموعة من الرفاق يجعلنا نرى في هذه العلاقة صورة جديدة لعلاقة سبق أن عرفها في الأسرة، وهل علاقته بإخوته، فلكل من مجموعة الإخوة في الأسرة ومجموعة رفاق الفصل الدراسي توجد مرحلة تكوين يشرف عليه ويوجهه كبار. مما يجعل الاهتمامات والمطامح والمشاكل مشتركة بين رفاق المدرسة، كما كانت هناك اهتمامات ومشاكل مشتركة بين كل طفل في الأسرة وسائر إخوته. وهذا بالطبع لا يعني أن هذه العلاقة نسخة طبق الأصل من علاقة الطفل بإخوته، وبالتالي فليس من الضروري أن يتربت عليها نفس التأثير العاطفي الذي يتربت على علاقته بإخوته. غير أن ما نعنيه بتشابه العلاقاتين هو أن الطفل مستعد للدخول في علاقة مع آخرين، بناء على خبرة تكونت لديه في ضوء علاقته بإخوته، بجوانبها السلبية والإيجابية.

ولا شك أن العلاقة بالإخوة إذا كانت قد سارت في طريقها الإيجابي السليم من ناحية تأثيرها العاطفي، أصبح سهلاً على الطفل الاندماج والتفاعل مع جماعة الرفاق بالفصل المدرسي، إلا أن كل علاقة مع ذلك تبقى لها تأثيراتها العاطفية الخاصة. وعلى الأقل فإن عمق العلاقة بين الإخوة، رغم ما فيها من صراعات أحياناً، تساعد الطفل على تحمل الصدمات المتطرفة في علاقاته الجديدة مع جماعة أو جماعات الرفاق. وتبقى له الجماعة الثابتة المستقرة التي يلجأ إليها كلما احتاج إلى ذلك.

وتقوم جماعة الرفاق أو الصحبة أو الأقران أو الشلة بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي تؤثر في قيم وعادات واتجاهات الأطفال، وحتى الكبار. وفي الصحبة، يجد الطفل مجموعة من الأطفال يتصل معهم ويقاربونه في العمر والميول.

ويحرص الفرد في أي مرحلة عمرية يصل إليها على الانتماء إلى جماعة من الأصدقاء يتقاربون معه في العمر من أجل تحقيق قدر من التفاهم المتبادل، وقدر من الإحساس المشترك. كما أن مدى تأثر الفرد بالجماعة أو الصحبة ومدى ما يتقبله من قيمها واتجاهاتها ومعايرها يتوقف على درجة علاقة الفرد ب Shelley، فكلما ازداد مدى تمثيل الفرد لما اصطلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكية دل ذلك على قوة ارتباطه وتأثيره بها.

ويبقى باستمرار المبدأ الذي تقام عليه جماعة الرفاق أو الأقران، هو تكونها من أعضاء يتعامل كل منهم مع الآخر على أساس من المساواة سواء كانت تتكون من أفراد أو راشدين.

وأساس المساواة هنا في التعامل والتفاعل بين الأطفال، له وجهان: أحدهما إيجابي ويتمثل في ضم أطفال آخرين من نفس العمر تقربياً وغالباً من نفس الجنس ويستطيع أن يتعامل كل منهم مع الآخر على أساس المكانة المتساوية. والجانب السلبي هو استبعاد الراشدين منها أى من هم ليسوا آباءً أو أمهات أو مدرسين، ويعتبر هذا الرشد حتى وإن وصلت الجماعة في عمرها إلى مرحلة المراهقة بمثابة مكانة لغتراب . Status of Alien

١ - البنية الاجتماعية لجماعة الرفاق وأثرها على التنشئة

الاجتماعية للأطفال :

إن البنية الاجتماعية لجماعة الأقران ليست على نفس المستوى من التحديد والتعقيد كما هو الحال في الأسرة أو المدرسة، ورغم ذلك فإنه يمكننا التحدث بخصوص هذه البنية عن بعض الأمور الجديرة بالتناول.

أ- حجم جماعة الرفاق : يصل حجم جماعة الرفاق في الغالب إلى ثلاثة أفراد فأكثر، ويظهر الأطفال الكبار أن الانتماء إلى هذه الجماعة يخلصهم من حصار الأسرة، يتصرف في رحابة كما يشاء، ويكتشف الطفل حينما يصبح على مشارف البلوغ أو قبلها بقليل أنه مكبل بأغلال أقوى مما كان يتوقعه وإن كانت من صنع جماعة الرفاق أنها جماعة ضاغطة Pressure Group، ويعجد نفسه منقاداً لضغوط الجماعة سواء شاء ذلك أم أبي، وذلك كسباً لرضاه أعضائها وحرصاً على تقبيلهم الدائم له.

ب- استمرارية جماعة الرفاق : ليس من خصائص جماعة الرفاق استمراريتها إلى فترات زمنية طويلة، فهناك جماعات رفاق تستمر لأشهر معدودة كما أنها لا تتجدد ولا يحتفظ بكيانها بالأعضاء أنفسهم.

وإن كانت هناك حالات معينة تحتفظ بها الشلة Clique بوجودها واستمراريتها مثل مجموعة المكفوفين من أبناء حى معين أو أبناء لطبقات عليا في المجتمع التي يكون استمرارها وسيلة لتحقيق بعد نفسي أو اجتماعي.

ج- التجانس العمرى والجنسى : غالباً ما تقوم جماعات الأقران على أفراد من نفس العمر ومن نفس الجنس، فهناك جماعات أفرادها إناث، وأخرى أفرادها ذكور، ونادراً ما تنشأ جماعات تشمل الجنسين معاً في مجتمعاتنا العربية.

د- البساطة والتعقيد : هناك أشكال من جماعات الأقران يمكن تصنيفها على النحو التالي :

(١) جماعة اللعب : وهي أبسط أنواع جماعات الأقران، وتتكون بصورة تلقائية لإشباع الحاجة إلى اللهو أو اللعب والمرح. وتظهر أول ما تظهر بين الأطفال في الفئة العمرية ٣ - ٤ سنوات. وليس لهذه الجماعة أى قيود أو قواعد مشتركة.

(٢) **جماعة اللعبة** : وهى جماعة تشارك فى لعبة جماعية مع تأكيد على قواعد وأصول وقوانين للعبة يجب الالتزام بها، وفيها يقع الثواب والعقاب بناء على الالتزام. وهنا يبدأ التشكيل الاجتماعى للأدوار والمكانة لكل عضو.

(٣) **الشلة (عصبة Clique)** : وهى مستوى أعلى من التعقيد فى المشاركة الحميمية بين الأفراد، وفيها لا يسمح بدخول أفراد معينين داخلها ويكون هناك اتفاق على استبعاد نوع معين من بينها، وتصل درجة التماسك وال العلاقات الحميمية بين أفرادها إلى اتخاذ أنماط سلوكية مشتركة، تصل أحيانا إلى ارتداء نفس النوع أو الشكل من الزى. وتعد جماعة الرفاق عندما تصل إلى هذا المستوى مصدر إشباع عاطفى لأعضائها. والشلة بين أبناء الطبقة الوسطى تبدو أكثر رسمية وتقيدا بعكس الشلة من أبناء الطبقة العليا وأبناء الطبقة الدنيا.

(٤) **العصابة Gang** : وهى أقصى درجة من درجات التعقيد والتنظيم، وإن كان أهم ما يميزها الصراع مع السلطة أو مع عصابات أخرى. ولدى أفرادها خبرات متراكمة من الصراع، ورموز مشتركة وشعارات وإشارات، وتعتبر ثوذاجا اجتماعيا لما يمكن أن يصل به شكل جماعات الأقران نتيجة لظروفهم من قوة ضغط على سلوك أعضائها والانقياد لأوامرها.

(٥) **جماعات تلقائية النشأة ورسمية التكوين** : وهى التى تتكون فى الأندية أو المدارس، وربما تحولت إلى جماعة أقران على شكل الشلة بعد فترة من التفاعل وغالبا ما يشرف عليها الراشدون، وهذا ما يجعل البعض يقول إنها ليست من جماعات الأقران. لأنها تنشأ من أعضاء يتلقون وجهة نظر الراشدين فى الأمور العلاقية لأعضاء هذه الجماعة، وهى ليست مجالا لتفريغ التوتر والشحنات الانفعالية نتيجة مسار الأفراد أثناء عملية التطبيع، وإن كانت تسمح بجزء منها أحيانا.

إذا كانت الصحبة عموما لها وظائف جوهرية للأطفال، منها أن يجد الطفل من يسأله من الأفراد من نفس سنه، وتنمية الإحساس بالقيم والحساسية نحوها

وتوصل الطفل إلى مستوى مناسب من الاعتماد على النفس بالإضافة إلى المساهمة في تكوين الاتجاهات والأدوار الاجتماعية، إلا أن أثر الصحبة في عملية التنشئة أثناء مرحلة الطفولة يظهر في عدد من النقاط:

- دخول الطفل في جماعة يعد نوعاً من النشاط الاجتماعي وتكون الصداقات ومن ثم النمو العاطفي.

- الالتزام بالقواعد خشية الوقوع في النقد.

- الدخول في أدوار اجتماعية مثل الرعامة أو القيادة.

- الشعور بالاستقلالية والاعتماد على النفس والقدرة على اتخاذ قرارات بسيطة.

- الدخول في ممارسات لتجريب بعض أنواع السلوك الجديدة أو المحرّم التحدث عنها داخل الأسرة أو المدرسة.

- إتاحة الفرصة لتقليد سلوك الكبار في جو سمح أو مرح.

- إتاحة الفرصة للالتزام وتحمل المسؤولية.

- إثياع أهم حاجات الأطفال غير الأولية وهي: الحاجة للشعور بالمكانة والانتفاء.

- إكمال ما ينقص الطفل من معلومات لا توفرها الأسرة أو المدرسة أو تتجنبيها (الحرمات الاجتماعية).

- تساعد الطفل في الحصول على استقلال شخصي عن الوالدين أو المدرسين.

- ملأحة التغيرات والألعاب الجديدة.

- ممارسة أدوار اجتماعية مثل صلح الأقران، أو إثارة الخلاف.

- تتمي الاعتراف بحقوق الآخرين.

أ - موقع الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة في جماعة الأقران :

تعمل في جماعات الأقران وسائل أو أساليب للطبع أو التنشئة الاجتماعية

تعرضها على النحو التالي

١- **الثواب والعقاب** : إن وجود أفراد داخل جماعة الأقران يلزم كلاً منهم بأثنيات السلوك، وكل فرد يهمه أن يحظى بانتباه وتقدير ورضى باقى أفرادها، أو يحصل على رضى المهمين فيها وألا يستمر فى عضويتها وتلفظه الجماعة. وهنا يكون العقاب، وربما اقتصر على الاستهزاء أو البذ. ويكون الاحتراز لعضو الجماعة بمثابة مكافأة أو إثابة له، وربما السماح للمشاركة أو الانضمام للأنشطة.

٢- **النماذج** : داخل جماعة الأقران، قد يصبح أحد الأعضاء ذات قيمة خاصة تجعل منه مثلاً يحتذى، ويحاول أن يتوحد أو يتقمصه باقى الأعضاء ويكون باقى أعضاء الجماعة أكثر استعداداً لتبليغ أفكاره وأرائه.

٣- **المشاركة في اللعب** : وهي خاصية أو أسلوب لا يظهر تأثيره بوضوح على التنشئة الاجتماعية مثلما نجده في جماعة الرفاق، وإن كان هذا الأسلوب يعد مستنبطاً على أساليب أخرى مثل أسلوب الشواب والعقاب، فعن طريق اللعب يعرف الطفل الحدود الالزامية لممارسة اللعبة والقواعد المنظمة لمشاركته أو إخراجه نهايأ. وقبول الطفل لهذه القواعد يحدث تدريجياً، وهو خبرة لها قيمتها في تطبيع الطفل، لأنها تضعه وجهاً لوجه مع خاصية هامة من خواص المؤسسات الاجتماعية، وهي الالتزام حتى تستمر عضوية الفرد.

٣- معالجة آثار الإحباط أثناء التنشئة داخل جماعة الأقران :

هناك أمور محطة على بعض أعضاء الجماعة، فعدم الاعتراف بأهميتهم أو أهمية ما يبدون، ربما يسبب نوعاً من الإحباط، ولا تقوم جماعة الأقران في أغلب الأحوال لإزالة هذا الشعور، وبخاصة أن الفرد أصبح عضواً فيها، وربما وصل الأمر لعلاقات حميمة بين الأعضاء، ويكون التسامح من العضو في حد ذاته أو ارتباط المكانة وسط هذه الجماعة وارتباطه رواد له أو رضى زعيم الجماعة، بمثابة تخفيف لما أصابه من إحباط. وإن كانت هناك جماعات رفاق تخفف من آثار الإحباط التي بدت على بعض أفرادها من منطلق العاطفة التي تربطهم ومدى الجرح الذي أصاب العضو. كما أن لساندة الجماعة للعضو مقابل الجماعات

الأخرى، وإفادته بالرأي في مشكلاته الخاصة والصعوبات التي تقابلها أحياناً، والأمور - التي تتطلب منه اتخاذ قرار - تجعله يتسامح فيما أصبه من عقاب أو إحباط من الجماعة نتيجة اختلاف في الرأي أو عدم التزام بقواعد متفق عليها أو متعارف عليها.

٤ - رؤية الآباء لدور جماعة الأقران في تنشئة الطفل :

ليس لدى الكثير من الآباء فهم واضح لجماعة الرفاق أو الأقران، وإن كان بعض الآباء يعتمدون عليهم في تصفية بعض مشكلات الأطفال مع الأسرة وبخاصة الأطفال الكبار والراهقون، وربما يعتمد عليهم بعض الآباء في تصفية الخلافات بين الأطفال.

إلا أن المفهوم الشائع لدى الآباء كما يشير إليه Krumboltz وزميله هو قلق الآباء بسبب خضوع أبنائهم لتأثير الرفاق، وبخاصة إذا كانت صورتهم لدى الوالدين أنهم رفقاءسوء أو هم كذلك فعلاً، لأنهم يشكلون مصدر خطر كبير على سلوكاتهم. وينصح الآباء بضرورة تعليم أولادهم، أثناء تنشئتهم، أساليب المناقشة والمحوار لأية معايير أو قرارات أو التزامات تفرض عليهم دون خوف وبلا تردد أو امتحان تلقائي، ولا غبار على رأي الآباء فهم حريصون على أطفالهم.

يقول رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا مُثِلُ الْجَلِيلِ الصَّالِحِ وَجَلِيلُ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ : إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ إِمَّا أَنْ تُبَاعَ مِنْهُ، إِمَّا تُجَدَّدَ مِنْهُ رَائِحَةُ طَيْبَةٍ. وَنَافِخُ الْكَبِيرِ : إِمَّا أَنْ يَحْرُقَ ثِيَابَكَ، إِمَّا أَنْ تُجَدَّدَ مِنْهُ رِيحَةٌ مُنْتَنَةٌ». وقال ﷺ : «المرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلِيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مِنْ يَحْالَلَ»، وقال ﷺ : «لَا تَصْحِبْ الْفَاجِرَ فَتَتَعْلَمْ مِنْ فَجُورِهِ، وَإِيَّاكَ وَقَرِينُ السُّوءِ».

ولكن يجب أن نعلم أطفالنا صورة الصديق الحسن، ونهدى له بكيفية التعرف على الأصدقاء من منطلق أننا لا ننكر ضرورة تهديد الأطفال للاستقلالية، أو الانتقال التدريجي من الاعتمادية أو الاتكالية في نطاق الأسرة إلى الاستقلالية الموجهة في رحاب جماعة من الرفاق من نفس العمر، مع مراعاة ضرورة الالتزام بمعايير الأسرة.

سادساً : النوادي والساحات الشعبية والجمعيات

تبني طريقة تنظيم النوادي وكيفية تسيرها عن الأهداف التي يرمى إليها المنظمون، ومدى عنايتهم، بتكوين إطار تربوي توافر فيه شروط معينة. لذلك فإنه كلما تطورت الأهداف تطورت طرق الإعداد والتنفيذ. والغاية التربوية للنادي والساحات والجمعيات هي تعويد الطفل الطاعة وتوزيع المسؤوليات، وإسناد جزء من تربية الطفل إلى الطفل نفسه تحت رعاية شخص أكبر سمع الأخلاق.

وفي الأندية والساحات تجمعات من الأطفال، لكل منها ميل مشترك، فالميل والرغبات لها دور كبير في تنظيم هذه المؤسسات، لدرجة أن هناك نوادي تقوم على نشاط مميز لها نبع من ميل المشتركين.

وتؤدي الملاعب عند توافرها وتجهيزها تأثيراً في وجدان الطفل نحو مجال من أهم المجالات المشروعة الأداء والممارسة وهو اللعب. فاحتفالات المجتمع أو بعض شرائحة بمظاهر اللعب المتجلية في تشجيع الرياضة المنظمة (كرة القدم - السباحة - . . .) بشتى أنواعها يجعل الراشدين والأطفال ينظرون إلى أبطال هذه الرياضات نظرة الإكبار والإقدام فيبدون خواج تحذى في هذا المجال، ليس على مستوى ممارسة اللعبة وإتقانها ومارسة سلوك اللاعب بل على مستويات أدنى مثل ارتداء نفس لون ملابس اللعب أو نفس رقم اللاعب المحبب.

إن الملاعب والساحات الرياضية والنوادي تُرحب الأطفال وحتى الكبار إلى ممارسة الرياضة، وفضلاً عن أن هذا فيه استفادة مشروعة من أوقات الفراغ وشغل لها، فهي تتمي بالجسام وتحافظ على البنية، بل تكون واحدة من مجالات الترويح.

إن نظرة بسيطة إلى المباريات الرياضية الأسبوعية، وما يحيط بملاعبها أو الأجهزة الإعلامية الناقلة لها لتدل على قوة الشحنة العاطفية التي يحملها الأطفال بين جوانبهم وما يمكن أن ينعكس على قبولهم للصفات الخلقية لمارس الرياضة من تحمل وثقة بالنفس وتعاون.

وهناك أندية متعددة المنشط، لتحقق رغبات المشاركين. في جو ممتلئ بالألف، يجد فيه كل عضو ما يشبع رغباته من اطلاع ولعب وندوات وأنشطة

خدمة بيئة وغيرها كما أن هذه المؤسسات تستثمر اهتمامات الأطفال الثقافية والعملية، وتنمى تذوقهم للفنون والأدب والرياضة

والهدف من ذلك تنشئة الأطفال وتنمية حصيلتهم العامة وإكسابهم للمهارات عن طريق الممارسة، بالإضافة إلى تنمية الإحساس بالذوق الفنى والتشكيلى والغنى من خلال مناشط يقيمها الأطفال بأنفسهم وجهودهم الذاتية. والنوادى والساحات الناجحة هى التى تزود الأطفال بما لا تزودهم به المدرسة، أو تضيف على ما يمكن أن تزودهم به المدرسة.

ولذلك فدور هذه المؤسسات هو تحقيق نوع من التعلم الذاتى عبر استخدام المؤلفات والآلات التعليمية والمتكررات الحديثة بالإضافة إلى الأنشطة الرياضية التى تنمى المهارات المختلفة فى القفز والجري .. وكذا التدريب على أنشطة تنمى المهارات اليدوية مثل الحياكة والخفر.

ولن تكون هذه الأداءات فى الأندية والساحات والجمعيات دون تفاعل اجتماعى بين الأعضاء من أطفال أو مدرسين ورواد.

ويكون المبدأ الأساسى هو احترام شخصية الطفل واستقلاليته أثناء الأداء داخل هذه المؤسسات مما يشعره وينمى فيه القدرة على العطاء ودافع الإنجاز والروح الرياضية، والابتعاد عن الأنانية وتقبل وجهة نظر الغير فيما يؤديه، وكلها من قبيل التنشئة الاجتماعية.

إن معرفة الفرد بأن هناك متميزين فى أداء مهام معينة وغير متميزين وإنه يمكن أن يأخذ موضع الريادة فى مجال لا يتمكن منه زميل آخر. ويستطيع أن يبدى الرأى فى أمور، كما يسمع الرأى الآخر. كل ذلك يجعله قادرا على تقدير ذاته وسط عمل جماعى مما يسهم عموما فى نموه الاجتماعى.

ويبقى الشىء الهام الجوهرى وهو شعور الطفل بأنه عضو فى مؤسسة من هذا النوع فيدعم ذلك شعوره بالانتماء.

١ - الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في الأندية والساحات والجمعيات :

ومن هذه الأساليب :

أ - ممارسة الأنشطة : هناك كثير من النوادي لها مناشط محددة، ولها برامج موجهة، وتهدف من ممارسة الأطفال لهذه المناشط تنمية الاستقلالية والتعاون وغيرها. وإعطاء فرص لتفوق الأطفال في مجالات ثقافية ورياضية واجتماعية، مما يعزز ثقتهم بأنفسهم و يجعلهم نماذج لغيرهم من الأطفال.

ب - تقديم نماذج للسلوك : ربما اهتمت بعض النوادي أو الجمعيات بالحديث عن نماذج في صورة أشخاص لهم أداءات متميزة كالمتفوقين في مجالات الرياضة ومجال الثقافة العامة وغيرها، وإن كان الهدف تعريف الأطفال بهذه النماذج إلا أن مجرد التعريف فيه الكثير من الترغيب.

والنموذج المقدم هنا لا يشترط أنه يكون من بين الأطفال عموماً أو أطفال النادي أنفسهم، فربما كان النموذج شخصاً لا تتحدث عنه في ندوة أو اجتماع ولكنه شخص يمارس عمله باحترام واقتدار على خلق حميد داخل هذه المؤسسات، وربما كان رائداً من رواد الأندية أو رئيساً للنادي، وهنا يصبح ذلك الرجل أو ذلك الشاب مثلاً يحتذى بدركه الأطفال ويعايشونه.

٢ - الرائد في النادي، والمشرف في الجمعية ودورهما في التنشئة الاجتماعية للأطفال:

للرائد بالنادي عدد من الأدوار، فهو ينظم العمل، ويدير البرنامج المعمول به في النادي أو يشارك في إدارته ويحافظ على انسجام هذا البرنامج ورغبات المترددين، كما أنه يتبع أماكن وأدوات النشاط والقائمين عليها، وفضلاً عن أنه يكون علاقات مع المشاركين من الأطفال فهو يكون علاقات مع أولياء أمورهم في ضوء المعايير والقيم، وهذا ما نلاحظه على المشرفين علي الجمعيات أيضاً.

إن ذلك يجعل عمل الرائد والمشرف أكثر فعالية وبصماته أكثر وضوحاً، وتعد النادي الناجحة دليلاً على وجود رواد ومسرفي ناجحين.

والطفل يدرك ذلك بصور غير مباشرة، فلا يجد الرائد أو المشرف أمامه كمنفذ سياسة بل كنموذج للسلوك، فيحب الطفل انتماه لهذا المكان وتزداد

فعاليته الاجتماعية مع الكبار داخل النادى ومع أقرانه، وهنا يكون الاحترام المتبادل القائم على قيم ومعايير يرضاها الجميع - الأهل - المشرفون - الأطفال أنفسهم. إنها معايير المجتمع ككل

سابعاً : دور العبادة

تقوم دور العبادة بدور هام وفعال في حياة الناس، بتأكيد القيم الخلقية، وعبادة الله سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى : **«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»**.

ودور العبادة تقوم بتنمية فكر البشر، وتطهير قلوبهم وتصحيح نفوسهم، وإيقاظ ضمائرهم، وضبط سلوكياتهم وتصرفاتهم.

إن دور المساجد مثلا لا يتجلى فقط في ربط المسلم بربه، وإعلان توبته، وتوجيه شكره لله، بل وربط الفرد المسلم وإدراكه لقيمة ومحافظة عليه.

ودور العبادة عموما تعلم الفرد التعاليم الدينية، ومعايير السلوك، وتنمى ضمير الإنسان وتضع أساس التفاعل الاجتماعي بين الأفراد.

قال الله تعالى في كتابه العزيز : **«وَقُلْ لِعَبادِي يَقُولُوا إِنَّمَا هُنَّ أَحْسَنُ»** ويفسر الإمام الباقي هذه الآية : «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم». وكان جعفر عليه السلام يقول «عظّموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتوجهم بعضاكم على بعض».

وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك».

وتوجه دور العبادة أساليبها إلى الكبار والصغار. وتحت الأديان على تنشئة الأطفال تنشئة دينية واصطحابهم مع الكبار إلى دور العبادة.

ودور العبادة تعد مظهرا من مظاهر البيئة الاجتماعية. إن دور العبادة كما عرفت في كثير من المجتمعات القديمة والمعاصرة، لا يقف تأثيرها عند كونها مكانا لممارسة الشعائر الدينية، بل إنها كمؤسسات مارست تأثيرها في أعمق مظاهر الحياة

الاجتماعية، فما زال من القادة في بعض الدول من يتولون السلطة في بلادهم في هذه الدور ويتآيد من القائمين عليها، وتعقد عقود الزواج أيضا داخل هذه الدور أحيانا.



ويرتبط بفهم دور العبادة ما يسمى بالأضرحة المقدسة وأولياء الله الصالحين، وهذه ذات آثار قوية في بيئتنا العربية، وخاصة ما يشيع حولها من ضروب الشعوذة والخوارق والمعجزات، والتي تضارب مع أسس وقواعد الدين الإسلامي. وهذا يعد أمراً غاية في الأهمية من حيث تأثيره على أذهان البعض، ودخوله إلى وجدانهم.

والطفل الذي يعيش في بيئه يشيع فيها تأثير الأضرحة وأولياء الله الصالحين سواء الصحيح منها أو غير الصحيح، وما يقترن بها من أنواع الممارسات وأحيانا بعض الغرائب التي تقام أمام أنظار الأطفال، تدخل في أعماق الطفل وتشد ذهنه

وتهز وجده، فتحدد له بعض تصوراته عن ظواهر هذا العالم، وكيفية التعامل مع بعض المشكلات والعقبات التي يمكن أن تقابله مستقبلا. لقد رأى الكثير من الكبار يلجنون إلى ذلك الأسلوب.

إن التصورات التي تملأ ذهن الطفل إزاء قبور بعض أولياء الله، وعواطف الاحترام التي تولدت داخله إزاءها، تحدد نوعية التعامل مع بعض موضوعات العالم المحيطة، وسوف نرى في نموذج تنشئة الطفل من قرية فرنسية ما يشير إلى ذلك في فصل قادم.

أساليب دور العبادة في تنشئة الأطفال :

تتخذ دور العبادة عددا من الأساليب لتنشئة الأطفال :

أ- تحديد وتوضيح مسؤولية الوالدين في تربية الطفل :

إن مسؤولية الآباء لا تتحصر في إدارة الحياة المعيشية المادية للأطفال بل إن عليهم أن يقوموا بتربيتهم تربية إيمانية صالحة.

إن تأديب الأطفال وتربيتهم أهم في نظر الإسلام من الاهتمام باحتياجاتهم الجسدية، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «ما نحل ولدنا نحلأ أفضل من أدب حسن».

وتقوم دور العبادة بتسو吉ه نظر الآباء إلى رعاية الأطفال وتنشيتهم، قال تعالى: «.. حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصالة ثلاثة شهرا»، وقال تعالى : «فإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم».

ب- الترهيب والترغيب : تقدم في دور العبادة ما يصلح الناس عموما في الدنيا والآخرة، فترغب في عمله ومارسته، وتنهى عن الأشياء التي تجعل الناس على قرب من العذاب والنار في الآخرة وسوء العيش في الدنيا. وسماع الأطفال بعض من هذه القواعد ومشاهدتهم التزام الكبار بأداء الفرائض يعد ترغيبا لهم في الإقبال على ممارسة أو تقليد النماذج السلوكية الحسنة والطيبة، وترهيبا لمن يقبل على أفعال لا يقبلها الله مثل : السرقة والكذب والغش، وكلها أمور يعد تحذيبا من قبل التنشئة الحسنة للأطفال.

جـ- مخاطبة العقل بأمثلة ونماذج : تقدم دور العبادة أمثالا حية ونماذج للسلوك من التراث أو من الواقع ، وشعور الطفل أثناء وجوده بالخضوع لله سبحانه وأداء الصلوات من قبل الكبار شعور لا يمكن إحداثه عبر أساليب أخرى كالكتب أو النصائح بعيدا عن دور العبادة . فالخشية التي يشاهدها في عيون الكبار ومنهم أبواه مثلا ، والتعرض إلى الله سبحانه كما يتبعها في رفع أيدي الناس شكرًا وطلبًا للرحمة والمغفرة والصحة والعافية وسعة الرزق ، وسماعه للأدعية المختلفة . كلها أمثال حية على طريق التطبيع الاجتماعي للأطفال فينشأ الطفل على التقوى والبر (حسن الخلق) ، وقول الصدق والشفقة واحترام الكبير نتيجة غرس القيم الذي تم بأسلوب مزجت فيه بفكرة التدريس حدود الدين وطريق الحياة .

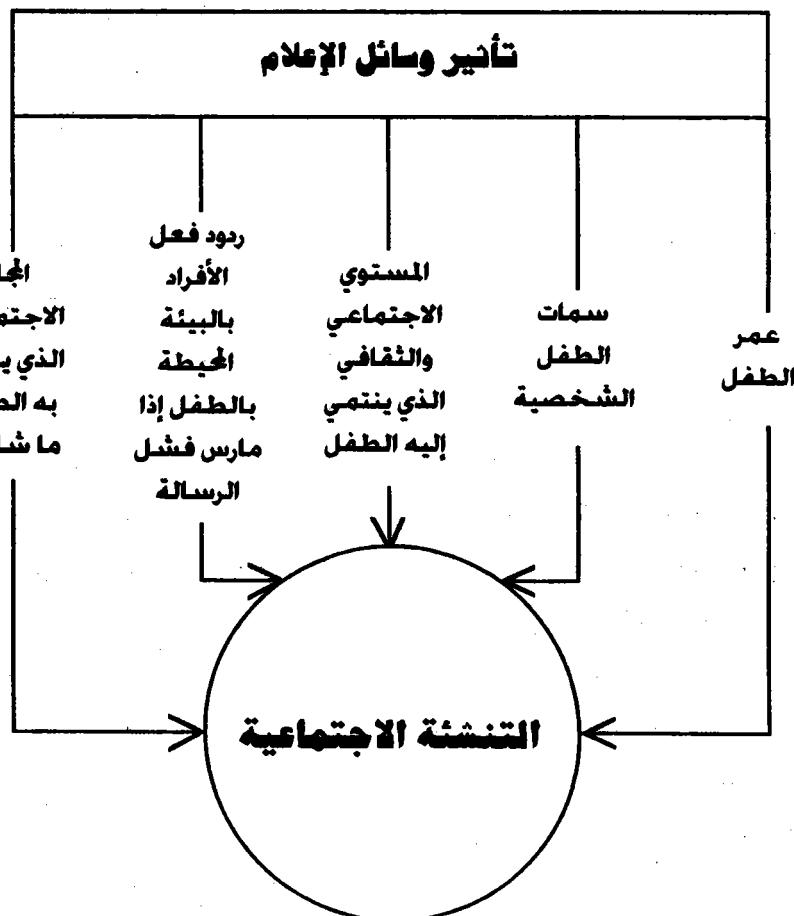
ثامنا : وسائل الإعلام

تعددت وسائل الإعلام التي أصبحت تشد الطفل من مجلات وكتب هزلية Comics وتلفزيون وسينما ومسرح . . . ووسائل الإعلام تحدث تأثيرها بما تنطوي عليه من إهاطة الأطفال بمواضيع . وإغراء الأطفال واستمالتهم ليسلكوا بما يتفق مع رغبة موجه الرسالة بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للتترفيه والترويح وهو هدف يأتي في المقدمة .

والاستفادة من وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية للطفل ليست حديثة ، فالحواديت والقصص والملامح الشعبية ، كانت تستعمل قصدا وبغير قصد في إكساب الطفل كثيرا من عادات المجتمع وتقاليده . إلى أن أصبح الآن للطفل مساحة من صفحة أو أكثر في جريدة يومية أو مجلة خاصة به أو برنامج إذاعي موجه يقصد له ، ووسائل الإعلام عموما لها خصائص تنسحب على مجال الأطفال ، فعبرها لا يحدث تلاق بين القائم على الوسيلة والطفل مثلما نرى في الأسرة والمدرسة والنادي ، كما أنها تعكس جوانب من الثقافة العامة للمجتمعات الأخرى التي لا يعيش فيها الطفل مثل مجتمع البادية ومجتمع الريف والمجتمعات الأخرى الأوروبية والأمريكية . وتزداد أهمية وسائل الإعلام بالنسبة للأطفال والكبار في مجتمعاتنا الحديثة ، كما تزداد جاذبيتها ، بحيث أصبحت تختل من الوقت اليومي لهؤلاء الكثير .

ورغم أن وسائل الإعلام لها أسلوب وطريقة في العرض، إلا أنه لا يجب أن ننظر إليها في معزل عن بقية وكالات التطبيع الاجتماعي مثل الأسرة والمدرسة . . . كما لا يجب أن ننظر إليها في معزل عن العوامل الشخصية لتلقي الرسالة الإعلامية.

وإن كان تأثير وسائل الإعلام عموماً على تنشئة الأطفال يتأثر بعدد من العوامل منها أيضاً المرحلة العمرية لتلقي الرسالة الإعلامية، وحاجات الأطفال، والمستوى الاجتماعي والثقافي الذي ينتمي إليه الطفل، وردود فعل الآخرين عند ممارسة الطفل لما تعرّض له وسائل الإعلام (من أسرة وأقران وجيران . . .) ومدى توفير البيئة الاجتماعية التي يجرب فيها الطفل ما عرض من شخصيات ونماذج عبر وسائل الإعلام.



وإذا كانت الغالبية ترى أن وسائل الإعلام تقدم للأطفال تثقيفاً، على اعتبار أن الثقافة طريقة حياة. فإن تثقيف الطفل من شأنه أن يجعله يعيش حياته بطريقة أكثر فعالية، ولن يقبل المفهوم الذي يتندر به القلة قائلين إن الثقافة إحدى الكماليات التي لا تتوافر إلا للذوي القدرة على الحصول عليها والاستمتاع بها من أبناء طبقة الصفوّة في المجتمع. إن تثقيف الطفل ضرورة حيوية من ضروريات الحياة التي يتحتم تزويده جميع الأطفال بها، بغض النظر عما بينهم من فوارق طبقية. ويفتى السؤال: كيف يتم ذلك وبأى طريقة يمكن التقدّيم، وما شروط المقدّم للرسائل الالزامـة لهذا التثقيف؟

ويميل الكثيرون إلى إرجاع ما يلاحظونه من تباينات وانحرافات في سلوك الطفل إلى واحدة أو أكثر من وسائل الإعلام. الواقع أنه لا يجب النظر إلى الأمر بهذه البساطة فإنه إذا كان تقليد الأطفال للرسائل المقدمة وارداً فإن تغيير أنماط السلوك السوية والقيم الأخلاقية الموجودة من السواء إلى الانحراف ليس بالأمر السهل. ويجب الحذر عند تحدثنا عن علاقة سببية بين التعرض لرسائل إعلامية معينة وانحراف سلوك الأطفال. إن الجريمة والعنف في وسائل الإعلام لا يحتمل أن تكون هي المحرك الأول والوحيد للنجاح، بل إنه يجب أن تتوافق هذه الرسائل الإعلامية مع ميول واستعدادات وظروف الطفل الاجتماعية والثقافية.

إن الوسط الاجتماعي الثقافي الذي يعيش فيه الطفل وردود فعل المحظيين به من أفراد الأسرة، وجماعة الأنداد أو . . . ليست بمعزل عن اقتراف الأطفال لانحرافات متفاعلة مع ما يقدم بالرسالة الإعلامية ومستوى توافق هؤلاء الأطفال. ولكن المشكلة الأكثر جوهرية هي نوع ما يقدم ومصدره، ومدى اتفاقه مع قيم وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء الأطفال.

على اعتبار أن الثقافة هي الإمتاع العقلى والوجدانى لابتکار الفن والمعرفة، ولما كانت الثقافة غذاء وجداً واجتماعاً فكرياً محباً يسعى إليه الإنسان سعياً ولا يتلقاه فرضاً أو عنفاً أو تلقائياً، ولا يساق إليها طوعاً أو كرهاً، وبما أن الثقافة بنت البيئة، ولها مذاقاتها الخاصة في كل بيئه من البيئات، إذن هي إن تجردت من بيئتها فقدت طعمها ورائحتها.

إن ما يصلح لمجتمع معين من أهداف توجه عملية التشكيف، قد لا يناسب مجتمعا آخر، بل إن الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها مجتمع في مرحلة معينة من مراحل حياته قد لا تصبح صالحة لنفس هذا المجتمع في مرحلة أخرى نتيجة لما يتتباه من تغير على مر العصور، ويستدعي التخلص من بعضها أو تعديلها في البعض الآخر أو استحداث أهداف جديدة تتناسب مع طبيعة وسمات مرحلة تاريخية معينة في حياة المجتمع، فأهداف أي مجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بتدرج السلم القيمي فيه، وكلما حدث تغيير في هذا السلم القيمي نتيجة للتغيير الاجتماعي، كان من الضروري أن يحدث تغيير في أهدافه يتناسب مع هذا التغيير القيمي، معنى هذا أن الأهداف لا تمثل شيئا ثابتا جامدا لا يتغير، بل يجب أن تكون المرونة من أهم سماتها لكي تصبح مناسبة، ليس فقط لمجتمعنا المتغير، بل ولاتجاهات تيارات التغير في المجتمع العالمي الذي يعتبر عالمنا جزءا منه يؤثر فيه ويتأثر به في عملية تفاعلية متبادلة لا يتوقف تأثيرها ما دام احتكاكنا واتصالنا مستمرا بالعالم الكبير الذي نعيش في جزء منه، ولكن لن يكون ذلك على حساب النواحي العامة والخطيرة في مجتمعنا الأصيل.

والآن يتعرض الطفل لثقافات متباعدة وافرة وعامة تناقض ثقافة مجتمعه وتراث بيته الأصلي الذي يجب أن نحافظ عليه باستمرار، ففيه من العراقة والمجد ما يفخر به كل عربي، وقد لا ينسحب هذا القول على القليل مما يتعرض له الطفل من ثقافة، ويكمّن الهدف أولا وأخيرا من وراء ما يتعرض له الطفل في إعداد أجيال صالحة لخدمة الوطن، ويلع السؤال: من ساعد هذه الأجيال ولماذا؟ إنها تعد لخدمة أرض عربية إسلامية تميز بشقاقة متميزة وتراث أصيل يطلب من أجياله المقبلة المحافظة عليها في مرونة وعناية، وكيف يكون ذلك إلا من شخص نبت وترعرع وتشبع وأصبح يملأ أعماقه بثقافة ذلك الوطن الذي ينتمي إليه.

إن لم تتبّع ثقافة الطفل من أرضه وبيته التي ينتمي إليها فإن ذلك يعد مساهمة على الانسلاخ من هذه البيئة والتناقض معها في فترة ما.

وإذا كانت هناك ثقافة ما أعدت لشعب ما قصد أطفال هذا المجتمع وذلك الشعب ثم مراهقيه ثم شبابه، وها نحن الآن نستعين بثقافات متباعدة من أجل

أطفالنا العرب فهل سوف تتم المسيرة غير عربية للمرأة ومتى
بعد ذلك حينما يصبح هؤلاء شبابا؟ إن الإجابة بنعم أو لا على مثل هذا التساؤل
فيها كثير من الخطورة، فإذا قلنا : نعم. فمعنى ذلك أننا نبني أجيالا لأى بيئة وأى
أمة، وإذا قلنا : لا، فماذا سوف نقدم للطفل الذى يتعرض لهذه الثقافات المتباينة
الآن حينما يصبح مراهقا وحين يدنو من الشباب، فإن كان لا شيء سوف نقدمه
لهذا خطير، وإن كان ثقافة من نوع مختلف وإطار للسابق غير مותلف، فإننا سوف
نكون السبب فى إحداث فجوة وتكوين هوة بين ما ترعرع عليه ذلك الإنسان فى
طفولته وما يتطلبه الآن فى مرأته، وأخيراً سوف يكون القول أين ولد؟ وفي أى
بيئة سوف يستقر ولأى مجتمع سوف يضحي ويخدم وينمى؟ إنها بيئة وطنه العربى
الإسلامى العريق .

وإذا كانت هناك من الثقافات التى تثبت من القيم المستوردة والأفكار القادمة
من الخارج، فإنها بلا شك سوف تحتاج إلى تطبيق . . . وفي أى مجتمع سوف
يطبق . . . ومن هنا سوف تكون العاقبة .

إن نقل نماذج الغرب يجانب الصواب، فالغرب له وجهه الجميل ولكن له
أيضاً وجهه اللاجميل .

إن من أعماق كل مجتمع يمكن أن تشتق ثقافة مرنة لأطفاله تبع من أصله
وعراقة تراثه يشاركها فى ذلك تراث وثقافة مجتمعات قرية الشبه وتشترك معها فى
خلفياتها الثقافية أو جذورها التاريخية، مثل هذه المجتمعات القرية الشبه والمشتركة
الخلفية والتاريخ سوف تقارب أهدافها فى بناء أجيال المستقبل المتميزين الوعين
بأصولهم، ومن ثم تكون فى ذلك على الطريق المؤمن .

إن هذا لا يقلل من الجهود الكبيرة التى تبذل ويدلىت فى خدمة ثقافة الطفل
العربى والتى تظهر واضحة جلية معلنة عن نفسها .

وعلى أى حال فإن وسائل الإعلام للطفل تمثل فى :

١ - التلفزيون : بدأ عمل التلفزيون فى مصر عام ١٩٦٠ وقد تضمنت
برامجه منذ البداية جانباً خاصاً بالأطفال .

ويعتبر التلفزيون جهازاً يجمع بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية، مما يزيد
قوة التأثير لاستغلاله حاستين من حواس الأطفال . ورغم أن الوسائل التعليمية

تنوع بين سمعية وبصرية، إلا أنه من المعروف أن الوسيلة الإيضاخية التي تعتمد على أكثر من حاسة من حواس الطفل، يكون أثراها التعليمي أكثر جدوياً وأكثر عمقاً ودواناً من الوسيلة التي تعتمد على حاسة واحدة فقط. فالصورة تزيد من مدى وضوح الكلمة ومدى فهم معناها، كما أن الكلمة توضح ما تتضمنه الصورة من أفكار ومعانٍ، مما يساعد في النهاية على سهولة استيعاب الرسالة الموجهة للطفل. فهو يتفوق على وسيلة الكلمة المكتوبة أو المطبوعة التي تحتاج إلى إعادة تكوينها في صورة ذهنية قد تشوّه أو قد تقصّر عن التعبير عن الخبرة المباشرة التي تصفها.

لقد أصبح التلفزيون هو المسيطر الأول على ميدان الاتصال بالأطفال بين وسائل الإعلام، فقد توصل السيد خيري وأخرون في دراسة عن التلفزيون والصغرى إلى أن الأسرة قل لديها الاستماع إلى الراديو بنسبة ٧١٪، وقل لديها الذهاب إلى السينما بنسبة ٥٧٪، وقل لديها الذهاب للنادي بنسبة ٦٨٪ تقريباً.

إن المادة المعروضة عبر التلفزيون تمثل أقرب بدليل للخبرة الحقيقة وبخاصة الملون منها، فالطفل الذي لم يشاهد قبيلة من قبائل الإسكيمو أو من قبائل البدو أو .. يمكنه أن يحصل على بدليل لهذه الخبرة على شاشة التلفزيون بشكل لا يختلف كثيراً عن موطن الخبرة الأصلي.

وتشير الإحصاءات إلى أن أطفال المدرسة الابتدائية وما قبل المدرسة يشاهدون التلفزيون أكثر من مشاهدة التلاميذ بالمرحلة الإعدادية له، ويقل عدد ساعات المشاهدة يومياً عن ساعة.

إن للتلفزيون قدرة على تحويل المجردات إلى محسوسات، مما يساعد على سهولة فهم الرسالة المقدمة. ويعتبر ذلك مهما جداً لطفل المدرسة الابتدائية، لعدم اكتمال قدرته على فهم المعانٍ والمدركات الكلية.

إن مشاهدة الطفل للتلفزيون تحدث طواعية، وأن انتباهه إلى برامجه يكون محاطاً بتركيز أكثر من انتباهه إلى دروس المدرسة، مما جعل البعض يذهب إلى أن الطفل يتعلم عن طريق التلفزيون قدرًا من الخصائص والمعلومات والقيم والاتجاهات أكثر من كل ما يتعلمها أو يكتسبه من المدرسة والكتب المدرسية.

وإذا كان لكل وسيلة جمهور خاص، وإذا كان المثقفون يفضلون بصفة عامة المطبوعات كوسيلة للحصول على المعلومات بالإضافة إلى المذيع والتلفزيون فإن الأطفال يفضلون الصورة والحركة والأحاديث . . وهذا ما يقدمه التلفزيون.

إن القدرة الفائقة التي يستطيع التلفزيون بها أن يعرض غرائب الموضوعات تتنمي خيال الطفل وإدراكه. كما أن الاعتماد على الصوت والصورة يقوى القدرة التذكرية واسترجاع الأفكار والمشاهد، وهذا ما يجعله وسيلة تعليمية مساعدة في نطاق استغلالها تربوياً، وهذا من شأنه أن ينمي عواطف إيجابية في الأطفال نحو البحث والاستطلاع والسعى وراء اكتشاف الغموض.

وهذا لا ينفي وجود مظاهر سالبة لمشاهدة التلفزيون، نجد منها على الأطفال ما يثار فيهم من انفعالات من قبيل الخوف والكره، نتيجة مشاهدة بعض المشاهد للأفلام. إن ملاحظة ما يظهر على ملامح الأطفال من تغيرات تدل على مشاركة وجاذبية قوية، كما أن التقنية البارعة للمشاهد التلفزيونية تجعل الطفل يستمر لفترة طويلة بعد المشاهدة تحت تأثير هذه الانفعالات.

ومن السلبيات أيضاً إحساس الطفل بالتناقض العاطفي بين الواقع وما يشاهده على شاشة التلفزيون، ففي الأفلام المستوردة وحتى في بعض الأفلام العربية يعيش الطفل العربي هذا التناقض بين بيئه المحافظة التي يعيشها والبيئة الثقافية التي يشاهدها على الشاشة ومنها الزى أو الملابس الخليعة والمناظر الخليعة، فيقع الطفل في صراع بين قولنا له «عيب» أو «حرام» وبين صورة البطل الذى يراه ويشاهده على الشاشة الصغيرة وربما نشاهده معه فى نفس اللحظة. مما يعرض قيمه الأخلاقية والدينية لبعض من الذبذبة وعدم المعقولة.

وفي قرب العاشرة من العمر خاصة، وهى ما تعرف بمرحلة التششك عند الطفل فيما يدور حوله من أفكار الكبار وتوجهاتهم بداعٍ نحو قدرته على النقد، تصبح الذذذبة فى القيم الأخلاقية الدينية صعبة. وعندما يطغى حب بطل الشاشة يكون الطفل مهياً بطبعه لتقليده، وهنا يكون التلفزيون عارضاً لنماذج يمكن أن يتقمصها الطفل، وذلك تحت شروط سبق أن تعرضاً لها. وهذا ينعكس على

ألعاب الأطفال العدوانية، وبلغ أقصاه عندما يصل الأمر بالطفل إلى الانتهاء إلى جماعات رفاق من سبيل العصابة.

ونتيجة طول المدة التي يقضيها بعض الأطفال أمام التلفزيون والتي تصل أحيانا إلى أكثر من ٣ ساعات يوميا، وانعدام رقابة الآباء، يشعر الطفل بالكلسل، وهكذا يفقد جانبا كبيرا من طاقته التدفقة، ويفقد كذلك بالتألي جزءا من طاقته لمراجعة دروسه بالإضافة إلى إجهاد البصر والأعصاب.

ويكون مردود ذلك بالطبع سينا على الانتهاء والاهتمام ويتولد لديه شعور بالفورة أحيانا من الأعمال والواجبات المدرسية باعتبارها معارضة للممتعة والراحة. وهذا ما يجعل البعض يرى التلفزيون أداة أو سيلة «إدمان كهربائية» تشغل الطفل عن القيام بأعمال مفيدة كالقراءة والمحادثة فضلا عن تعليمه العدوان والعنف، كما أن للتلفزيون دورا في ترويج الأفكار الشائعة أو الآراء المقوبة Stereotype أو الصور الشائعة، ورغم كل ذلك فإنه لا نكران لكون التلفزيون ينمى السلوك الإيجابي من التعاطف مع الغير، وقد ثبتت الدراسات أن تعريض الطفل لهذه البرامج يؤدى إلى تربية روح التعاون والمشاركة عند الأطفال. على الرغم من أن البرامج التلفزيونية التي تحتوى على أدوار عدوانية وأدوار خيرة معا، غالبا ما ينجذب الأطفال إلى الدور العدوانى ويفقدون الرسالة الأخرى الخيرة. كما اتضح أن الآباء الذين يعاملون أبناءهم معاملة تتسم بالدفء والمحبة Reaioning غالبا ما نجد أبناءهم ينتفعون كثيرا من البرامج التي تتحث على التعاطف.

والكثيرون يرون أن التلفزيون إذا كان ينقص من الوقت الذي يقضيه الأطفال في أعمال نافعة مثل القراءة ومشاركة الغير، فإنه يمكن الأطفال من تعلم مهارات متعددة أخرى، ولكن على أن يكون الآباء على وعي واهتمام بأطفالهم.

وبين الإيجابيات والسلبيات لمشاهدة الأطفال للتلفزيون تجد بعض النظريات في مجال علم النفس لها مكانا.

فنظرية التحليل النفسي لـ Freud ترى أن مشاهدة الأطفال لأفلام العنف وسيلة مفيدة للتنفيس عن الذات والتخليص من العدوانية. أما نظرية التعلم

الاجتماعي لـ Bandura فتشير إلى أن الإجرام والعنف في التلفزيون قد يشجع على العدوان عن طريق التقليد. إلا أن الدراسات الطولية أفادت بأن الأطفال الذين كانوا يميلون إلى مشاهدة أفلام العنف في عمر ٨ سنوات قيموا من قبل زملائهم في عمر ١٩ سنة أنهم عدوانيون، وعندما أصبح عمرهم ٣٠ سنة ارتكب عدد منهم بعض الأفعال الإجرامية. وتنتهي هذه الدراسات بأن هناك علاقة بين مشاهدة أفلام العنف والعدوان في واقع الحياة، ولا تشير إلى أن العنف الذي شاهده الطفل في التلفزيون كان السبب في ارتكابه أفعالاً إجرامية ولا يجب أن ننسى احتمالية إقبال الأطفال العدوانيين بطبيعتهم على مشاهدة أفلام العنف. وإن جناح الأحداث كان شائعاً حتى قبل مجيء التلفزيون.

ولا يفوتنا القول بأن من آثار مشاهدة أفلام العنف وبرامج الجريمة على شاشة التلفزيون فقدان الأطفال الحساسية ضد الإجرام أو يحجز العاطفة أو الفؤاد Desensitize فتجعل الطفل يتقبل السلوك العدواني ولا يحسن أنه شيء غريب، بالإضافة إلى إعطائه فكرة عن أن المجتمع مليء بالإجرام والعنف، كما أن علاقة الآباء بالأبناء التي تتسم بالترزيع والسلبية بالإضافة لوجود مشاكل أسرية بين الزوجين ترتبط بكمية ونوعية مشاهدة الأطفال للتلفزيون.

٢ - الإذاعة : على الرغم من تميز عصرنا بالتزايد المستمر في اعتماد الناس على المادة المذاعة بهدف الثقافة والترفيه، إلا أن الإذاعة لم تتغلغل إلى عالم الطفل كما فعل التلفزيون.

والإذاعة لا تجد لها مكاناً إلا عند أطفال القرى والبدو البعيدة عن الكهرباء وخلاف ذلك يأتى التلفزيون في مقدمة وسائل الإعلام المهمة في تلبية حاجات الأطفال ودعم قيمهم واتجاهاتهم. وبالرغم من ذلك إلا أن الإذاعة تدع خيال الطفل ينساب لتصور المشاهد والأحداث بعكس التلفزيون الذي يصور الأحداث فلا تدع خيال الطفل يعمل.

إن الاستماع للذبياع لا يبدأ عند الكثير من الأطفال إلا بعد السادسة من العمر، ومنذ ذلك الحين يصبح الذبياع محبباً للطفل بشكل متزايد، ويشعره بالاستقلالية في الاستماع وخاصة إذا كان يمتلك جهازاً لنفسه نظراً لانخفاض ثمن بعض الأجهزة بشدة مقارنة بالتلفزيون غالى الثمن.

٣ - السينما وأفلام الفيديو : للسينما دور مفيد في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، فهي تخاطب مثلها مثل التلفزيون حاستين للطفل، وإن كانت تتميز عليه بشعور جديد وهو الإحساس بالخصوصية حينما يجد الطفل مكانا له مخصصا أو مقعدا مخصصا له داخل دار العرض، وكذا الإحساس بالخصوصية إذا أحضر له أحد الوالدين واحدا من أفلام الفيديو أو قام هو باختياره أو شرائه. إنها بدايات لدعم الاستقلالية عند الأطفال.

وفي معظم الحالات يولع الأطفال بالسينما وشاشتها الكبيرة، وهذا الجمهور الغفير الذي حضر للمشاهدة، إن لها متعة خاصة يشعر بها الأطفال وخاصة الذين عودوا على مشاهدة الشاشة الصغيرة (التلفزيون).

وفي سن الخامسة يكون ندرة من الأطفال قد شاهدوا فيلما خاصا بالأطفال على شاشة سينما نظرا لشيوخ التلفزيون وانشغال الآباء، ولكن بعض الأطفال في هذا العمر من الطبقة الاقتصادية المتوسطة والمرتفعة يكونون قد شاهدوا فيلما بالفيديو للصغار.

أما في الثامنة وما بعدها فربما طلب الكثير منهم الذهاب إلى السينما مرفقين لأحد الراشدين أو شراء واحد من أفلام الفيديو المخصص للأطفال. ويفضل أغلب الأطفال أفلام الكرتون التي تسبق العرض السينمائي، إلا إذا كانت السينما خصصت ساعات العرض كلها للأطفال، عندها يفضل الأطفال أفلام الحيوانات وأفلام الطيور الراقصة والغنية، فغالبية الأطفال يكرهون القصص الغرامية.

وحيثما يصل الأطفال العاشرة من العمر فإنهم يفضلون أفلام الحركة وال الحرب، إذا كانوا ذكورا، ويفضل الإناث أفلام الغناء والموسيقا، وكل من الذكور والإناث يفضلون أفلام المغامرات إلا أنهم ما زالوا يكرهون الأفلام الغرامية.

وحيثما يصل الأطفال إلى الحادية عشرة والثانية عشرة يتخصصون لبعض الأفلام لدرجة أنهم يطلبون مشاهدتها أكثر من مرة.

ومعظم الأطفال يتقبلون عدم سماح الوالدين لهم برؤية بعض الأفلام أو بالتردد على دور السينما.

وتشجع المشاهد السينمائية مثل التلفزيون والفيديو على تعزيز المفاهيم وأمتصاص القيم وتعزيز الاتجاهات، كما أنها تمني لدى الأطفال المشاركة الوجدانية.

٤ - المسرح والسيرك : يمثل المسرح بجوه ومقاعده مكاناً غريباً وعجيباً بالنسبة للأطفال، وتصبح الصورة التي كان يشاهدها في التلفزيون أو في السينما أو في الفيديو مجسدة بأناس يراهم يتحركون على مقربة منه. والطفل ما زال جالساً على مقعد ممتنعاً بالخصوصية والاستقلالية ومشاركاً جمعاً كبيراً من الأطفال، لدرجة أن الأطفال يثار بينهم الضحك في جرارات جماعية يسعد لها الأطفال عند سماعها وينفجرون أكثر بالضحك. مما يجعل البهجة تملأ النفوس في المواقف الدرامية والفكاهية التي تلقن الطفل قيمها وسلوكيات لها أهميتها في المجتمع الذي يعيش فيه.

٥ - المطبوعات : لا تزال الكلمة المطبوعة والصور محفوظة بقوة تأثيرها على الأطفال والكبار على حد سواء، وتشمل المادة المطبوعة أنواعاً عديدة منها: المجالات والكتب والقصص ودوائر المعارف والمعاجم المضورة.

وتكتسب المادة المطبوعة جاذبية خاصة بها، فالطفل يستطيع قراءة ما يريد في أي وقت يريد، ويستطيع أن يسترجع قراءاته إذا أراد. وقابلية الشيء المقرؤ للتشكيل في ذهن الطفل إذا كان أعد بمهارة من قبل متخصصين، وهذا لا يمنع عيوباً، فربما كانت المادة المكتوبة صعبة، ولا يمكن الطفل من فهمها وهناك احتمالية فهم الطفل للكلمات بتشويه أو غير قصد.

وتشير نتائج البحوث أن الأطفال المنحرفين أكثر إقبالاً على المجالات الفكاهية المتصلة بالجريمة والعنف عن الأطفال العاديين، كما أن الأطفال ذوي التوافق الجيد كانوا يفضلون الأبطال الخارقين مثل سوبرمان وصورة وملابسها.

وتعتبر المسلسلات الهزلية المصورة أكثر المواد المطبوعة قدرة على جذب الطفل وإثارة اهتمامه وميله للقراءة.

وتمثل قراءة الكتب بالنسبة للأطفال مرحلة متقدمة. يصل إليها الطفل بعد أن يمر بمرحلة قراءة المجالات التي تتميز ببساطة أسلوبها وبجاذبيتها بفضل ما تحويه من صور، وبسهولة استيعاب مادتها.

ويعتبر «كامل الكيلاني» من رواد كتب الأطفال، قدم الكثير من كتب وقصص الأطفال الأدبية والدينية والتاريخية التي ما زال أطفالنا يقرءونها حتى يومنا هذا.

والسؤال الآن : الكتب الهزيلة، هل تعتبر تهديداً إذا استثنينا كتب ومجلات الجرائم الشديدة، فإن الكتب والمجلات يمكن أن توجه قرائتها في داخل الأسرة ولا يتم ذلك عن طريق المعاكسة أو المنع من قبل الوالدين، وإنما عن طريق المراقبة المعقولة .

ويتجلى الاهتمام عند الكثير من الأطفال عند الخامسة. إن بعض الأطفال يهتمون بصورة هذه الكتب والمجلات، وبعضهم يطلب أن تقرأ له وأن تشرح. ولكن في حدود السابعة يكون كثير من الأطفال قادرین على شيء من القراءة البسيطة بأنفسهم .

وعند الثامنة يندفع الأطفال إلى قراءة كتب المغامرات والعنف، ويقبل الأطفال على الشراء أو الاستعارة في حدود التاسعة من العمر .

ومع العاشرة والحادية عشرة تجد الاهتمام أصبح أشد وأحياناً تجد الأطفال في الإجازات وقد أحاطتهم أعداد من الكتب، وربما لا يكتفون بشراء الكتب وقراءتها وتبادلها أو استعاراتها بل ينظمونها ويصنفونها، والويل إذا نقص من هذه الكتب أو اختفى كتاب أو مجلة .

ومراقبة الوالدين ضرورية في هذه السن، وبعض الأمهات يشتكون من أن أطفالهن يتصرفون وكأنهم تحت تأثير سحرى، وأنهم ينظرون بعيون زجاجية إذا ما تحدث إليهم شخص وهم يقرءون مثل هذه الكتب والمجلات. وإذا كان صحيحاً أنه ليس من الجاذبية في شيء أن ترى الطفل وهو أمل الأسرة وقد انغمس مثل هذا الانغماس لأنه مثل الكثرين من الأطفال في نفس المرحلة العمرية .

ولاشك أن هذه الأمور جماعها تحتاج إلى تنظيم كثير. ولكن مثل هذا التنظيم من قبل الآباء أجدى من المنع الكامل. والحقيقة هي أننا لسنا قانعين أن المنع الكامل ضروري حتى ولو كان ممكناً. إن الأطفال المستقرفين عاطفياً وفي بيوت وأسر عادلة تكون قراءتهم للكتب مثلها مثل بقية أنواع التسلية، حتى وإن كانت فيها من العنف أو العاطفة الشديدة ولا تسبب الجنوح ولا حتى الاضطراب العاطفى .

١ - وسائل التنشئة الاجتماعية في الوسائل الإعلامية :

كل وسائل الإعلام ما عدا المسرح والسيرك لا يحدث فيها تلاقي مباشر بين الموجه والطفل، إلا أن أهدافها خلف توسل واضعيتها واستعانتهم بمضامين متنوعة من قصة أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني أو رواية سينمائية.

وهناك نوعان من وسائل التطبع أو التنشئة : الأولى تخص موجهي وواعضي المضمون والثانية متصلة بمستقبل المضمون أي الأطفال أنفسهم.

وسائل موجهي وواعضي المضمون :

أ - التكرار : تعمد الوسيلة أو الوسائل إلى تكرار مضامين أو مفاهيم أو أحداث معينة أو شخصيات، ومثل هذا التكرار يُعرف الأطفال الكبير عن مجتمعهم وحياة الأفراد فيه والقيم والتقاليد والمعايير السائدة.

ب - الجاذبية : لقد بلغت أساليب الجذب من القوة بحيث أصبحت تشد الأطفال حتى ولو كانوا أحياناً يرغبون في النوم.

ج - الدعوة للاشراك : تعمد بعض وسائل الإعلام دعوة الأطفال للمشاركة الفعلية إما بالكتابة أو بالرسم أو بالتحدث عبر الهاتف، لإبداء الرأي في حل مشكلة أو اتخاذ قرار بشأن رغباتهم أو غير ذلك. وربما استخدمت وسيلة الإعلام وسائل للتحفيز مثل المكافآت المادية والمعنية.

د - النموذج : والنماذج قد تكون أشخاصاً لهم من المكانة الاجتماعية (لاعبى الفرق)، وقد تكون أبطالاً تاريخيين، يمثلون فيما معينة يريد موجه الرسالة الإعلامية غرسها أو تدعيمها، وأحياناً تكون النماذج أطفالاً أو حيوانات أو طيوراً. وأياً كان نوع النموذج فإن المضمون فيه دعوة صريحة كى يفعل الطفل مثله، أو دعوة صريحة للابتعاد عن هذا السلوك أو الاقتراب من آخر.

وسائل مستقبلي المضمون (الأطفال) :

أ - الامتصاص : أى استيعاب ما يعرض، وللتكرار والإعادة أهمية كبيرة فى استيعاب الطفل للمفاهيم والمدركات والعادات.

ب - التقليد : الأطفال يميلون بطبيعتهم إلى التقليد، وهذا التقليد والتأسي يتوقف على سمات شخصية الطفل وحاجاته وردود فعل المحيطين به.

جـ- التقمص : وهنا يشعر الطفل أو لا يشعر بأنه أصبح مثل النموذج، وبذلك يكون قد توحد معه، ويسلك مثله وينفذ تعليمات النموذج. ويتوقف ذلك أيضا على شخصية الطفل وحاجاته ومدى تقبل البيئة المحيطة لسلوكياته المقصبة.

وإذا كانت هناك بعض المخاوف التي تنتاب الآباء من تعرض أطفالهم لرسائل إعلامية لا تليق بأعمارهم، فإن أجهزة الإعلام المعنية عليها مراعاة ذلك قدر الإمكان، كما أن الآباء لا يجب أن يقفوا كما سبق أن أشرنا مكتوفي الأيدي. ورغم ذلك فإن لرسائل الإعلام آثارا جلية في التنشئة الاجتماعية للأطفال ومن ذلك :

١- إشباع حاجات الأطفال للاستطلاع والترويجه والتسلية.

ب - عرض مضمون يتناسب مع فئات الأعمار بحيث يجد كل طفل ما يناسب عمره، مراعية الخصائص الشخصية للأطفال في كل عمر وطبيعة البيئة والمجتمع الذي يقدم فيه المضمون.

ج - ربط الآباء بوسائل الإعلام بالإجابة على استفساراتهم وتوجيهه مشكلاتهم التي تعرّضهم أثناء تربية الأطفال إلى المختصين للإجابة عليها وتوضيح الحلول المناسبة لها.

٧ - رؤية الآباء لدور وسائل الإعلام في تنشئة الأطفال :

في الوقت الذي لا ينكر فيه الآباء دور وسائل الإعلام على تثقيف طفل اليوم، وأنهم افتقدوا ذلك حينما كانوا أطفالا، نجدهم يوجهون بعض اللوم لهذه الأجيال عبر وسائل إعلامهم وثقافتهم. فنسمع بعض الآباء يقولون «جيل تلفزيون» أو يقولون «جيل فيديو» . . . وتحمل هذه العبارات وغيرها نوعا من عدم الرضا في أغلب الأحوال لحال أطفالنا.

وهذا لا يخفى الامتنان الواضح للآباء على مشروع القراءة للجميع والذي تبنته سيدة مصر الأولى «سوزان مبارك».

وبالرغم من ذلك لا ينسى الآباء الجهد الذي تبذل من قبل وسائل الإعلام في خدمة قضيّاه ليس فقط في مصر بل والعالم العربي، وهذا يعلن عن نفسه في

تنوع وكم هذا العدد الكبير مما يقدم للأطفال ومن أجلهم. وأود أن أشير إلى أنه بالرغم من أن الأطفال العرب يمثل تعدادهم بنسبة تقدر بنحو ٤٥٪ من تعداد سكان العالم العربي في الوقت الذي تبلغ فيه نسبة الأطفال في العالم كله ٣٧٪ من عدد السكان تهبط هذه النسبة إلى ٢٧٪ تقريباً في أمريكا الشمالية ودول أوروبا وترتفع إلى ٤٢٪ في أمريكا الجنوبيّة، وعموماً في الدول المتقدمة لا تزيد نسبة الأطفال عن ٢٢٪ من جملة السكان. إن ارتفاع نسبة الأطفال العرب هذه لا يرفع نسبة الإنفاق على الأطفال في هذه الدول العربية والذى لا يمثل أكثر من ١٪ مما كان من الواجب إنفاقه، وهذا ينسحب بالتالي على أداء وسائل الإعلام المختلفة لدورها الرئيسي.

ومن المعروف أن الخلية الأولى التي ينمو فيها الطفل ويحتك بها احتكاكاً مستمراً ويتلقى فيها أول أنماط التنشئة هي الأسرة. والأسرة لا تعتبر الآن بالأسرة الشاملة للرعاية والتنشئة لهذا الطفل أو ذاك في خلال سنوات حياته الأولى، وذلك كما كان حالها في العصور الماضية، فتشاركها الآن معاونة دور الحضانة والروضة بهدفها التثقيفي التربوي ، والمدرسة بأنشطتها الصحفية والإذاعية والموسيقية وغيرها. وكذلك المادة المطبوعة من مجلات وكتب ، والمذيع المرئي والمذيع المسموع ، ونوادي تثقيف الطفل ، وقد استدلت مثل هذه المؤسسات التربوية ومؤسسات أخرى على بعض من تلك الأدوار والأنشطة التي كان الآباء والأقارب يقومون بها في وقت من الأوقات ، وبغض النظر عن تعرض الطفل تعرضاً هائلاً للمؤثرات الخارجية ، فما زالت المدرسة ذات أثر في توجيه الطفل وغموه العقلي وجزء من ثقافته وتحاول دور الحضانة والروضات جاهدة أن تساهم بدور ليس بالقليل وخاصة في مرحلة هامة من مراحل نمو الطفل النفسي .

ويقع على عاتق الأجهزة الإعلامية الآن نسبة كبيرة من تثقيف الطفل وتوجيهه فضلاً عن مساهمة المؤسسات التربوية الأخرى .

هذا .. ويؤكد جوهرية الدور الذي تقوم به أجهزة الإعلام في إعطاء ثقافة مشتركة وخلفية موحدة لأعداد كبيرة من الأطفال وفي أسرع وقت ممكن وعبر المساحات الشاسعة والأملاك المترامية من البيئات المتبااعدة والقريبة .

ونعود ثانية إلى داخل الأسرة، فنجد أنها أول خلية للمجتمع يقابلها الطفل، وأول وكيلة من قبل البيئة لتنشئه وتنبيه عواطفه، وواضعة بذور القيم والتقاليد والعادات عبر الأم بالدرجة الأولى يساعدها الأب بالدرجة الثانية ويساركها أعضاء الأسرة، إن هذا يجعل للأسرة الفضل في بث أوليات ثقافة الطفل.

ثم نعود ثانية أيضاً لمدارسنا فتعتبر عملية توجيه الطفل نحو النظام الاجتماعي والسياسي القائم وتعضيده احترامه له هو أحد المسارات التي تعمل فيها المدرسة كمؤسسة تحافظ على ثقافة المجتمع وتراثه، ولكن مسؤولية مدارسنا لن تنتهي بالمحافظة على الوضع الراهن ولا حتى عن طريق التنشئة الاجتماعية للأفراد القادرين على التكيف بسهولة مع البيئة الاجتماعية والمادية المتغيرة، ولكن بدلاً من ذلك سوف تؤدي إلى أقصى درجة ممكنة من تشجيع القدرات العقلية واستثمارها لأعضاء المجتمع الجدد من الأطفال.

وعلى مؤسساتنا التربوية أن تأخذ على عاتقها القيام بدور رئيسي للتحديث الوعي والتغيير إلى جانب دورها الوعي في تأكيد الاستمرار الشفافي للمجتمع وأصالته المتميزة، وخاصة بعد انتشار وسائل الاتصال الحديثة مثل «الدش».

وسوف يصبح هناك تفاقم للمشكلة نتيجة لحقيقة يشيرها الآباء وهي : أن المدرسة تبدو أنها تتغير بطريقة أكثر بطيئاً عن أوجه المجتمع الأخرى، إن كل التعليم تقريباً يصبح قدماً وقد يكون باليه في الوقت الذي يعطي فيه.

إن علاج هذه المشكلة سوف يساهم فيه التقاء المؤسسات المختلفة التي تهتم بالطفل لتحديد الدور الذي تشارك به كل منها ومداه آخذين في الاعتبار عدم ظهور الإزدواجية في الأداء أو التعارض بل التعزيز والتكميل بين هذه المؤسسات.

ومن بين هذه المصادر الكلمة المطبوعة والممثلة في الكتب والمجلات المقدمة للأطفال. إن لها الأثر الكبير على ثقافة الطفل، فالكلمة المكتوبة هي أول وسيط ثقافي للإنسان، وظلت وسوف تظل بقدرتها وقيمتها.

والكتاب الشفافي للطفل هو الذي يقدم له الصور الذهنية والفكرية والوجودانية ويفسر له المعانى التي تكون في خاطره وفي خياله على مر الأيام والأعوام، ويترجم له كل التصورات والأفكار والخيالات معتمداً على الانطباعات الحسية والمعنوية فيجد فيه الطفل ومنه إمكاماً عقلياً، والكتاب بمثابة الناقل للحضارة

وقيمتها إلى الطفل وكذا المسهم في التربية فضلاً عن عرضه للتراث بأشكال فنية جذابة وبسيطة للخبرة المهزبة وتنمية القدرة على مواجهة الحياة.

إن نسبة كبيرة من كتب الأطفال بالعربية تصور في باب القصة والمواضيعات الدينية وبعض المواضيعات التاريخية، وقلة نادرة هي التي تصور موضوعات علمية أو فنية ولم توجد قواميس أو موسوعات عربية للطفل العربي إلا مؤخراً رغم قلتها.

والكتابة للأطفال فن وحساسية وموهبة بالإضافة للمعرفة الدقيقة براحت النمو النفسي وجوانبه العقلية والاجتماعية والانفعالية واللغوية، مما يستلزم عدم السماح بتوجيه القلم الذي يكتب للطفل إلا من أوتي هذه الحوافز مما يدعو إلى الاطمئنان عند مخاطبة الطفل بالكلمة المكتوبة.

وعلى اعتبار أن ثقافة الطفل مجموعة من الخبرات الواجب اكتسابها، وتساعده على النمو إلى أقصى حد ممكن، فإن المنزل ودار الحضانة والمدرسة وأجهزة الإعلام والكتب والمجلات يجب أن تشارك معاً لاستغلال الكثير من طاقات الطفل المغطاة والتي يمكن عن طريقها إثراء ثقافته ونموه العقلي في ضوء اعتبارات هامة هي :

- ١ - مشكلات الطفل اليومية مصدر رائع للتحقيق والتنشئة.
- ٢ - استغلال حواس الطفل في نمو العقلي وثقافته خير ضمان.
- ٣ - حب الاستطلاع عند الطفل ثروة يجب استثمارها إيجابياً.
- ٤ - إهمال حب الطفل للحركة واللعب في توجيهه خطأ سوف نعاقب عليه أنفسنا.
- ٥ - تستيقظ مدارك الأطفال على الغناء والموسيقا.
- ٦ - القدرة على التخيل إمكانية ذهنية للتحقيق والنمو العقلي ومن ثم التنشئة.

والآن هل علمت الأم بطريقة ما أثر تلك التغيرات، وهل أشير للأب عن أثره الفعال في ثقافة الطفل ونموه، وهل حاول القاصدون والمربون استغلال تلك

العناصر كهدف عن قصد في قضية الثقافة للصغار. وإننا إذا قلنا: وما النوع؟
فسوف نسمح لأنفسنا أن نقول: وما أقل الكم!

وإذا كانت الكلمة المقرؤة هي أخلي الوسائل للثقافة، فإن الكلمة المسموعة
والمرئية تفوقها سرعة في التأثير ومدى الوصول إلى أعماق الطفل.

والتأثير الخطير لكل من الإذاعة والتلفزيون على نفوس الأطفال ووجود ناداناتهم
جعلنا نهتم بإعداد برامج خاصة بهم ويتتحقق من خلالها لهم الامتناع العقلي
والنفسي وتبتعد به عن التدريس في أسلوب التقديم.

والطفل قد يجلس أمام التلفزيون ما يقرب من سدس عدد ساعات اليقظة،
وعندما يجلس أمام هذه الشاشة الصغيرة فهو يتعلم نماذج جديدة من السلوك قد
تدعم أنماط السلوك السائدة أو تبشر بأشكال جديدة من السلوك المقبول والموافق
لمعايير المجتمع، أو قد تثبت قيمًا وأراء وأشكالًا جديدة تتعارض بل تتصارع مع قيم
الجماعة وتقاليدها. وهنا تكون الخشية على التنشئة.

إن الإيمان بالفكر الغربي فيما يقدم للطفل ونقل نماذج الغرب إلى بلادنا
شيء يستحق منا وقفة تأمل. إن ما يصلح هناك قد لا يصلح هنا. ويكتفى أن
نقول عن هذه البرامج التي تقدم هناك ويستعمل بها هنا. إن أطفالنا ليسوا هم
بأطفال الغرب وقيمها التي يجب أن نريها فيهم لا تصلح لها برامج غربية تعنى
وتحتم بتنمية قيم وتقالييد خاصة بأطفالها لإنتمام سلسلة قيمة تخدم ثقافة الغرب من
أجل أطفال بعينهم، وذلك بهدف أن يصبح الطفل ذا ثقافة فرنسية أو أمريكية أو
غير ذلك اعتماداً على القيم والتقالييد والعادات التي تبناها تلك البرامج عن قصد
لأطفالها، وهل أطفالنا فوق كل ذلك يتميزون بمعايير النمو التي يختص بها طفل
من ثقافة أخرى ومن مجتمع مختلف؟ لا أعتقد هذا وإن تشابهت إلى حد ما إذا
جاز لنا هذا القول.

وطوق النجاة لن يكون من خارجنا دائماً، بل من أعماق أصالتنا وتراثنا
العربي العريق، طوق النجاة لنا برامج تؤكد قيم المجتمع العربي وتثبت تقاليد
وعادات وعرفنا عربياً أصيلاً، فالوطن العربي له تراثه وله بناء دينامي وله تاريخ

مجيد خاص به و يتميز به ، تعلنه المصادر والمراجع في كل وقت و حين ، ويجب ألا يطأ على الأذهان السؤال التقليدي : لماذا لا نلحق نحن بلدان العالم الثالث بركب الدول المتقدمة باستيراد الثقافة؟ أقول : لأن المسألة ليست استيراداً للثقافة بقدر ما هي تفاعل للتشقيق الوعي ، لأن اللحاق بهذا الركب لا يجب أن يكون على حساب عراقة وأصالة وعظمة شعوب من أعظم وأخلد شعوب العالم فيما مضى هم شعوب العالم العربي ، وإلا فسوف نساعد الطامعين في محو أصالتنا واحتزازاً تراثنا الراهن .

إن هذا لا ينصح إلا على عدد فقط من البرامج ، والحق أن هناك برامج أخرى لها أهميتها وقدرتها وأصالتها .

٨ - بعض البرامج في الميزان :

و مع البرامج التي تشاهد بقصد الترفيه وتنمية الوقت واستهلاكه مع الطفل الآخر بالإمكانات ، فهي ليست تثقيفية معرفية أو تربوية وتبقى معها طاقات وإمكانيات الأطفال معطلة .

إلا أن البعض يأخذ في الاعتبار أفضل ما يمكن له واضعاً في الاعتبار غابيات تثقيفية ومعرفية وتربوية إلى حد كبير . ومن هذه المسلسلات مسلسل «ستان» و«أحلى الأيام» ، و«نبيه وصالح» وبعض حلقات جوهرية جداً من «حواديت زمان» وغيرها .

وإذا كانت هناك البرامج غير العربية والتي يستعان بها في مثل أفلام الكرتون المحببة للأطفال المشغوفين المولعين بها ، فأين الدبلجة الخاصة بها؟ فهذه مثيرات بصرية فقط يتعرض لها الطفل ويتبعها بكل حواسه كي يصل إلى المعنى وبدون تفسيرها أو تعريرها ندح خيال الطفل لأكثر ما يتحمل الموقف ، فقد يأخذه هذا الخيال لتفسيرات سيئة للمواقف التي يشاهدها في هذه الأفلام غير الموجهة للمعنى والحدث بلغة يفهمها الطفل . إن الأمر يحتاج إلى توضيح للمشهد وإشارة للمعنى وإشارة لمحات الفكر في أثناء متابعة الطفل ومراقبته ، ومن المستحب توضيح الفائدة بنهاية العرض مباشرة حتى تكون القيمة في طريقها للتشكيل .

وفي البرامج لا نرى تنمية القدرات العقلية فليس من هوايات للرسم والتلوين أو التذكر أو التخيل وإن كان منها بالمدرسة إلا أنه من المفضل توافرها في البرامج التلفزيونية المحببة للأطفال بدرجة أكثر مما هي عليه الآن.

ومسلسل «سنان» من المسلسلات الهدافة والتي لها مستوى مرتفع ثقافياً وعقلياً، ولها مضمون تربوي عميق، إلا أن بها شخصيات بعيدة عن الطفل، و«سنان» يحافظ على الحب والوفاء ويدعم الإخلاص ويسعى إليه ويتحذى من المثل ويرى بها إلا أنه ما زال مرافقاً «لففور» و«شرشور» ومعهما كما يظهر في بعض الحلقات على الرغم من أنهما مثلاً للشر والخبث والدهاء في الوقت الذي نسعى فيه مع الأطفال بالبعد عن الجليس السوء وعدم مرافقته.

وفي مسلسلات أخرى نجد جميع الحيوانات تأكل نفس الحلوي ونفس نوع الأكل، وتعيش في نفس الأماكن، ويصبح الطفل في حيرة من أمره بين ما يشاهده وبين واقعه، فضلاً عن أنها قد تكون حيوانات بأشكال غير معروفة فلم يعرف ما هو هذا الحيوان أو ذاك.

وفي مسلسل «حواديت زمان» قد تشمل الحلقة الواحدة حلقتين فرعيتين أو أكثر، ويقوم نفس الأشخاص بالأداء في الحلقتين لأدوار مختلفة الاتجاه ومتعارضة المبادئ، وذلك بالنسبة لبعض الشخصيات فقط، وهذا يعني أنه بالإضافة للخلط الذي يحدث في ذهن الطفل والتدخل في الأفكار نجد التضارب فيما يتكون لدى الطفل نتيجة الدور الذي يقدمه الممثل. وهذا لا يجعلنا نقلل من المضمون التربوي في بعض الموضع.

ومن الأفلام المحببة للأطفال «توم وجيري» و«نقار الخشب» إلا أن الملاحظ في معظم الحلقات كيفية تصميم «المقالب» و«الخبيث» و«الشر» إلى حد ما، وهذه النواحي لا تطغى بالفعل على إمكانيات هذه الأفلام التربوية والترفيهية بالنسبة للأطفال، ولكنها في سبيلها لتدعم النواحي السلبية كالخداع مقابل نواحي إيجابية.

و«افتح يا سمسم» فيه من الأفكار التربوية ويا حبذا إذا وجد ما يشد الأطفال كالمسابقات وأسئلة الذكاء والمفاجآت الهدافة في شتى الخبرات وكذا إذا

استعين بأطفال أبناء الأداء، لهم نفس العمر الذي يحتويه الهدف الموجه وليس بأطفال أكبر من الهدف الموجه والمقصود. وإن كان هذا المسلسل به من الأغاني ونعلم أهمية الأغنية وفعاليتها على الأطفال ومعهم، إلا أنها أغان مباشرة ليس فيها من الخيال الذي يمتع الطفل فيصبح للأغنية عمق في نفسه فتشده بالحركة أو التردد أبناء الأداء فتمس وجدان الطفل وتغلاً عاطفته. ويلاحظ أن كلمات الأغاني في معظمها مباشرة للغاية والأغنية ليس لها اللمسة الوجданية، فالكلمات للأغنية الطفل يجب أن تكون غير مفتعلة وتكون خارجة من وجدان المؤلف حتى تصل إلى وجدان الطفل ومشاعره. فالطفل حساس للكلمة الحلوة الرقيقة ذات الشاعرية والنغم والخيال والتي تشبع العقل والتفكير. ولكن أين هي؟.

إن الكثير من الأغاني مفتقد بل نادر بصفة عامة في برامج الأطفال ويحتاج إلى المحتوى النفسي والتربيوي الملائم للكلمة المنظومة الموجهة للصغير.

إن أغنية الطفل لم تشغل حيزاً ملائماً في برامج الطفل هنا، وبالرغم من أن الكلمة المغناة غذاء لروح الطفل منذ شهوره الأولى، والشكل المحبب منها يكون ذا إيقاع سريع خفيف وتشمل الحوار الرقيق كلما أمكن.

والأطفال حتى الرابعة تستهويهم الحركة فيما يقدم، وبعد ذلك العمر يحتاج الأطفال إلى الخيال، فالاطفال في حاجة إلى الخيال الحر المنطلق لأن لهم عالمهم الخاص الذي يجب أن ندع له ساعة في النهار يخرج فيها بعقله وفكره على واقعنا المادي البحث فيصور لنفسه أشياء «الخاتم السحري» و«مصباح علاء الدين» و«بساط الربيع» أو «بحار السنديباد».

لندع الأطفال يعيشون ساعة من اليوم في دنيا لا يقيدها منطق الواقع، ففي ذلك ودعم وتنمية لقدراتهم الابتكارية فيما بعد، وعلينا أن نحيط هذا الخيال في نهايته بانتصار الحب والخير والجمال آخذين في الاعتبار أنه ليس ممكناً تعاطف الطفل مع الخيال أنه لا يفهم الواقع.

وحقيقة هناك العديد من الأعمال للأطفال تظهر على الشاشة المصرية والسعودية الصغيرة تستحق التقدير، وفيها من الجهد والكم، وبالرغم هذه البرامج تكون على قناة واحدة أو في أوقات متفاوتة لأنه في بعض الأحيان قد تأخذ هذه البرامج نفس وقت الت تقديم على القنوات المختلفة.

أما برنامج «ناشى فى رحاب القرآن» الإذاعى فهو برنامج رائع، ومن المستحب أن يستضيف أكثر من طفل فى الحلقة، ويحضر النقاش مجموعة أخرى من الأطفال.

٩ - تصور الوسائل الثقافية المقروءة وتصور في المحلول :

من المعروف أن الكلمة المكتوبة هي وسيط ثقافي للإنسان، وكانت ولا تزال تحفظ بقيمتها وقدرتها.

والكتاب المقدم للطفل هو الذى يقدم الفكر والمعرفة ويترجم له كل التصورات والأفكار والخيالات مما يشد الطفل لإمتناع فكري ووجوداني بنقل القيم الحضارية والمبادئ والتراث بأشكال فنية جذابة، مبسطا له الخبرة فى تهذيب، وينمى لديه القدرة على التوافق مع البيئة التى يتنمى إليها.

إن نسبة كبيرة من كتب الأطفال العربية تصور فى باب القصة والمواضيع الدينية وبعض الموضوعات التاريخية وقلة منها تهتم بالجانب العلمى والفنى أو ما يتعلق بالمجتمع الحديث.

أما القاموس العربى للطفل أو الموسوعة العربية له أو الأطلس الهاامة فى من القلة أو من الندرة.

والأمة العربية أحرج ما تكون إلى مزيد من البحث عن الشكل والمضمون الأفضل لكتاب الطفل، هذا الصغير المتعطش دوما للثقافة بكل ألوانها. نظرا لأن الكلمة المقروءة فى ثقافة الطفل تلعب دورا هاما فى التنشئة الاجتماعية، وذلك بمساعدته على التعرف على أكبر قدر من ذلك الموجود فى خبرته الحالية، وتقترح له دورا سلوكيا، وغالبا ما نجوى هذه الأدوار الجديدة فى الألعاب التى يؤديها بمفرده أو مع زملائه، وتساعد هذه الكتب على معرفة الطفل بما هو وردي، وما هو جيد وتسهم فى نمو القيم لديه، بما يجعل دور المربى توجيهها لما يقرأ الأطفال.

والمادة المقروءة المقدمة للطفل فى حاجة إلى تقييم برغم كثرتها، لأن تقديم الكتاب للطفل فى مختلف مراحل نموه يجب أن يتم بناء على دراسة علمية وخطة متكاملة تجعل الطفل لا يمر بمرحلة من مراحل نموه إلا ويكون قد قرأ كل ما يمكن

أن يتلاءم مع قدراته الفنية والأدبية من ناحية وكل ما يشبع احتياجاته النفسية من ناحية أخرى، مما يحتم علينا أن نخضع عملية تأليف الكتاب لجهاز علمي يراقب كل ما يقدم للطفل بحيث يشعر الطفل بأن الكتاب متعة حقيقة ويستثمر الطاقات الكامنة بداخله.

وبالرغم مما أشرنا إليه إلا أن مجلات «ماجد» و«فتح يا سمسم» و«سوبر مان» و«غريندايزر» قامت بدور فعال بالنسبة للأطفال، وتشبع إلى حد كبير ما تفتقده في الكلمة المقرؤة للطفل فضلاً عن سلسلة القصص التي اهتم بها محمد سعيد العريان وعبد الحميد جودة السحار وكامل الكيلاني وأحمد نجيب وما يهتم بها الشارونى ونتيلة راشد وغيرهم ومعظمها في باب القصة وبها الكثير من الأسس النفسية التربوية لاطفالنا الصغار.

وكانت هناك مجلة سعودية هي مجلة «حسن» على طريق ثقافة الطفل السعودي، ومن المفضل أن توفر صحافة للطفل السعودي ومجلات خاصة به تتبع من تراثه الأصيل، وتعتمد على ثقافة أرضه العريقة مهبط الوحي وأرض الإسلام العظيم خاتم الأديان.

إن ما يقدم في مجالات ذكرت وأخرى غيرها لم نذكرها لا يحتوى طبيعة البيئة العربية المميزة للوطن العربى ذات الرمال والصحراء الممتدة، ويدلاً من توغل الطفل في بحار ذئني وثلوج شمال أوروبا علينا توجيه توغل مغامراته إلى أعماق الصحراء ومخاطر قمم الجبال وما زق إخراج ثروات الأرض الطيبة، وسیر وحياة الملوك والرؤساء العظام، والعطاء الذي لا ينسى منهم من أجل الوطن. وما هو فوق ذلك تقديم طفولة الآباء والرسول ففيها من القيم العريقة والأصول الراسخة الأصيلة على أن تكون مذاخلها للطفل بأسلوب يلائم حياته الحضارية الحالية.

إن إخراج «سلسلة للأرض» توضح أماكن الوطن الحبيب واتساعه ومدنه وشهرة كل منها وأشهر العظماء فيه عن طريق «مخاطرات كشاف» يؤتى من الشمار أفضل من روايات مترجمة للصغار.

ومن هذه بعض المقترنات خل القصور في المادة المقررة :

- تشكيل لجنة متابعة كتب الأطفال لغرض الرقابة على ما يقدم والذى يعتمد البعض منه على الترفية والسذاجة والاستهزاء بعقلية الطفل على حساب الدور التacyjي التربوى للكتاب.
- وضع خطة عامة لاحتياجات الأطفال من المادة المطبوعة تختتم معايير النمو النفسى وتقوم على أساس نفسية تربوية.
- تخصيص جزء أكبر من صفحات الجرائد اليومية ليقدم للأطفال مادة مشوقة وذات جاذبية تعتمد على أساس نفسية وتربوية، وذلك حتى ياتح للطفل ويحيط به من كل جانب كلمة تهمه وفكرة تجذبه.
- تحرير متخصص جامعى يقدم للطفل فى مجالات متعددة منها الكتابة والكلمة المطبوعة، وقد يكون ذلك مستحبا من خلال إنشاء قسم لدراسة الطفولة تابع لأقسام علم النفس بالجامعات، هذا المتخصص الجامعى يستطيع أن يتعامل مع الطفل بأسلوب مباشر وغير مباشر (عن طريق الكلمة مثلا ... أو رعايته كمربي بدور الحضانة أو المدارس الابتدائية) ويستحب أن يكون هذا المتخصص حاصلا أولا على ليسانس فى الأدب العربى ثم يدرس دراسات تربوية ونفسية ثم بعد ذلك إعدادا خاصا يمكنه من الكتابة الهدافة للطفل.
- زيادة التقدير المادى لما يتوجه كتاب الأطفال.
- مشاركة الصغار بإيجابية فيما يقدم من مادة مطبوعة لإكسابهم الثقة بالنفس وتنمية القدرة على التعبير والطلاقة الفكرية بمساهمتهم فى تزويد المجالات بالمادة المقررة أو الصور.
- لفت نظر الآباء والمربيين عما يجب أن يكون بالنسبة لاطفالهم وما يتوافر بالنسبة لاطفالهم بالسوق المحلية ويمكن الاستعانة به.

١٠ - دعامات أساسية لبناء مسرح ثقافة الطفل المهمة في

تنشئته :

وتقسم إلى أساس للتفاعل المباشر وأخرى للتفاعل غير المباشر :

أ - أساس التفاعل المباشر :

- الدين والقيم الدينية محور أساسى في كل ما يقدم للطفل أو معظمها.
- الطفل يحب المتعة والإبهار والحركة السريعة فيما يقدم والخوار الح悱يف فيما يسمع.
- برامح الأطفال وكتبهم وأغانيهم وموسيقاهم صعبة في كل مراحل تكوينها وتنفيذها تاليفاً وإعداداً وتصويراً وإخراجاً؛ لذا كان لابد من اختيار العناصر البشرية التي تقدمها على أساس الموهبة والمعرفة بسيكولوجية الطفل وتربيته فضلاً عن الاهتمامات بال المجال أو التخصص.
- الطفل يرفض السذاجة التي تقترب من البلاهة، فالمادة المحبية له هي المادة ذكية الخوار السهلة في غير انحطاط.
- أحب ما يكون إلى الأطفال الأشكال سريعة الإيقاع خفيفة الأسلوب المشوقة الممتعة.
- سرعة التغير في الفقرات مع التنوع يلائم طبيعة الطفل، وهذا ما يعطي البرامج المتنوعة للأطفال أولوية، تلبيها الفصوص الخرافية والواقعية ثم المغامرات.
- إطلاق الخيال للطفل يومياً لنخرج بعقله عن الواقع المادي البحث في طريقه إلى تنمية الابتكار.
- مسرح الطفل يملأ نفوس الأطفال بهجة بعرض المواقف الدرامية والفكاهية بهدف بث قيم المجتمع، ولدينا نحن العرب تراث عريق وأساطير وحضارات، مما يربط أطفالنا بجذورهم الثقافية والحضارة الإسلامية. إن المسرح حقاً شيء شبه مفتقد، وخاصة إن التنوع في وسيلة نقل الثقافة المقدمة للطفل تحقق له حاجة للتغيير، فيجب أن ينال رضاه من مصادر متعددة من التلفزيون والمسرح والكتاب والإذاعة وغيرها، إن ذلك ضمان

لدعم القيمة وتكشف لبّها عمّا لو استعين بآداة واحدة أو وسيلة دون غيرها. إننا في حاجة إلى مسرح للطفل العربي.

- التقصير في مجال أفلام الطفل وخاصة الطفل العربي يدفع الأطفال لمشاهدة أفلام الكبار، وذلك له من الأضرار ما قد يبلغ حد الإيذاء القاتل للبناء النفسي للطفل وعقليته وعواطفه.

أين الفيلم العربي للأطفال، لا يوجد إلا نادراً، ويُكاد يكون مخفياً.

- هناك فروق كبيرة بين لغة الطفل ولغة الراشد، ومن ثم فمعرفة لغة الطفل في مراحل النمو المختلفة شيء مهم لكل من يتعرض لعمل في وسائل ثقافة الطفل، إن هذا يجذب وجود قاموس لغوي للأطفال.

وحتى الآن لا يوجد مثل هذا القاموس للغة الطفل ليُسر على المهتمين بالثقافة ويعدهم عن السلبيات فيما يقدم.

ب- أسس التفاعل غير المباشر :

جذب انتباه الأمهات والأباء العرب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة لبعض القضايا الهامة في حياة الطفل ونموه، تفيد بطريقة غير مباشرة في تنمية ثقافة الطفل العربي وهذه القضايا هي :

- التأكيد على أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل.

- التأكيد على تنمية علاقات الاحترام المتبادل بين الطفل والديه.

- التوعية بضرورة أن يصبح الأب أكثر ارتباطاً بأسرته وأطفاله في سني حياتهم الأولى، وألا يكون رمزاً للسلطة والتخويف عند أولاده بل هو رمز للثقة والحب.

- التأكيد على أن كثرة العقاب البدني ليست وسيلة لإصلاح الصغار بل تولد الخلق المنخفض والرغبة في التمرد والارتياب.

- تأكيد العناية الطبية والغذائية وتقديم المساعدات الطبيعية للألم والتركيز على الأسرة ذات المستوى الاقتصادي الاجتماعي الثقافي غير المرتفع كهدف.

- تبصير الأمهات بأدوار أساسية في التنشئة كعملية الفطام والاندماج مع الأطفال وكيفيتها.

- تأكيد كيفية التفاعل بين الطفل والديه وضرورة إشباع حاجاته إلى العطف والحب والتقدير والتعود على المسؤولية، واكتساب خبرات جديدة باستمرار وتأكيد حب المعرفة عنده من أجل احترامه لذاته.

- تبصير الأمهات والآباء بأنهم يسهمون دون وعي منهم في تحطيم ثقة الأطفال بأنفسهم عند الاستخفاف بهم وإذلالهم بتشبيههم بأشياء قبيحة.

- التأكيد على الوالدين في التعود على التحدث مع أطفالهم بلغة البالغين وعدم ترويض أخطائهم.

- الإيمان بأن اللعب جزء لا يتجزأ من عملية التعلم.

إن خطة قومية لتنقيف الطفل العربي تؤكد على القيم الدينية معتمدة على تطور الشعور الديني لدى الأطفال كأساس لبناء هذا الجانب، وتنمية الشعور بانتماء أطفالنا لوطن عريق وتنمية الإحساس بالمسؤولية نحو المجتمع الذي يعيش فيه الطفل، يكون من قبيل تنشئة الطفل العربي.

إن هذه الخطة إذا أكدت على طاقة الطفل وإمكاناته المطلة الآن، وقدراته النامية والتي يجب العناية بها ورعايتها على أساس سيكولوجية وتربيوية لتكون مهمة بحق في قضية تنقيف الطفل ومن ثم تنشئته.

ويعتبر إنشاء أقسام للدراسات الطفولة بالجامعة تقوم على إعداد خريجين يعرفون جيداً متى وماذا وكيف وأين يقدم للطفل من المعلومات والمعارف والقيم والتقاليد والعرف والأصول العربية العريقة، فهو خطوة عظيمة واهتمام رائع ليس بقضايا الطفل وعالمه الخاص، بل بتنشئة الطفل العربي.

تاسعاً: الخدم والبشكار والمربيات

ما يلون الحياة العاطفية للأطفال داخل الأسرة وجود الخدم أو البشاكير، والحاضنات والمربيات، وذلك إذا افترضنا دخول الأطفال في علاقات مع واحد من هؤلاء، فربما خلا المنزل من مثل هؤلاء.

والخدم من الذكور والإإناث هم الأشخاص الذين يتم الاستعانة بهم في المنازل لأداء خدمات مثل التنظيف أو الطبخ، وإن كانت الخدمات كثيرة ما يجدن أنفسهن في ظروف تجعل من اختصاصهن رعاية الأطفال بالإضافة إلى أشغال المنزل.

وإذا كان مصطلح الخادم قد انتشر في البلاد العربية الإفريقية حتى المغرب العربي وبعض دول آسيا، إلا أن بعض دول الخليج مثل الإمارات تطلق مسمى بشكار على الخدم الإيرانيين بغض البشارة الذين استمر وجودهم هناك حتى قرب الخمسينيات من هذا القرن، وكانت هذه الفئة تقوم بعمل القهوة وصبها في المجالس ويسعون في المحلات ولا يطبخون ولا يقومون بالأعمال المنزلية مثل النظافة والكنس.

وكلمة بشكار من أصل فارسي، وتنقسم إلى «بيش» وتعني «أمام» و«كار» وتعني «عمل»، وتكون في مجملها «داخل أو أمام العمل» وجمعها بشاكير. ويدرك فالح حنظل أنها تعنى «الخادم في البيت».

أما الحاضنة فهي الأم الاجتماعية للطفل، ويعهد إليها بالطفل داخل الأسرة أو خارجها ، فقد تكون مريضاً أو غير مريض حسب مؤهلاتها وحسب المرحلة التي وكلت فيها حضانة الطفل، وأحياناً توظف داخل الأسرة للعناية بالطفل في كافة النواحي حتى مع وجود الأم، وأحياناً تستقدم فقط في حالة وفاة الأم.

والمربيّة أئمّة تأئمّ ل التربية الطفل ورعايّة تقويم سلوكه، وتنشّته على النحو المراد، وكذا تعليمه في مراحل حياته الأولى.

وربما تقارب هذه المفاهيم عندما تختلط أدوار هؤلاء، نقصد الخادمة وال بشكيرة والحاضنة والمربيّة، وفيما يخص ما يعهد إلى الواحدة منه من دور تربوي ، فقد يكون دوراً عابراً وحسب ظروف سيدة المنزل (أم الطفل) من كونها تقضي اليوم خارج المنزل أو داخله ، أو مدى اشغالها داخل المنزل من عدمه. ومهما يكن الأمر فإن الطفل يدخل في علاقة ما مع الخادمة أو المربيّة، سواء مع توافر تام لعلاقته بأمه أو توافر جزئي ، ويتم ذلك يومياً سواء في غياب الأم أو في وجودها . وعبر هذه العلاقة يحدث التأثير المرتقب في تنشئة الطفل . وربما وصل

الأمر لأن تأخذ الخادمة دور الأم البديلة Substitute Mother. وعندها نكون قد قلنا نعم للخادمة، لقد تنازل الآباء عن دورهما في تلبية الحاجات العاطفية والنفسية إلى مجهولين، وأصبح البرعم النامي يتجاوب مع مجتمعه عبر واسطة هي محض تأجير، غالباً بعد عن أن يوفى بأبسط المطالب التربوية الإنسانية. ونادرًا ما تتوفر التجاوبات عبر واسطات صحية بأسرة الطفل، كبعض الحالات التي تصبح الخادمات على علاقة لسنوات بهذه الأسرة، لدرجة تجعلهن غير مفتقدات للتبدل العاطفي مع أفرادها. ولكن غالبية الخدم يعتبرون غرباء عن الأطفال، وفي بعض المجتمعات يأتين من مجتمعات مخالفة وثقافات بعيدة.

ففي واحدة من الدراسات التي تمت في منطقة الخليج، اتضح أن ٨٪ من مجموع المربيات في بعض دول الخليج لهن إلمام باللغة العربية، وجاءت اللغة الإنجليزية اللغة الأولى للاتصال بين المربيات والأطفال. فكيف إذن لعملية التطبيع الاجتماعي أن يتم جزء منها في غياب اللغة؟ إن اللغة نظام موضوع من الرموز يستطيع أعضاء الجماعة بواسطته أن يتفاعلوا وأن يتعاملوا وفق المعايير الاجتماعية في المجتمع، وماذا يكون التوقع إذا ظهر أن ٢٥٪ من الأطفال يقلدون المربية في اللهجة، وأن أكثر من ٤٪ من الأطفال تشوب لغتهم لكنة أجنبية ويعرضون لمضaiقات أقرانهم لهذا السبب، كما أن من ٦٠٪ إلى ٧٥٪ من المربيات غير مسلمات، ويمارس منهن ما نسبته ٩٨٪ تقريباً شعائرهن الدينية ... إنها قدوة خطيرة أمام النشء المسلم من الأطفال في منطقة الخليج إذا تذكروا أن الطفل البشري يحتاج لفترة حضانة ورعاية طويلة نسبياً ويأخذ نموه الاجتماعي من خلال تفاعلاته مع المحيطين به مباشرة، في الوقت الذي تنازلت فيه ٤١٪ من أسر الأطفال عن إشرافها على لعب الأطفال، وفي الوقت الذي يمكن أن يستقر بعض المربيات مع الأطفال فترة تفوق الخمس سنوات.

وعموماً فإن نتائج دراسة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بعُمان أشارت إلى أن وجود مربية أجنبية للأطفال أثناء مرحلة الطفولة المبكرة، قلل من فرص الأطفال في الاعتماد على النفس، بينما أشارت نتائج الدراسة على عينة كويتية إلى عدم وجود آثار سلبية للمربيات الأجنبية على الأطفال من حيث نوهم اللغوي والنفسى والاجتماعى، نظراً لاقتصر أعمال المربيات على الخدمة المترهلة، وقيام

الوالدين بأغلب مسئولياتهم نحو الأبناء مثل توجيههم ومساعدتهم دراسياً والإشراف على طعامهم ولباسهم وألعابهم وصحتهم.

وإذا كانت ظاهرة الخدم واضحة في منطقة الخليج، فإن الظاهرة محدودة في مصر ودول المغرب العربي، ولكن عموماً كلما ارتفعت مكانة الأسرة اجتماعياً واقتصادياً أمكن أن تتصور إمكانية وجود خدم أو مربيات.

إن العلاقة الحميمة التي نلاحظها أحياناً بين المربيات والأطفال، إنما يرجع بعضها إلى اعتماد أساليب تربوية خاطئة لدى المربية، مثل التساهل والتراخي، والتكتم على تصرفات الأطفال ... وحتى الحنان المفرط.

وإذا كانت هذه الفئة تتخذ من هذا العمل مهنة لها، فإن تقلباتهم بين البيوت عبر السنوات يجدهم حنانهم العاطفي، ويجعلهم عرضة للتذبذب في المشاركة الوج다ية، ولذلك فالأشخاص من هذه الفئة تكون علاقاتهم بالأطفال مجرد علاقات مظهرية ووظيفية في الأعم والأغلب، وبقدر ما تعمل الأسرة على توفير حياة طيبة للخادمة أو المربية يمكن أن تنتظر من الأخيرة الاهتمام والرعاية بالأطفال.

إن علاقة الأم والطفل، في جلستها أو في حركتها، أو حالتها النفسية تبدو أثناء إرضاع الطفل أو تغذيته، وينعكس ذلك على الطفل، وربما الخدم والمربيات كثيراً ما يbedo اهتمامهم بتنظيف الأطفال وملاحظتهم أثناء اللعب .. وما إلى ذلك. ولكن قد يثيرن افعالات الأطفال نتيجة توترهن أو التقرز وهن يقمن بتنظيفهم، وينعكس ذلك على شعور الطفل بذاته وقيمةه بالإضافة إلى ما يستخدمه بعض الخدم من أساليب الأمر والنهي لانخاض مستوى الثقافى .. أو أساليب العقاب .. لقد شاهدت بنفسي خادماً يهدد طفلاً في الرابعة من العمر تقريراً بضرره بالحذاء، وذلك أثناء وجودي في متجر بإحدى الدول العربية.

إن هذا لا يقلل من الجهد الكبير الذي يبذله بعض الخدم والمربيات في خدمة الأطفال بياخلاص، ولكن يظل والداً الطفل أهم عاملين أوليين، ما داما هما الشخصان الرئيسيان اللذان يتصلان بالطفل مع بداية حياته، وينطبق ذلك أيضاً على أي شخصيات اجتماعية يكون للطفل بها علاقة مثل المربيات أو الخدم، حيث

يُتوقع هنا شيء من التوحد Identification يأخذ فيه الشخص اتجاهات وأنماط سلوك شخص آخر .. وينتهي إلى تقليدها أو ممارستها، وهنا يكون قد حدث نوع من الاستدلال Internalization أو النمذجة والاقتداء Modeling .

ومع مصطلح التوحد والاستدلال يكون التقبل اللاشعوري لقيم الوالدين والمربيين، بحيث تصبح جزءاً راسخاً أو شبه راسخ في نظام القيم للطفل، وهنا تكون العواقب إيجابية، إذا كان من يحل محل الوالدين فيه من الصفات المؤهلة، أما إذا كان من يحل محل الوالدين ليس مؤهلاً نفسياً وخلقياً - في ضوء معايير المجتمع الذي يعمل فيه - على أداء مهمة رعاية الأطفال، فالمتظر أن يتاح الطفل سلوكيات عليها الكثير من التحفظ وربما أودعه الاغتراب .

إن الأطفال في سبيل تنشئتهم على النحو المناسب في مجتمع ما يجب، بالإضافة إلى تحقيقهم حاجاتهم من غذاء وملبس وملائكة، أن توفر لهم العاطفة وفرص اللعب والتشجيع على ممارسات لغوية ودينية واتصالات رمزية مع الآخرين في ضوء قيم ومعايير نفس المجتمع .

وهذا ما يدفع بعض الدول الغربية إلى أن تشرط أن يتعلم المتقىون إليها لغة البلد التي يعملون فيه، وتوجد في ألمانيا مثلاً مدارس رسمية وأخرى خاصة تشرف عليها جهات مسؤولة من أجل تعليم الألمانية للأجانب مقابل تكاليف زهيدة، ولذلك لا نجد أثراً للمعاملة المهاجرة. إن هذا ما يجب أن يأخذ في الاعتبار عند إحضار أجانب أو مربيات أجنبيات ، تلك الظاهرة التي زحفت على المجتمع الخليجي وفي طرقها للمجتمع المصري ومجتمعات أخرى .

الفصل الرابع

فأذج لتنشئه الطفل
من بيئات مختلفة



إن أساليب التنشئة تختلف من بيئه إلى أخرى، فتختلف أساليب التربية باختلاف الثقافات، مما يأتى معه اختلاف في شخصيات الأطفال.

وسنعرض فيما يلى نماذج للتنشئة في عدد من البيئات المتباعدة في مناطق متفرقة من العالم تتفاوت في بنائها الاجتماعي من البدائية إلى الصناعية المتقدمة.

أولاً : نمط تنشئة الطفل من قرية مصرية:

انها قرية «سلوا» تلك القرية المصرية التي تقع في محافظة أسوان، في منطقة فقيرة، تعتمد الحياة فيها على زراعة المحاصيل ورعي الإبل.

ويتمى أهل «سلوا» إلى أصل واحد، لقد نزحوا من شبه الجزيرة العربية، وفيها عائلتان أو عشيرتان كبيرتان، هما الجعافرة والعبابدة، وتنقسم كل عائلة إلى مجموعة من الأسر، والعائلة وحدة اقتصادية واحدة يمارس أفرادها نفس المهنة، ويعتمد مركز العائلة على الملكية.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

الروابط العائلية هي القوة الأخلاقية وراء تمسك القرية، وتحمّل العائلة مسؤولياتها كاملة عن سلوك أفرادها، وتنمى المعايير الأخلاقية بين أفراد العائلة الشعور بالانتفاء واحترام الكبير والقائد.

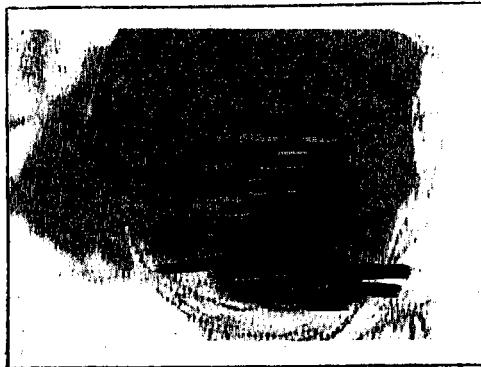
وتختفي من مجتمع «سلوا» ظاهرة صراع الأجيال. وكل قواعد السلوك تستند أساساً على القرآن والسنّة، ويعتقد السكان أن الإهمال في تربية الأطفال يصبحه غضب من الله ونقمته منه فيحل المرض وتفسد المحاصيل.

وتسود مجتمع «سلوا» ظاهرة التنافس والغيرة بين الإخوة، والصغير يغار من يكبره، والكبير ينافس الصغير، فالاعتقاد السائد أن التنافس ظاهرة مفيدة لتحقيق النماء، ويعتقد أن نظافة الأطفال تجلب لهم الحسد.

ويرى أهل «سلوا» أن فترة الطفولة أنساب الأوقات لفرض قواعد التأديب والنظام، ليعرف الطفل مكانه بين عالم الكبار في القرية، ويدعم نظام التربية

المعمول به هناك أسلوب العقاب لردع الانحراف، ويشيع هناك أيضاً مثل القائل «العصا لمن عصا»، وتسود في مجالات التفاعل بين الكبار الريبة والتكتم والظن والخوف، إذ يعتقد أهل «سلوا» أن «الخوف بركة».

٢- رعاية الأطفال من الوالدين:



عرض حامد عمار مظاهر التربية في إطار للنمو. فقد أوضح أن طور الحضانة يمتد حتى ٤ سنوات، ويفطم الطفل غالباً قبل نهايتها. ويتعلم الطفل في هذا الطور الكلام والاستجابة لأوامر الكبار. وتميز تلك الفترة بالتساهل مع الطفل. وهناك اهتمام بعملية الرضاعة يرجع إلى الاعتقاد الشائع بأن ثدي الأم رمز للحنان. ويفطم الطفل بطريقة قاسية.

وحتى عمر ٤ سنوات يبدو عدم العناية بمعظمه الأطفال أو ملابسهم القدرة، إلا أنه بعد العاشرة من العمر لاتسمح الأسر للأطفال بارتداء الملابس الممزقة أو كشف عوراتهم.

وتقوم عملية تلقين الطفل قواعد السلوك على الإلزام غالباً القهر اعتماداً على الأقوال السائدة مثل «إذا عصى الابن الوى رقبته». ومع هذه القسوة في التنشئة يغرس في نفس الطفل الخنوع، والخوف والرهبة.

٣- مراعاة الفروق بين الجنسين في التنشئة:

يفرق أهل «سلوا» بين البنين والبنات في المعاملة وحتى عند تناول الطعام كما يحرم لعب الذكور الإناث معًا ابتداءً من السابعة، بل حتى الاختلاط معًا، وعلى البنت بعد هذا العمر أن تغض النظر كلما قابلت رجلاً في الطريق. والمجتمع في «سلوا» يميل إلى القسوة والإلزام مع الفتاة أكثر من تطبيق هذه الأساليب مع الفتى، فالشدة هي ما يميز معاملة الأسرة للبنت، ويرجع التفاوت في

أساليب المعاملة بين الجنسين إلى القيم الدينية والقيمة الاقتصادية والاجتماعية للجنس التي تحقق للأسرة الاستمرار والبقاء

٤- المشاركون في التنشئة:

الأب هو العائل والمسئول عن إعالة الزوجة والأبناء، ويطلب الأب من الأولاد الطاعة والاحترام، وقلما أظهر الأب الحب والعطف لهؤلاء الأبناء. والأب له سلطة مطلقة في تحقيق التماสك الأسري.

وتسمهم جدتنا الطفل في تربية الحفيد، وعملية تربية الطفل عملية مشاعة تتولاها العائلة كلها.

ومع نهاية ٤ سنوات من عمر الطفل، يستقطب الطفل جماعة الأطفال من نفس السن ويلعب الإخوة دورا هاما في تكوين اتجاهات الطفل، ويقف الإخوة الكبار موقف الحراس على إخوتهم الصغار أثناء اللعب.

٥- المنتظر للأطفال:

يتنتظر أن يتعلم الطفل أنماط السلوك وبعض العواطف التي عليه تبادلها مع الأقارب، وعدم اللعب أو الأكل إلا مع أقرانه من الأقارب فقط غالبا، وييتغير أن يحترم الطفل الكبار، وينسحب من مجتمعهم، على الرغم من تدريب الصغار على الأداء مثل هؤلاء الكبار.

من الهام لدى أهل «سلوا» أن يلقن الطفل قواعد السلوك الاجتماعي، ليتوافق مع معايير المجتمع، وتأديب الطفل عملية أساسية حتى يبقى استمرار البناء الاجتماعي، وذلك اعتمادا على ركائز الدين الإسلامي

ومع عمر الثالثة سوف يعرف الطفل أنه لن يسمح له بالتبزر خارج المنزل، وفي العاشرة يعرف أنه لا يجب أن يكشف عن أعضائه التناسلية، وعليه أن يذهب إلى المسجد ويطيع الكبار، ويقبل السلطة المفروضة في هذه السن، وعندها يطلق عليه «ابن حلال».

وييتغير أن يتعلم الإخوة التنافس لاعتقاد الآباء أنه أسلوب يدفع الطفل إلى التخلص عن طفولته. وييتغير أن يتحول الطفل إلى إنسان متوج وليس عبئا اقتصاديا

٦ - نتائج ومشكلات للتنشئة في قرية «سلوا» :

يغلب على ألعاب الصغار القسوة والخشونة، وهذه المظاهر تبدو تنفيساً عن المشاعر العدوانية ضد عنف الكبار عموماً والإخوة الأكبر، والتي يحرم على الطفل التعبير عنها.

ويرى حامد عمار أن استعمال القسوة في التربية لأولاد قرية «سلوا» تدفعهم إلى الكذب ومارسة الخداع في اللعب.

والشخصية لدى أبناء «سلوا» عموماً تتميز بالشابة والدأب على العمل، ومارسة الإلحاد، وردود الأفعال السريعة.

ثانياً: تنشئة الطفل في قرية مكسيكية :

إنها قرية سانت دومنجو بريو في ولاية أوكساكا المكسيكية.، وهي قرية فقيرة يقوم البناء الاجتماعي فيها على ثلاثة عناصر هي القرابة والسن والجنس، وتسيطر على نظام الأسرة الممتدة، ويسود فيها غالباً نظام الزواج الداخلي.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

تبدو المشاركات الجماعية في مواسم الحصاد والخلفات. ويرى أهل بريو أن الأسرة لا تكتمل بين زوجين إلا إذا ولد طفل لهما. وينظر أهل القرية إلى عدم الإنجاب كظاهرة غير طبيعية، وتشعر الأمهات لإنجاب أطفال كثريين في سن مبكرة. والأطفال لهم قيمة اقتصادية، ويعتقد أنهم يتعلمون السلوك المناسب تلقائياً لدرجة أن كثيراً من الأمهات لديهم لامبالاة من تصرفات الأطفال غير المناسبة كالخروج.

ولايمارس أهل بريو أساليب التسلط أو العقاب البدني للأطفال، وينظرون إلى التنافس والصراع بين الرفاق نظرة كره، وتكره الأمهات اعتماد الأبناء على أنفسهم ولا يشجعونهم على الاستقلالية عنها، على الرغم من أنها تؤكّد وتشجع على سلوكهم الإنباري. ولا يهتمُّ أكثر من نصف أهل القرية بإرسال أطفالهم للمدارس.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين :

ينال الرضيع عناية أمه وحنانها منذ ميلاده، وتعطى الأم ثديها للطفل كلما بكى، وتستمر عملية الرضاعة نحو عامين. ويعمل الابن بالزراعة حينما يتجاوز العاشرة من العمر، أما الابنة فتدربها الأم على أداء الأدوار النسائية. وأسلوب عقاب الأطفال الشائع هو التأنيب أو العزل من جانب الآباء، وتقف الأمهات موقف لامبالاة من الأخطاء وكل منهن تقوم بتأنيب أطفالها.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين في التنشئة:



يوجه الأطفال ليعاون الابن الذكر أباه في العمل، وتساعد البنت أمها، ولا يضرب الآباء الذكور نهائياً وأحياناً تضرب البنات، وتفضل الأمهات أن يلعب الأولاد الكبار بمفردهم، كما تؤثر الأمهات الفصل بين الجنسين في اللعب بعد مرحلة البلوغ. أما في الطفولة فيمكن أن يلعب الذكور الإناث معاً ولكن تحت إشراف فتاة كبيرة.

والأمهات لا يفرقن بين ملابس البنين وملابس البنات، فيلبس الأطفال من الجنسين أزياء متشابهة فيما قبل ٨ سنوات تقريباً، ولا تهتم الأمهات حتى هذه السن بتربية الأولاد تربية جنسية، وغالباً لا يغطى الأبناء عوراتهم وكثيراً ما يلاحظ ممارستهم للاستمناء.

وبعد عمر ١٢ سنة يبدو التمييز واضحاً بين الذكور والإناث، وترتبط الإناث بأعمال المنزل وتكون أكثر احتراماً وإذاعاناً وتفرض علىها الأسرة الطاعة، وبينما تفرض الأم على ابنتها الطاعة، تعطى ابنتها الحرية كاملة، إلا أن الابن يتعلم الانقياد والطاعة لأوامر الأب، ويعتني كثيراً بتغذية البنات أكثر من الأولاد. والبنات أكثر إقبالاً على التعليم من الأولاد، نظراً للحاجة إلى مساعدة الأولاد للآباء في أعمالهم.

٤- المشاركون في التنشئة:

من الأمور الطبيعية مشاركة الكبار من أبناء العم وأبناء الخال في تربية الصغار، والعائلة كلها تشارك في عملية التنشئة، بل يرى البعض أنها أفضل من الأب والأم.

وبالرغم من أن مسؤولية العناية بالرضيع تقع على الأم إلا أن اختها (خالة الرضيع) تشارك وكذا عمة الرضيع. وتنتقل الرعاية إلى الإخوة وأقارب آخرين بعد الفطام، ولا يهتم الأب غالباً بالعناية بالأطفال لانشغاله بأعماله خارج المنزل.

٥- المنتظر للأطفال:

الطاعة أمر مرغوب فيه من الطفل. وينبع الطفل المطيع دائمًا الثواب على طاعته.

ويقلد الأطفال في العابهم سلوك الكبار، ولكن حياتهم ليست لعباً خالصاً بل يساعدون الأسرة في العناية بالطيور والحيوانات، ولا يتعدى نشاط الأبناء فناء المنزل، أما بعد ١٢ سنة فالمتظر أن يعمل ابن بالزراعة.

ويتعلم الأطفال العدوانية مثل الضرب والبصق والرفس مع الأطفال الآخرين، ويتعلمون سرد الأكاذيب وقول الزور. وإن كانت هذه السلوكيات لا يعرفها الطفل من داخل أسرته.

وعلى أي حال فإنما بينما تتصف شخصية الذكور بالعنف والقسوة مثل الآباء، فالمتظر أن نجد الإناث يتصرفن بالوداعة والهدوء مثل الأمهات.

٦- نتائج ومشكلات التنشئة في قرية بريو:

أساليب التربية المتبعة في القرية تأتي بأفراد يؤمّنون بالسحر ويقدرون العمل، ويسود بين أفراد القرية التعاون والمساواة، ومن الشاذ أن يُرى أو يُسمع عن فرد استغل أشخاصاً آخرين.

ثالثاً: التنشئة للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية:

المجتمع الأمريكي مجتمع رأس مالي، وهو مجتمع يقوم على الانتاج الضخم. ويتميز هذا المجتمع بعدم التجانس بين ثقافاته، وتعدد طبقاته. ويواجه المجتمع كثيراً من المشكلات الصناعية الضخمة.

١- الأعراف والقيم الشائعة:

تقوم التربية في المجتمع الأمريكي على قيم متضارعة بين طبقة وأخرى، ويواجه الطفل منذ بداياته تيارات متباعدة من المبادئ وغاذج السلوك داخل الأسرة وخارجها.

ويؤكد المجتمع الأمريكي على التعبير الحر للفرد، ولو على حساب التماسك الاجتماعي. ولا تخضع عملية التربية للأبناء فيه على أسلوب محدد يرتبط بنظام الدولة، بل إن التربية تعود للأشخاص، وتمر نتائجها حسب جهد الوالدين أو أحدهما في توجيه الأطفال.

ويتفاوت دور الأب والأم أثناء عملية التنشئة، والأسرة تلقن الأبناء قيم الطبقة التي تنتهي إليها، وكثيراً ما تتعارض قيم الأسرة مع قيم الجماعات الأخرى مثل جماعة الرفاق، وتدعم جماعات الرفاق للأطفال - وبخاصة مع اقترابهم من البلوغ - التزعات المعادية لقيم الكبار واهتماماتهم.

٢- رعاية الأطفال من الوالدين:

يتفاوت دور الأب والأم في اتخاذ القرارات الأسرية الخاصة بالأطفال وفي استخدام العقاب البدني، ووضع القيود على الأطفال. وعموماً يتضح ضعف دور الأسرة في توجيه الأبناء.

فالوالدان لا يبذلان جهداً ولا ينفقان وقتاً كافياً في المواقف التي تتطلب تقديم النصح وتوجيه السلوك لضعف علاقات الود داخل الأسرة. كما أن هناك ضعفاً في العلاقات بين الكبار بعضهم وبعض.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين في التنشئة



تختلف بعض الطبقات في أسلوب تربية البنت عن الولد، ويبدو هذا الاختلاف واضحاً عند الطبقة العاملة التي تعاقب البنت على أفعال تغفرها للولد.

٤ - المشاركون في التنشئة:

لاتضع الدولة معايير للتربية الجماعية مثلما نجده في دولة ضخمة مثل أمريكا وهي روسيا، وإن كانت هناك دور للحضانة وروضات.

والتربيّة مسؤولية الأسرة وحدها، وهذا ما يجعل الطفل الأمريكي أكثر عرضة أحياناً للقلق إذا ترك في عنابة شخص آخر أو في دار للحضانة.

ولذلك فالأشخاص الآخرون دورهم ثانوي في تربية الأطفال، وللأبوان دور مهم في تلقين الطفل قيم الطبقة التي يتسمى إليها.

وبحمّيات الرفاق دور مهم على الأطفال الكبار، وهي تعمل مستقلة عن إشراف الآباء إلى حد كبير، وتميّز بالمرونة في أفكارها، ولذا فغالباً تعارض مع مبادئ الأسر.

٥ - المنتظر للأطفال:

تستقطب الطفل الأمريكي مواقف السلوك الاستقلالي والحرية والسلوك المنحرف بدرجة أوضح من الطفل السوفييتي في نفس العمر، ويعانى الطفل الأمريكي صراع القيم بين ما يراه داخل الأسرة وما يراه خارجها.

٦ - نتائج ومشكلات للتنشئة في المجتمع الأمريكي:

لا يجد تحديد من جانب الأسرة لحرية الطفل، ولا تبدو الصورة البارزة للتربية الجماعية، كما لا يوجد توحد مع القيم باستمرار من جانب الأطفال، ويرتضى الأطفال العيش في الامتحانات، ولا مانع أن يأخذوا أشياء لاتخصهم أحياناً ويتجاهلون غيرهم من هم في حاجه إلى نجدة.

رابعاً: تنشئة الأطفال في روسيا:

كانت روسيا لعهد قريب مجتمعاً يعتمد على النهج الاشتراكي، والمجتمع الروسي له نسق صناعي متقدم يتصارع مع الولايات المتحدة الأمريكية.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

كانت التربية في روسيا تهدف إلى إعداد طفل يتوافق تماماً مع معايير الكبار، ومن أهم الأهداف التربوية خضوع الطفل للنظام واحترامه بالإضافة إلى الطاعة.

فالطفل في مجتمع متجانس، ويعيش في معايير متجانسة، والتنشئة في روسيا تهدف في جميع أطوارها إلى تحقيق الجماعة وتأكيدها، والقائمون بالتنشئة ملتزمون، وكانوا يؤكدون على غرس القيم الاشتراكية.

ومسؤولية الأب في المجتمع الروسي نحو أبنائه هي استمرار لمسؤوليته نحو المجتمع، وتأكيد السلوك الصالح الجماعي.

وتهدف عملية التنشئة إلى التكوين الخلقي عند الطفل. وقد حددت لهذا التكوين برامج إجرائية يتعرض لها الأطفال بفاعلية في المدرسة والبيت والمجتمع. ولكل سن برامجه الخاصة به في تفصيل يحدد بالدقة ماذا يجب على الطفل عمله في تلك البيئات الثلاث. والمعلمة أو المنشئة لها مكانة عالية، ودورها محل تقدير من جميع أفراد المجتمع، والمعروف أن مسؤوليتها خطيرة في إعداد النشء ورعايتهم نفسياً وتربيوياً.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين:

ليست الأسرة الروسية نظاماً مغلقاً عن المجتمع الكبير، فهي تعد جزءاً من البناء الروسي القيمي. وتقوم التربية للأطفال على الإقناع والتشجيع والمدح، ويتم

اللجوء إلى العقاب بالتأنيب والتهديد بسحب الحب للأبن التمرد. والروس يكرهون العقاب البدني.

ويرى الطفل على احترام العمل وتنظيمه، واحترام العمل مع جماعة واخضاع رغباته لصالح الجماعة.

ويؤكد الروس على الحماية الزائدة، وغرس الروابط العاطفية بين أفراد الأسرة.

ومنذ مولد الطفل تهتم الأسرة بعملية الرضاعة، إيماناً بإشباع الحاجات الأولية والنفسية للطفل، ومع نمو الطفل يستمر توفير الحنان والدفء الأسري له. فيلاحظ عنقه وتقبله بكثرة مما يشاهد مع الطفل الأمريكي. ويؤدي الحب الزائد للأطفال إلى تقييدهم.

وإن لم تكن الأم متعلمة، فإنها تزود بعديد من النشرات والكتيبات، التي توضح لها بأسلوب سهل بالصور والأمثلة، كيف تتعامل مع أطفالها.

والاهتمام الأكبر من الوالدين هو تعويذ الطفل الطاعة: طاعة الأوامر التي تلقى إليه، وأن يسمع وينفذ ما فيه، ويتم ذلك بلهجة وأسلوب ملوء بالمحبة والحنان والعطف. بل إن الطفل لكي يصبح مطيناً يحاول الأب أو الأم إقناعه بضرورة تنفيذ ما يكلف به، ويتم ذلك بإعطاء أمثلة للطفل أو قص الحكايات القصيرة، أو بالمحاكاة وتقليل ما يفعله غيره.

وعندما لا يطيع بعض الأطفال الأوامر، يكون التأنيب في بداية الأمر خفيفاً هيناً لا يخوّنه فيه، وحالياً ما يؤلمه نفسياً أو جسدياً. وإذا زاد العناد، يبدأ إشعار الطفل بسحب جزء من الحنان والحب اللذين عهدهما، ويكون السحب تدريجياً، ويكون هذا السحب بوسائل مختلفة مثل تغيير ملامح الوجه، أو تغيير نبرة الصوت أو حتى طريقة لمس الطفل، أو عدم الاهتمام بالإصغاء لما يقول .. وهنا يشعر الطفل أن ثمة تغييراً لدى الكبير قد حدث.

ويهتم الوالدان بضرورة تعويذ الطفل على شكر من معه في المنزل، على ما يقدمونه من أعمال له، على أن يقترن الشكر بالابتسامة.

ومن الطريف أن مواقف الخبرات التي يمر بها الطفل في البيت أو المجتمع يحكى عنها في المدرسة أمام الزملاء تحت إشراف المعلمة (المنشئة).

والملاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية، فقدت ملايين من الرجال، وأصبح عدد النساء أعلى من الرجال بنسبة ٢٠٪، وكان على الأم أن تلعب دوراً بالغ الأهمية في تنشئة الأطفال، بالإضافة لإشباعهم بالحب والعطف الزائد، في الوقت الذي تطالبهم فيه بالطاعة.

٣ مراعاة الفروق بين الجنسين:

من الجدير بالذكر أن الأعمال التي يكلف بها الأطفال حتى سن ١١ سنة تقريباً سواء في المدرسة أو البيت أو المجتمع تسحب على الذكور والإثاث على السواء.

٤ - المشاركون في التنشئة:

الأسرة الروسية لا تفرد بعملية التربية، فهناك منظمات للأطفال والصبية ولا تقوم الأم وحدها بتربية الطفل بل تقتد المسئولية إلى الأقارب والأطفال الأكبر سناً.

ورغم امتصاص العمل لوقت الآباء في روسيا مما يجعل الأبناء يلتحقون بمؤسسات اجتماعية تتولى رعايتهم ويجعل الوالدين يعوضان الساعات الطويلة بعيداً عن أطفالهم بالحنان والحب الزائد.

وتتوسّس الدولة دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الأهلية ومدرسة اليوم الكامل لخدمة أبناء النساء المشتغلات، وكل هذه المؤسسات تخدم أيدلولوجية المجتمع في التربية.

ويتحقق الأطفال عامة بمؤسسات داخلية أو بمؤسسات يطلق عليها مدارس اليوم الطويل الذي يمتد من الصباح الباكر إلى ما بعد العصر، ويطلق البعض على هذه المؤسسات المجمعات أو الجماعيات *Collectives*.

وقد اقترب دور المنزل بالمدرسة، فحينما يتحدث Bronfenbrenner وغيرها يقولون أن الأم والمدرسة تفعلان كذا وكذا . . . فالصلة بين الاثنين والدعم دائماً قائماً لدعم الانتفاء والولاء لدى الأطفال لمجتمعهم.

وفي المجتمعات الروسية تقوم المنشئة بتربيه الأطفال بلغة مشتركة للتعامل معهم، كأن تستخدم حركة يدها تعنى الصمت التام، أو حركة أخرى تعنى التصفيق، وثالثة تعنى حرية الحركة . . ويتم هذا وغيره مع مراعاة أن المنشئة تخفض من قامتها حتى يصبح وجهها مع مستوى وجوه الأطفال، فتكون عيناهما في أعینهم، وليس أعلى من مستوىهم تنظر إليهم من على، ولا يطيل الأطفال أعناقهم لينظروا إليها، وإنما هي معهم في مستوى قامتهم وحتى في بساطة محبية إلى نفوس الصغار . . وفي بعض الأحيان حتى لا تضطر المنشئة إلى الانحناء يضمم موقع الأطفال على مستوى عال عن أرضية وقوف المنشئة، ويطلق على ذلك التفاعل وجهاً لوجه.

ويتم تعوييد الطفل ارتداء الملابس والذهب إلى دورة المياه . . وكل هذه الأوامر تصدر عن نبرة مشبعة بالحب والحنان من المنشئة. حتى يصل الأطفال إلى مرحلة يعتمدون فيها على أنفسهم كمجموعة، وعندها تنسحب المنشئة تدريجياً تاركة للمجموعة زمام القيادة بحيث يكون الطفل مسؤولاً أمام المجموعة عن تصرفاته.

وتسينا القول بأن اليوم الأول للذهاب إلى المدرسة، يقدم الأطفال للدراسات أو المنشئات زهوراً، ويكون الجميع في فرحة وكأنهم على موعد سعيد.

وأثناء تعليم الطفل قد تلجم المنشئة في بداية الأمر إلى تعزيز سلوك الأطفال وتشكرهم وتنى على هذا السلوك. ولكن بعد أن يتأصل فيهم تصبح هذه الأعمال من الواجبات والأمور التي يجب على الأطفال أداها.

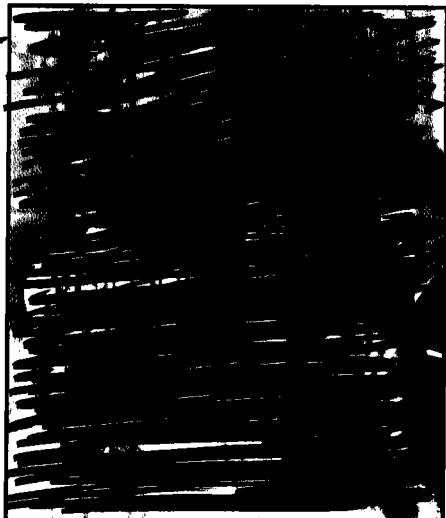
٥ – المنتظر للأطفال:

تهدف المنشئة في المجتمع الروسي إلى إدماج القيم التي تؤكد على الطاعة وضبط النفس.

ويتظر أن يتعود الطفل الالتزام والتفاعل الجماعي، والتعود على العمل الجماعي.

ولاستقطاب الطفل الروسي مواقف الغش أو الانحراف مثل من هم في مثل سنه بالمجتمع الأمريكي، فالطفل الروسي يعد ليكون له سلوك متوافق مع معايير الجماعة، ويساعد على قوتها.

اعتياض الطفل مع كل يوم بالمدرسة أن يحيى المشتئنة ومن يقابلة من العاملين، ثم تحية غيره من الأطفال. ويحيى الطفل الذي يجاوره في غرفة الدراسة باسمه. ويتضرر من الطفل في المترزل العناية بملابسه وترتيبها وتعليقها. بل أحياناً يتضرر منه أن يثبت زرا في قميصه إذا لزم الأمر وتلميع الجذاء بعما يشارك في بعض الأعمال المترزلة البسيطة.



ومن المتوقع من الطفل أن يصبح على وعي بأن الممتلكات العامة هي أيضاً ممتلكاته، وكما يراعى ماعيلكه ويحافظ عليه فإن عليه أن يراعى ماعيلكه غيره. فالزهرة ملك للجميع في الحديقة - مراعاة عدم إزعاج الغير - الصوت المنخفض الهدئ دون عويل - احترام المهن المختلفة - الالتزام بمواعيد المدرسة - الاستئذان - مراعاة الوقفة والجلسة - وضع الأشياء في أماكنها المحددة.

١- نتائج ومشكلات التنشئة في المجتمع الروسي:

تقسييد الحرية للطفل إلى حد ما، وتنمية الروابط بين الأطفال وأسرهم ومجتمعهم مع قلة الشعور بالقلق مقارنة بالطفل الأمريكي. البعد عن الغش وعدم أحد ما يخص الغير، وتقديم العون والمساعدة للغير عند طلب النجدة من الآخرين.

إن الأطفال الروس أقل رغبة في المشاركة في أعمال ضيارة بالمجتمع كما أظهرت نتائج البحوث. فإن كان الأطفال نسخاً مكررة في الوقت الذي تكون الحاجة فيه إلى أفراد أكثر تميزاً وليسوا فقط بالضرورة ممتازين.

خامساً: تنشئة الطفل الغجري في الهند:

لم يعد كل الغجريين من الرحل، إلا أن الترحال هو الخاصية التي تميزهم، ومن الصعب التكهن بمن سوف ينقطع منهم عن السفر أو لن ينقطع من جيل إلى آخر. والترحال سبب تشتت هؤلاء على وجه الأرض، لأن الترحال يتميز بالطرد والرفض.

وفي بعض البلدان تكون نصف المجموعات الغجرية من أطفال وراهقين دون الخامسة عشرة. والمجتمع الغجري غير متجانس، والطفل الغجري في مفترق طرق التقليد والتجدد والانفراط.

وقد كتب على الغجر أن ينضموا من أجل البقاء في مختلف مراحل تاريخهم، وغالباً ما كانت ردود الفعل على هؤلاء الرحل مناهضة عنيفة، وهناك عدم تلاقي بين المجتمع الصناعي ومجتمعات الرحل، ويبدو أن هذه المجتمعات قد غرست في لامعور أفرادها مقاومة تأثيرات ما يحيط بها من ثقافات.

وهناك نزوع إلى الالتحام بين الأبناء والأباء والمجموعات التي يتبعون إليها. ويلاحظ وجود الأسر الممتدة التي تحافظ على الأجداد والأبناء والاحفاد وتستوعبهم طويلاً في شبه التحام يبدو أنه أصبح غريزياً، لدرجة تصل بنا إلى إمكانية القول بامتلاك الآباء للأبناء امتلاكاً حقيقياً.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

إن المهم عند الغجر هو الجماعة وليس الفرد، وإن قانون الجماعة فوق الخيار الشخصي.

ويعتبر محظوظاً من بين الغجريين من يرزق طفلاً، وخاصة إذا كان ذكراً وهذا ما يجعل أقرب القرىيات من الأم أن تقول بطريقة شعائرية لها «أنت محظوظة» عند وضعها لطفلها.

والحظ يؤمن به الغجر ويغير عن ضمان استمرارهم في هذا الكون وتميزهم عن سواهم.

والولادة مجلبة للدنس طبقاً لاعتقادات الغجر، فالأم تضطر إلى اعتزال الآخرين أيامًا محددة، وعلى الأب أن يتحصن من القذارة والابتعاد عن الأم قليلاً، ولا يمنعه ذلك من المشاركة في ممارسة الطقوس المتبعة عند استقبال مولود. وهناك اعتقاد حول سلطان الأم بصفتها واسطة مع القوى الغيبية لعلاقتها بالدنس.

ولكن هناك خشية من الاقتراب من الأم حتى لا تحدث اتصالات مشئومة مع قوى الشر العليا، لأنها غير ظاهرة في هذه المناسبة، ويجب التوقي من الأرواح الشريرة، كما يعتقدون. والعرف يقتضي أن يعيش الزوجان عند أبي الزوج إلى أن تلد الزوجة طفلها الأول إذا أرادا الانفصال عن الأسرة الممتدة.

ولامانع لدى الغجر من قبول القيم غير الغجرية للبلاد التي يتزلون بها بهدف ضمان التسامح معهم وتجنب النبذ، والنجاة من التعامل السيئ معهم.

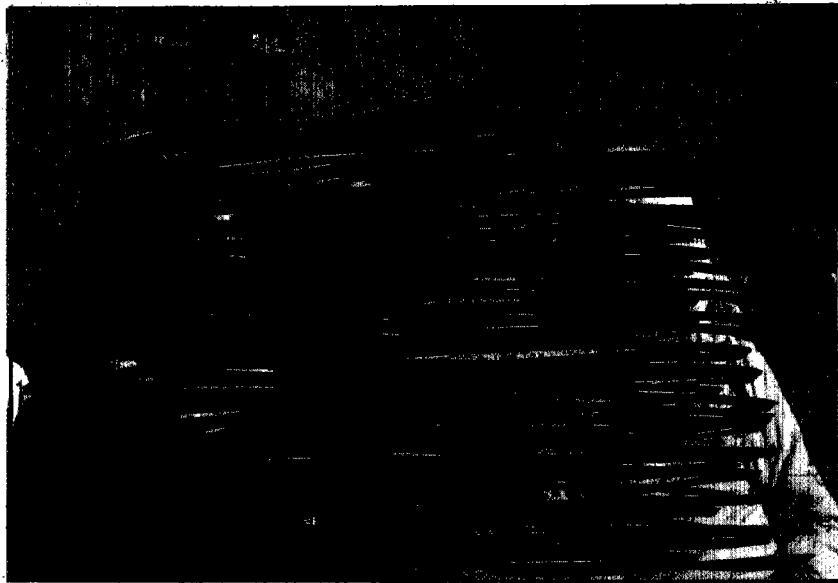
٢ - رعاية الأطفال من الوالدين:

ومع المولد يكون عهد رضاعة الطفل قد بدأ، ويظل الطفل متعلقاً بأمه سنوات عديدة . وإن كانت بدائل للغذاء أصبحت تدخل على وليد الغجر.

وما أن يصبح الطفل قادراً على الحركة حتى تترك له حرية التنقل، ويُساعد على أن يمشي مبكراً، وطعامه يصبح وقتها من بقایا طعام الأسرة، دون أن تتخذ له تدابير خاصة، ويأكل طوال اليوم ماتقع عليه يداه دون أن يقابل من والديه بأى نهى .

أما بخصوص النوم، فالأسرة كلها تنام في نفس المكان، وعامة ما يحاذى الأطفال ولـى أمـرـهـمـ ذـىـ الـجـنـسـ المـخـالـفـ، وـتـهـدـهـدـ الأمـ رـضـيـعـهـاـ عـنـدـمـاـ يـسـتـرـخـىـ لـلـنـوـمـ أـثـنـاءـ السـيـرـ أوـ تـحـدـثـ إـلـيـهـ وـتـدـاعـبـهـ بـأـسـلـوـبـ شـبـهـ أـكـيـ دونـ أـنـ تـعـيـرـهـ اـهـتـمـاماـ خـاصـاـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ بـعـضـ المـدـاعـبـاتـ لـلـعـضـوـ التـنـاسـلـيـ أـوـ تـقـبـيلـ الطـفـلـ.

وعندما يكبر الطفل يحدد بنفسه مكان نومه ووقته، دون أن يغيره الكبار اهتماماً خاصاً .



ولنظافة الأطفال، لا تمارس أي ضغوط، وأحياناً نجد سلوكاً مزدوجاً للطفل إذا كان ملتحقاً بمدرسة، فيتبع أسلوباً للخروج مثلاً في المدرسة غير الذي يمارسه وسط والديه، وحرية التصرف الظاهرة التي ينعم بها الطفل الغجرى لا يعتبرها الغجر سوءاً أو قلة نظام. والأم لا تطاع مثل الأب.

إن المداعبات والقبلات للطفل تؤكّد أهمية الجسد في العلاقة بين الوليد ووالديه، فالامر يصل إلى حد الالقاء بين جسد الطفل وجسد والديه، وهو أمر سوف يتّهى عند وصول الطفل إلى سن البلوغ. فعلاقة الوالدين بالأطفال قائمة على الجنس بصورة طبيعية للغاية. وهناك تأويل لهذا التقارب الجسدي على أنه انتماء.

ومع بلوغ الطفل يحرم من هذه العلاقة ويتم اختيار زوجته دون استشارته ويتولى الأب تحديد تاريخ الخطوبة والزواج، ويُقتدى بهذا النظام باستمرار.

٣ – مراعاة الفروق بين الجنسين :

يستبشر الأهل خيراً مع ولادة الذكور، ويقال للأم أنها محظوظة. وعند سن البلوغ يعد الطفل في المجتمع الغجري رجلاً يمكنه الزواج، ويكون للذكر حقوق أكثر من الأنثى وواجبات أقل من واجباتها، فتستسلم، كما استسلمت أمها لرغبات الزوج وتقوم بالأعمال المنزلية، ولا تخرج بغيرها، وأحياناً تدخل في علاقات محرمة مع رجال المجموعة.

٤ – المشاركون في التنشئة:

الطفل يقرر طريقة عيشه، والأباء الغجريون لا يمنعون أطفالهم من رغباتهم. ويعيش الطفل داخل علاقات القرابة المؤسسة على الأبوية عامة حيث يعرف نفسه باسم شجرة الأب، وتعاضد القرابات لتدعم للطفل انتتماه إلى مجتمعه ضد المجموعات غير الغجرية.

٥ – المنتظر للأطفال:

يتضرر من الطفل أن تكون صورة الأب لديه مثلاً أعلى لرجولته، وترك الحرية للأطفال واستقلاليتهم يفضي بهم إلى كيفية تدبير أمورهم بأنفسهم إلى حد كبير قرب الثامنة من العمر.

ورغم التحاق بعض الأطفال بالمدارس، فيدخلون في نظام تختلف معاييره عن معايير الغجر، لكنهم يبقون على عدوانيتهم وكثير من سلوكياتهم. وهذا الالتحاق ب التعليم رسمي لا ي-dom طويلاً فيتركون المدارس.

ويلاحظ أنه مع نهاية الطفولة يكون المرور من الحرية إلى المحظوظ، ويكون التقييد وربما ظهور الانطواء، وهذا ما يجعل الزواج المبكر حلاً لهذا الأسر الجديد.

٦ – نتائج ومشكلات التنشئة للمجتمع الغجري في الهند:

يبدو من خلال الأطوار أن الطفل لا يحصل على تفاعل منظم مع والديه، فليس هناك تدريب على الإخراج، أو النظافة، ولا صوراً للعاطفة العفيفة بعيدة عن الانطباع الجنسي في جسد الطفل.

ويفضي غياب القانون الذي يجعل الطفل يدرك نفسه وذاته إلى عملية تقليد عالم الأجداد. وعالم الصغار لا يتدخل فيه الكبار

ماددسا : مخط التنفسة في قرية كولمبية:

لقد أطلقت الباحثة Alicia Dussan اسم لينارس Linares على القرية الكولمبية التي أجرت فيها هذه الدراسة.

ويقطن القرية سكان من البيض الملؤنين والهنود والعيديين السود. وينقسم الناس فيها إلى طبقة ميسورة من البيض فقط، وطبقة وسطى ودنيا أغلبها من الملؤنين.

ويعتمد اقتصاد القرية على الزراعة ب التقنيات بدائية، والأسر الفقيرة تحيا أراضي الأسر الميسورة.

ويأتي إلى القرية سياح كولومبيون يتسمون إلى الطبقة الوسطى والدنيا، يصطحب الواحد منهم معه بعض الأدوات مثل أجهزة التصوير والراديوات الصغيرة، وسلوكه ينافي جزء منه ما هو مأثور بالقرية. وتبع بعض قطع الأراضي بعض السياح.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

أنماط التربية للأطفال التي شاعت لسنوات طويلة في طريقها إلى بعض التحولات بسبب الثقافة السياحية.

وكل الأمهات يعتقدن أنه لا يجب التخلص عن رضاعة الطفل نهائيا، وتعتقد كل الأمهات أنه لا يوجد طفل أجمل من الطفل الذي يتغذى بلبن الأم. ولا سبيل لإسكات الطفل الباكى من وجهة نظر الأمهات سوى إرضاعه إن لم يكن مبللا.

وعلى الآب أن يقدم ثياب الوليد، فهذا دليل على أنه سوف يقوم بواجباته نحو الطفل. أما إذا كانت الأم غير متزوجة منه فإنه يستثنى عن ذلك. ومن المعتقدات الموجودة أنه كلما كان الطفل أكبر كان تعويذه على ترك الرضاعة أصعب. وترى النساء أنه لا لزوم لتعليم الأكل للأطفال ولا تعلم الأمهات أطفالهن الكلام، ولا سبيل لأحد غير أم الطفل أن يراه بدون ملابس.

ويتسبّب تبول الطفل أو تبرّزه في نفور كثير من الأمهات والأسر، ولا يليق الحديث عن ذلك أمام الغرباء، ويستغل هذا النفور لتأديب الطفل.

وتنام الأسرة كلها في غرفة واحدة، عادة حتى وإن كانت في البيت غرف أخرى شاغرة. واستخدام العقاب يكون أشد عند الأسر الفقيرة.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين :

الأمهات واعيات بمشكلة نقص الغذاء، ويولد الأطفال غالباً قبل تسعه أشهر لهذا السبب بالإضافة إلى ضعف الأم.

وفي المستشفى الخاص بالقرية تتم خصيصاً أغلب الأمهات، ويغذى الطفل من زجاجة في الثلاثة أيام الأولى بعد المولد وفي اليوم الرابع ترضعه الأم من ثديها، وتأخذه في أحضانها وتعينه على التقاط الثدي وتفعل ذلك بطيبة خاطر وكثير من اللطف، وتدعه يرضع كلما أراد أو إذا بكى.

وإذا وصل الطفل عمر العام ترك الأم ثديها لطفلها، وهي غالباً ماتكون جالسة على مقعد منخفض جداً أمام منزلها ويرضع منها الطفل واقفاً.

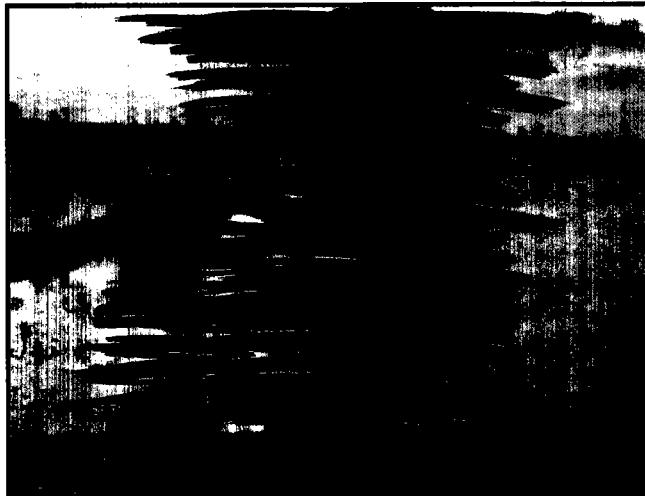
ويستمر غذاء الطفل بلبن الأم حتى الثانية والنصف أو الثالثة من العمر، وقد اعتادت النسوة دهن الثدي بمادة منفرة، فالماء لا ترفض تقديم ثديها للطفل بل عليها أن تجعله مصدر نفور لابنها بعد هذا العمر، وإن كان الطفل يبدأ في تناول غير لبن الأم قرب الشهر السادس من عمره، مثل الحساء ثم الأرز قرب الشهر العاشر.

وعندما تطعم الأم ولدتها فإنها لا تكلمه وتقتصر على إدخال الطعام في فمه في البداية، ثم تضع الغذاء في يده دون أن تظهر اهتماماً خاصاً.

وفي عمر الثالثة يبدى بعض الأطفال غضبهم بقلب الطعام على الأرض أو تقديميه للحيوانات الآلية، ويعاقب على هذا التصرف بأن يترك الطفل الذي يفعل ذلك بلا طعام سائر اليوم.

ومنذ الأيام الأولى تسعى أمه إلى تعليميه بالحركة والصوت والشعور بالخشمة نحو أعضائه التناسلية، وإذا ما اقترب منه أحد وهو مكشوف أو من غير سروال تقول له أمه «استح، استر نفسك» وذلك عندما يتمكّن من المشي. أما في سن الحبو فهم يتركون نصف عراة دون سراويل.

والأطفال لا يسدون نظفاء بسبب قلة تبديل ملابسهم وقلة استحمامهم، وتداعب الأم طفلها بيدها حين تستخدم الصابون في استحمامه ويكون الطفل سعيداً لهذه المداعبة.



وتعنى الأم بطفلها وتهبده بعد الرضاعة، وبعد أن كان يوضع الطفل في سلة يضاوية في أيامه الأولى ثم في مهد في سرير الأم فإنه في عمر الستة أشهر يوضع في أرجوحة النوم، وهي

عبارة عن بطانية معلقة بين حبلين، قرب سرير الأم.

وفي الشهر التاسع يبدأ تبیخ الطفل، وضربه ومع نهاية الشهر الرابع تطوف الأم بطفلها مشدوداً إلى صدرها في الطريق، ومع حبو الطفل تحمله بشال على ظهرها، وحينما يصبح أكبر ويتمشى تصطحبه معها للأماكن، ويمكنه أن يخرج عدة ساعات يومياً فيلعب مع الرفاق ويلهو بالأحجار والأزهار ونادراً ما يلعب بلعبة حقيقة.

والعقاب البدني المفرط غير محبب، لأنه من وجهه نظر الآباء متى أفرط فيه يأتي الطفل سفيهاً. والمثل الأعلى هو أن يفهم الطفل من مجرد النظرة، والأم تصوب نحو طفلها مجرد نظرات تنبهه عن تصرفه.

ومن أنواع العقاب مع الأطفال تركهم في الظلام، وهو ما يفزع الطفل للغاية، وينجره الآباء إلى إخافة أطفالهم بالتسولين ويقولون لهم: «سيأتون ليأكلوكم».

ومن المكافآت المتبعة مع الأطفال نظرات العطف والابتسامات، ومنع الحلوي أو الشيب الجديدة ونادراً اللعب، أو أخذ الطفل مع الوالدين إلى الحفلات.

والآباء الذين يستغلون بال محلات في قرية لينارس، يستعينون بأطفالهم في تحصيل النقود من العملاء أو فتح قوارير الشرب للسياح، ولقد بدأ الأطفال يتخلون تدريجياً عن صحبة آبائهم في المزارع، لأن الريف بدأ يهجر شيئاً فشيئاً لانشغال الرجال بالبناء والعمران.

ويبيّن الكبار للصغار بكل صبر كيف يعملون، فالألم تبقى دائماً بجوار بيتها عندما تعمل وتعلّمها، والأب يكتفى بإعطاء بعض الإرشادات للولد ويتركه فترة ثم يعود ليرى ما أنجزه . ولا يكفاً الأطفال على طرائفهم، ولا تغفر زلات لسان الطفل، ويطلب منه دائماً التصرف كراشد صغير .

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين:

يعامل الأطفال من الجنسين بنفس الطريقة حتى سن الثانية، ولكن بداية من هذا العمر على البنت أن تقليد أمها وتساعدها، وعلى الولد أن يقلد آباء ويعينه . وتعلم البنت أنها في منزلة أقل من الولد، وأن عليها طاعة الآخرين والتحلى بالتواضع، أما الولد فيتعلم كيف تخدمه النساء وتحترمه باعتباره مثلاً لأبيه . وهذا يتبع له فرصة أن يغضب إذا لم يعجبه شيء .

وفي عمر الخامسة تلعب البنات مقلدة الأم بالعرائس والأشغال المنزلية، ويلعب الأولاد ببناء منازل من حجارة، أو لعبه الشرطي والسكّير . ويجتمع الأولاد والبنات للعب الكرة باليد .

وفي سن الخامسة يعطي الطفل الذكر بعض الدجاج وشاة أو أكثر كرأس مال صغير له بالإضافة إلى تقاضيه أجراً على بعض ما يقوم به من أعمال .

أما البنت فهي تعاون أمها في سقى النبات والعناية بدجاج الأسرة وغسل الثياب وتقديم الأكل للأب والإخوة .

٤ - المشاركون في التنشئة:

خلال الأسبوع الأول من ولادة الطفل، يبقى الأب بالمنزل ويترك كل أعماله، ويبقى مرافقاً للأم إذا كان متزوجها . ويساعد عدة نساء من الأسرة على ضمان توفير احتياجات المنزل .

وإذا انشغلت الأم خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الولادة بشئون المترد اهتم الأب بالرضيع. وإذا اضطررت الأم إلى ترك المترد فيعوض الطفل إخوته الأكبر ويبذلون ما في وسعهم معه ويتحلون بالصبر معه في البداية ثم يتركونه يبكي.

ومع الأسبوع الأول للولادة يختار الزوج والزوجة، زوجين لا يتميّان إلى عائلتهما، ويتولى هذان الزوجان اختيار اسم الطفل ويبهانه الثياب.

وعندما يتمكن الطفل من المشي غالباً ما ترکه أمه عند الأقارب في الصباح وتأخذه في المساء، ويرسل الطفل لزيارة أقاربه الذين يحرسون على رعايته ولا يعاقبونه أبداً، وعندما يكبر يعمل زيارات لحقول أعمامه وأخوته.

ويكلف الأطفال الكبار أحياناً بمراقبة الأطفال الصغار، ويغضب الأطفال الصغار إذا ما أخذ الطفل الأكبر مافي أيديهم مثل الحلوى، أو الدميات الطينية أو سدادات القوارير التي يلعبون بها. وأحياناً يقوم الإخوة والأخوات الأكبر برعاية الطفل الصغير.

٥- المنتظر للأطفال:

المتوقع للأطفال في قرية لينارس كما يرى الأهل أن ينطبع الطفل بطابع الأب أكثر من الأم ابتداء من سن السادسة، وأن سلوك الأطفال أثناء وجود الأب باليت يصبح أفضل خوفاً من عقاب الأب.

ويتظر أن يعرف الطفل المطلوب من نظرة الأم أو الأب وينفذ ما يقصدونه كما أن الطفل يتعلم مراعاة الأقارب والمسنين واحترامهم وكذلك احترام من يتبعون إلى الطبقة الراقية، ويتعلم الحرص على حسن هندامه عند زيارة الآخرين ويتنظر منه دائماً أن يتصرف كراشد صغير.

والمتوقع منه الطاعة والجلد والإحساس الشديد بالمسؤولية إزاء عائلته، ولا تشجع أو تضخم في تصرفاته العفوية، وعليه احترام ما يصدره رجال الدين.

٦- نتائج ومشكلات التنشئة في قرية لينارس الكولمبية:

استخدام الضرب يجعل الأطفال يغضبون ويبولون على أنفسهم، كما أن عقاب الأطفال بتركهم في الظلام يجعلهم يخافون، وعموماً فإنهم لديهم مخاوف

الظلام، ولا يستمتع الأطفال بطفولتهم فترتها المعهودة، ويتعلمون الانضباط من سن صغيرة. كما يتعلمون الادخار.

سابعاً: تنشئة الأطفال عند الفيزيزيون الأفارقة:

الفيزيزيون الأفارقة من العبيد الذين اقتيدوا إلى فينيزويلا للعمل في المناجم وزراعة المنطقة الساحلية، وقد حصلت بعض الأسر منهم على قطع من الأراضي للزراعة فيها، وقد بنت الحكومة لهم مساكن مجهزة بالماء والكهرباء تعويضاً عن الأكواخ القديمة، وأصبح بإمكان العبيد هؤلاء شراء أجهزة التلفزيون والأدوات المنزلية.

ورغم هذه التحولات إلا أن المراهقين من هذه الفئة يهاجرون عندما يتركون المدرسة إلى المدن بحثاً عن مصير أفضل.

والآباء يرون من المهم أن يتلقى أبناؤهم تعليماً ليحسنوا مستواهم من المزلاة الزراعية.

١ - الأعراف والقيم الشائعة :

هناك احتفاظ بكثير من التقاليد القديمة كالشعائر الدينية والطب الشعبي والأساطير، ويحيى الفيزيزيون الأفارقة «عيد القديس حنا» بأفراح كبيرة.

والطقوس الجنائزية مازالت بها بعض الممارسات الأفريقية، مثل السهر على رأس المسوسي والانتساب الشعائري، وتنتهي بشعيرة طرد روح الميت. ويؤمن الفلاحون الفيزيزيون الأفارقة بالأرواح الشريرة والأرواح الطيبة، وعند موت أحد أفراد العائلة توضع أشرطة سوداء أو حمراء في معاصم الأطفال لمنع روح الميت من أخذهم إلى العالم الآخر.

وتكون العائلة يندر فيه الزواج القانوني، والكثرة الكثيرة من المعاشات بالترابضي، ولذلك فالنسبة الأعلى من الولادات سفاح، والأمومة محببة جداً سواء كانت الأم لها أولاد شرعاً أو غير شرعاً.

ولا وجود للعنوسية. والأبناء للقطاء لا يعانون من كونهم غير شرعاً. وإذا وجدت روابط زوجية فهي غير ثابتة ولا مستمرة . والأم هي التي تربى الطفل.

وليس للطفل من علاقة ثابتة إلا معها، لأن الأطفال يبقون معها حتى إن بدلت صاحبها أو زوجها.

وإذا وجد الأب أو الصاحب مستمراً مع الأم، فإنه لا يقوم إلا بدور ثانوي في حياة الطفل، ويظهر بعض الآباء عطفاً على طفليهم، ولكنهم يخجلون من مداعبة الأطفال أمام الناس، وكثيراً ما يساهم صاحب الأم الجديد - بعد زوجها أو صاحبها الأول - في العناية بالأطفال.

ورغم ذلك فإن الأمهات يتمنين أن تزوج بناهن قبل أن ينجبن سفاحاً، أو يجدن على الأقل صاحباً - عوضاً عن الزوج - يكون ملتزماً ومسئولاً . لكن الأمهات يتنازلن بسهولة جداً إذا لم تتحقق أمنياتهن . وبالمقابل فإن الآباء يشجعون أولادهم من سن العاشرة على الألعاب الجنسية، ويفتخر الآباء بمعامرات أبنائهم . وإن كانت العديد من التقاليد تأخذ في الزوال .

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين :

تعتني الأم بالطفل، تطعمه وتتوفر له الملبس . والرضاة من ثدي الأم للطفل كانت شائعة فقط في الماضي حتى يصل عمر الطفل إلى عامين أو عند ميلاد طفل جديد وفيما بعد فإن الأمهات يطعنن الطفل من الثدي والزجاجة .

وإذا لم يأت للأم طفل آخر، فإنها غالباً ما تذهب حلمتها بمادة مرة لتنفر الطفل وتيسير فطامه .

وتعطف الأم على الطفل بشدة، ولا تتركه باكيًا مدة طويلة، ولا تعاقبه إلا بعد عمر الثانية، وتأخذ في تعليمه ما يجب أن يفعله وما يجب ألا يفعله ابتداءً من هذه السن، وقبلها بقليل يتعلم الطفل كيف يكون نظيفاً من عمليات الإخراج .

وفي عمر الرابعة أو الخامسة، يتعلم الأطفال أداء بعض الأعمال البسيطة كإحضار الماء والكتنس وترتيب الفراش .

وفي الماضي كانت الأمهات تقصص على أطفالها حكايات عن الأشباح وحيوانات خرافية، لتعلم الأطفال منها القواعد الخلقية ولمنع الأطفال من الاقتراب

من النهر وردعهم عن الخروج من المنزل ليلا، أما في الآونة الحالية فعدد من هذه الأمور قد انذر أو على وشك الاندثار.

والأمهات يتحلىن بالصبر رغم كبر عدد الأطفال أو عدد أفراد الأسرة، وهن متذبذبات مع أطفالهن، فالاليوم قد تتسامح مع نفس الفعلة التي عاقبت عليها بالأمس.

ويعامل الأطفال قرب الثانية عشرة من العمر معاملة الرشد، والأم هي أهم شخص في تنشئة الأطفال في الأسر السوداء بفنزويلا، وهي التي تعلم الطفل كل ما يساعدته على اتباع السلوك المناسب ، وليس للأب سوى دور هامشي للغاية.

٣ - مراقبة الفروق بين الجنسين :

منذ الطفولة المبكرة، يتم التمييز بين الجنسين، ففي حين تثقب آذان البنات الصغيرات، ويبقين نادرا عاريات، فإن الأولاد الذكور قد يظلون عراة إلى أن يذهبوا إلى المدرسة.

وابتداء من سن الخامسة، تبدأ معاملة الأولاد والبنات بطرق مختلفة تدريجيا . وإذا كان الأب يعيش في المنزل فإنه قد يصطحب ابنه في السفر أو عند الذهاب للحفل ويعلمه مبادئ الزراعة.

ويعقوب الأولاد بشدة مقارنة بعقوبة البنات، وخاصة في حالات العصيان أو قلة الاحترام.

وتتعلم البنات مبكرا العناية بشئون المنزل، وفي سن السابعة يذهب أغلب الأطفال إلى المدارس، وقد يملا لم تكن هناك مدارس، والبنات غالبا ما يصبحن حوامل في الثانية عشرة من العمر وعليهن تحمل المسؤوليات قبل الرشد الحقيقي وتحذر الأمهات بنائهن أحيانا من الألعاب الجنسية، ويضربنهم إذا هن تغازلن مع الأولاد، ولامانع من حبسهن في المنزل ليلا.

٤ - المشاركون في التنشئة :

إذا كانت الأم الشابة تعيش مع والدتها، فإن الأخيرة (الجدة) قد تصبح أهم شخص بالنسبة للطفل، ولاسيما إذا كانت الأم مضطربة للعمل خارج المنزل،

وخلال ذلك وعندما لا تلتقي الأم الشابة أى عون، فإنها تدع الطفل إلى شخص يكون له بمناولة الأم كالحالة. وإذا كانت هناك أخت أكبر للطفل فيفترض الاهتمام به من جانبها عند غياب الأم.

وعندما يبلغ الأطفال الرابعة، يشرع ذووهم في اصطحابهم إلى الحفلات، ويعلمونهم التقر على الطبول والرقص مع الكبار.

وأصبح للمعلم في المدرسة اليوم دور فعال في التنشئة وبإمكانه أن يؤثر في تلاميذه سلباً أو إيجاباً وذلك تبعاً لخصاله الشخصية. ويعطي المعلمون التوجيهات المتعلقة بضروب السلوك الجديدة، المتلائمة مع التحولات الحديثة.

٥- المنتظر للأطفال:

من سن الرابعة أو الخامسة من المتوقع أن يتعلم الأطفال أهم قواعد السلوك، وفي هذا العمر يتبيّن الأطفال أن للناس جميعاً أباً وأماً، وحتى إذا لم يكن الأب موجوداً، ويعرفون ما إذا كانت العلاقة بين الوالدين طبيعية أم لا.

وفي هذا العمر يكتشف الأطفال الواقع الجنسي من خلال لعبهم بالشارع، ويتعلمونه عن طريق الملاحظة بسبب الاختلاط. وإن كانت الأمهات ينفرن من الحديث عن هذه المسائل مع بنائهن، وحتى عندما يبلغن عشر سنوات ولا يقبلن نهائياً التحدث بهذا الأمر مع الأولاد الذكور.

ومن المتوقع بعد تعلّمه لمدة ثلاثة سنوات بالمدرسة لا يعرف الأطفال القراءة ولا الكتابة أو يعرفونها بالكاد، لكنهم يكتسبون بعض الأفكار عن المجتمع وعن فيزيوياً. وقد تسبّب هذه الفترة من الدراسة ظهور بعض الصراعات لدى الأطفال بين قيمهم التقليدية والأفكار الحديثة.

ويفترض فيمن وصل إلى العاشرة من العمر أن يفعل كل شيء بنفسه، والعاشرة مرغوب فيها جداً في هذه الفترة وما بعدها وخاصة لدى الفتيات، ويظهر لدى البنات بعض الاحتشام في حين يصبح الأولاد أكثر عدوانية.

وفي سن ١٢ سنة يتّبعن على الأطفال طاعة من هم أكبر منهم واحترامهم رغم تغّيّبهم بحرية شخصية أكثر عن ذي قبل.

٦ - نتائج ومشكلات التنشئة لدى الأطفال الغينزروبيين الأفارقة:

تشكو الأجيال القديمة من الأهمية التي أصبحت للمدرسة، ومن إهمال الأطفال لواجباتهم تجاه أسرهم، ولم يعد الآباء يعلمون الأطفال الزراعة، وأصبحوا أكثر لعبا في الطرق مع الرفاق، ويزعم الأجداد أن الأطفال في السابعة كانوا أكثر احتراماً لمن هم أكبر سناً، وأن هناك تغيراً في القيم والتقاليد التي سادت لفترات.

ثامناً: تنشئة الأطفال في قرية فرنسيبة

إنها قرية من قرى بورغونية الشمالية، وقد جمعت المعلومات عن هذه القرية من كبار السن الذين وصلت أعمارهم تقريباً فوق الستين، والذين يذكرون أنه حدث تحولات وتغيرات تكنولوجية واقتصادية ضخمة وحديثة عن ذي قبل في الخمسينيات من هذا القرن.

وقد يما كان مجتمع القرية مقسماً إلى فتدين، الأولى أصحاب الأملاك من فلاحين وحرفيين، والثانية من الحطابين والبنائين وحراس الزراعة، لكن هذا التقسيم انقرض من القرية الآن إذ لم يبق إلا الفلاحون وصغار المقاولين وعمال الصناعة، ولا تمايز هذه الفئات اجتماعياً إلا قليلاً.

وتكون الأسرة في القرية من الأب والأم والأولاد الذين لم يتزوجوا ويمكن أن يقطن الجد أو الجدة الأرامل مع الأسرة، والإخوة والأخوات الذين تزوجوا يقيمون في نفس الشارع.

والمسكن يتكون من غرفة واحدة، يتم إعداده وتناول الطعام فيه والشهر والجلوس والنوم. أما حديثاً فإن المساكن تحوى عدة غرف منها للاستقبال ومنها للأكل ومنها للأطفال بالإضافة إلى مطبخ.

وفي هذا الإطار العائلي تمر فترة الطفولة التي كانت تصل إلى عمر ١٤ سنة في الماضي وتصل الآن إلى ١٢ سنة.

وقد ظلت الأسرة حتى وقت متاخر تأوي في بيت واحد كل الأعمار على اختلافها.

وتظل المدافن (القبور) كما كانت قديماً، أفضل متزهات الجدات، مصطحبين معهن الأطفال الذين يجرون فيها ويمرحون.

وفي الماضي لم يكن للوالدين من مكانة أو دور فعال أو تقارب مع أطفالهم مثل الجد أو الجدة ولكن الآباء استعادوا مكانتهم، وأصبح التقارب واضحاً بين الآباء والأطفال ربما لظهور الأسرة النواة.

١- الأعراف والقيم الشائعة:

توصى الأمهات بإرضاع أطفالهن، أطول مدة ممكنة، وفي الغالب كان الطفل يفطم بعد عام أو عام ونصف على الأكثر.

والطفولة ليس لها إلا عالم القرية المنغلق، فيه من المعارف والحكايات وفيه شيوخ يهتمون جداً ب التربية الأطفال. ويقضى الأطفال أغلب وقتهم في قاعة البيت أو داخل الحى.

والمبدأ الرئيسي الذي يتخذ تجاه الأطفال هو بقاوهم مشغولين بمهام يكلفون بها يجعلهم يبقون في مكان محدد وفي منأى عن التأثيرات الفاسدة التي تبدو على بعض القرروين، ذلك أن كل شيء ليس صالحاً لأن يرى. ففي الماضي كانوا يوصون الأطفال بـالـأـيـامـ الـبـشـاعـةـ أو ضعاف العقول.

وعلى خلاف العلاقات المتورطة أحياناً بين الوالدين والطفل، كانت علاقات تسم بالعطف واللطف تجمع الأجداد بالأطفال، وطوال مرحلة الطفولة يحتل الأجداد منزلة مهمة في التنشئة.

والمعلم له منزلة الاحترام في القرية، وخلال الإجازات لا ينفك عن مراقبة الأطفال بالصرامة التي تعودوها منه في المدرسة، ويخبر الآباء بسلوك أطفالهم. وعلى ذلك فهناك تكامل لإبقاء الأطفال تحت رقابة اجتماعية قوية وتنشئتهم من قبل الجدات والمدرسة والكنيسة.

ولذلك فإن ضبط النفس والالتزام واللطافة حظيت بالأولوية في تربية الصغار بالإضافة إلى مراعاة جداول الأعمال التي يكلف به كل طفل. أما حالياً

فيإن الواجبات المدرسية في المنزل هي الشيء الوحيد الذي أصبح يكلف به الأطفال.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين :

في الماضي كان الأطفال يلفون من أعلى إلى أسفل في قماط، ويوضع على الرأس طاقية، ويبيرون في وضع رقاد إلى أن يتعلموا المشي.

وفي الأسرة الفقيرة يخرج أهل المنزل جميعهم إلى العمل، ويترك الرضيع وحيداً مربوطاً إلى سريره وزجاجة الرضاعة مثبتة على حافة السرير بطريقة مناسبة. والأسرة دائماً مغطاة بستائر تحمي الطفل، والأسرة تتوضع على قوائم متراجعة تساعد على هدأة الطفل.

وبالرغم من الاهتمام بكثرة بهدأة الطفل، إلا أنهم كانوا أيضاً يتربكونه ييكي قائلين «ابك، فيقل بولك».

ومع الشهر السابع يطعم الطفل بالثرید وهو قطع من الخبز المغلن مع الزبد، وما إن يتمكن الطفل من الخطو حتى ينقل إلى سرير كبير.

ويخفف الأجداد عند اللزوم الأطفال بكائنات مثل «ست الرياح» «ست الذئاب» وذلك حتى ينضبط الأطفال بالهدوء أو عدم الذهاب إلى أماكن بعيدة ويحكى الأجداد للأطفال القصص والحكايات التي توارثها الأجيال، وفي سن مبكرة يتم تعلم الطاعة والخضوع عبر هذه القصص.

وكلما يتتوفر للطفل لعب مصنعة، ولكنه يلعب مع الحيوانات الأليفة مثل القطط والكلاب، ويحاول ترويض البوم والعصافير التي تسقط من أعشاشها.

إن الأب والأم كانا يعتنian ويراقبان أولادهما منذ ولادتهم، لكنهما بحكم انشغالهما في العمل لا يشاركان مشاركة حقيقة في عملية تربية الطفل، إلا عندما يصبح هؤلاء الأطفال كباراً بدرجة تمكنهم من المساهمة في العمل ويكون ذلك قرب السادسة، وعندئذ يظهر الوالدان دورهما في توزيع العمل على الأطفال والمراقبة والمعاقبة، لقد كان الطفل يكلف بالاحتطاب وكسر الأغصان، وإبعاد الحشرات عن المحاصيل، وإطعام الحيوانات، ومتابعة المحراث، وكان الأطفال

يتمنون التسلية قليلاً، إنهم في معاملة قاسية، وحينما يخرجون في السادسة صباحاً كانت أرجلهم تبلل بالندى البارد لأنهم يرتدون القباقيب فلا توجد أحذية.

وهكذا فإن الوالدين يفصلان وقت الطفل ويدبرانه. ومع تقدم عمر الطفل لا يعتمد الأجداد على قصص الكائنات الخرافية ولكن يستخدمون السخرية والتهكم في عباراتهم مثل «أنت تخاف من ظلك» . . . ومع العام السابع يتحمل الطفل مسئوليات الذهاب بالحيوانات إلى الحقول أو زرع الحبوب .

وإذا كان الأجداد يؤذبون الأطفال بالكلام، فإن الوالدين يستخدمان العقوبات البدنية فبعضهم يستخدم الحريق لإيلام الطفل أو يضربه بخرقة مبللة للتأديب. وأحياناً يستنجد الآباء بأشخاص حقيقين مثل شيخ القرية لتأديب الطفل، وبعض الآباء يجلدون الأطفال بالسوط .

وبالرغم من العقوبات الشديدة التي يسلطها الوالدان، إلا أنهم يكتنان للأطفال حباً وحناناً غزيراً. ولكن لانستطيع القول بأن الوالدين كانوا ينقلان أى علم أو معرفة إلى أولادهما، ولكن التدرب يأتي من الملاحظة في صمت ويقاد التعلم يقصر على النظر. كان الأطفال يفعلون لأنهم يلاحظون آباءهم يفعلون. لامجال لأى حوار، إنها تربية بصرية .

وهذا الكبت للكلمة بين الأجيال المتعاقبة لا يكون داخل البيت فحسب أو على المائدة فحسب، وإنما في الأماكن العامة التي يتردد عليها الكبار. إن أقصى شيء يفعله الأطفال في حضرة الكبار أن ينظروا ويسمعوا، ويروا ويتعلموا، والكبار فقط لهم حق الكلام .

ومن هنا يتعلم الأطفال كيف يتحكمون في الكلام، ويرددونه قبل أن تنطلق به ألسنتهم، وقلما تحاور الآباء والأطفال .

أما في الآونة الحديثة، فإن التقنية غيرت كثيراً، إذ بإمكان الفلاحات أن ترعى الأطفال، وتخلصت من نشاط الفلاحة، وإذا كانت بعض النساء تعمل طوال اليوم خارج المنزل، فلقد أصبحن يوكلن الرضيع لأحد مقابل أجر، إلا أن أغلب الأمهات الآن يكرسن كل وقتهن لرضيعهن لتقلص أعمالهن المنزلية، وابتداء من

اليوم الخامس عشر لا يقمعه وتطلق الأم حريته، ولا تبقيه في مهله فقط بل تضعه داخل حاجز معد ليلعب داخله، وإذا بكي تأخذه في حضنها وترتب عليه وتحدهه بحنان.

ويستخدم الوالدان الآن مع الطفل لغة الرضيع إلى أمد طويل، ويعاملانه بطفف، ويحرسان على تعليمه السلوك المهذب، «قل شكراء، قل صباح الخير، . . .» والآباء أصبحوا لا يطلبون من الأطفال أى عمل زراعى ومتزلى إلا النادر، وأصبحوا يعدون لهم جداول لأنشطة وألعاب ومذاكره، بالإضافة إلى المحرص على اشتراك الأطفال في عالم أكثر اتساعاً من مجتمع القرية.

ولم يعد الصمت والللاحظة هما أداة الأطفال في جلسات الكبار، وحتى تلاميذ المدارس أصبحوا يهتمون أكثر بالكراسة الشخصية التي يجمعون فيها كل ما يروق لهم عن الشعراء أو الأدب والطقوس أو الضغط الجوى أو حياة الحيوان، لقد تخلص الأطفال من الجداول الملزمة للأعمال المتزلى أو الزراعية أو المدرسية.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين:

في الماضي لم تكن هناك فترات تعطى للتسلية سواء للأولاد أو البنات. واقصى ما يعطون أن تذهب البنات إلى مقر حياكة الملابس، ينصنن إلى القصص المكررة التي تقصها معلمات الخياطة.. اللائى يقال عنهن إنهن طائشات .. وكان الأولاد يترددون على محلات صناعة القباقيب الذي يصبح يوم الأحد حلاقا للذقن، أو إلى الحداد الذي يسوق الخمر للشاربين بعد أن ينتهي من عمله، ويستمرون فقط إلى حكايات الكبار عن الصيد والعمل ..

وكان لكل جنس منذ الطفولة انطباعاته، فال الأولاد لهم أفكار حرة عن الصبر والانتخابات، وللبنات لغة الجنس وأسرار القلوب.

وفي الأعياد الدينية يتنظم الأولاد والبنات في مجموعات تجوب أنحاء القرية بالمرور، مرددة دعاء للأهالى في عبارات مثل «صحة طيبة»، «سنة سعيدة» ويحصلون مقابل ذلك على بعض من قطع الحلوى والسكر.

وال الأولاد والبنات أحياناً يمرحون خلف ما يتابعونه من قطيع، وهناك في الحقول بعيداً عن العيون المراقبة باستمرار تبدأ المداعبات بين الأولاد والبنات، أثناء

حتى بعض الثمار.. وفي الوقت الحالى مثلما فى الماضى تجتمع الذكور والإإناث أماكن وسط الحقول يلهون فيها ويدعون أول مبادىء الإعجاب والعشق.

٤- المشاركون فى القنائمة

لقد كان فى الماضى يعني بالربيع أفراد مثل الجدة أو الأخت الأكبر أو إحدى الفتيات القريبات. وقد كان الأجداد يتケفلون بالطفل سواء كانوا يعيشون مع والديه بنفس المنزل أم لا، وبصحبة الجد أو الجدة يتدرّب الطفل شيئاً فشيئاً على الحياة العائلية.

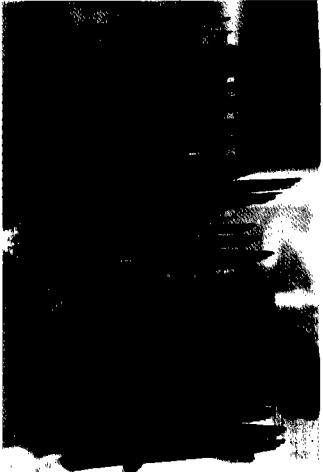
وبصحبة الجد أو الجدة يجب الطفل حتى بأكملة متنقلًا بين بيوت الجيران والأقارب، ومن هنا يتعلم سلسلة الأنساب، ويتعلم أخلاق القرية، وفي أحيان أخرى يرافق الجدة إلى المقابر ذلك المكان الذى تحب أن تتردد عليه كبار السن.

والأعمام فى الغالب يتميزون باللطف مع الأطفال، وإن كان الأطفال يتمتعون بالقرب من الأجداد لأنهم يتبعوا لهم التحدث وتواصل الحوار عوضاً عن الصمت واللحظة التى يجب أن يتحلوا بها فى حضرة آخرين.

لقد كان الأجداد ليسوا هم المربون فقط بل هم الملاذ والملجأ من صرامة الآباء أو للإصلاح بين الآباء والأبناء، إنهم وسطاء طيبون.

أما الأشخاص المراقبون والمؤنون للطفل فهم كثيرون. فلقد كان المعلم يأتي إلى الآباء ليخبرهم بسلوكيات أطفالهم ومستواهم الدراسي بين حين وآخر. أما حارس الحقول الذى يقوم بدوريته كل يوم ليراقب تجاوز الحيوانات لحدود المرعى إلى مرعى أخرى. فلا يترك أى خطأ دون أن يتسبب على الأقل فى تأنيب الأطفال الذين يجب أن يتبعوا الحيوانات. ولا تهانون الكنيسة فى متابعة الأطفال.

وفي الوقت الحالى، إذا كانت الأمهات مشغولات بالعمل، فإن أول ما تطلب رعاية للطفل فإنها تطلب من والدة الأم أو والدة الأب أو من الأخت للأم أو الأخت للأب. وعموماً فقد أصبح الوالدان يمارسان دورهما الأساسى فى تربية الصغار والعناء بهم، وبذلك فقد استعاد الآباء مكانتهم التى أوكلوها لغيرهم فى الماضى، فى لطف وهدوء.



والمفارقة أن الأجداد أصبحوا متسلحين بمقرعة، حتى يطع الصغار تعاليهم إلا أنهم غالباً ما يحضرون الأطفال ويلطفونهم في غياب الوالدين، ويظلون مدربين على الطفل أثناء جولاتهم معهم داخل القرية وخارجها فيتعرفون على ملكية الأراضي وأوقات الزراعة وأخبار الم توفين السابقة أثناء زيارة قبورهم.

ولقد تطورت فعالية المعلم بعد الشخص الصارم القاسي المراقب، بل أصبح يعتمد على الحوار مع الأطفال والإقناع، ويحدد التلاميذ مستوى ونوع العقاب الذي يجب أن يقع على أحدهم إذا أخطأ. والطريف أن المعلم لا يشذ عن القاعدة، فإذا نسي أن يتعلل خفيه قبل دخول الفصل فإن عليه مثلاً أن يكرر قوله: «سأليس خفي» خمسين مرة.

ويبدو أن الطريقة الجديدة بالمدارس لا ترضي الأهالي، إن أمر المدرسة وصل إلى أن إحدى المعلمات استغفت عن الكتب المدرسية ولم تعد تطلب من الأطفال أى واجبات مدرسية، لقد أصبح الاعتناء بكراسة جديدة يجمع فيها الطفل بشغف الوثائق وأحوال البيئة وظروف الطقس ودرجات حرارة الجو. ومن جهة نظر الآباء أنه ساء وضع المدارس، إذ إن الأطفال ماعادوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب.

٥ - المُنْتَظَرُ لِلأَطْفَالِ:

في الماضي كان المتوقع باستمرار تعلم الأطفال عن طريق الملاحظة فقط وليس هناك أى حوار، وما كان الآباء يتظرون من المدرسة تلقين الأطفال المعرف، إنما يتظرون أن تعودهم على أدب السلوك وتأكيداً على ماتعلموه من الملاحظة داخل الأسرة.

ونتيجة تغير أسلوب المدارس في الضغط على الأطفال، رأى الأهالي أن في ذلك حرية شديدة، ويتظرون الآباء أن ترقى المدارس بمنزلة الأطفال وتكسبهم مهارة

أو حرفه، ويطلبون من المدارس تسهيل دمج الأطفال في حياة اجتماعية أكثر تفاعلاً.

٣- نتائج ومشكلات التنشئة:

لم يزد الطفل من وجهة نظر الجدات، فاقداً لما يجب أن يكون عليه، وتستغرب الجدات من التساهل الذي أصبح مع الأطفال أثناء التعامل، وترك الصراوة لدرجة أن بعضهم رغم عطفهم الشديد على الأطفال يستعينون بمقرعة لتأديب بعض الأطفال المستهترين وهو أمر لم يكن شائعاً في الماضي.

إن الاستغناة عن بعض الكتب أصبح يثير أولياء الأمور. ولم يعد اليوم أحد من داخل المدرسة يمكن أن يأتي إلى أسرة الطفل ليخبرهم بسلوكياته وينظر الكبار إلى ذلك أنه سوف يزيد التسبيب الأخلاقى لدى الأطفال ويؤدى إلى افتقادهم القدرة على التمييز بين الخير والشر.

الفصل الخامس

نحو نموذج للوالدية في التنشئة



أولاً : تفاعل الوالدين مع الأبناء من خلال نماذج وبحوث :

تبدأ الخطوات الأولى لتنشئة الأطفال داخل أسرهم، فالأسر هي الخلايا الأولى للمجتمع، وكل أسرة بيئة أساسية ترعى الطفل، وفيها تكون القوى المنشقة التي توجه الطفل مع بداياته النامية في كافة المجالات النفسية للنمو.

والقوى التي توجه الوالدين أثناء تنشئة الطفل وتؤثر على نموه بعضها يأتي من الأب وبعضها يأتي من الأم وبعضها يbedo من داخل الطفل، بالإضافة إلى قوى تأتي من محيطات خارجة عن كل هؤلاء.

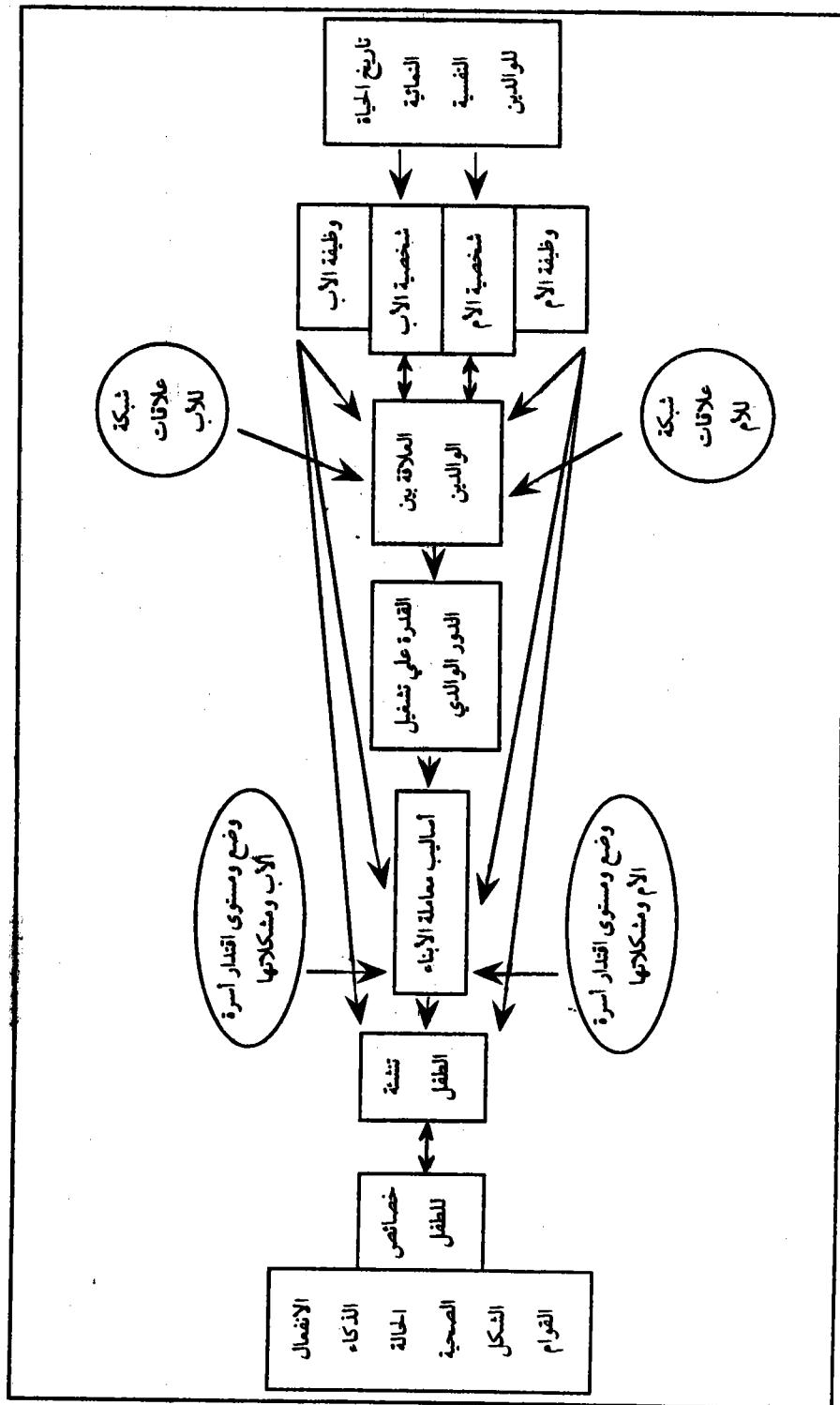
وقد اهتم Belsky بإعداد نموذج يأخذ في اعتباره كل هذه القوى وغيرها على افتراض أن تاريخ نمو الوالدين ينعكس على شخصية كل منهما بل يشكلها، ويؤثر على علاقتهمما بعضهما ببعض كزوجين ومستوى تفاعلهما مع الآخرين الذي في أدنى رتبة العزلة الاجتماعية Social Isolation ونوع معاملة الطفل وخصاله، كل ذلك وغيره يؤثر على ذلك الطفل النامي.

ويكون من المفيد استعراض هذا النموذج مع بعض الإضافات، حتى تظهر جملة العوامل المؤثرة على عملية التنشئة الوالدية للأطفال، والتي أطلق عليها . Determinants of Parenting محددات الوالدية

وإذا كان Belsky لم يغفل العلاقات بين الزوجين (والدى الطفل) عند عرض نموذجه، فإن وظيفة الوالد وعمله وشبكة علاقات كل من الأب والأم، والوضع الأسرى لكلاً منهما، متمثلاً في مستوى اقتدار كل من أسرة الأب وأسرة الأم الذي ينطوي على الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي لكلاً من الأسرتين لا يجب أن تختفي من نموذج لمحددات الوالدية.

والشكل التالي يوضح نموذجاً مقتراحًا لمحددات الوالدية.

ومن المعروف أن شخصية الوالدين يتم تشكيل كل منهما في ضوء التاريخ النمائي النفسي لكلاً منهما. ولقد جاءت البحوث بتنتائج تشير إلى أن ارتفاع مستوى الثقة بالنفس لدى الأمهات ارتبط بالدفء في المعاملة للأبناء وتقبلهم ارتباطاً موجباً، وجاء الارتباط سالباً مع الاستهجان، كما أن الأمهات المكتبيات تبدى استعداداً أعلى لبيئة راضية للأطفال أو غير متقبلة لهم.



ويشير Belsky إلى أن الأب الدافع المحنون والتفاعل مع أطفاله يأتى بأبناء يتوحدون معه ويعتبر نموذجاً جيداً لهم بعكس الأب غير المتفاعل مع أطفاله.

والزواج السعيد يضرب فيه الوالدان لأبنائهم المثل على ما ستكون عليه حياتهم الزوجية المستقبلية، ولا يأتي الطفل في الزواج التعش إلا نفقة غالباً على والديه وعلى نفسه، لأن كره أحد الزوجين للأخر لا يخفيه مجيء طفل لهما، وقد ينعكس الأمر على تصرفاتهما نحوه ومعاملتهما له، وبخاصة إذا جاء الطفل شبيهاً لأحدهما أو أحد أفراد أسرة أحدهما.

إن الأمهات اللائي يشعرن بدفء منخفض وعاطفة متذبذبة نحو أزواجهن، يملن إلى توبية أطفالهن، والعلاقات الزوجية الطيبة ترتبط تلقائياً بمحب وثناء الأبناء، ومن ثم تقبلهم. وفي دراسة Tracy و Santrol اتضح أن الأطفال الذين يأتون من بيوت حدث فيها الطلاق كانت معاملتهم مختلفة تماماً عن الأطفال الذين يأتون من بيوت تقليدية.

كما أن العزلة الاجتماعية Social Isolation وضيق شبكة العلاقات للوالدين يرتبط بالاختلال الوظيفي للوالدية، وهذا لا يعني أن الانفتاح المغالى فيه في شبكة العلاقات مع الأصدقاء والجيران ورفاق العمل يكون مفيداً دائماً، والمسألة تعنى على أكثر حد أن المساندة والمشاركة التي نلقاها من الأصدقاء أو الجيران أو الأقارب لها تأثير مفيد على العلاقة بين الوالدين والطفل.

وتشير الدراسات إلى الارتباط الموجب بين العلاقات الاجتماعية وإحساس الأمهات بالكفاية عند رعاية أطفالهن، كما ارتبطت العلاقات الاجتماعية بتجنب عقاب الأطفال وتقيد حرياتهم.

ولا ينكر النموذج المقترن الحالى أخذ متغير عمل الأم ووظيفتها في الاعتبار مثلاً اهتم به Belsky فعمل الأم غالباً يؤثر على مستويات العناية بالأطفال، ويعد من العوامل المسئمة في صراع الدور لدى الأمهات، وإن كانت الدراسات قد تعارضت في تأثير عمل الأم على رعاية الأبناء. فقد انتهت «مدوحة سلامة» من دراسة مشيرة إلى أن عمل الأم لا يثير تعارضاً مع مطالب وحاجات الطفل، ولا يؤثر على علاقة الوالدين بالطفل.

وتأتى دراسة «كاميليا عبد الفتاح» مستخلصة أن أبناء الأمهات المشتغلات أكثر نضجاً انتفاعاً من أبناء غير المشتغلات، كما أن الأمهات المشتغلات أكثر ميلاً إلى إعطاء الأطفال فرص الاستقلالية والتعبير عن الذات، بالإضافة إلى الإقبال بلهفة على الأطفال لتعويض الوقت الذي ابتعدت فيه عنهم. بينما تجد الأم غير المشتغلة شاعرة بالتعب والملل من أطفالها الذين تقضي معهم معظم ساعات اليوم مما يجعلها أقرب إلى استخدام الرجز والعنف معهم.

وتحدد بثينة قنديل عدد الساعات بخمس الذي يقل تكيف الأبناء إذا زاد غياب الأم بعيداً عن طفلها يومياً، وتوجه الانتباه إلى نتيجة فحواها أن أبناء الأمهات المشتغلات أكثر طموحاً من أبناء غير المشتغلات.

وقد جاءت دراسة Getta et al. معلنة أن الأمهات المشتغلات يشجعن أطفالهن على التعبير بحرية عن مشاعرهم. وعند مراجعة Hoffman لعدد من الدراسات عن تأثير عمل الأم انتهى إلى أن عمل الأم يؤثر على حالتها الانفعالية وبالتالي يؤثر على تفاعلها مع الأطفال ويتبعه حرمان انفعالي وعقلاني للطفل. ويبدو نفس التوجه لدى Balsky عند الإشارة إلى أن عمل الأم يؤثر في كل من كيفية وكمية سلوكها الأمومي المفترق تجاه طفلها.

ويبدو أن عمل الأم لابد أن يترك آثاره على شخصية الأبناء من خلال كيفية التعامل معهم وكميته والذى يتأثر بنوع وظيفة الأم والمهام الوظيفية الملقاة على عاتقها، وإن كانت تنشئة الأبناء دالة أيضاً لمكانة الأب الوظيفية بل ونوع الوظيفة.

ويبدو العلاقة التبادلية بين كل من شخصية الوالدين ووظائفهم من جانب والعلاقات بين الزوجين (الوالدين) من جانب آخر، وينصب الأمر في النهاية على أساليب يعامل بها الأطفال من قبل الوالدين، في ضوء قدرتهم على تفعيل الدور الوالدى.

ولإيصال معنى القدرة على تفعيل الدور الوالدى، دعنا نشبه الأسرة بمنضدة لها ثلاثة أرجل لاتستوى إلا باستقامة دعائهما الثلاث (الاب - الأم - الطفل). فالطفل بحاجة إلى أبيه وأمه، وكل من الأم والأب بحاجة إلى الآخر كى يقدما للطفل ما يدعم حاجاته. وقبل كل شيء تحتاج الأم إلى إحساس بمشاركة الأب

وعيشه معها وتفضيل الرعاية التي تقدمها للطفل . وبذلك تنساب العلاقة القائمة بينهما كزوجين وبينهما وبين الطفل ، وهنا يظهر التفعيل للدور الوالدى ، الذى يعد غياب الطفل بالنسبة لهذا الدور الوالدى بمثابة كمون لهذا الدور وعدم تفعيل له .

ولما كانت الأم هى من يقدم الطفل لأبيه ، يصبح من الأفضل أن تهتم بالرضيع أثناء وجود الأب في المنزل ، وتحت نظره ، ولا مانع من تعاونه بدلاً من الإسراع للفيام بهذا الدور قبل حضور الأب إلى المنزل . وإذا كان من المفيد طلب الأم مساعدة الأب أثناء قيامها بمهامها تجاه الطفل ، فإن ذلك يجب أن يكون حسب رغبة الأب ، إذ ينبغي قبل كل شيء احترام رغباته ، فالآباء يختلفون فهناك من يمتلكهم الإحساس بأنهم أقدر من زوجاتهم فنجدهم يفضلون التدخل في كل كبيرة وصغيرة . وإذا لم تتفهم الأم ذلك فإن الأمر يعوق تفعيل الدور الوالدى ، وأفضل وسيلة لتحقيق التفعيل المطلوب أن يساعد الأب زوجته على رعاية الطفل من غير سحقها أو إزالة معالها كأم .

إن الطفل يتعرف أولاً على الأم وعذوبتها وحنانها ، وهذا ما يمكّنه لاحقاً من التعرف على صفاتها الأخرى كالقسوة والحزم التي تراكم من خلال صور ذهنية عند الطفل ، وهذه الصور هي التي تشكل المنطلق الرئيسي لدخول الأب عالم الطفل على امتداد مراحل طفولته ، باعتبار الأب هو القوى ، الموقر ، الذي يستطيع دفع الطفل إلى احترام القواعد وتعاليم المجتمع ، وتقبل التقاليد .

وعندما يدخل الأب في حياة الطفل ، يحصل هذا الأخير بعض المشاعر التي أحس بها سابقاً تجاه بعض صفات الأم كالحزم والقسوة . . . إليه كأم وهذا ما يريغ الأم إذ تخلص من بعض الأعباء فيما كنها التفرغ لمستوياتها الأخرى .

إن وجود الأب ضروري جداً في المنزل كي تحس الأم بالسعادة ، والطفل حساس جداً تجاه هذا التفاهم والتناغم بين الوالدين . والود بين الأب والأم يشكل واقعاً صلباً يبني الطفل حوله العديد من الإبهامات .

إن ضرورة وجود الأب إلى جانب الأم تكمن في ذلك الدعم المادى والمعنوى الذى يقدمه لها فيساعدها على دعم سلطتها تجاه الطفل بفضل تجسيده للقانون والنظام اللذين تدخلهما الأم في حياة الطفل . ودعم الأب للأم لا يتطلب منه حضوراً دائمًا في المنزل بل يحتاج إلى وجوده الرمزى .

ويساعد وجود الأب في المنزل (إلى جانب الأم) الطفل في اختباره ومن ثم عيشه للمشاكل المتناقضة التي تتجاذبه فيتمكن بذلك من الاستمرار بحب أحدهما كي يكره الآخر (والعكس صحيح)، بينما يضطره غياب أبيه عن ساحة ثوره لتوجيهه مختلف المشاعر المتناقضة والمتباينة في ناحية الشخص نفسه، وهذا ما يشير الغموض بداخله. كما أن ذلك يصعب على الأم مهتمتها إذ يستحيل عليها تمثيل صورة الحنان والحب إلى جانب الحزم والمنع والقسوة عند الاقتضاء . . .

إن ضرورة وجود الأب تنطلق من صفاته الإيجابية والعناصر المميزة له كذكر راشد يختلف عن الأم كأنثى، كما يختلف عن باقي الراشدين الذكور بسبب وضعه الخاص بالنسبة للطفل وإحساس هذا الطفل بقوة شخصية الأب.

وعندما يتقبل الوالدان معاً مسؤولية رعاية طفليهما، فإن ذلك يشكل أرضاً خصبة لبناء منزل سعيد، قائم على التفاهم تتذلل فيه الصعوبات بصور تلقائية.

وللوسط أو الطبقة الذي يعيش فيه الوالدان والطفل دور جوهري في الطريقة التي يتفاعل بها كل نحو الآخر، ففروق الطبقات الاجتماعية والاقتصادية تعلن عن اختلافات في مستويات وأساليب التنشئة.

فلقد اتضح أن الأسر من الطبقة المتوسطة أكثر شدة وقسوة من أسر الطبقة الفقيرة في تدريب أطفالهم على النظافة والغذاء، ويعتمد أمهات الطبقة الفقيرة على العقاب البدني والصياغ عند محاولة ضبط الطفل. ويدرك أبناء الأسر ذات المستوى الاجتماعي الاقتصادي المرتفع أن آباءهم مبتعدون عن فرض القيود والسلطان.

ويعد وضع أسرة كل من الوالد والوالدة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً مهماً في توجيه الأطفال وإرشادهم والرغبة في مشاهدتهم على نحو مماثل أو أعلى باستمرار وفي الوقت الذي يحارون فيه أبناء الطبقات الراقية الحفاظ على أطفالهم في نفس المستوى، نجد أبناء الطبقات المتوسطة والمتخلفة يسعون جاهدين للارتفاع بمستوى أطفالهم، وينعكس ذلك على توجيهاتهم لأطفالهم وأساليب معاملتهم في ضوء ما لديهم من مستوى اقتدار.

وإذا كان المتوقع أن ترك جملة العوامل أو القوى آثارها على تنشئة الأطفال فلا يجب أن نغفل خصال Child Charactirstics ذلك الطفل النامي.

ومن أهم خصال الطفل حالي المزاجية التي تجعل الوالدين أكثر أو أقل شدة في المعاملة. فيشير Belsky إلى أن Batcy توصلت إلى أن المزاج المتقلب وخاصة في فترة الرضاعة يمكن أن يقوض الأداء الوالدي أو يعوقه. في الوقت الذي نجد فيه أن وسامة الطفل أو ذكاءه يمكن أن يجعل الوالدين أكثر حماية أو اهتماماً رائداً بطفلهم.

ويعد جنس الطفل أيضاً من الخصال ذات الأهمية، ففي الوقت الذي يشعر فيه الآباء الذكور أنهم يعاقبون أكثر، ترى البنات الإناث أن أمهاتهن تراعي هن بدرجة أعلى. ونجد أيضاً في بعض المجتمعات العربية مكانة الذكور الواضحة عن الإناث وبخاصة قرب الطفولة المتأخرة وما بعدها.

كما أن تكوين الطفل الجسدي وصحته الجسمية ومدى إعاقته تجعل الوالدين يتخدون توجيهات معينة نحو تنشيته أو معاملته. ويتوقف الأمر في كل الأحوال على حجم أسرة الطفل وترتيبه الميلادي بين الإخوة والأخوات.

وهناك على أي حال نماذج نظرية لوصف سلوك الوالدين مع أبنائهم ربعاً كان من المفيد تناولها في الجزء القادم.

ثانيًا : الأساليب الوالدية في معاملة الأبناء

هناك عدد من النماذج النظرية التي تصف سلوك الوالدين في معاملة الأبناء. فلقد قدم Symonds نموذجاً اشتمل على بعدين قطبيين، وذلك في عام ١٩٣٩ أحدهما يعتبر أن «تقبل الابن» من جانب الوالد أو الوالدة يقابلها أو ضده «رفض الابن» من جانب الوالد أو الوالدة، والثاني «السيطرة على الابن» من جانب الوالد أو الوالدة يكون ضده «الخضوع للابن» أي لطلباته وأغراضه وأوامره وبذلك فإن البعدين تبعاً لهذا النموذج هما :

التقبل - الرفض ، السيطرة - الخضوع

وفي عام ١٩٥٩ ظهر نموذج Scheafer et al. لسلوك الوالدين في معاملة الأبناء على النحو التالي :

Autonomy vs Control

الاستقلال - الضبط

Love vs Hostility

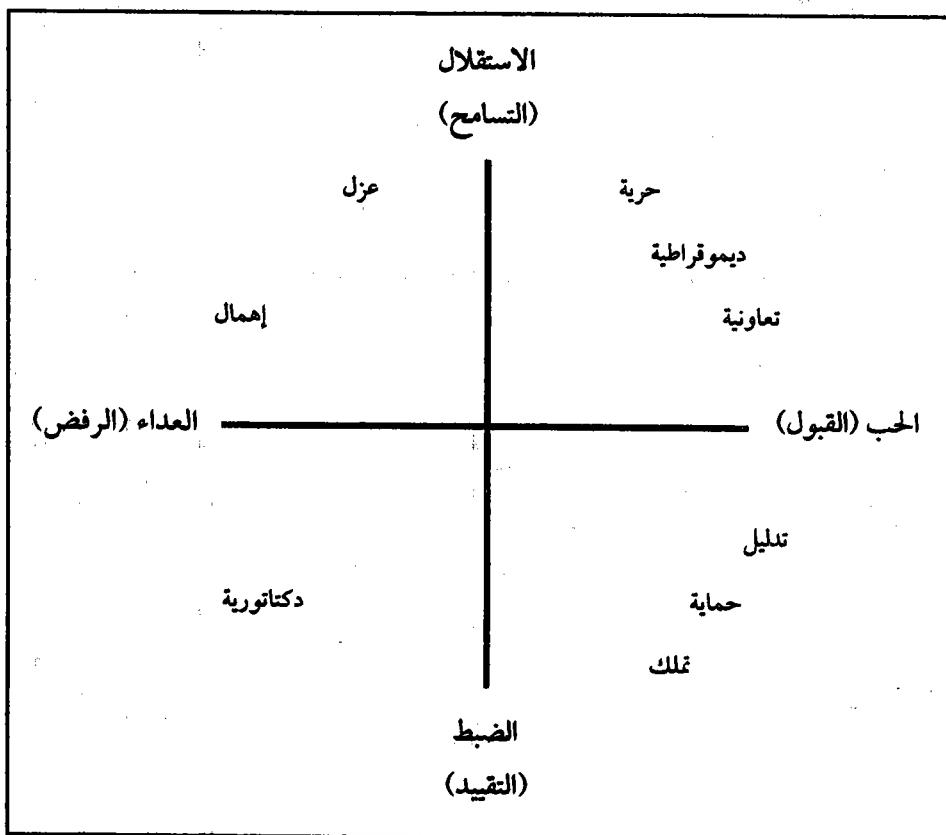
الحب - العداء

وقد ذكر البعدان السابقان بسميات أخرى على النحو التالي :

التسامح - التقييد Permissiveness vs Restrictiveness

القبول - الرفض Acceptance vs Rejection

وقد ذكر أيضاً في هذا النموذج بعض من مسميات أساليب المعاملة بين محاور هذه العوامل القطبية يوضحها الشكل التالي :



ولقد عرض Becker نموذجاً مقترحًا ثالثاً بعد لسلوك الوالدين في معاملة الأبناء عام 1969 جاءت أبعاده الثلاثة على النحو التالي :

الدفء - العداء ، التشدد - التسامح ، الاندماج القلق - الحياد الهدائى.

وافتراض بين هذه الأبعاد الثلاثة أساليب متدرجة للمعاملة يوضحها الشكل

الآتى :

أما الباحثة Baumrind فقد توصلت إلى أربع طرق يعامل بها الآباء أطفالهم

هي :

الالتزام بالضبط الوالدى Parental Control

مراعاة مطالب النضج Maturity Demands

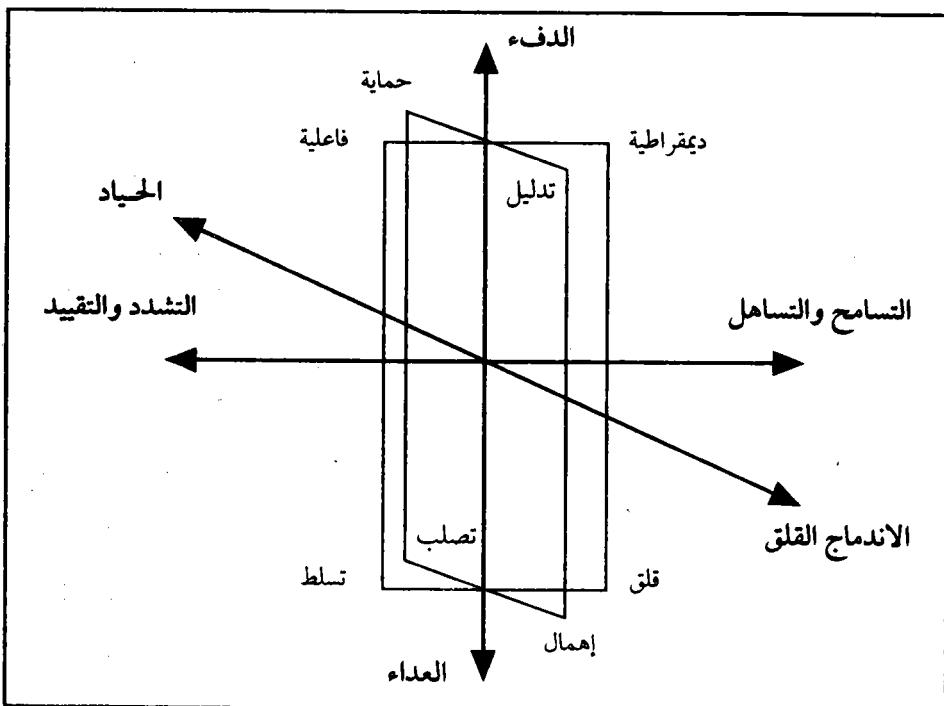
التواصل بين الوالدين والطفل Communication

الدفء الوالدى (عطاف وحنان) Nurturance

وقد انتهت نفس الباحثة فى عام ١٩٧١ من مراجعة دراستها فى ضوء دراسة أخرى وركزت على ثلاثة أساليب يعامل بها الأطفال من قبل الوالدين، وأضافت إليهم فيما بعد أسلوبًا رابعًا :

الحزم ، التسامح Permissive ، التسلط Authoritative ، الانسجام

Harmony



وإذا كانت هناك أساليب للمعاملة الوالديه تمارس مع الأبناء، قد حاولت الدراسات استكشافها، فإن التباين شبه الظاهر يوحى بوجود أنماط وأساليب لامارس على و蒂رة واحدة خلال مراحل نمو الأطفال، ولا يمكن القول باستقلاليتها، غالباً تختلف مستوياتها باختلاف المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للأسر.

فإذا ارتضينا التقبل أو دفع المعاملة أسلوبًا في ضوء ما سبق، نتظر تأثير هذا الأسلوب على انتماء الطفل للجماعات والاندماج مع الآخرين ومن ثم استدخاله للقيم والمعايير. كما أن جحود الوالدين أو أحدهما مع الطفل يفقده جزء من الأمان ويتعلم الأنانية بالإضافة إلى افتقاد جزء من القدرة على التوافق العام.

ويكتسب أسلوب دفع المعاملة أهميته والرفض أو الجحود من قبل الوالدين خطورته كما يشير Hetherington و Park في أن الطفل يحاول تجنب التفاعل مع والديه الجحودين كلما تمكن مما يقلل من دور والديه في تنشئته، بالإضافة إلى توهج الغضب والعدوان الذي لا يستطيع الطفل توجيهه إلى والديه فيزيشه إلى الآخرين.

ويعد الضبط الوالدى الذى يقابل الاستقلال من أساليب المعاملة التى كشف عنها كل من Becker و Scheefer وفيه يمارس الأب أو الأم سلوكيات تغير السلوك الناجي للطفل وتكتف عن ميوله، ويصل الضبط إلى الصرامة حينما يضع الوالدان قواعد ويطلبان من الطفل الالتزام بها، وإذا لم يؤكدَا على الالتزام بها يقال أن الضبط لين. ويخالف ذلك عن الحماية الزائدة التى تعتنى بالطفل فى جميع أوقاته لتقديم كل ما يرغب لهدهته.

وترى Baumrind أن الوالدين يحاولان تشكيل أطفالهما، فيكتبهان إرادة الطفل ويخلأن بتشجيع الطفل على ممارسة جزء من حريته تحت رعايتهم، وفي ذلك يكون الوالدان على مسار التسلط الوالدى Firm Discipline. ويستخدم بعض الآباء أشكالاً مختلفة من العقاب تباين بين الكره الحقيقى إلى ممارسة الضرب أو النقد والتوبیخ وأحياناً سحب الامتيازات.

ويذكر Bordizinsky et al. أن الأبناء الذين كان عقابهم بقسوة من قبل الوالدين أصبحوا عدوانيين مع غيرهم من الأطفال وأيضاً مع المعلمين، ويتنظر من الأطفال الذكور الذين تمت ممارسة القسوة عند عقابهم أن يصبحوا منحرفين أو لهم سلوكيات مضادة لمجتمعهم حينما ينخرطون في المراهقة.

وعلى أي حال فإن أي شكل من الأشكال القاسية والعنيفة في التعامل مع الطفل يعد سوءاً لمعاملة الطفل Child Abuse. فالعقاب البدني القاسي بإفراط وإهمال الطفل يعتبر من قبيل سوء المعاملة التي عند استمرارها مع الصغير تجعله يبدو له وجه عجوز عند مقارنته بمن هم في مثل سنه من الأطفال، ولا يخفى أنه من الصعب تحديد عدد الأطفال العرب الذين يعانون من سوء معاملة والديهم، وأشكال هذا السوء لمعاملة.

والوالد المسيء لطفله بإفراط يمكن أن يكون والداً مريضاً ويحتاج إلى علاج نفسي، ومن سماته الأكثر وضوحاً في الغالب الذهانية؟ ويذكر Park و Collmer أن الدراسات انتهت إلى أن الوالد المسيء في أغلب الأحوال أسيئت معاملته وهو طفل، فهذا الأب حينما كان طفلاً كان أمامه نموذج مسيء له، والاحتمال الأعظم أن يكون قد امتص معاييره وطريقته. وهذا ما دفع Belsky إلى ذكر أهمية دراسة تاريخ نمو الوالد المسيء، نظراً لإمكانية أن يكون تاريخ النمو النفسي للوالدين أو أحدهما سبباً في سوء معاملة الأبناء.

ولا يجب أن تكون في معزل عن خصائص المجتمع الذي يعيش فيه أولياء الأمور المتسمون بالعنف وسوء معاملة الأبناء. فالعنف السائد في المجتمع، والذي يظهر بين أفراده أو على شاشات التلفزيون أو عبر وسائل الإعلام الأخرى يمكن أن يعلم الأبناء والآباء أن العنف وسيلة مقبولة لحل المشكلات.

ولقد ظهر أن الوالدين المسيئين إلى أطفالهما، لديهما ممارسات قليلة من التفاعلات اللغوية مع هؤلاء الأطفال بالإضافة إلى أنهم ليسوا متسلقين معهم في التعامل. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الطفل ذاته وخصائص شخصيته أحياناً تكون من أسباب معاملته معاملة سيئة من قبل الوالدين أو أحدهما.

ويعد عدم الاتساق في المعاملة Inconsistency مع الطفل سبباً في ممارسة هذا الطفل لسلوك ضد المجتمع Anti Social Behavior مثل العدوان، بالإضافة إلى الاضطرابات النفسية التي تبدو عليه.

والواقع أن الإكثار من ترهيب الطفل وتهديده على كل صغيرة وكبيرة من أشد العوامل خطورة على بنائه النفسي. كما أن التحقيق والاستهزاء به أو إشعاره باختلافه عن بقية إخوته، هي أساليب لمعاملة سوف تترك آثارها فيما بعد عليه. ولكن الحزم من أنساب الأساليب التي تحقق جزءاً من الصحة النفسية للأطفال، ويترب عليه غالباً أطفال وكبار مستقبلاً لهم شخصيات متزنة، قادرة على تقييم الأمور بموضوعية ومتقبلة ذاتها إلى حد بعيد.

وربما ينكر شخص الحديث عن دفع الآبوين أو حنائهم بحججة أن هذا الخنان أمر طبيعي فيهما، ولكن ما يحدث من البعض من غلظة وجحود يوجب النصح والإرشاد ومحو العجب والإنكار، إن هذا يحدث وحدث بالفعل منذ القدم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أبصر الأقرع بن حابس رضي الله عنه النبي ﷺ وهو يقبل الحسن والحسين ، فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم !! ، فقال رسول الله ﷺ : من لا يرحم لا يُرحم».

وإذا كان علماء النفس يرشدون إلى عدم نهر الطفل لأن ذلك يؤثر على شخصيته نجد أن رسول الله ﷺ قد سبقوهم إلى ذلك.

عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء أو الظهر أو العصر ، وهو حامل الحسن أو الحسين ، فتقدم النبي ﷺ فوضعه ثم كبر للصلوة ، فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها ، قال (راوى الحديث) : إنني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد ، فرجعت في سجودي فلما قضى الرسول ﷺ قال الناس : يا رسول الله ، إنك سجدت بين ظهراني الصلاة سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك ، فقال رسول الله ﷺ «كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت أن أتعجله حتى يقضى حاجته».

إن في عمل الرسول هذا تهذيباً لطبع شرسة، ويحد بذلك من تنطع مقيت، فإصلاح نفس الطفل وإدخال السرور على قلبه أمور هامة في المعاملة. إن الله الرحيم ليقبل الصلاة التي يشغل فيها صاحبها بالحذب على طفل، وربما لا يقبل الصلاة التي توصد حول مؤديها الأبواب والمحجب، وينهش من أجلها الأطفال أو يضربون خشية أن تبطل كما يزعمون.

إن الآباء الذين يشكون من فساد أولادهم بعد كبرهم، ليس لهم إبداء ضيق أو برم - فعلى نفسها جنت براقتش - فهم الذين أرخوا لهم بحجة العطف والحنان، بداع الحب المفرط. إن الإسلام دين الوسط والاعتدال - يجب على الوالدين أن يسلكا في ضوئه مع أولادهما نهجاً وسطاً، ليس فيه حماية زائدة أو تدليل أو تسلط أو تصلب أو تحقيير، بل إن الأمر دفع في غير ضعف وحزم في غير شدة. والذى يقرأ قصة سيدنا يوسف عليه السلام أو قصة سيدنا إبراهيم أو سيدنا شعيب عليهما السلام - يلتمس تنبئها إلى صورة حية واقعية، كان فيها الحوار بين الآباء والأولاد وليس التسلط والتصلب بل لغة الإقناع، وكان فيها أيضاً تقدير رأى الولد بما يبعث الثقة بالنفس وتقدير الذات.

يقول الله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : «.... إِذْ قَالَ يُوسُفُ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشْرَ كُوكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ». قال يا بنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين»، ويقول الله في شأن إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام : «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بَنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَنِي أَفْعُلْ مَا تَوَمَّرْ سَتَجْدِنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ».

وإذا كان التواب مهما بالنسبة للأطفال، فعقاب الطفل إذا أهمل أو جنح إلى الخطأ مباح أيضاً استناداً إلى إباحة الإسلام ضربه على ترك الصلاة عند بلوغه عشر سنين، ولكن هذا العقاب المباح أمر بالغ الحساسية على الأخطاء الأخرى التي ترتكب من الأطفال، ولا تنسى ما روتة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحْبُّ الرَّفِيقَ، وَيَعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يَعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يَعْطِي عَلَى سُوَاهِ».

وإذا كانت هناك تباينات واضحة توصلت إليها البحوث بخصوص أبعاد أو أساليب المعاملة الوالدية وانعكاساتها على الأطفال، فإنه في ضوء كل ما سبق وفي ضوء ديننا الإسلامي يمكن تصور أساليب للمعاملة لا يمكن القول بأنها مستقلة في شكل أبعاد على النحو التالي :

(١) التقبيل (الدفع) – الرفض (المحود)

إن دفع المعاملة يتمثل في السعي إلى مشاركة الطفل، والتعبير الظاهر عن حبه وتقدير رأيه وإنجازاته والتجاوب معه والتقارب منه من خلال حسن الحديث إليه والفرح المعقول بتصرفاته ومداعبته بالإضافة إلى رعايته، واستخدام لغة الحوار والشرح لإقناعه، أو توضيح الأمور له مع البعد عن الاستياء منه والغضب من تصرفاته والضيق بأفعاله وإشعاره بعدم الرغبة فيه والميل إلى انتقاده وبخس قدراته وعدم التمتع بصحبته وظهور النفور من وجوده.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يؤدي اتباع الرفض والمحود للطفل، إلى صعوبة في بناء شخصية مستقلة نتيجة شعوره بالرفض. كما أنه يكره السلطة الوالدية وينسحب شعوره بهذا إلى معارضته السلطة الخارجية. وغالباً ما يصبح هذا الطفل متربداً في المستقبل متسلطاً ولديه شعور بالنقص.

(٢) الاستقلال – الضبط (التحكم)

هو منع الطفل قدرًا من الحرية لينظم سلوكه، دون دفع السلوك للطفل في اتجاهات محددة أو كف ميوله من خلال قواعد ونظم يطلب منه الالتزام بها ويشجع على ممارستها دون مراعاة لرغبات الطفل أو دون تزويده بمعلومات عن نتائج سلوكه.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يؤدي اتباع التحكم والسيطرة من قبل الوالدين، إلى الكف عن التعبير الصريح عن الرأي والتردد في اتخاذ القرار وصعوبة معرفة الصواب والخطأ، وفي الأغلب تكون شخصية الطفل أميل إلى العصبية وعدم الاتزان الوجداني مستقبلاً.

(٣) الحماية الزائدة – الإهمال

هي المغالاة في المحافظة على الطفل والخوف عليه لدرجة مفرطة ليس في أوقات المرض فحسب بل في أوقات التغذية والنظافة واللعب ومارسة المهام التي يكلف بها.

عيوب هذا الأسلوب :

للحماية الزائدة مضارها المتمثلة في خشية الطفل من اقتحام المواقف، وانخفاض مستوى الجرأة، وعدم الاعتماد على النفس، كما أن للإهمال عواقبه على الطفل مثل التبلد وعدم الانتباه بالإضافة إلى تكوين فكرة سائبة عن الحياة الأسرية.

(٤) الديموقراطية – التسلط

البعد عن فرض النظام الصارم Firm Discipline على الطفل أو كبح إرادته من قبل الوالدين بعتمدين على سلطتها وقوتها ومقيمين سلوك الطفل وفقاً لمعايير مطلقة محددة للسلوك ومتظرين دائمًا الطاعة من قبله عند فرض رأيهما عليه، وإجباره على التصرف بما يرضي رغبتهما.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

غالباً ما يمارس الطفل نفس الأسلوب عندما يكبر، ويبعد عن التعبير عن رأيه وينخفض مستوى مفهوم الذات لدى الذين يعاملون بهذا الأسلوب، بالإضافة إلى تقلب انفعالاتهم والعزلة.

(٥) التدليل – القسوة

التراخي والتهاون في معاملة الطفل وعدم توجيهه لتحمل المسؤوليات والمهام التي تتناسب ومرحلته العمرية، مع إتاحة إشباع حاجاته في الوقت الذي يريده هو.

عيوب هذا الأسلوب :

مع التدليل يشعر الطفل بالغرور، وإصابته بالإحباط لاتهمه الموقف الصعبه ومع القسوة قد ينطوي على نفسه وينسحب من الموقف الاجتماعية ويتولد لديه شعور بالنقض وشعور حاد بالذنب وكراهية السلطة والعدائية مع الأطفال الآخرين.

(٦) الإثابي - العقابي Parental Reward and Punishment

ما يجنيه الطفل كمعزز لتفوي أو تبقى أو تكتسب سلوكيات معينة كالإثابة الأولية (طعام أو شراب . . .) أو الإثابة الموضوعية (لعب أو مال . . .) أو الإثابة الشاطئية (الخروج والتزهه . . .) أو الإثابة الاجتماعية (ابتسامة أو إيماءة . . .) مقابل ما يوجهه الوالد من ألم جسمى أو نقد لفظى أو توبىخ أو استهجان أو تخفيض فى الامتيازات المنوحة للطفل.

فعالية هذا الأسلوب :

هناك أدلة مؤداها أن الطفل يتعلم أسرع إذا تلقى كلاما من الثواب والعقاب، فالإثابة تعلم ما ينبغي أن يعلمه، والعقاب يعلم ما لا ينبغي أن يمارسه. وإحاطة الطفل بال نوعين لها فائدة أكبر عما لو اعتمد على الثواب فقط أو العقاب فقط.

(٧) التذبذب Irresolution - اتساق المعاملة

عدم ثبات الوالدين أو حيرتهمما فى نظامهما الذى يتعاملان به مع الطفل فى المواقف نفسها وتناقض أسلوبهما عند مقارنة أسلوب معاملة كل منهما بالآخر أو داخل أسلوب الوالد الواحد تجاه نفس السلوك الصادر من الطفل أو شبيه هذا السلوك.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يجد الطفل صعوبة فى معرفة الإيجابيات والسلبيات، يكون غالباً متربداً ومتشاريماً ولا يصلح للقيادة ومنخفض الاتزان الوجدانى، ويمارس السلوك ضد الاجتماعى.

(٨) الحزم - لامبالية

إقامة ضبط متزن على الطفل يتضمن تنبئه إلى أخطائه وحثه على الوصول إلى نماذج ناضجة من السلوك مع توضيح الأشكال السلوكية غير المقبولة فى جو من الحب وتقدير الرغبة بالإضافة إلى تشجيعه على التحاور وإبداء رؤيته.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

التسبب فى أداء الأعمال، ممارسة التخريب والألعاب العنف. رفض النظام - ولا يمنع الأطفال عند هذه المعاملة من الضبط الذاتى.

٩) التفرقة – المساواة

التفضيل والاهتمام بأحد أو بعض الأبناء عن طريق الحب أو المساعدة والعطاء أو منح السلطة أو التمتع بمعزيا دون اكتراث بمشاعر الأبناء الآخرين.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

الغيرة والخوف من المستقبل والأنانية بالإضافة إلى فقدان الثقة بالآخرين.

١٠) الاعتزاز (التقدير) – الاستهzaء (التحقير)

الثناء على الطفل وإظهاره بأنه محل إعجاب وتقدير مع البعد عن خداعه أو الاستخفاف بتصرفاته وأفعاله وقدراته وانفعالاته وإنجازاته.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

انخفاض مستوى الثقة بالنفس وبالتالي انخفاض مفهوم الذات. وضعف الولاء للأسرة والشعور بالإحباط.

* * *

الفصل السادس

الوالدان كأجزاء من مشاكل تنشئة
الأطفال وأجزاء من الحلول



أولاً : إعطاء الطفل الانطلاقـة الأولى :

ليس هناك ما يضير في أننا نريد أن ندفع الطفل الدفعة الأولى ، ومع هذا لن يفيد أن نكون آباء «مشيرين» أو أن نرغم الطفل على فعل شيء قبل أن يكون مستعداً له ، أو أن نغمره بالتعليمات خلال اليوم مما يقيـد حرية الطفل وإحساسه بالحياة الـهادئة . وبينما الآباء يكافـحون في هذه الورطة راغـبين أن يعطـوا طفـلـهم كل ميـزة مشـيرـين إلى كل شيء أمامـه ، فـمع ذلك لا يـريـدون أن يـضـغـطـوا علىـه أو يـدـفعـوه أـكـثـرـ منـ الـلـازـمـ ، فـلـاتـوـجـدـ وـرـطـةـ حـقـيقـيـةـ إـذـاـ وـصـلـ إـلـيـنـاـ الـعـنـيـ الـحـقـيقـيـ لـلـانـطـلـاقـةـ الـأـلـوـلـيـ .

إعطاء الانطلاقـة الأولى يعني بـساطـةـ تعـلـيمـ الطـفـلـ شـيـئـاـ قـبـلـ أنـ يـتـعـلـمـ بـنـفـسـهـ . عنـ طـرـيقـ الـبـيـئـةـ الطـبـيـعـيـةـ الـمـحـيـطـةـ بـهـ .

على سـيـيلـ المـشـالـ : فـتـرـةـ ماـ قـبـلـ المـدـرـسـةـ لـاتـعـلـمـ الطـفـلـ غالـبـاـ القرـاءـةـ أوـ الحـسـابـ أوـ الـكـتـابـةـ أوـ السـبـاحـةـ أوـ الـعـزـفـ عـلـىـ آـلـةـ مـوـسـيـقـيـةـ أوـ الـأـمـورـ الـاجـتـمـاعـيـةـ ، وـتـكـوـينـ الـأـصـدـقـاءـ ، وـالـعـشـورـ عـلـىـ الصـحـبـةـ الـجـيـدةـ ، أوـ الـإـنـصـاتـ إـلـىـ المـدـرـسـ وـالـتـوـافـقـ معـ الـآـخـرـينـ .

وـمـعـ ذـلـكـ فـالـأـطـفـالـ يـكـوـنـونـ مـسـتـعـدـينـ نـفـسـيـاـ وـعـقـلـيـاـ لـلـقـرـاءـةـ أوـ الـمـوـسـيـقـاـ أوـ الـحـسـابـ ...ـ إـلـخـ . وـلـكـىـ نـسـتـمـتـعـ بـذـلـكـ فـيـ سـنـوـاتـ ماـ قـبـلـ المـدـرـسـةـ فـإـنـاـ نـعـطـيـهـمـ الدـفـعـةـ الـأـلـوـلـيـ إـذـاـ بـدـأـنـاـ بـتـعـلـيمـهـمـ فـيـ هـذـهـ السـنـ الـمـبـكـرـةـ «ـالـانـطـلـاقـةـ الـأـلـوـلـيـ»ـ إـنـ الطـبـيـعـةـ وـالـبـيـئـةـ الـمـحـيـطـةـ لـاـ تـسـمـحـ بـتـعـلـيمـ الطـفـلـ ذـلـكـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ يـكـوـنـ فـيـهـ غـيـرـ مـسـتـعـدـ لـلـتـعـلـمـ وـالـتـلـقـيـنـ ، وـلـأـسـبـابـ مـعـيـنـةـ فـهـوـ يـتـنـتـظـرـ ، إـذـنـ فـالـمـلـهـمـ هـوـ لـيـسـ أـنـ نـجـعـلـ الطـفـلـ أـرـفـعـ مـقـاماـ وـأـعـلـىـ مـنـ زـلـلـةـ مـنـ الـأـطـفـالـ الـآـخـرـينـ ، بـلـ نـجـعـلـ حـيـاتـهـ مـلـيـةـ بـالـحـرـيـةـ وـالـسـعـادـةـ . لـاتـخـفـ عـلـىـ طـفـلـكـ مـنـ أـنـ يـلـتـحـقـ مـبـكـرـاـ بـفـصـولـ تـعـلـيمـيـةـ ، لـكـنـ إـذـاـ لـمـ يـرـقـ لـهـ ذـلـكـ بـعـدـ حـضـورـهـ عـدـدـاـ مـنـ الـمرـاتـ ، فـلـيـسـ مـنـ الـعـدـلـ أـنـ يـسـتـمـرـ أوـ نـرـغـمـهـ عـلـىـ الـحـضـورـ ، وـمـنـ الـأـفـضـلـ إـيـجادـ النـشـاطـاتـ الـتـىـ تـشـعـرـ بـالـمـلـتـعـةـ وـالـمـعـلـمـ الـذـيـ يـرـتـاحـ إـلـيـهـ . فـالـطـفـلـ سـيـتـحـدـىـ نـفـسـهـ وـيـحـاـوـلـ أـنـ يـحـرـزـ تـقـدـمـاـ فـيـ الـأـشـيـاءـ الـغـامـضـةـ بـالـنـسـبـةـ لـهـ وـلـنـ يـكـوـنـ هـنـاكـ دـاعـ لـأـنـ نـدـفـعـهـ الـآنـ بـلـ عـلـىـ الـعـكـسـ مـاـ سـوـفـ نـفـعـلـهـ هـوـ أـنـ نـحـاـوـلـ إـخـرـاجـهـ مـنـ حـمـامـ السـبـاحـةـ أوـ إـبـعادـهـ قـلـيـلاـ عـنـ الـكـمـبـيـوـتـرـ .

لا يوجد شيء سليم أو غير سليم بخصوص توجيه الطفل وإرشاده وتعليمه القراءة في هذه السن الصغيرة، إن هذا يتوقف على رغبة الطفل واستعداده، فلا يجب أن نمنع الطفل من تعليم القراءة أو السباحة إذا امتنع مرة عن قبولها فيجب البحث عن طريقة أكثر تشويقاً لذلك.

تقول إحدى الأمهات : لقد اعتقدت أن من المهم لطفل أن يتعلم القراءة في فترة ما قبل المدرسة لسبعين: الأول : أني ظنت أن أنه قد يستمتع بها عندما يصل إلى الدرجة التي يستخدمها كقراءة الكتب المحببة إليه، ثانياً : إن ذلك قد يعطيه الانطلاق الأولى في المدرسة فيكون مستعداً بدرجة أكبر للتعليم عن أقرانه .

ومع ذلك فأنا أعلم أنني لو أقيمت إليه بمجموعة من الحروف ودربيته عليها فسيصييه ذلك بالملل، وبدلًا من هذا فأنا أعلم ذلك من خلال القصص وعندما أكون في الحديقة أو أثناء اللعب سأفعل ذلك قليلاً هنا وقليلاً هناك، وأتوقف عندما يفقد الرغبة في ذلك، ودائماً ما أستمد الأشياء الطبيعية الممتعة ليتعلم بها أثناء القراءة، ويجب أن أتوقف أثناء القراءة وأسأله عن هذا الحرف وكيفية نطقه «هذا شيء عظيم برافو» هكذا نقول له إذا أجاب جيداً، أو «إنها ه» إذا لم يعرف، ثم أستمر في القراءة وأتوقف ثانية عند نفس الحرف أو حرف آخر وعندما يحرز تقدماً فسوف يتعرف على الحروف في الشوارع والحدائق وفي التلفزيون وبعد محاولة ربط الحروف بالكلمات المعروفة (ساما، بابا، لعبة . . . الخ) ستجده يتمتع بعمرتها وسيسأل إذا لم يعرف حرفًا يريد أن يعرفه، والشيء المهم هو ألا تتعجل أو تندفع لطلب شيء يفعله إلا إذا كان مستمتعاً بذلك أو توقف إذا فقد الرغبة .

إن هذه هي الإنطلاق الأولى لأنها توسيع مدارك الطفل وتترى حياته، فليس من مصلحة الطفل إرغامه لأنه سوف يكره القراءة ويزيد ذلك سلوكه الاعتراضي للهروب منها .

ثانياً : أفضل التوقعات

إننا نريد لأطفالنا أن يكونوا أذكياء، وذوي دين، رياضيين، واجتماعيين، وكل هذا طبعاً شيء جميل، لكن يجب علينا أن تكون حريصين في أن نتساءل ماذا نريد؟ وماذا نتوقع، وماذا يطلب من طفلنا؟ وهل هذا مفيد له أم لا؟. معظم الآباء تصيبهم الحساسية بخصوص ضعف معين فيهم ويتوقعون (أو يأمرون) أطفالهم بأن يكونوا على قدرٍ من المهارة والقوة فيما افتقدوه. فعندما تكون سميّنا سوف تزداد حساسيتك بالنسبة لوزن طفلك، وماذا يأكل، أمّا إذا كنت من محبي الجلوس على المقاعد فسوف يدفعك هذا لأن تنتظر من الطفل ممارسات رياضية فوق العادة.

فلا بد أن تكون على دراية بأن مشكلتنا تتضح في مثل هذه المواقف، فليس من الضروري أن يكون الطفل بطلاً رياضياً أو قوياً فوق العادة. ونحن نظل نعلم أبناءنا في هذا المجال لنساعدهم على التقدم، ويمكن أن يكون عندنا التوقعات ونساعد أطفالنا على تحقيقها، لكن يجب أن يكون هناك حدود لتلك التوقعات، ولا يجب أن نصاب بالإحباط إذا لم تحدث، فيجب أن نساعد الطفل على التعلم بالطرق السليمة مع إحساسه بالاستمتاع بها بدلاً من دفعه وإرغامه على كل فعل، والمزيد مما نريده.

ثالثاً : المنافسة مع الآباء الآخرين

عندما نُرْزَق بأول طفل فإننا نراقبه كظله ونقارن بينه وبين الأطفال الآخرين، وبيننا وبين الآباء الآخرين، بل ونشعر بالخوف والفزع عندما نرى غيرنا من الآباء الآخرين يفعلون أشياء قد تبدو مفيدة لانفعلها نحن ثم سرعان ما نكتشف كم من الحماقة أن نتنافس مع الآباء الآخرين.

إنك ستري الأطفال دائمًا أذكي من طفلك وأكثر طاعة ولا يستخدمون تلك الكلمات الساذجة بل يتحدثون ثلاث لغات، أو يقومون بعمل العمليات الحسابية عندما يبلغون أربع سنوات، ولأنك تحكم على نفسك وعلى طفلك من هذا المنطلق وبهذه الطريقة فستخسر دائمًا.

وإذا رأيت أباً لديه طريقة ناجحة لتعليم طفله السباحة فلتتسأله عنها وتحاول تطبيقها فلن يجدى أن تشعر بالغيرة منهم.

إننا نتذكر مرات كثيرة قمنا فيها بالخروج مع عائلات أخرى رأينا فيها كيف أن الآباء في منتهى الرقة عند إطعام أطفالهم، وقد أظهروا العديد من الطرق لجعل الطفل يضحك ويأكل كما لو كان هذا درساً في التربية للطفل، ونحن لانستطيع عمل شيء، فمن الطبيعي أن يحدث هذا الاضطراب مع الطفل الأول خلال السنة الأولى، ومن الممكن أن نراقب أسلوب الآباء الآخرين ونقتبس منهم الطريقة المثلثة لتعليم الطفل القراءة أو السباحة أو التعرف على كيفية التغلب على المشاكل الخاصة بالأكل أو الذهاب إلى الفراش، لكن ليس من المفید حقاً أن تبارى معهم وندفع بابتنا إلى ذلك، فهذا يؤدى إلى أن نفقد متعة التربية، مع العلم بأن الشخص الذى ينصلت ويراقب ويتعلم أذكى وأمهر من الذى يتحدث ويستعرض.

رابعاً : علاقـة الأـباء بـأـحد الأـبـوـين

في وقت معين نجد أن الطفل يبدو قريباً من أحد الأبوين أكثر، وهذا يكون قاسياً على الآخر، فعندما يولد أول طفل، فإن الزوجين يقرران أن أحداً منهما سيتوقف عن العمل لرعايته - غالباً ما تكون الأم - فسوف ترتعشه وتعتني به عناية كاملة، ومع هذا فإن الأب سيكون له وظيفة جديدة أو على الأقل سوف يزداد حمل المسئولية الملقاة على عاتقه أكثر من ذي قبل.

ويبنما تلازم الأم بيته فإن لديها وقتاً أطول (ومسئوليات أكبر) لطفلها وسيكون الترابط بينهما أسرع وسيكون اعتماد الطفل عليها في كل أموره أكثر من أبيه، وسنجد الطفل نفسه في حالة من الضيق عندما ترك أمه الغرفة أكثر من أن يفعل أبوه ذلك، وفي المساء نجد الأم تخبر الأب بكل أفعال الطفل الجديدة التي حدثت صباحاً، وهنا يشعر الأب بالغيرة من الوقت الذي تمضيه زوجته مع ابنه والعلاقة التي بينهما.

فيأتي واجب الأم لتكون حساسة تجاه وضع الأب واحتياجاته، كما يجب أن يدرك الأب أنه من الممكن أن يخصص وقتاً لطفله يقوى به علاقتهما (في المساء أو أيام العطلات مثلاً). ويجب أن يدرك أيضاً أن علاقته بطفله يمكن أن تكون قوية

ولكنها مختلفة عن علاقة الأم. قد يمكن للطفل أن يعتمد عليه في بعض الأشياء ولكن اعتماده الأكثر يكون على والدته في هذه السن.

وبعد ذلك، فالمهم هنا أن ينشأ الطفل في أسرة قوية الروابط ويحصل على الرعاية والحنان الكافيين بغض النظر عنمن يقوم بذلك، فالآباء يجب أن يقرروا معاً ما يجب أن يفعله، ومن سيفعله ومتى سيشاركه الطرف الآخر في المسؤولية وبذلك يصبح لكل منهما وظيفة محددة تناسب التغيير الذي يحتاجه الأب أو الأم أو الطفل.

وبنهاية من السنة الثانية أو الثالثة يبدأ الطفل في التعرف على جنس الأب أو الأم المشابه له فيبدأ الولد في تقليد أباء أكثر من أميه في اللبس، والرغبة في الذهاب إلى العمل معه، فسيصعب على الأم (خاصة إذا جلست في المنزل) أن ترعاه، وبعد أن كانت تعلمه كل شيء ويعتمد عليها في كل ما يفعله من قبل تجده في يوم ما يراقب أباء أكثر، ويريد أن يكون مثله، وبينما يكون الأب خارج المنزل معظم الوقت فقد يكون شيئاً خاصاً وفريداً أن يراه معه في المنزل وقد يتوجه إليه أكثر عندما يكون الأب والأم معاً، وربما كان هذا قاسياً على الأم التي ضحت بعملها ورعايتها وهوبياتها ومتاعتها وعلاقاتها الاجتماعية خلال عامين كاملين للعناية بطفليها، وفي النهاية يكون هذا هو المقابل.

خلال هذا الوقت يأتي دور الأب في أن يكون حساساً لمشاعر الأم واحتياجها لمزيد من الترفيه والنشاطات الاجتماعية، وينبغي أن يناقشا معاً دور كل منهما، وأفضل ما يمكن تقديمها لطفليها مع الامتنان والتقدير من كل منهما لأفعال الآخر بدلاً من الغيرة والحدق.

أما الآن وبعد أن وجدنا أنه يمكن أن يمر على كليهما مرحلة العلاقة القوية بالطفل أكثر من الآخر، فالنظرية الأخيرة تعتمد على الحب والوقت والجهود المبذول معه خلال حياته، ولا يتوقف على كونك أباء أو أميه أو أنك تلزمه في المنزل خلال الستة أشهر الأولى أو من يغذيه ومن يغير له الحفاضات والملابس.

الطفل يشبه أحد الوالدين :

إنه لمثير للدهشة أن تجد هذا الكم من الآباء يسألون نفس هذا السؤال، وأكثر إثارة للدهشة أن يصاب أحدهما بالإحباط عندما تكون الإجابة في صالح الآخر،

ومن المضحك أن ترى رد فعل الآباء عندئذٍ وهم يضعون أنوفهم (عيونهم، شفاههم) بجانب الطفل ومحاولة إقناعك بشدة التقارب بينهما. . . «كيف تستطيع أن تقول ذلك؟ إن لها نفس ملامح الوجه، وأنفها في وسط وجهها تماماً مثلـي لكن والدها أنـفـه معلقة هناك» بعض الآباء يأخذون هذا بـجـديـةـ وـيـعـتـبـرـونـ أنـ الطـفـلـ الـذـىـ لـهـ مـلامـحـ مـنـ أـحـدـهـمـاـ أـنـهـ يـحبـهـ أـكـثـرـ وـيـكـوـنـ قـرـيـباـ مـنـهـ أـكـثـرـ بـلـ وـيـمـيلـ إـلـىـ التـشـبـهـ بـهـ دـائـمـاـ،ـ وـطـبـعـاـ هـذـاـ هـرـاءـ.

من الطبيعي أن يشبه الطفل أبواه وبعض الملامح تكون مشتركة منهما معاً أو بينهما كلـونـ الجـلدـ مـثـلاـ لـكـنـهـ فـيـ النـهاـيـةـ يـكـوـنـ أـكـثـرـ الشـبـهـ مـنـهـمـاـ مـعـاـ.

ليس عيباً أن نسأل هذا السؤال (وسوف يفعله معظم الآباء) مادمنا لأنـرـدـدـهـ أـكـثـرـ مـنـ الـلـازـمـ أوـ نـجـدـ فـيـهـ أـىـ قـدـرـ مـنـ الـأـهـمـيـةـ،ـ فالـطـفـلـ الـذـىـ لـهـ ٤٧ـ وـجـهـ شـبـهـ مـنـ أـمـهـ مـقـابـلـ ٢١ـ مـنـ أـيـهـ لـاـيـعـنـىـ هـذـاـ أـنـ يـكـوـنـ قـرـيـباـ مـنـهـاـ أوـ يـمـاـثـلـهـاـ،ـ فـهـنـاكـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ قـدـ لـاـنـرـاـهـاـ وـلـاـنـسـتـطـعـ مـقـارـنـتـهـاـ مـثـلـ الـطـمـوـحـ وـالـشـخـصـيـةـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ،ـ أـمـاـ شـكـلـ الـأـنـفـ فـحـقـيقـةـ لـاـيـعـنـىـ شـيـئـاـ.

نـحـنـ نـوـلـدـ بـجـيـنـاتـ وـرـائـيـةـ قـدـ تـنـعـكـسـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ تـأـيـرـاتـهـ عـلـىـ الـحـسـيـوـيـةـ أـوـ العـدـوـانـيـةـ وـلـاـيـجـبـ أـنـ نـنسـىـ تـأـثـرـ الـطـفـلـ بـالـبـيـئـةـ الـمـحـيـطـ وـبـالـأـسـرـةـ وـبـكـلـ الـأـحـدـاتـ الـمـتـلـاـحـقـةـ مـنـذـ وـلـادـتـهـ.

إنـ الطـفـلـ لـمـ يـوـلـدـ مـثـلـ أـبـيـهـ وـأـمـهـ فـكـلـ النـاسـ مـخـتـلـفـونـ،ـ وـالـنـاسـ الـمـخـتـلـفـونـ عـبـارـةـ عـنـ نـتـاجـ اـثـنـيـنـ مـخـتـلـفـينـ أـيـضـاـ (بـاـ تـتـحـكـمـ الـبـيـئـةـ الـمـحـيـطـ فـيـهـمـ) فـمـنـ الـضـرـورـيـ أـنـ نـتـذـكـرـ هـذـاـ،ـ فـقـدـ يـوـرـثـ أـطـفـالـنـاـ هـذـاـ التـفـكـيرـ وـيـؤـذـيـهـمـ أـنـ يـلـاحـظـوـاـ الـغـيـرـةـ وـالـتـنـافـسـ بـيـنـ أـكـثـرـ اـثـنـيـنـ يـحـبـوـنـهـمـاـ فـيـ هـذـاـ عـالـمـ.

قدـ يـصـبـحـ السـؤـالـ هـذـاـ أـقـلـ أـهـمـيـةـ عـنـدـمـاـ نـعـرـفـ أـنـ مـلـامـحـ الـطـفـلـ تـتـغـيـرـ خـلـالـ الـسـتـ سـنـوـاتـ الـأـوـلـىـ،ـ يـقـولـ الـأـبـ :ـ لـقـدـ كـانـ طـفـلـيـ شـدـيدـ الشـبـهـ بـيـ حـتـىـ بـلـوغـ عـامـ،ـ لـهـ نـفـسـ الـوـجـهـ،ـ وـنـفـسـ الـقـدـمـ،ـ وـنـفـسـ الـلـوـنـ،ـ وـعـنـدـمـاـ تـمـ أـرـبـعـ سـنـوـاتـ فـقـدـ أـصـبـحـ نـسـخـةـ طـبـقـ الـأـصـلـ مـنـ زـوـجـتـيـ،ـ وـهـذـاـ شـائـعـ حـدـوـنـهـ،ـ وـكـلـمـاـ زـادـ نـوـ الطـفـلـ قـلـتـ التـغـيـرـاتـ الطـبـيـعـةـ وـتـطـوـرـتـ التـغـيـرـاتـ فـيـ الـشـخـصـيـةـ،ـ وـفـيـ مـعـظـمـ الـأـوـقـاتـ نـجـدـ

الآباء يفاجأون بما يفعله أبناؤهم وقد يرونهم شخصيات مستقلة وفريدة ولا يشبهون أى إنسان آخر.

فإذا وصل هذا المفهوم إلى أذهاننا وأدركنا أن اختلاف الطفل يحدد باختلاف شخصيته وطباعه وليس باختلاف أنفه، فسوف تتغلب على هذا الضيق الذى يصاحبنا (والأطفال أيضًا) عندما نسأل من يشبه الطفل أكثر.

سادساً : الندية بين الأشقاء Sibling Rivalries

إن هذا الموضوع يظهر على الأفق بمجرد ولادة الطفل الثاني فيفقد الطفل الأكبر كثيراً من الأصوات المسلطـة عليه، والأم تكون مشتة ما بين الطفل الجديد وأثار الوضع، والأب أيضًا يود قضاء بعض الوقت مع المولود مما يُشعر الطفل الأكبر بالغيرة من هذا الزائر الثقيل.

وهناك طرق كثيرة لمنع هذه الندية بين الأشقاء فقبل ولادة الطفل يجب أن نتحدث عنه وعن السعادة التي سيجلبها لأخيه الأكبر . . . «سوف يحبك كثيراً، سوف نُحضر لعباً كثيرة لتلعبا بها، إنك الآن ستكون الأخ الأكبر . . . إلخ». ونشركه في تسمية المولود والعنابة به ونوجه له أسئلة مثل «هل تساعدنى في تغذيته وتحضر لى البيرونة، هل ستعلمـه كيف يلعب باللـعب» وكذا التحدث معه عن هذا المولود ونشعره برأـسه داخل بطن أمـه قائلـين له «هـذا هو أخـوك» ولا نقول «ابـن والـدك أو أحـدـهما».

وعندما يولد الطفل يجب أن يأخذ الأب ابنه ليرى المولود الجديد ووالدته في المستشفـى، ومن الأفضل أن يكون في انتظـار الـابن هـدية باسم المـولـود الجديد، فسوف يؤدي ذلك إلى بداية من الروابـط القـوية بينـهما، ونقول : «خـالـد، انـظـر ماـذا أـعـدـتـ مـبـراـمـ لـكـ؟ إنـهـ شـيءـ جـمـيلـ حـقـاـ أنـ يـكـونـ لـكـ أـخـتـ تحـبـكـ لـهـذـهـ الـدـرـجـةـ».

ومن الضرورـى أيضـاـ أن يـقـضـيـ الأـبـ وـقـتـاـ أـكـثـرـ مـعـ طـفـلـهـ الأـكـبـرـ، فـيـشـعـرـ الطـفـلـ أـنـ لـاـيـزـالـ هـنـاكـ أـمـلـ فـىـ أـنـ يـحـصـلـ عـلـىـ الـاـهـتـمـامـ، وـعـنـدـمـاـ يـكـبـرـ المـولـودـ تـشـعـجـ الطـفـلـ الأـكـبـرـ وـتـشـتـىـ عـلـيـهـ عـنـدـمـاـ يـتـصـرـفـ تـصـرـفـاـ إـيـجـابـيـاـ تـجـاهـ الـأـصـفـرـ «خـالـدـ».

هل تستطيع أن تضحك أختك؟» فإذا فعل أو حاول فيجب الثناء عليه بشدة «كيف استطعت أن تفعل ذلك؟ أنا لم أستطع أبداً، لابد أنها تحبك جداً، انظر كيف تراقبك، إنك فعلاً أخ عظيم» فستجده بعد ذلك يستمتع باللعب معها وعندما تبدأ في إصدار الأصوات تبين للولد كم هو ممتع أن يقلد صوتها ونصفق لها عندما تقلد أصواتنا، فيبتعد عن كل هذا كثير من الاهتمامات المشتركة والتقارب الممحوظ بينهما.

طبعاً سيأتي اليوم الذي ترى الطفل الأكبر (بالصدفة أو بغيرها) يطعن الطفل الأصغر بالسيف (اللعبة طبعاً) أو يدفعه، أو أى تصرف سلبي من هذا القبيل، فالتعامل مع هذه المواقف يكون كالتعامل مع الغضب والعدوانية. كما سوف يتضح فيما بعد. وهذا ليس بالضرورة أن يكون نوعاً من الندية بين الأشقاء لكن إذا سمعت مرة قوله «إنها أخذت لعبتى» ولم يكن لعب بها في هذه اللحظة فهذا من الندية وهنا يجب أن يتعلم الطفل - بعد أن تتأكد أن لديه لعباً أخرى كافية - المشاركة والعدل مع أخيه بأن نقول : «حسناً ما اللعب الذي تود أن تلعب بها؟ إذن ميرام سوف تلعب بالباقي» وتنظر كوالد بعض التصميم على أن تلعب هي باللعبة التي لم يستخدمها فيشعره هذا أنه كما أن له الحق في الاختيار واللعب كما يحلو له فليس هناك مانع من أن تشاركه أخيه.

هناك مفهومان للتعامل مع مثل هذه المواقف التي يشعر فيها الطفل الأكبر أن الأصغر مفضل عنه، أولاً : يمكن أن نربط بينهما بلعبة تجمعهما معًا فهذا يكسر الجمود الذي ربما يكون بينهما، وخاصة إذا استمتعنا معًا بهذه اللعبة، أما الثاني فيعتمد على أن تقوم بإشغال الطفل الأكبر ... «خالد»، هل تريد أن تمر على صديقك عمرو؟ هل تريد أن تلعب بالطائرة؟ فلتذهب إلى منزل «طارق»، هذا لأن الطفلين لن يتمكنا من اللعب معًا بصفة دائمة فنحاول أن نلهي الطفل الأكبر بعمل شيء آخر يفضل له.

سابعاً : المشاركة في المسؤوليات بين الآباء

معظم الآباء يتحدثون عنمن يفعل وماذا يفعل قبل ولادة أول طفل ولا يتكلمون بذلك مرة أخرى، فلا أحد يستطيع أن تخيل مدى صعوبة تربية الأطفال، والجمع بين العمل والأسرة. ثم إن الناس يتغيرون بمرور الوقت، فالاحتياجات تتغير، والمسؤوليات أيضاً تزيد بدون أن ندرك ذلك، وبحلول السنين تجد لديك عدداً من الأطفال كل منهم في حاجة إلى الذهاب إلى المدرسة والطبيب ولا يمكنك أن تغلق باب المسؤولية الساعة الخامسة مثلاً.

يقول الأب : إنني أتساءل ماذا تفعل زوجتي خلال يومها، وأشعر بالغيرة من وجودها بالمنزل طوال اليوم بينما أواجه مشقات وأهواه الحياة خارجه، إنها لاتتعرض لهذا الضغط الفظيع الذي أتحمله من العمل، وذات يوم شاءت الظروف أن تحضر زوجتي حالة وفاة خارج المنزل وتتعجب طوال اليوم فقامت أنا بدورها في ملازمة المنزل وهنا شعرت أنني سوف ألقى حتفي، إنه لشئ مختلف تماماً أن تتمتع بهذا الوقت الجميل مع الطفل في المساء أو في العطلات أو أن تقضي معه يوماً كاملاً، فلا يوجد وقت للراحة أو للتفكير بدون إزعاج أو إطعام... وبعد أن رجعت أخبرتها أنني أكثر الأزواج تقديرًا وعرفانًا وامتنانًا لها.

لقد كان هذا درساً مفيداً، فمن الضروري أن يستعرض أحد الأبوين إذا أمكن مسؤوليات وتعابات الآخر قبل أن يشكو من الجزء الخاص به، وعلى العكس قد يرعب زوجته أن ترى حجم العمل الذي يقوم به وتشعر بالسعادة أنها ليست مكانه.

لذلك يجب على كل من الوالدين أن يقدر متابعته ومسؤوليات الآخر ويحاولان التخفيف بعضهما عن بعض عندما يعاني أحدهما من الضيق أو الملل أو طلب المساعدة عند المرور بتلك الأوقات العصبية.

الصياغ والشجار أمام الأطفال

كلنا يتتبنا شعور بالغضب بعض الأوقات ونحتاج لتنفيس الغضب والجدال مع شريك الحياة. إن هذا طبيعي، وهذا إنساني في نفس الوقت، ولكن يصعب على الطفل جداً أن يرى هذا، وهذا الشخصان هما كل العالم بالنسبة له هما أساس منزله... أما أن يراهما يتشاركان فقد يعصف ذلك بعواطفه.

والمفهوم الأقرب أن تكون حساساً لطفلك وتقلل الشجساز قدر المستطاع فليست هذه الطريقة التي نعلم بها كيفية مناقشة الأشياء وما الذي نفعله عندما نشعر بعدم الرضا، فإذا استشعرت مبادئ الغضب فمن الأفضل أن تبحث عن مكان آخر للجدل والشجار . هذا طبعاً شيء صعب لكن إذا نظرنا بحساسية إلى مدى تأثير هذا على طفلك فسوف تؤجل الغضب إلى مكان آخر ووقت آخر، أما إذا ازدادت الخلافات الزوجية كل يوم بكثرة فيصعب اللجوء إلى أخصائى في الزوج لاستعادة السعادة الزوجية.

ثامناً : تأثير الانفصال والطلاق بين الوالدين

Separation and Divorce

إن هذا الموقف لا يبعث على السعادة، وليس من السهل معرفة أي طريقة لإزالة آلامه، وكلنا نستطيع مع ذلك أن نقل حدوثه قدر الإمكان. فإذا كان الآباء غير سعداء معاً و مختلفين في الطياع فلن يكون هناك فائدة من الاستمرار. هذا بالنسبة للأطفال، فالشجار والجدال بينهم قد يكون أسوأ قدوة للطفل. إنه يصبح في حالة من الضيق والحزن. ويؤدي ذلك إلى حدوث تنافس بين الأب والأم لكسب الطفل ما قد يجعله مدللاً لدرجة الفساد، فلن يظهر له أى منهم بعض الصرامة والحزم فيفقد النظام الذي يجب أن يتبعه لينجح في حياته.

وقد أثبتت البحوث أن تأثير الانفصال بين الأبوين أقل كثيراً من وجودهما بهذه الحالة السيئة معاً.

يمكن أن يكون هناك بعض المشاعر بين الأبوين، وبالطبع سيكون عند كل منهم أفكار للتعامل مع بعضهما البعض، ومع ذلك فيجب أن يكون هناك وقت للتحدث حول مسؤولياتهما تجاه الطفل، إن الحديث ليس فقط لتوضيح الحقوق وترتيب المعيشة وحقوق الزيادة وتكلفة الملابس، إنما يجب على الآباء أن يوضحاوا للطفل بطرق إيجابية إذا ما تأزم الأمر ماذا يحدث حوله ويفكروا على عواطفهم تجاهه، ويعطوه حرية الاختيار في الإقامة مع أى منهما، وكذلك ما يريد فعله في أيام العطلات . . . إلخ. ولا نتمنى أن يصل الأمر إلى الانفصال فهو يحتاج رؤية أبويه معاً وهم متوادان قدر المستطاع، أما الآباء فيحتاجون إلى الكلام معاً عن طفلهم من وقت إلى آخر.

تاسعاً : جليس الطفل :

إن معظم الآباء محاطون بالعمل ومع ذلك يشعرون بالذنب تجاه عدم قضاء الوقت الكافي مع أطفالهم وخاصة في سنواتهم الأولى . ولا يوجد أسباب حقيقة وراء هذا الشعور ، فالآباء يجب أن يراعوا اهتماماتهم واحتياجاتهم وفي نفس الوقت يراعوا الالتزام تجاه أطفالهم . ومن الأفضل أن يكون الآباء مستمتعين بالتزامهم هذا ولديهم الاستعداد للتغييره ، ليس هناك أى شيء سليم أو غير سليم بخصوص مربية في المنزل أو بقاء الآباء فيه ل التربية أبنائهم فالشيء الجيد أو السيء يتوقف على نوع الشخص الموجود ، وكيفية العناية اليومية . وإذا أراد الآباء البقاء في المنزل فإن نوعية تلك العناية والرعاية تكون أكثر أهمية وأفضل من أى شخص آخر يقوم بها . وإذا كانت مسؤولية الطفل الكاملة ملقة على المربية فالآباء سيكونون مطالبين بتحقيق علاقة جيدة مع أطفالهم واتخاذ القرارات بخصوص نظامهم كما يجب أن يظل لديهم وظيفة إيجابية في التوجيه والمحوار مع المربية أو الجليس والتأكد على حصول الطفل على قدر من الوقت الممتع الذي يقضيه مع والديه . كثير من الآباء يمكثون في المنزل مع طفلهم ولكن لا يجدون الوقت للكلام أو القراءة أو اللعب معهم فمعظم الوقت يضيع في احتياجات الطفل - التغذية ، تغيير الحفاضات . . . إلخ ، إذا كان صغيراً .

وبعض الآباء يسود اعتقاد في أذهانهم بشأن إبقاء الطفل أطول فترة ممكنة بجانبهم ، فهو لاء مطالبون بتلبية جميع رغبات الطفل وحمايته والغيرة عليه من أى شيء ، مثل هذا الأب لا يساعد طفله بل يضره اجتماعياً ونفسياً ويحرمه من مشاركة زملائه وتكوين العلاقات والصداقات .

إن هؤلاء الآباء يحبون أطفالهم بشدة ولكنهم لا يعلمون أن هناك فترة من الوقت لا يجب أن يظهروا فيها هذا الحب . فالمهم هنا ليس مقدار حبك للطفل ولكن الآباء الذين يعرفون متى يلقون بالثناء على الطفل ، ومتى يعاقبونه لا يحبون الطفل أقل بل هم ببساطة يعرفون ماذا يفعلون .

عاشرًا : تفضيل الوالدين لأحد الأبناء :

كل الأطفال ليسوا سواسة، فمنهم من يكون أكثر ذكاء وأكثر حساسية More Sensitive أو أكثر وسامة، ونحن ككثير من الآباء نجد هذه الصفات محببة إلينا وقد ننجذب إلى أحد الأبناء عن الآخرين. هذا خطأ كبير وقد يؤذى بقية الأطفال نفسياً، فإذا عاملنا أحداً منهم بصورة مختلفة، أو إذا بالغنا في الشأن والاهتمام بأحد منهم وإهمال الآخرين فقد يؤدي ذلك إلى حدوث مشاكل بين الأطفال بعضهم وبعض بل وبين الأطفال وآبائهم.

عندما يجد الآباء أنفسهم متبحزين إلى أحد الأطفال يجب أن يتأكدوا من عدالتهم في التعامل وتقسيم الوقت بينهم جمیعاً. وفي معظم العائلات نجد أن هناك طفلاً يعتبر خاصاً، لكن كل الأطفال لديك يعتبر لكلّ خصوصية بطرق مختلفة، إن المهم ليس أن تفضل أحدهم على الآخر لكن المهم أن تحب الجميع فإذا استطاعوا جمیعاً أن يجذبوك نحوهم في أوقات مختلفة فليس من الضروري أن يكون أحدهم أكثر قليلاً من الآخر. إن الوقت الذي يمضى في اللعب والكلام ومداعبة طفلك هو الذي يقوى الروابط والانجذاب بين الطفل وأبويه، وهو الأكثر أهمية في حياتهما بينما تقل عنه أهمية بقية المسؤوليات الأخرى.

بعض الآباء يشعرون بالذنب وربما الغيرة من قوة علاقه الطفل بمربيته وتقول الأم : «إنه يجب أن أكون أنا... فأنا أمّه» وعلى العكس يمكن أن نصاب بالإحباط إذا لم تستشعر العلاقة الطيبة بينهم، وقد نفكر في إيجاد مربية أخرى. ومالاشك فيه أن تقوية علاقتك مع الطفل سوف يغير كلاً منكما وإذا لم تسمح الظروف بذلك فإنه كلما كانت العلاقة طيبة بين الطفل ومربيته ازدادت متعة الطفل ومعلوماته وغلوه.

حادي عشر: حب الأطفال أكثر من اللازم :

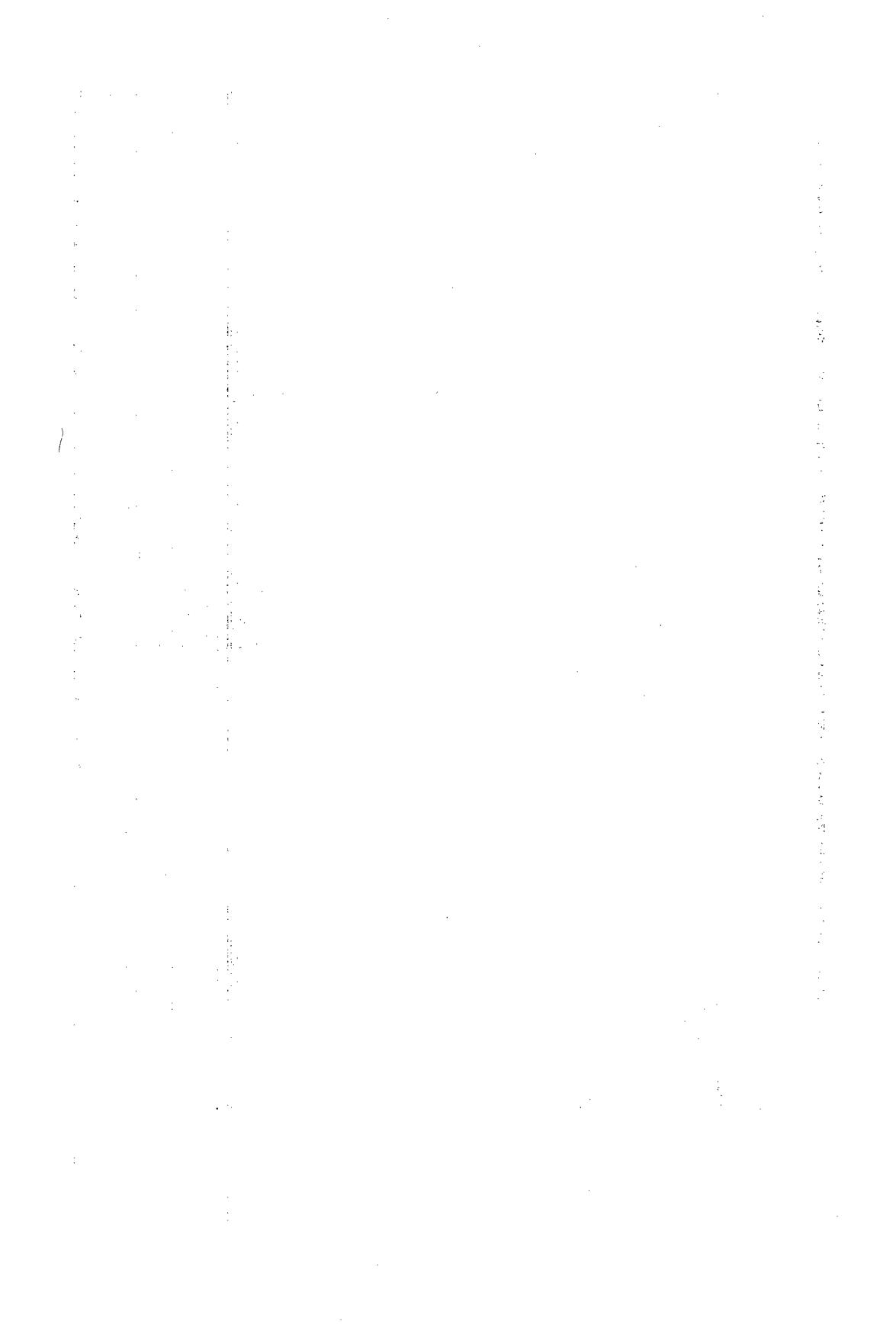
كلا .. لا يوجد حب أكثر من اللازم للطفل، ومع ذلك فهناك مشاكل تظهر على السطح تشبه الحب الزائد، بعض الآباء يدللون أطفالهم ويرفضون توبتهم أو إجبارهم على نظام معين، وهذا ليس تعبيراً عن الحب فالحب هو أن تبذل الجهد الكافي في الرعاية والتنظيم لطفلك، وكما نرى من بعضهم يهملون كل هذه الاهتمامات لكي يخصصوا وقتهم للبقاء مع الطفل فقط فيؤدي ذلك بالطفل لأن يظل طفلاً للأبد. ويجب على الآباء أن يدركون أنه سيأتي اليوم الذي يتخرج أبناؤهم فيه من الجامعة ويتزوجون وينجذبون أطفالاً بعيداً جداً عن أعينهم فنحن لا يجب أن نتوقف عن حبهم ولكن يجب أن نحب أشياء أخرى وأشخاصاً آخرين أيضاً. وإلا أصبحنا معتمدين غاطفيّاً عليهم بينما يقل اعتمادهم علينا بمرور الوقت.

الفصل السابع

دور الوالدين في

تنشئة الأبناء على المبادئ





المبادئ المتناولة هنا عامة «قواعد سلوك الطفل»، وحدوثها ليس مشروطاً بسوء سلوك الطفل، إنها تلك المبادئ التي يجب أن تتفذ بدقة لتصل إلى العلاقة المثلية بين الآباء والأبناء.

ولذلك تعتبر هذه المبادئ مفيدة لتعليم معظم (أوكل) ما تود أن تعلمه للطفل مثل الفضولية أو الاستطلاع Curiosity والإبداع Creativity والقراءة وأداب المعاملة والحساسية، ومعرفة الأرقام والحرروف والألوان . . . إلخ. وتعليم الطفل مقوله «لوسمحت»، «شكراً» تعليم أسماء الناس والملابس (بنطلون، قميص، جزمة)، وتعليم بعض القواعد البسيطة الخاصة بالمنزل، وتعليم كيف يلبس الطفل ملابسه بنفسه أو كيف يتصرف في المسجد، كل هذا يمكن إحصاؤه وتحقيقه. وهنا سيكون حوارنا البسيط عن تعليم المبادئ.

أولاً : استدلال الطفل عبر النموذج Modelling

إن أسرع طريقة لتعليم طفلك هي عمل نموذج له. لنوضح ذلك بمثال : إذا أراد طفل لعبه طفل آخر، فسأبحث عن لعبة للبيع وسأذهب معه لأشتريتها ثم نلعب بها أمام الطفل الآخر ونقول : كم لعبتنا جميلة ومسلية، ثم نطلب منه أن نبدل لعبتنا بلعنته، وبهذه الطريقة يتعلم الطفل كيف يتعامل مع هذا الموقف. وإذا طلبت منه كتابه حرف (ب) فأنا لا أعطيه الورقة والقلم فقط وإنما أرسم أمامه الحرف وأطلب منه أن يقلد هذا الرسم بنفسه، وبالطبع يتم ذلك مع التشجيع في أول مرة.

إنه من العجب أن تخيل مدى تعلم الأطفال من النموذج. فأنا عندي جهاز كمبيوتر في المنزل وطفلى الآن موقفه رافض. ففي بادئ الأمر على تعليمه مفتاح (الدخول)، (الخروج) ثم (الصعود والهبوط على الشاشة) ثم كيف نضع الديسك، وكيف يشغلها، وبعد ذلك عاونه كيف يفرق. (وأنت تمارس) بين البرامج المعدة إذا كانت فعلاً متعلقة بشيء من الأشياء المشوقة بها، أو المهارات حتى المعقده، إن ذلك أكثر تأثيراً، لأن الطفل أو حتى الكبار يتعلمون ببطء وبكثير من الأخطاء إذا تم فقط توضيح كيفية عمل ذلك، فالتمثيل والدلالة أسرع طريق للتعليم.

ثانياً : زيادة قدرة الطفل العملية لتوجيهه

زيادة قدرة الطفل وتسريعها هي طريقة أخرى من طرق توجيهه وتعليم الطفل، مثال ذلك إذا أردنا من الطفل إحضار «معطف» من بين الملابس، ففي بادئ الأمر نجعل المعطف مكانه واضحًا وفي مكان ظاهر عن بقية الملابس أو حتى بعد كل الملابس عنه حتى يختار الاختيار الصحيح ثم نعيد الكراة مع وضع شيء آخر بجانب المعطف وليكن الحذاء ثم نضع شيئاً ثالثاً فأربعة وهكذا.

عموماً علينا أن نجعل الموضوع سهلاً في بادئ الأمر بتسهيل مساعدة خارجية ثم نخفف هذه المساعدة، فإذا لم يستطع الطفل مثلاً إيجاد حرف (B) فمن الممكن أن أجعله الحرف الوحيد، الموجود، وأشار إلىه أيضًا أو أجعله أكبر وأظهر من بقية الحروف فإذا عثر الطفل عليه أربع أو خمس مرات بالمساعدة فأنما أقلل من حجم المساعدة تدريجياً حتى يتمكن من العثور على الحرف بصورة طبيعية من بين بقية الحروف المشابهة.

وفي بعض الأحيان لا يجوز للمساعدة أن تكون واضحة، فإذا أراد الطفل فتح شنطة الأوراق فيكفي أن نقول له «اضغط على الذهب» وإذا ألقى بالملابس المسخة فنقول له «أرجوك في مكان غسيل». ربما يتطلب الأمر مجرد الإشارة إلى الخطأ إذا لم يغسل يديه بعد خروجه من دورة المياه.

وأحياناً يمكن للنموذج نفسه أن يستخدم في زيادة القدرة . . . مثلاً إذا كان ابنى يحب الديناصورات فإننا نشتري بعض الكتب والصور ونقص صورة الديناصورات وأسأله : ما هذا ؟

وبالطبع فسوف لا يذكر، ولذلك سوف أساعدك قائلاً أنه (الديناصور العملاق) وإذا ظهر هذا في قصة أخرى ولم يتذكر فأنما أكتفي هذه المرة بأن أقول «إنه العملاق» ثم يكمل هذا الباقى وهكذا حتى بمجرد ذكر أول حرف «د.د.د.د.» سيعرف عليه بنفسه وبسرعة . وهناك عدد لا ينتهي من الطرق للمساعدة على (زيادة القدرة) للطفل، وتقريرياً كلهم يعلمون بهذه الطريقة مثل ارتداء الملابس، السباحة، الرياضة، الكلام، المشاركة، الأدب، وهكذا . . . فعند مساعدة الطفل لارتداء البنطلون نكتفى أولاً بأن يغلق السوستة، بنفسه ثم نترك له فيما بعد أن

يرفع البسطلون ثم يغلق السوستة، وفي مرات تالية وعندما يصبح ذلك سهلاً تتركه يدخل قدميه داخل البسطلون ثم يرفعه ثم يغلق السوستة وهكذا نقلل تدريجياً من حجم المساعدة (زيادة القدرة) حتى يستغنى عنها تماماً.

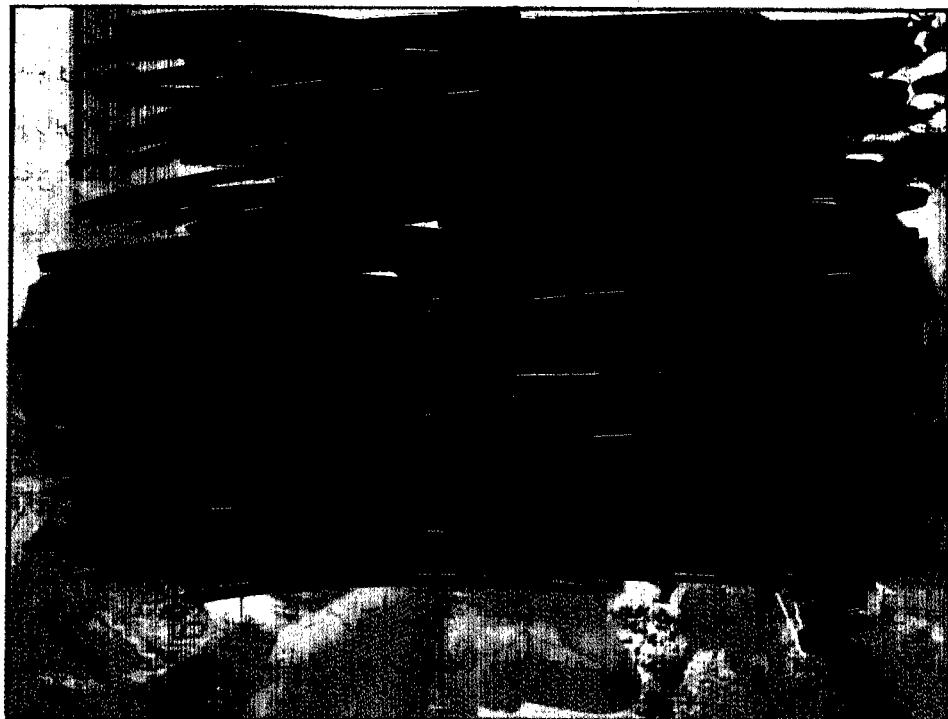
يجب على الآباء أن يحدروها من تعليم الطفل أي شيء لم تصل إليه قدرته بعد وإن أصبحت العملية معقدة ومتقدمة وتأتي بنتائج سلبية. وكمثال فإن تزوير الزراري من أصعب عمليات ارتداء الملابس بالنسبة للطفل ولا يجب أن يتعلماها حتى يتقن عملية اللبس كاملاً بعض النظر عن أسلوب التعليم هذا، فإذا لم يكن الطفل مهياً عضلياً ونفسياً لذلك فلن يتعلماها.

ومع ذلك إذا لم يكن الطفل مستعداً للتعليم الآن فلا يعني هذا أن توقف عن المساعدة. وكمثال فإذا لم يكن الطفل قادرًا على اللبس بنفسه فلنجرب خلع الملابس أولاً فهـ أـ سـهـلـ، ثم نستخدم بعد ذلك فكرة تقليل المساعدة فنقوم بخلع كل ملابسه ونرفع فانلتـه إلى أعلى رأسـه ونـتركـهـ أـيـضاـ ليـخلـعـ قـميـصـهـ ثـمـ نـخـرـجـ يـداـ واحدة ونـتركـهـ يـخـلـعـ الـآخـرـيـ ثـمـ يـخـلـعـ الـقـميـصـ. وباستمرار هذه الخطوات البسيطة يمكن تعلـمـهـ كـيفـ يـخـلـعـ قـميـصـهـ، بـنـطـلـونـهـ، شـرـابـهـ، حـذـاءـهـ، وـيـضـعـهـ فـيـ المـكـانـ المـخـصـصـ لـذـلـكـ، وـفـيـ كـلـ مـرـاحـلـ زـيـادـةـ الـقـدـرـةـ فـإـنـ الطـفـلـ يـجـبـ تـشـجـعـهـ عـنـ عـلـمـ الصـوـابـ (حتـىـ إـذـاـ تـمـ ذـلـكـ بـمـسـاعـدـتـكـ) وـإـذـاـ حـدـثـ وـأـخـطـأـ مـرـتـيـنـ فـلـابـدـ مـنـ زـيـادـةـ حـجمـ المسـاعـدـةـ.

ثالثاً : تقسيم طريق الوصول إلى الهدف :

المقصود هنا ببساطة تجزئة الهدف إلى خطوات صغيرة، وتعلم الطفل خطوة واحدة كل مدة زمنية فمن المستحيل أن نبلغ هذا الهدف مرة واحدة. فكتابة الحرف (هـ)، وإيجاد مكان الحديقة، ومعرفة رقم التليفون أو العنوان (ومهارات أخرى كثيرة) يمكن تعلـمـهاـ إـذـاـ تـمـ تـجـزـئـتـهاـ وـالـتـعـاـمـلـ مـعـ كـلـ جـزـءـ عـلـىـ حـدـةـ، فـمـثـلاـ لـتـعـلـمـ رـيـطـ رـيـاطـ الـحـذـاءـ يـمـكـنـ أـنـ تـعـلـمـ الرـيـاطـ كـلـهـ إـلـاـ جـزـءـ الـاـخـيـرـ نـتـرـكـهـ لـلـطـفـلـ كـىـ يـحـزـمـ الـعـقـدـ، وـمـرـحـلـيـاـ أـجـعـلـهـ يـضـعـ دـائـرـةـ تـحـتـ الثـانـيـةـ ثـمـ يـخـبـرـنـاـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ أـجـعـلـهـ يـلـفـ الـدـائـرـيـنـ بـنـفـسـهـ ثـمـ يـضـعـ وـاحـدـةـ تـحـتـ الـأـخـرـيـ ثـمـ يـشـدـ وـهـكـذاـ وـبـنـفـسـ الـطـرـيـقـ يـمـكـنـ تـعـلـمـ كـتـابـهـ حـرـفـ (A)ـ فـيـمـكـنـ أـنـ يـرـسـمـ كـلـهـ عـدـاـ الـخـطـ الـأـوـسـطـ نـتـرـكـهـ لـهـ

ليرسمه فإذا تحقق ذلك نترك خطين لكي يرسمهما بنفسه وهكذا. أو نستبدل هذا بأن نرسم الحرف بالنقط مع تقليل عدد النقط بالتدريج حتى يرسمه بدون أي نقط.



ولتعليم الطفل كيفية الذهاب للجديقة أو المدرسة أو لبيت أحد أصدقائه، نسير معه في الطريق عدة مرات ونسأله أي طريق نسلك عندما يكون هناك عمارة واحدة فقط قبل المكان، ثم نتوقف قبل المكان بعمارتين ونسأله ثم ثلاثة وتسأله عند كل عمارة فإذا أخطأ في أي مكان ندلله طبعاً على الطريق الصحيح بعد ذلك نسأله عند نفس المكان في أيام أخرى فسيكون قد تدرب بالطبع على الطريق الصحيح وهكذا نزيد إلى أربع عمارات تدريجياً حتى يتنهى الطريق.

رابعاً : حب الأطفال لاهتمام وانتباه الوالدين :

إن المتعة الرئيسية للأطفال بين ٦ أشهر و٦ سنين هي جذب انتباه والديهم. ويفعل الأطفال أي شيء للحصول على اهتمام الوالدين، وقد يتسلل الأطفال قائلين: من فضلك يا بابا هيا نلعب، أو بتخيئة الألعاب، الطعام، أو إخفاء الحذاء الذي قد تبحث عنه الأم، وقد يغفو إلى حضنك ويسيطرك بوابل من القبلات.

وقد يصرخ ويغضب ويجدب إلى غرفة اللعب لكي يحظى باهتمام شخص له. وقد يحاول الأطفال أن يقولوا أي شيء وكل شيء ابتداء من «أنا حزين جداً» إلى أن يصل إلى الاقتراحات مثل القيام بالألعاب المفضلة لك بقوله «هيا نلعب شطرنج» وبكثير من الطرق. . . إنه وقت جميل جداً يعتمد الأطفال علينا فيه ولا يخونون عنا ذلك، وعلى هذا فإن حبنا واهتمامنا ومساعدتنا لأطفالنا من السهل تحقيقها لأن الأطفال دائمًا وأبدًا يطلبون حبنا ورعايتنا، إنك سوف تحب هذه الفترة (عادة) إنك سوف تشعر بارتياح تجاه هذا الطفل. عمومًا فإن الأطفال سيفعلون كل ما في وسعهم لكي يحصلوا على مزيد من الاهتمام والرعاية.

إنهم يحبون هذا الاهتمام جداً، ولهذا عندما تكون الطفلة قريبة وتسأل عنا لكي نرعاها فإذا بنا نذهب إليها بسرعة شديدة، فماذا سوف تفعل عندما تكون وحيدة وتحتاج إلى جليس، سوف تصرخ بالطبع ويزداد صراخها ارتفاعاً إذا لم نذهب إليها مسرعين في الوقت المناسب، وأخيراً ربما تقوم بالدببة بقدميها وإلقاء اللعب إذا تهاونا ولم نذهب.

وعلى الجانب الآخر إذا لاحظت طفلك يقوم بمشاركة طفل آخر نفس اللعبة وذهبت إليه وقلت له «هشام إنى فخور بك جداً لقد سمحت لصديقك أن يشاركك في اللعب بلعبتك وهذا ما يفعله الكبار» ومنذ ذلك سيرغب دائمًا في أن يشاركه أحد أثناء لعبه (وقد يعرض دائمًا على أصدقائه مشاركته اللعب) وبعد فترة فإنه باستمرار يمدح الأشياء الخاصة التي يفعلها. إنك سوف تجعلنه يأتي إليك مسرعاً في المطبخ ويقول: انظري أمي لقد سمحت ليبرا بمشاركة في الألعاب، إنه بدأ بتخزين هذا في داخله ويتعلم أن هذا الفعل جيد وصحيح ويستحق عليه الثناء.

ومع ذلك لابد من ملاحظة مدى أهمية المرح والثناء في أن الطفل لا يستطيع أن يفرق بين العادة السليمة والعادة الصحيحة إلا إذا حظى باهتمام منا.

إنها أساليب سوف تقوى وتعضد في أي نوع من السلوكيات الإنسانية المرغوبة، إن الآباء الجيدين يمرون عما نحن بصدده الآن من المرح والاهتمام إلى الأشياء الجيدة التي يفعلها الأطفال، بينما يتاكدون لعدم مجاوزتهم للحد الأدنى من المدح والاهتمام عندما يتصرف الأطفال تصرفات غير مقبولة وغير مألوفة على الإطلاق. بعض الآباء لديهم فتور لإظهار مشاعرهم ونادرًا ما يستخدمون الثناء لأى شخص، ولا بد من تشجيعهم ليمارسوا المدح عندما يكونون مع الطفل، إنه لشئ جميل أن يأتي المدح بشاره «بأن يقوم الطفل بدوره بالسؤال عنك أكثر ... ويسمع لك أكثر وينادى عليك أكثر»، هؤلاء الآباء طبيعياً سوف يجدون أنفسهم سريعاً يستخدمون الثناء والاهتمام في كل مكان وبطرق متعددة وجديدة في كل المجالات المختلفة المتعلقة بالطفل.

عندما يستخدم الثناء بكثرة نجد مشاكل سلوكية أقل، وعلى سبيل المثال، المشاجرات، التخريب، ... إلخ، إن من السهل عندما يكون البيت مملوءاً بالحب والدفء أن يكون غياب هذا الحب والمدح مضايقاً للإنسان بدرجة كبيرة، إنه يصبح أكثر سهولة لكي تعامل مع غضب الأطفال وأخطائهم، لأن إظهار عدم الرضا والتوقف أثناء اللعب أو أثناء المحادثة، بغير الدفء المحسوس في عيني الأب والخنان المنبعث في صوت وشكل الأم.

وليس من معادل للحب والرعاية التي اعتاد الأطفال أن يحصلوا عليها. وسوف يتوقف الطفل بسرعة لفعل الأشياء التي تؤدي إلى عدم رضاك أو عدم إظهارك للحب. وباختصار فإن السخاء غالباً في استخدام الثناء والاهتمام يجعل طلباتك ورغباتك أكثر تأثيراً ويبعد بنا عن اللجوء للعقاب إلى حد كبير.

إن أهمية الثناء وغيره يؤدى إلى التأكيد عليها فإنها تجعل التعلم متعملاً، وبدونه سيكون هناك حافز ضعيف للطفل كى يتعلم ما نود أن نعلم إياه، وبه يشعر الطفل بالراحة والأمان تجاه ما يحب أن يفعله فيستمتع بالتعليم ويحاول ذلك بجدية فيتحول العمل إلى متعة إذا شاركناه في العمل (الاهتمام) بدلاً من مجرد التوجيه

بالكلام (أو الانتظار أن يفعل ذلك بنفسه). إن بعض الآباء لا يأخذون الوقت الكافى فى المشاركة والاهتمام والتشجيع لاطفالهم وملاحظة مجدهم، وكل تقدم يتم إحرازه، والتنتجة أن الطفل لن يشارك ولن يتقدم.

خامساً : استخدام التغذية الراجعة Feedback

التغذية الراجعة هي خطوة أساسية في التعلم. إن التغذية الراجعة يستدل الطفل منها على أن ما يفعله صحيح، أو يمكن أن يكون أصح، والتغذية الراجعة تعنى أننا نقوم بعمل تقييم شامل وتصحيح لسلوك الطفل إذا احتاج الأمر، فإذا كان سليماً نقول للطفل : (ما فيش مانع - هذا صحيح - استمر) وإذا لم يكن سليماً تماماً فإننا نقول (تقريباً هذا جيد، ولكننا نرجح الأفضل - لقد اقتربت ولكن دعنا نحاول مرة أخرى).

والتغذية الراجعة يجب أن تكون على علاقة بالسلوك - سليم أو غير سليم، فالامر ليس تعليقاً أو نقداً للطفل ولكن لسلوكه، فإننا نقول إن السلوك كان خطأ ولا نقول أن الطفل كان خطأ. إذاً فإننا نركز على السلوك لسببين : الأول أنه يمكن تحسين السلوك والتغذية الراجعة، والثانية سوف يساعدنا على ذلك، والسبب الثاني أننا لا نريد أن نعطي انتساباً للطفل أنه سيئ وغبي وما شابه ذلك. إن السلوك هذا يمكن أن يكون سليماً أو غير سليم لكننا لا نريد لسلوك غير صحيح متعلق بجانب واحد أن يلقى بظلال قاتم على بقية سلوكيات الطفل. والتغذية الراجعة دائماً مفيدة وخاصة إذا كان الطفل عنده بعض المشاكل، إذا كان مثلاً ليس لطيفاً مع أصدقائه فإن التغذية الراجعة تكون على كثير من الأشياء السليمة وغير السليمة التي يفعلها. فيقول الأب : «أنا أعجبت بالطريقة التي اختبرت بها وأنت تلعب الاستغرافية» أعتقد أن طارق بكى لأنك دفعته بشده لذلك دعنا نذهب معًا للاعتذار». وبقدر تقدم الطفل في مهارة أو في سلوك معين كالرياضية أو الأناقة يتطلب ذلك التقليل من التغذية الراجعة، فإنها تكون مفيدة عندما يبدأ الطفل في تعلم شيء جديد أو تعلم شيء لا يجب أن يفعله (مثل الغضب أو العدوانية). وعندما يكون الطفل في مرحلة التعلم فإن التغذية الراجعة سوف تعوده إلى أسرع

طريقة لذلك وفي نفس الوقت فإنه سوف يقلل من التعقيد عندما لا يتكرر نفس الخطأ مرات عديدة، وأخيراً فإن التغذية الراجعة يجب أن تكون مقرونة بالثناء، وعندما يتحسن أداء الطفل.

إنه ليس كافياً أن نقول : «لقد فعلت ذلك بطريقة سليمة» إنه لقول جاف أليس كذلك ؟ إنه يمكن أن يفعل ذلك بصورة صحيحة ولكن لن يفعله مرة ثانية ولكن إذا أضفنا الثناء «لقد فعلت ذلك عن جدارة إن هذا رائع» فإن هذا سيحثه فعلًا على المزيد وسيشعر بتحسن ويحاول بجدية أكثر ، لذلك ستكون هناك متعة أكثر في الأداء.

سادساً : مَا يخبرنا الطفُل بخصوص مشكلاته

إن معظم ما يفعله الطفل - سيء أو جيد - هو الاتصال وتبلغك بشيء ما. لذلك يجب أن تصنف إلى ما يخبره الطفل ومن الضروري أن نفهم لماذا يتصرف الطفل هكذا ونحاول تعليميه الطرق الصحيحة لما يريد أن يفعله.

هناك أسباب عديدة للتصرفات السيئة، ولكن سببين فقط يجب أن تنظر لهما نظرة خاصة (وقد نوقشت بقية الأسباب من قبل).

أولاً : إن الطفل سيحاول بشتى الطرق ليجد طريقة ، وهذا لا يعني أنه يندس فيما لا يعنيه وإنما يحاول أن يتعلم طبيعة الأشياء وكيفية الحصول عليها. فكل ما يحتاجه في ذلك الوقت هو الاهتمام ، وأن يجلس أحد بجانبه ليلعب معه أو يجلس بجانبه ويمسك بيده عندما يشاهد التلفزيون أو يذهب للنوم. إن الأطفال في الحقيقة سوف يتحكمون برغباتهم في كثير من أوقاتنا مع زيادة الاهتمام بهم في كل لحظة ، ففي بعض الأوقات يمكن أن نفعل أشياء معهم أو قد لا يكون عندنا الوقت أو الجهد لذلك ، وإذا أقدم الطفل على عمل شيء جديد بطريقته ، فإنه يمكن أن يصرخ أو يبكي أو يضرب أي شيء إذا لم يحصل على ما يريد وينفس السرعة التي يريد لها ، فإنه يمكن أن يلقى بالزهريه أو يكسر اللعبة أو يقذف الطعام أو الحذاء ولا يعلم أن هذه الزهريه قيمة وإنك قد تفضل أن يكسر شيئاً أرخص ، أو يقفر عليك ويمسك برأسك أو يضع أصبعه في أذنك أو أنفك أو فمك إذا تجرأت وكتت مشغولاً عنه.

إنه عادة من السهل أن تعرف ماذا يريد الطفل إذا أخذت الوقت اللازم للاحظته والاستماع إليه، فإنه سيقوم هو بذلك فمثلا يقول «دعنا نلعب» ويأخذك إلى اللعب وسيضحك عندما تشاركه اللعب.

إنه سوف يساعدك على فهم ما يقصده وستكون رسالته لذلك، (الابتسام أو الصراخ أو الرفس . . . إلخ). واضحة جداً.

المشكلة هنا أنه كلما ازداد تطرف السلوك يزداد معه مقدار الاهتمام والرعاية، فمن الصعب عدم ملاحظته (وخلال الستين الأولين تكون في متنه الحرص) فالطفل تعلم أن يكى أو يصرخ ليحصل على الخدمات وبسرعة ويتعلم أن هناك طرقاً أكثر تأثيراً (الغضب، العدوانية، الاحتجاج . . . إلخ) لجذب الانتباه.

ثانياً : للأطفال أن يتجنبوا عمل شيء لا يرغبون في عمله مثل الذهاب للنوم، ارتداء الملابس، أخذ الدواء، الأكل وهم يلعبون، فستكون المحاولة ببعض من سوء السلوك للابتعد عن ذلك. أو أكثر من ذلك فيتظاهرؤون بعدم وجودهم أو يختبئون أو مجرد أن يديروا رءوسهم بحيث إنك لا تستطيع أن ترى الطفل وعيناك إلى عينيه عندما ت يريد أن تحدثه إنه لشيء مهم فهم رغبات الطفل لأن الأسباب لهذا السلوك سوف تحدد كيفية التعامل، وعامة إذا فهمنا لماذا يفعل الطفل ذلك فإننا يمكن أن نتوقع أسوأ السلوك الذي سوف يتهم إلى إيه، ويمكن أن نعلمه السلوك الصحيح. لكننا نفعل هذا فقط إذا شعرنا بما يريد.

إذا كان الطفل يريد الاهتمام أو الانتباه فيجب أن تكون حريصين على ألا يبدأ اللعب أو المناقشة أو احتضانه إذا تصرف بسوء سلوك ليحصل عليه، وإذا كان يحاول تجنب شيء - ارتداء الجاكيت أو الحزمة، الذهاب إلى النوم فإنه سيكون من الخطأ أن نهمله لأن الإهمال يولد الغضب (فسوف لا يذهب إلى النوم أو لن يرتدي الجاكيت). إذا كنا لانعلم ما يريد الطفل فسوف لانعرف ماذا يمكن أن نفعل حال سوء سلوكه سواء أن نهمله وأن نهتم به، وأكثر من ذلك أننا لا يمكن أن نعلمه الطريقة الصحيحة للتعامل مع الموقف إذا كنا نعرف ما يريد الطفل مثل الطريقة الصحيحة لكي نجذب انتباهه أو أن يكون بها صداقات.

سابعاً : عقاب الأطفال Punishment

هل العقاب ضروري؟ أحد الأسباب دخل في عيني والآخر سبب خدشاً مؤلماً فبدون تفكير قمت بصفعه على يديه صائحاً فيه. كلا. فبكى ... لقد فزعت ... هكذا قالت الأم. إنها أول مرة أضرب وبدأ قلبي يرتعش خوفاً وبعد تلك اللحظة قمت بتجميع شتات نفسي موضحة له لما لماذا لا يجب أن يفعل ذلك وما هي الطريقة الصحيحة للعب.

وفي الساعة الواحدة صباحاً كنت في فراشى أحملق في سقف الحجرة يتملكني الضيق فلا يجب أن يكون هذا هو الأسلوب المناسب لمعاملة الطفل. إنه حدث فجأة وكان قلقى على مدى سرعة حدوثه وما قد يعني هذا له، المهم أننى كنت قادرة على التراجع والتفكير فيما سأقوله لأى أم أخرى فعل ذلك وهذا هو ما كنت سأقوله، إنك لست شريرة ... إنك لم تؤذى أحداً، ذلك لم يكن تعسفاً أو استبداً - فالطفل قام بفعل سيء بسيط، وكان هناك زيادة في رد فعلك.

إن هذا سوف لا يترك صدمة على الطفل وعلى علاقتكم إلا إذا حدث هذا كثيراً أو لأسباب خاطئة.

إذا المهم ما الذى تعلمه من هذا؟، لا يجب أن يكون العقاب باندفاع، وإذا كان لابد منه فإنه يجب أن يكون بالأسلوب الصحيح. وهناك أسلوب صحيح وأخر غير صحيح، واستخدامه بالطريقة غير الصحيحة. قد يسبب مشاكل خطيرة للطفل بمرور الوقت.

وفعل هذا باندفاع هو إحدى الطرق الخاطئة. وهناك طرق أخرى فإذا تم ذلك بالطريقة الصحيحة المعتدلة فإن التأثير سيكون إيجابياً.

ليس المجال هنا للحديث عن صحة أو خطأ استخدام العقاب، إنها قضية أدبية وليس عملية بالدرجة الأولى. أولاً من المهم أن نفهم ما هو العقاب وكيف يكون عقاباً؟ ومتى يكون سوء تصرف؟ وما هي الطريقة الصحيحة؟ وغير الصحيحة لاستخدام العقاب؟.

١ - ما هو العقاب (أثار استخدامه)؟

العقاب هو أى رد فعل سلبي يتبع أى سوء سلوك فيقلل من حدوثه.

أولاً : رد فعل الآباء لابد أن يكون سلبياً بالرغم من وضوح الخطأ وغالباً ما يعلم الآباء ما يود أطفالهم عمله وما لا يودون عمله. لكن يجب أن نضع في اعتبارنا أن كل مشكلة من هذا العقاب لابد أن تتضمن اهتماماً ورعاية. ولبعض الأطفال يكون الاهتمام إيجابياً حتى لو كان كله بالسلب وعدم الاكتئاث، هذا خاص بالفعل الذي يحصل على قدر كبير من الرعاية والاهتمام من الآباء (يمكن أن يكون الآباء يعملون جاهدين طوال اليوم. ربما يشعرون أن الطفل يشعر بالتسليمة بنفسه في هذه الحالة والحالة الأخرى الطفل يتمتع بأي اهتمام يمكن أن يحصل عليه حتى البكاء والصرارخ وحتى العقاب (الاهتمام السلبي). بعض الآباء الآخرين يجمعون بين رد الفعل الإيجابي والسلبي تجاه سوء السلوك. إنهم يمكن أن ينشغلوا في مناقشة طويلة شاعرين بالذنب ومحاولين راحة الطفل بعد عقابه مباشرةً (أو إرساله إلى غرفته مع لعبه قائلين بصوت هادئ وبنعومة. لا يا طفل لا يمكن أن تفعل ذلك). وباختصار إذا كان العقاب مستخدماً فيجب أن يكون رد الفعل سلبياً وبدون اهتمام إيجابي مثلاً، ومحاولة التخفيف أو التهيئة أو الدخول في مناقشة مطولة بعد ذلك.

ومن غير الممكن أن نلقن الطفل أكثر من درس في آن واحد فيجب أن تكون الرسالة واضحة ومحضرة قدر الإمكان. وأحد أشهر أنواع العقاب هو التوبيخ فهو غالباً مؤثر ولكن نشاهد معظم الآباء يستخدمونه بطريقة غير صحيحة، ومثال ذلك بعدهم يقول : «لاتفعل هذا» وهو بعيد عنـه، وهنا الخطأ لأنه ليس سلبياً فتتكرر هذه الجملة للطفل أكثر من مرة وأمه بعيدة عنه في المطبخ فيستخدم الطفل نفس الخطأ ليحصل على انتباه والدته.

وهناك خطأ آخر مشترك للآباء عندما يكونون في أشد الضيق من فعلة أبنائهم نجدهم يت حولون إلى تخفيف الفعلة واحتضان الطفل ومحاولة إهمال ما قد حدث بل واللعب معهم وإلقاء ما حدث وراء ظهورهم. فهذه رسالة معقدة لأن الشواب تم عندما حدث سوء سلوك.

إن أكثر الطرق تأثيراً هو جذب الطفل في التو واللحظة تجاهك وتوجيه نظرك إليه مباشرةً وقول «لا» بصوت صارم وبدون صرارخ، ودعه يذهب ثم ابدأ في عمل شيء آخر بدونه ساعتين مثلاً، بدون أمور للاندماج معه، وبدون نكـد، أو تر فيه.

ثانياً : العقاب هو أهم نوع من أنواع رد الفعل السلبي فإنه لا يعني بالضرورة الضرب أو حتى الصياغ فإن النظر شرراً أو عدم الرضا أو التوبيخ و «لا» ليس أقل من الضرب على اليدين عقاباً، لكن بعض الأطفال يتضايقهم جداً أسلوب التوبيخ عندما يكون علناً - أى أمام الآخرين أو أمام أصدقائهم - كثير من الأطفال تتحطم قلوبهم عند ظهور عدم الرضا عنهم من الوالدين، إنهم يتضايقون كثيراً أن نأخذ أى لعنة بعيداً عنهم، أو أن نخرجهم من الحديقة أو نرفض أن نلعب معهم أو أن يلعبوا مع أصدقائهم. كل هذه أنواع من العقاب ولا نحتاج بالضرورة لاستجلاب الضرب. إن التوبيخ له تأثير كبير على الطفل أكثر بكثير مما نظن وعادة ما نحتاجه بشدة إذا تم بالطريقة الصحيحة، إن معظم الأطفال تصل إليهم الرسالة إذا تم جذبهم من كلتا ذراعيهم نحوه وبسرعة وبصرامة قائلاً : «لاتضرب أختك» مظهراً على وجهك وتصرفاتك كل الشدة والجدية.

ثالثاً : العقاب لابد أن يتبع سوء السلوك فوراً، فلا يجب الانتظار أو التأخير، فإن الأطفال سيتأكدون من أن ما فعلوه قبل العقاب مباشرة شئ سبيء، فإذا تأخرنا ولو دقائق فإننا نسمح بأن يفعلوا شيئاً آخر قبل العقاب بالمعارضة ويظنون أنهم يعاقبون عليه. ونفترض أن الطفل يشارك أصدقاءه اللعب أو حتى يلعب مع نفسه ثم أنت تحضر قائلاً بصوت غليظ «منع الضرب» فإنه سوف يتوقف عن اللعب ومع هذا لم يكن هذا ما أنت تقصد أن تعاقبه عليه.

إنها تعتبر رسالة مختلطة ومعقدة، فليعرف الطفل لماذا تفعل ذلك الآن وما هو الخطأ الذي ارتكبه ومتى؟ وبالرغم من نيتك الحسنة فإن العقاب إذا لم يتم في الحال فمن المحتشم أن يشكل صدمة. ولا يجب فقط أن يتبع العقاب السلوك غير السليم ولكنه يجب أن يحدث فقط عند حدوث هذا السلوك، وليس لنا أن نتصرف باندفاع ولا يجب أن تتأخر في رد الفعل، فإذا كنا في حالة مزاجية سيئة أو مشغولين أو متضايقين بسبب ما من الطفل فلا بعد هذا عن الطفل. فالطفل لا يعلم ما الخطأ الذي فعله وجعلك في هذه الحال السيئة فإننا يجب أن نتأكد تماماً من أننا نربط العقاب بسوء السلوك لكي يفهم الطفل على ماذا يعاقب.

رابعاً : العقاب يجب أن يتبع سوء السلوك دائماً، فلا شيء يمكن أن يكون أسوأ من أن تتعاقب في مناسبة ولا تعاقب عند حدوث نفس السبب في مناسبة

أخرى، فإن الرسالة هنا تكون مشوهة للطفل، لأنه يود أن يعلم إن كان تصرفه سليماً أم لا.

خامساً : معدل أو مقدار العقاب يجب أن يقل بمرور الوقت ، إذا لم يحدث ذلك فإنه سيكون خطأ كبيراً، وهذا لا يعني اختفاء هذا السلوك السيئ إلى الأبد ففي أول مرة تعاقب فيها الطفل اعتبرها هي الحالة الحقيقة فإذا عوقب الطفل بالضرب مرتين أو ثلاثاً في اليوم فإننا نعاقبه مرة واحدة فقط في اليوم أو أقل ونستمر في التقليل.

سادساً : التحذير يجب أن يكون دائمًا مستخدماً في مرحلتين. الأولى : بأن نقول: «يجب أن نغلق التلفزيون بعد خمس دقائق» فأنت تسمح بذلك للطفل أن يجهز نفسه للتغيير القادم في نشاطه. وفي بعض الأحيان فهذا وحده يمنع الغضب ، الثانية : بأن تخذر بمعنى «إذا لم تذهب إلى السرير حالاً سأعد من واحد إلى ثلاثة ثم سأحملك ولن نقرأ القصة» ثم تنفذ، لأنه يجب أن يعرف أنه سوف يحدث بغض النظر عن أي شيء. عندها يتعلم الطفل هذا، وقليلًا ما سوف تقابل غضبه. وباختصار فإن التحذير يؤدي إلى منع الغضب والاعتراض وسوف يقلل من حاجتنا إلى المتابعة.

٢- منع الآثار الجانبية السلبية للعقاب

مفهوم العقاب بالطبع سوف يساعدنا لأن نفعله بالطريقة الصحيحة وأكثر من ذلك فهناك خطر كبير لاستخدامه ولا نستطيع أن نحجز بأنه فقط يحجم سلوك الطفل.

إننا يجب أن نهتم بتعليمه السلوك السليم والأشياء الجديدة مع المعاقبة على الأشياء السيئة ، ويجب أيضًا أن نعلم الطفل قليلاً من التحكم في نفسه فلا يجب أن نتبع العقاب بصورة مستديمة في مواجهة سوء السلوك فهناك بعض القواعد البسيطة التي سوف تتبعها لمعرفة الطرق الصحيحة للعقاب :

(١) يجب أن تتأكد دائمًا من وجود ثلاث مرات على الأقل من الثناء كما هو من العقاب، فلا ندع العقاب يسيطر على علاقتنا مع الطفل، ولا يجب أن يتعلم منا الطفل هذا بل يجب أن يتلقى منا الحب والحنان والرعاية، وهذا هو ما يجب أن يسيطر على علاقتنا معه ، ومع ذلك فهذا يعني أننا عندما نستخدم العقاب يجب أن نبحث (في مناسبات أخرى بالطبع) عن أشياء أخرى جيدة لتنشئ عليها.

(٢) يجب ألا نستخدم العقاب فقط بل يجب أيضاً أن نعلم الطفل الطريقة الصحيحة في التعامل، فلا يجدى العقاب حينئذ إذا لم نستبدلها بالطريقة الصحيحة، إذن يجب أن نعلمه طرقاً أخرى صحيحة في التعامل مع المواقف.

(٣) نحن دائمًا نقول «كلا» كرسالة، وهذه تعنى الضرب عندما نعاقب وهذا مهم لسببين :

الأول : أن هذا يجعل الرسالة واضحة لذلك فالطفل يعلم جيداً ما هو السلوك المفروض.

الثاني : أنك تعرف الأمر الفعلى بعقاب معين تستخدمه وتجعل هذا الأمر أكثر تأثيراً، ف بهذه الطريقة يمكننا التحكم في سوء السلوك.

(٤) إننا نستخدم أقل نوع من أنواع العقاب يمكن أن يكون معقولاً ومحبلاً فلا حاجة لاستخدام الديناميت إذا كانت هناك آلة تكسير. إن الخطر الحقيقي هنا هو أننا بسهولة يمكن أن نعاقب وأن ذلك يتم بسرعة، فإذا انطلق طفل إلى الشارع بعد ما قمت بالتنبيه لا يفعل هذا فسوف أقوم بضرره على مؤخرته لأنني أشعر أن هذا الخطر يجب أن أسيطر عليه بسرعة.

والخطر هو أننا نصبح في حرج من مدى تأثير هذه الضربة عليه ونبدأ في استخدامها بكثرة. ومثل هذا العقاب (الضرب الخاص) يجب أن ندخره للمواقف الطارئة لأن الطفل يعتاد عليه إذا استخدم بكثرة، وبدأ في فقد تأثيره. وأكثر من ذلك فإن هناك طرقاً كثيرة للعقاب على السلوك السيئ إذا بحثنا جيداً.

٣ – الأثر الإيجابي للعقاب

إذا استخدم العقاب بطريقة صحيحة مع مراعاة كل الاحتياجات الموضحة سابقاً، فلن نتجنب بذلك أي آثار سلبية تقع على الطفل فحسب (هذا من وجهة النظر العاطفية) بل وسيتبع ذلك إيجابيات كثيرة نافعة. لقد أظهرت الأبحاث أن العقاب يجعل هناك بريقاً وتأثيراً للثناء، فإذا لم يعاقب الطفل على التصرفات الخاطئة فلن يصبح هناك معنى للثناء وسيعتاد عليه، وسنضطر إلى الأشياء الصناعية للوصول إلى هذا المعنى من نقود ولعب ونقود أكثر ولعب أكثر تكلفة، وفي المقابل إذا عوقب الطفل فإنه سيتعلم كيف يقدر الثناء!

والفائدة الثانية للعقاب هي زيادة الاهتمام بالسلوك الاجتماعي. وبعد العقاب سوف تجد أن السلوك غير السوى لا ينقص فحسب بل سيصبح الطفل أكثر انتباهاً واستمتاعاً ومراقبة لك وسيكون عنده سلوك اجتماعي إيجابى كرغبته فى أن يكون بجانبك ويتحدث إليك ويثبت وجوده.

نحن في الحقيقة لا نعرف السبب ربما لأن العقاب يظهر بعض اهتمامنا أو أننا نهدف إلى تعليمه ومساعدته ومراقبة ما يقوله، أو ربما يكون الطفل إيجابياً واجتماعياً الذي يمكن حدوث أي عقاب آخر، ومهما كان السبب فإن هناك دائرة ما محسوسة بجانب تقويم السلوك السسى.

ثالثاً : إن ذلك يعطى الطفل الإحساس بالعالم الخارجي وكيفية التعامل معه بدلاً من عزلته عنه، حتى في حياة الطفل الصغير قد يحدث العقاب بصورة طبيعية لأنه يتعامل مع أصدقاء كثيرين، قد يضربونه أو يتتجاهلونه أو حتى لا يستجيبون لرغباته، كل هذا يعتبر نوعاً من أنواع العقاب يستحيل تجنبه، لذلك فإن الطفل لن يستطيع التعامل مع تلك المشاكل إذا أسرفنا في تدليله وحمايته أو أسرفنا في عزله عن ذلك.

ثامناً: الاستمتاع مع الطفل

في هذه الأيام تجد في أكثر العائلات ينهمك الآباء بالعمل، أو يحدث الانفصال بين الزوجين أو الطلاق الشائع حدوثه، ويترتب على ذلك وجود أحد الأبوين فقط في المنزل مما يؤدى بالأطفال إلى عدم وجودهم مع آبائهم خلال اليوم فإذا حدث وكانوا معاً فإن أحداً منهم غالباً ما يكون متعباً ومنهكاً من أحداث العمل، وفي أكثر العائلات لا يشعر الآباء والأطفال بالملائمة معاً فمن الصعب أن يجدوا الوقت المناسب لذلك، إنه الوقت الذي يحتاج فيه الآباء للراحة، ولن يمكنهم من مشاهدة ومتابعة تقدم أطفالهم حتى يتنهى بهم الأمر إلى مجرد الكلام للطفل وليس الكلام معه.

إن القضية المهمة ليست مقدار الوقت الذي تقضيه مع الطفل ولكن فائدة الوقت الذي تقضيه معه. إن التعب والإعياء يستبد بنا ويتأخذ الكثير من جهتنا، وفي المقابل يعود ذلك على الوقت المخصص للطفل واللعب معه ورعايته.

هناك حل وحيد للتغلب على مشكلة التوفيق في الأوقات بين الطفل وأبويه وهو حدوث الاستمتاع بينهم.

فإذا شعرنا بذلك نحن أيضاً فسوف لا يجدوا هذا مثل العمل، وسيكون من السهل الاستمرار فيه، وإذا حدث هذا الاستمتاع للأباء والأطفال معاً فسوف يجد الآباء الوقت الكافي لأنفسهم بدون القلق على علاقتهم مع الطفل أو رعايتهم، فمن الممكن أن نقرأ القصص التي تستهوياناً ومحاولة جعلها مسلية للطفل أو نلعب الألعاب الرياضية الذهنية التي نحبها والمحافظة على رعايتنا له.

ونستطيع أن نبدأ قصة ما ونطلب من الطفل أن يكملها ونشغل أنفسنا قليلاً حتى يتلهى، أو ندغدغ بعضنا البعض، أو نقذف الأحجار في البحيرة أو نلعب الاستغامية أو نلعب ألعاب الكمبيوتر، أو ندعون الأطفال الباقيين لمباراة في كرة القدم معنا.

الهدف هنا أنه يمكن أن نجد أشياء كثيرة للاستمتاع بها معاً إذا بذلنا مجهوداً في ذلك، وهذا يتطلب منا أن نخلق التلفزيون لفترة ونترك المقاعد، عند ذلك فسوف تتطلع إلى ذلك الوقت الذي تقضيه مع طفلك هارباً من الضغط طوال اليوم. وسوف تلاحظ تغير طفلك وتقدمه في كثير من المجالات، فالطفل سوف يتظر قدموك إلى المنزل في نهاية اليوم بفارغ الصبر ويجري قافزاً على يديك بمجرد سماع وقع أقدامك أو صوت السيارة.

إن العلاقة الطيبة مع الطفل تعنى الكثير، وإذا لم تستمتع مع طفلك فأنت لا تستطيع أن تقدم له ما يطلبه إن هناك أشياء حولنا أهم وأثمن من أن تحب أو تكون محبوبًا من طفلك ولكن هذا لا يأتي فجأة.

ولابد من التمهل والانتظار، فالعلاقة الجيدة لابد لها من تقضية الوقت معاً والرعاية والملائمة، ولا يعني أننا أبواء أن علينا علينا أن نضع الأكل على المنضدة أو نضع قميصه في شنطته أو نغطيه أثناء النوم، ولكن يتاتي ذلك بالتعليم والقرب منه والتحدث معه والثناء عليه واللعب والضحك أو حتى النظام، وهكذا تكون الرعاية الحقيقة وهكذا نصنع من أنفسنا والدين.

تاسعاً : الشواب أو الرشوة Rewards or Bribes للأطفال :

بعض الناس يعتقدون أن الشواب معناه الرشوة، فهذه أم تقول : «بعد ذهابك للسرير سوف أعطي لك بعض الحلوى». . . . هذا من الممكن أن يؤدي بالطفل إلى اعتياده على الشواب وانتظاره عند عمل أي شيء. فمن الأفضل دائمًا. عدم اللجوء إلى الشواب المادي مادام بإمكاننا أن نستغنّ عنه.

ومن ناحية أخرى فنّى بعض الأحيان نجد أن لاشيء آخر سوف يجذبى مع هذا من قول أو عمل لمساعدة الطفل، ففترض علينا الظروف المحيطة هنا أن نلجأ إلى الشواب المادي لعمل ذلك.

ففي الحقيقة أن هذا أسلوب مؤثر ويجعل الطفل يفعل مالاً يود أن يفعله وبدون اعتراض أو شجار، ولكن بمحنة الرضا، وذلك إذا كان الشواب مجزيًّا.

إذن فالقضية ليست في إمكانية استخدامه ولكن في وقت استخدامه، فإن كان السلوك مهماً ولا نجد طررقاً آخر للتشجيع على فعله فليس هناك حرج من استخدام الشواب ولكن بالطريق الصحيح.

هذا ابن في الثالثة من عمره، وقد اعتاد أن يكره الذهاب إلى دورة المياه حتى وهو في أمس الحاجة لذلك، ولن يذهب لمدة ساعات طويلة ثم يضطر إلى التبول في ثيابه، إنه يعلم أن ذلك ما يؤديه، ولكن لن يفلح معه التشجيع أو النموذج أو الثناء لكي يقنعه. وفي آخر الأيام ومن دافع القلق تجاه موقفه ، قام الأب بتجهيز مفاجأة له إذا ذهب إلى دورة المياه، إن الطفل تردد للحظة ثم سأله ما هي المفاجأة [عندئذ علمت أنه وقع في يدي] وبدأت تشغله تفكيره، وفي اليوم التالي عندما سأله إذا ذهب إلى دورة المياه هل يمكن أن أحصل على الهدية، وأكده الأب له ذلك وأظهرها له فعلاً موضحاً سهولة أن يحصل عليها. ولكن يجعله يعتاد على ذلك وينقل إليه الإحساس بالراحة عندما يفعل ذلك فلم يتوقف الأب عن الشواب من أول مرة ولكن اشتري أربع أو خمس لعب ثمينة وأعطي له واحدة كل يوم طبعاً يهتم فيه بالذهاب إلى دورة المياه ثم بعد أن أصبح ذلك سهلاً ومريناً له. يقول الأب : بدأت أغير في الأسلوب «سوف أقدم لك اللعبة غداً أنا لا أملك واحدة الآن» ثم بدأ يؤخر الهدية لتكون كل ثلاثة أيام حتى تنتهي تماماً [مع مراعاة

استخدام الثناء عند ذهابه كل مرة] إنه سوف يتوقف عن السؤال عن اللعبة وسيستمر في الذهاب إلى دورة المياه بصورة طبيعية. يقول الأب : إن كل هذه العملية استغرقت حوالي أسبوعين [وكلفتني خمس أو ست لعب] والآن قد انتهت إلى الأبد مشكلة ذهابه إلى دورة المياه. ويضيف الأب : أنا لم أكن أؤيد فكرة الدفع له بهدايا لكي يذهب إلى دورة المياه ولكن قلقى حيال هذا الموقف جعلني أفعل ذلك وأسعد به لأنه وضع تأثيره وأصبح لدى سلاح استخدمه إذا أعيتني الحيل [بدون إرغامه على ذلك أو مضايقته أو جعل الذهاب إلى دورة المياه عملية منفحة له].

والأهم من ذلك هو الثناء عليه بعد الذهاب إلى دورة المياه وبعد أن تنتهي عملية الثواب الأمر روتيني يكون من السهل الامتناع نهائياً عن هذا الجزء المادي. ومن المعتاد أن هذا الثواب المادي ليس ضروريًا فيجب ألا يستخدم هذا الأسلوب ليصبح عادة عند الطفل ونستخدمه لكي نجعله يفعل أي شيء وكل شيء آنذاك سوف يجعله صعب الانقياد إذا لم تكافئه على تعاونه. ومع ذلك فإننا يجب أن نستخدم الثواب عندما لانجد شيئاً آخر غيره [عندما يعجز العقاب].

عاشرًا : إعطاء الطفل حق الاختيار

عادة ما نرفض السلوك الاعتراضي أو الغاضب أو العدواني إذا أعطينا الطفل حق الاختيار. إذا أردنا أن يرتدى الطفل قميصاً بكم طويل وقلنا له «ارتد هذا القميص» فإنه من المحتمل أن يعترض أو يتلوك أو يرفض، مع ذلك إذا قلنا «هل تزيد ارتداء هذا القميص أو ذاك» فلن يكن هناك اعتراض لأن يختار. وبينما تزيد طريقة إذا أردنا الذهاب إلى السوق فلن نسأل الطفل إذا كان سيحضر معنا أو يجلس بمفرده في المترجل، إنما نسأله إذا كان يريد أن يشتري بعض الحلوي أو يرفع عربة الشراء أو يركب فيها أو يحمل لنا المشتريات معاونا.

وإذا حان الوقت لغلق التلفزيون، يجب أن نسأله إذا كان يريد أن يغلقه هو بنفسه أو أن أغلقه أنا، فإن كان يرى هو فإن أماته دقيقتين من الآن وهكذا.

هذا بالتأكيد لا يمنع كل الاعتراض ولكنه يمنع كثيراً منه، فإن الأطفال يحبون أن يتحكموا في فعل الأشياء بأنفسهم ولا يجب أن يجعل هذا سبب مشكلة.

الحياة الجيدة أنا لست متأكد ما هي ، ولكن أعلم أن كل الناس يريدون قدرًا كبيراً منها ، وإن ذلك له علاقة بالحرية والكرامة وإتاحة الفرصة والتعلم والتقدير ولكن صعب أن تعرف ذلك بالتحديد فكل حياتي وحياة طفلني جيدة؟ وكيف نستطيع أن نحسنها؟ إنك لا يجب أن تعلم كيف تقيمه لكي تحصل على قدر أكبر من الحياة الجيدة. إن أفضل طريقة لفهم ماذا يفعل شخص آخر هو أن تفعل ذلك معه ، ولذلك أنا أعيش [يوم من الحياة مع طفل]. وكمثال [باسم] يبلغ من العمر ستين لا يستطيع الكلام حتى الآن أو فهم أكثر ما نقول له وأيضاً قليل المشاركة الاجتماعية ولا يلعب بالطريقة الصحيحة التي يكون عليها الأطفال في مثل سنه .

الأسرة أحضرت له كثيراً من اللعب ولكن معظمها كانت خاصة لأخيه الأكبر وفي الحقيقة لم يكن باسم يلعب بكثرة اللعب والقليل منها الذي كان يحبه محظوظ تماماً الآن. باسم يفعل أشياء كثيرة غير صحيحة كإلقاء اللعب والصياح وضرب الناس ، والآن لا يستطيع الكلام فلا أستطيع أنا أيضاً وإذا عوقب سأعاقب أنا وكل شيء يحدث له يزعجني .

الحرص اليومي هو أقل ما يقال . وبسرعة من الواضح أن كل الحب والرعاية والاهتمام من الآباء لا يزال يعطى مقداراً ضئيلاً من وجوده في حياة الطفل . وفي الصباح وأثناء لعبه مع أخيه لعبة السيف طعنه باسم وقد رأت والدته الطعنة الشديدة فقط فقامت بتوييشه هو وأخيه ولم نستطع الدفاع عن أنفسنا تجاه عدم العدالة ، فقط قمنا بإلقاء اللعبة والتلصّر ببعضنا مع بعض ، ولكن أمنا لم تفهم أن هذه ليست الطريقة الوحيدة للمخاطبة والتعبير عن خططنا وربما ترك ذلك بعض الحقد .

هناك كثيرون من الناس مسؤولون عن الأطفال خلال اليوم . الأم - الأب - الأقارب - جلست الأطفال - الجيران . فسيجعلنا ذلك نشعر أننا لا نعرف أحداً منهم جيداً ولا نشعر بالقرب من شخص معين . وفي المساء عند مقابلة والدى باسم لمناقشة كيف تكون حياته جيدة وقررنا أن نبحث عن لعب ونشاطات مسلية تعنى شيئاً ماجد بدلاً من اللعب القديمة التي كان يستعملها أخوه .

لقد قررنا أن يكون الأشخاص المسؤولون عن ماجد محدودين جداً طوال اليوم فذلك سوف يجعلهم يعرفون ويهتمون بعضهم ببعض ، وقد قررنا أن نقضى

وقتاً أطول في الحديث معهم موضعين لهم ما هي الكلمات والعبارات التي يمكن أن يستخدمها للتعبير عن حاجته.

إن الرسالة الموجهة هنا مهمة جداً ومطبقة على كل طفل وكل والدين، ومن الممكن أن يحلوا محل أطفالهم ويتعايشوا مع مطالبهم طوال اليوم، وما الأشياء التي يستمتعون بها لتصل بهم إلى كيفية قضاء يوم سعيد، وبذلك تكون قد حققنا لكل منا الحياة الجيدة.

حادي عشر : تعلم الصفات الخلقية والقيم

نحن جميعاً نود أن يفرق أطفالنا بين الصواب والخطأ، ونحن نريد منهم أن يمارسوا المشاعر الحية والأمانة ومساعدة الآخرين، لكن كيف يمكن تعليم ذلك. التعليمات فقط ليست كافية فذلك التوضيح البسيط بين الخطأ والصواب ليس مؤثراً، فمن الأفضل للطفل أن يوجه نحو الصفات الأدبية ويسقى فقط كيف يتعلّمها.

عندما يبدأ الطفل في كتابة حرف (A) لأول مرة يجب أن أقول له «هذا صواب إنك في متنه الذكاء» أنا لست أثني عليه فقط، وليس هذا بمعنى أنني أشجعه أو أريد منه أن يفعل ذلك مرات عديدة، ولكن إنني فرحت بالتأكيد وأعطيت انتباعاً على أن الذكاء شيء جيد، وبعد استخدام تلك الكلمة مرات قليلة ستتجدد لها صدى في نفسه بعد أن أقوم باستخدام نفس الكلمة في موقف آخر مشابه، . وبذلك أكون قد علمته إحدى القيم، وبنفس الطريقة يمكن أن أحدهه عن المشاركة والمساعدة.

إذا كان نشجعه على سلوك معين ونشتري عليه وفي نفس الوقت نضع تعريف هذا السلوك فإنه سوف يحس تلك الكلمات ومعناها ويقدر فعلها، وبنفس الطريقة يمكن أن نعلم الطفل أنواع السلوك الذي لانود أن يفعله بتعريف هذا السلوك بدلاً من التوبيخ وما شابه ذلك، وعلى سبيل المثال إن «والدة مازن اتصلت لتسأل عما إذا كان عندنا المضرب الخاص به لقد قلت لى يا خالد إنك قد وجدت هذا المضرب في الشارع لهذا ما حدث حقاً، وإذا لم تقل لى الحقيقة فإن هذا [كذب] والكذب خطأ فادح والآن انصرف إلى غرفتك» ونحن نستطيع أن نفعل ذلك بالتعليق على

سلوك الطفل «انظر ماذا يفعل هذا الوالد إنه ينفخ فقاعات الهواء في رأس ابنه قائلًا : إن هذا معناه أن مازن سوف يظل حزيناً ووالدته غاضبة».

وبنفس الطريقة يمكن أن نعلم أطفالنا الكثير من الصواب والخطأ بلاحظة لأمثلة من تصرفات الأطفال الآخرين ، فكلما كثرت الأمثلة ازداد فهمه للخطأ والصواب . بنفس الطريقة أيضًا يمكن تعليميه الفرق بين الرغبة في الصداقة وعدم الرغبة فيها . وكذلك الأمانة والخيانة ، وكذا الحنان والقسوة والحب والكراهية ومع أن هذه المفاهيم ستأخذ طريقها عبر السنين لكن لابد للطفل أن يتلقى مبادئها منذ الصغر .

وواحد من أهم الأسلحة المستخدمة لتعليم الأدب والأخلاق والقيم طبعاً هو النموذج ، فإن الطفل يميل إلى أن يتعلم طريقة تعبير سلوك وشكل والديه ، فإنه لن يفيد أن نقول للطفل أن القسم أو الحلف سيئ بينما كلامك كله يحتوى على الحلف واليمين ، إن الطفل لن يعرف الخطأ من الصواب إذا قلت له لاتكذب ثم يسمع والدته تقول لشخص على التليفون أن والده مريض أو غير موجود بالمنزل بينما والدته يجلس بجواره ، إن الطفل لا يستطيع أن يجرد كيف يعاكس سلوكنا أو أمرنا وسوف يربكه ذلك . وقد يتعلم أن يعطي لنفسه بعض الاستثناءات في القاعدة كلما احتاج ، ولذلك فإن سلوك الآباء لابد أن يكون على وثيره واحدة مع أوامرهم ، وإذا لم يحدث ذلك واحتلَّ السلوك عن الأمر أو العكس فلن يمكن للطفل أن يفرق بين الخطأ والصواب .

الفصل الثامن

دور الوالدين في مواجهة مشكلات
أطفالهم أثناء التنشئة



قبل الحديث عن الطياع المختلفة للأطفال، التي تشغله بالمعظم الآباء يجب أن نقول لهم أن الأطفال يكتسبون كثيراً من العادات والسلوكيات خلال الخمس أو السنتين الأولى من عمرهم، وهذا ليس غير طبيعي، بل سيكون هكذا إن لم يظهر على هذا التحول، ولقد سمعنا جميعاً عن النشاط الشائع في الأربع سنوات الأولى ثم فترة الاعتراض والغضب، التي تلي ذلك كتطور لسلوك الطفل، فلا يضر في كل ذلك، أما ما يستحق القلق فهو ما إذا استمرت أى فترة مدة طويلة، وفي هذا الجزء سوف نصف كل سلوك ومدى الوقت الطبيعي له وما إذا كان الوقت قد طال أم لا أو أصبحت هناك مشكلة أم لا. وسوف نتعرض بالذكر إلى اختلافات سلوك الطفل وكيفية التعامل معها بالطرق الفعالة.

البداية ستكون من مشاكل الطفولة المبكرة (مثل : البكاء، التغذية، النوم) ثم التطرق إلى الفترة من أربع إلى سنتين (مثل : عدم الاستجابة، والعدوانية، ومشاكل الكلام)، ثم تتبع مراحل تطور سلوك الطفل تدريجياً.

إذا كان اهتمامك ينصب على أفعال الطفل فتأكد أنك لن تتركه بمفرده وكما هو موضع بالجدول القادم الذي يبين قلق الأمهات بخصوص المشاكل الخاصة بسلوك الطفل نجد أن ٤٠٪ من الأمهات يهتمون بقطة معينة وهي الغضب عند الأطفال الصغار و ٦٠٪ من الأمهات يصيّبهم الضيق بسبب عدم استجابة ومشاركة أبنائهم، واثنتين من كل ثلاث أمهات يشكون من متاعب النوم والكتابيس وصعوبة الذهاب إلى النوم والمشي أثناء النوم والضيق عندما يترك أحد الأبوين فراش نومهم الخ.

وتقريراً نصف نسبة الأمهات يهتممن بمدى النشاط الزائد Hyperactivity عند الأطفال وعدم مقدرتهم من على الجلوس في سكون لبعض دقائق.

كما أن ٤٣٪ من الأمهات يقلن على خوف الأطفال وتستمر الإحصائيات التي حسبت كما سيتضح فيما بعد على أطفال ابتداء من ٢١ شهر حتى ١١ سنة. هذه الإحصائيات لا يجب أن تخيفك، بل على العكس إنها تظهر مدى شيوع هذه الحالات في مراحل التطور الطبيعي، كما تظهر أن هناك صوراً من التطور يمكن لمعظم الأطفال أن يكروا بدون الدخول فيها. ويجب أن تعلم أن السلوك الذي

أنت قلق بشأنه يحدث بكثرة عند الأطفال ولن يجعلك تشعر أن حالة طفلك فريدة.

كثير من الآباء لديهم هذه النظرة (غير الحقيقة) لمثالبة الطفل التي لا يمكن أن يصل إليها، لذلك فإننا نلاحظ هذه الانحرافات عن المثالبة، والأرقام التي في الجدول القادم لا تعكس المؤشر الحقيقى لمشاكل الأطفال ولكن تمثل مدى قلق وفزع الأمهات وحساسيتهم تجاه أدق الأمور، كما تخبرنا عن تطور الطفل كى نصبح فى النهاية واقعين وأقل حساسية تجاه حيود الطفل عن المثالبة، إننا يجب أن نتذكر بينما يكون الطفل فى حالة سلوكية سيئة فإنه فى الحقيقة يقع فى ذلك لفترة بسيطة، ومعظم الوقت تكون مأثرتين بتعابيرات الأطفال الممتعة، فكم من الممتع أن تشعر أنك جعلتهم يضحكون أو يقبلونك أو يحتضنونك وكيف تشع وجوههم مضيئة عندما ترسم الابتسامة عند رؤية (الأم) أو (الأب) فجأة.

وهناك ملاحظة أخرى توجب الراحة مع الاستثناء لبعض الحالات، هي أن هذه الطباع الغريبة للطفل لا يجب أن تؤدى إلى سوء تصرفاته أو سلوكه فيما بعد فالخوف ومشاكل النوم وصعوبة الذهاب إلى دورة المياه، من المشكلات التي نراها في الطفولة، ولا يعني أنها سوف تستمر فيما بعد أو حتى سوف يصبحها مشاكل أخرى اجتماعية أو عاطفية في العمل أو في المدرسة، بل بالعكس إنها تقل بدون أي تدخل باستثناء النشاط الزائد الشائع في سن 4 سنوات والذي يجب أن يختفي عند ست سنوات ونصف تقريباً، وأيضاً السلوك غير الاجتماعي مثل الغضب - والعدوانية - والاعتراض، إنه بمرور الوقت يجب أن يختفي، وأحياناً يمكن أن يكون لها تأثير على النمو وعلى كثير من العلاقات في المدرسة وعلاقات الصداقات والعلاقة الأسرية . . . الخ.

جدول (١)

يوضع النسب المئوية للأمراض المتزججات تجاه المشاكل الفاسدة بأطفالهن

النسبة المئوية للأطفال	السلوك المشكل
٨٠	الغضب
٦٨	مشاكل النوم - الذهاب للنوم - الكوابيس - الأرق
٦٠	عدم الاستجابة
٤٩	النشاط الزائد
٤٣	الخوف
٤٣	صعوبة الذهاب للدوره المياه
٣٧	مشاكل التغذية
٣٠	عدم الارتياح
٢٧	MCS الأصابع
١٦	الغض
١٦	الانتباه للمصدر
١٤	مشكلة التسنين (اللثة)
١٢	الحركات الإلإرادية واللزمات
١١	المضغ (الاجترار) أو الغض داخل الفم
أقل من ١٠	الخجل
أقل من ١٠	الحياء
أقل من ١٠	سرعة التهيج (الانفعال)

أولاً : مشكلات الأكل Eating Problems

وبالتأكيد سوف يكون الاهتمام الأول بطفلك بخصوص الطعام والأمر يبدأ في اليوم الأول عندما تكون متظرين بشغف كيف سيأخذ الطفل الثدي أو الزجاجة، وتساءل الأم : «هل تأخذ الطفلة كفافيتها» «هل الطفل يشرب كثيراً». لماذا هذه الطفلة لا تأخذ الثدي؟ وتحاول الأم التي ترفض ابنتها أن تأخذ ثديها جاهدة . . . وهنا تظهر العقبة الأولى. وتعاود الأم أسئلتها «هل هي تكرهني» «هناك شيء خطأ بي» «يا إلهي ماذا سأفعل» حتى ولو شرحت المرضية أو الصديقات أن هذا عام وأنها من الممكن أن تستغرق يوماً أو يومين، وأنه لا يوجد مخاطرة على الطفل، وأن هذا الموضوع بسيط لحين اتخاذ الوضع الصحيح لفم الطفل والثدي. وما هي إلا دقائق أو ساعات قليلة ويتخذ الرضيع الوضع الصحيح، وهكذا تشعر الأم بالفخر عند رعاية طفلها.

ولاتعجب في أننا نسرف في أحاسيسنا وعانيتنا وإشفاقنا على الإطعام للصغار وهذا الاهتمام سوف يستمر عبر السنوات، بالرغم من أن النتيجة ربما تغير، إننا شعفون بمعرفة دور الطعام في مستوى النشاط، الصحة والرؤية، المزاج، هل الطفل يأكل كثيراً أو لا يأكل. هل هو سمين جداً أو نحيف جداً، مع إحاطته بالرعاية. ويعطي مجتمعنا رعاية بالغة بالطعام. وليس غريباً أننا نعطي اهتماماً مبكراً للكبر أو صغر حجم أطفالنا وكم ونوعية ما يأكلونه.

وعندما يكون اهتمامنا الأول للإطعام خطوة للأمام يكون بالطبع به بعض الطرف وتبين الإحصاءات أن من ٨٠ - ٨٥٪ من الأطفال زائد الوزن يستمرون زائدي الوزن حتى يصبحوا في سن ١٢ سنة، وهناك تزايد في مشكلات زيادة الوزن وعواقبها النفسية والاجتماعية على الأطفال.

وسوف نبدأ ببعض اهتمامات الوالدين بشأن الإطعام في مرحلة الطفولة :

١ - مرحلة الإطعام خلال السنة الأولى :

يقوم الطفل في مرحلة المهد بانعكاسات وضعية خاطئة. وتسسيطر الانعكاسات عندما يلمس خد الطفل أي شيء، ويقلب الطفل فمه تجاهها. ونحن نذكرها هنا لأنها تساعد على تدارك أخطاء عامة تحدث في الرضاعة الأساسية بالثدي. ففي

بعض الأوقات نجد الأم أو الممرضة تضع يدها على خد الطفل لترشده تجاه الثدي (أو الزجاجة) وبالطبع يدير الطفل رأسه وفمه ناحية اليد وكأنها الثدي تماماً. في الوقت الذي يجب أن يلمس الثدي خد الطفل، ويقوى الانعكاس الخاطئ، عندما يكون الطفل جائعاً ويضعف عندما يكون غير جائع، ولا تنس أنه من الممكن أن يكون الطفل كسولاً نتيجة المسكنات التي تأخذها الأم أثناء الولادة التي تستغرق أيام عديدة، وهذا بالتأكيد واحد من الأسباب المفسرة لماذا أطفال كثيرون لا يأخذون الثدي فوراً؟ وانعكاسات الرضاعة تظهر جلياً في الأطفال حديثي الولادة.

والأطفال حديثي الولادة يقومون بمص أي شيء يوضع في الفم ويبدو أنهم يستمتعون بالمص حتى عندما لا يكون هناك طعام، ورغبة المص تبقى قوية لمدة ١٢ - ١٥ شهراً وفي بعض الأحيان من ٢ - ٣ سنوات، يعوضها الثدي، أو الزجاجة، أو الأصابع.

والجوع، والشهية تضعف أثناء السبعة أو العشرة أيام الأولى. ومؤشرات الجوع تكون منتظمة من اثنين إلى ثلاثة أسابيع من العمر، وينبدأ الطفل في الجوع أكثر من العادة، ومع مرور أربعة أسابيع يكون هناك انتظام للحاجة إلى الطعام كل ثلاث ساعات وهكذا.

وتقوى الشهية وخاصة بين أربعة إلى اثنى عشر أسبوعاً. وهناك أيام يأخذ الطفل فيها أكثر مما يحتاج جسمه، وباتظام مستمر وفي السنة الأولى من العمر يبدأ الجوع في الانتظام، وعامة تتميز السنة الأولى بسرعة النمو وانتظام الصحة والشهية وفي السنة الثانية تبدو الشهية أكثر وضوحاً.

والإطعام بالثدي يعكس الزجاجة، وتقترح أغلب البحوث أن لبن الثدي هو الطعام المفضل للأطفال. والأطفال الذين يرضعون بواسطة الثدي لا يعانون من مشاكل المعدة. فلبن الثدي يمدهم بمناعة من التلوث.

وميزات الإطعام عن طريق الثدي ليست حقيقة بهذه العظمة، فلقد وجد أن ٣٧٪ من الرضيع عن طريق الزجاجة يعانون من نفس الأشياء. ويعتبر التلوث عاماً في السنة الأولى. وكل هذه التلوثات هي في الحقيقة تعالج بسهولة ومبكراً عن طريق الطبيب وأحياناً الأم.

وبينما يعتبر الإطعام عن طريق الثدي مصدراً من مصادر الرضا والراحة بعض الأمهات، يعتبر مشكلة بالنسبة للبعض الآخر. فربما يتسرّب اللبن عند

الإطعام وتبدو الملابس المبللة أو الفراش المبلل. وربما بعض الآباء يعترضون لأنهم يريدون أن يشاركون في إطعام الأطفال، وربما يؤلم الثدي الأم، أو يتورم ويتفتح وربما لا تستطيع الأم العاملة أن ترضع طفلها عن طريق الثدي، والأفظع أنها ربما تشعر أن «الأمومة» ربما تتعارض مع «المستقبل في العمل».

وعموماً فالإطعام عن طريق الثدي أفضل كثيراً للأطفال من الإطعام عن طريق الزجاجة. ليس لأنه طبيعي فقط، بل لأنه يميز بكثير من المناعة ضد التلوث، وأقل ما يقال أن المزايا ليست غامرة وهي مستمرة في التناقض، لأن الغذاء البديل للبن الأم يتحسن ويبقى العامل المقرر لذلك عاطفياً في بعض الأسر.

ومع ذلك فالعائالت العاديات، ترى أن جمع الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية أفيد وأقنع أسلوب للرضاعة، فالأم يمكن أن ترضع إذا كان متاحاً لها أن تفعل ذلك، وقد يوضع لبن الثدي في زجاجة للأب لإرضاع الطفل، وأيضاً قد يستخدم اللبن البديل عندما يكون الوقت قصيراً، وفي أي الحالات ليس هناك سبب للشعور بالذنب أو التأنيب، فالملايين من الأطفال يتم تبنيهم كل عام، والعديد من الأمهات قد لا يستطيعن طيباً أن يررضعن بالثدي لسبب أو لآخر، ورغم ذلك فأبناؤهن من الأطفال يبدو عليهم النمو الصحي والسعادة مثلهم مثل الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية.

ولاتدع أحداً يخبرك أن الصلة أو الارتباط يتناقض إذا لم يكن هناك رضاعة طبيعية، فمثل هذا الارتباط العاطفي يأتى إذا حمل أحد الطفل أو احتضنه أو غنى له أو أحبه أو هدده له أو اعتنى به ناظراً في عينيه بحب أثناء إطعامه، وهذا لا يأتى من الثدي. وإذا كانت الرضاعة الطبيعية متاحة للأم فإنها لابد أن تتدخل مع الحب والرعاية وتلقي العيون بالدفء.

٢- بعض الخدع لتقديم الثدي :

العديد من الأطفال الرضع لا يقبلون على الثدي بطريقة مباشرة. وفي إحدى الدراسات وجد أن ٤٠٪ من الأطفال حديثي الولادة يحتاجون إلى مساعدة كبيرة عندما يرضعون من الثدي لأنهم يصابون بالإرهاق ومن ثم عدم الاهتمام عندما يقدم لهم.

إن جوع الطفل قد يكون متأثراً بالمخدر الذي يعطي للأم أثناء المخاض. الذى قد يأخذ وقتاً، ولذلك فجوع الطفل قد يترب على بعض الصعوبات، مثل أن يحصل أو يحتفظ بالحلمة في فمه وقد يأخذ وقتاً حتى يجد وضعًا مريحاً لكل من الأم والطفل. ولهذا إذا كان لدى طفلك بعض مشكلات الرضاعة في البداية فاسترخي فهذا شائع جداً.

وهناك بعض الأشياء يجب أن تقومي بها في البداية.

أولاً : بالطبع لابد أن تبحث الأم عن وضع مريح. إن وضع الجلوس يبدو أكثر شعبية بين الأمهات، فجريبي الجلوس على السرير مع وضع مخدات كبيرة خلف الرأس والظهر. وضعى وسادة في حجرك والطفل فوق الوسادة وارفعى ركبتيك لكي تقربي الطفل، وانحنى إلى الأمام لكي تجعلى الثدي أقرب إلى الطفل، فإذا فعلت ذلك عدة مرات فستجدين الوضع المحبب والمكان المفضل للرضاعة.

ثانياً : حركى حلمة ثديك ناحية فم الطفل ولكن احذرى أن تلمسى يدك خده أثناء ذلك حتى لا يتوجه فمه إلى يدك تاركًا الحلمة.

ثالثاً : قد يكون الأمر محبطاً للطفل حتى يتعلم أنه لابد أن يأخذ الجزء المحيط بالحلمة كله في فمه، فقد تساعد الأم بأن تحرك الحلمة ببطء في شفتيه إلى أعلى وإلى أسفل لكي تغليظ الطفل فيفتح فمه أكثر لتناول هذه المنطقة.

رابعاً : يمكن للأم أن تجلب القليل من اللبن من ثديها وتضع الثدي وهذه القطرات من اللبن بين شفاه الطفل. معظم اللبن سيزيد من اهتمام الطفل، وهكذا بالطبع سيركز الطفل على الثدي ومن هنا تظهر حاسة التذوق.

خامساً : ومن الإحباطات الشائعة للأطفال حديثي الولادة أثناء الرضاعة الطبيعية، أن الطفل لا يستطيع التنفس لأن أنفه يدفن في الثدي. ولذلك فإنك تستطعين أن تضغطى على الثدي لإبعاده عن أنف الطفل، أو تقربي ساقيه فيأخذ الطفل وضعًا يعطي أنفه الحرية، وأخيراً في بعض الأحيان لا يستطيع الطفل أخذ الثدي إلى فمه لكون الثدي ممتلئاً وصلباً فعلى الأم نقل أو تفريغ بعض اللبن قبل إطعام الطفل.

في أمريكا الشمالية هناك عادة فطام الطفل من الثدي فيما بين الشهر السادس والثامن، فالفطام المبكر عادة يمثل صعوبات بالنسبة للطفل. ومع هذا فالفطام المتأخر في أثناء الستة أشهر الثانية من النمو قد يسبب بعض الصعوبات مثل التعود على الأكل وفقدان الوزن والجفاف. إن أفضل طريقة لمنع هذه المشاكل هي فطامه بعد حولين أو تبادل الثدي بالزجاجة أو بأى طريقة للإطعام في أثناء الأربعه أشهر الأولى من العمر فقط، لكن يتعود الطفل على هذه الوسائل. وفي معظم التوصيات يجب أن تبدأ هنا عندما يبلغ الطفل شهرين. إذاً مهدي كأم لاستخدام الزجاجة، وعودي الطفل على تناولها مبكراً فلن يكون هناك مشكلة عندما تقررين فطام الطفل من الثدي. على الأم أن تفعل هذا متى تشاء من عمر الطفل تدريجياً للاحلال وجنته من الثدي بالزجاجة أو الطعام.

إذا لم يتناول الطفل الزجاجة مباشرة جربى عدداً من الالتمات فالكثير من الأطفال لا يحبون حجماً واحداً معيناً. بالإضافة إلى هذا افحصى الفتحات حتى ترى تدفق اللبن منها سريعاً جداً أو بطيئاً جداً، ويكون هذا حقيقة خاصة للأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية، وإذا كانت فتحة الزجاجة ضيقة فقد يتضيق الطفل بالطبع لأنه سيظل جائعاً. ونستطيع أن نعرض هذا بوضع اللبن في كوب مع الأطفال الأكبر، وعموماً من الممكن وضع لبن الثدي في زجاجة حتى نستطيع أن نعود الطفل على الرضاعة بواسطة الزجاجة. وفي الأطفال فوق التسعة أشهر يكون من الأفضل أن ندعهم يمسكون الزجاجة أو الكوب.

٤ - متطلبات ضد برنامج التغذية

والوالدان اللذان يطعمان أطفالهما سوف يجدان أن الطفل سيظهر برنامجاً (نظاماً) بطريقة أو بآخرى، وهذا البرنامج ربما يبدأ الساعة ٨ صباحاً في يوم، وال الساعة ٥ صباحاً في يوم آخر، إنه من الصعب لتدبير أعمال المنزل أن تلتزم بهذا الروتين الذي يتغير كل يوم.

وفي الشهر الأول من العمر فإن أغلب الأطفال سوف يكونون برنامجاً لمدة ٤ ساعات، يبدأ في نفس الوقت كل يوم ويكون هذا ملائماً في بيت كثيرة.

ويجب على الفرد أن يضع في ذهنه أن بعض الأطفال سوف يكونون غير سعداء بهذه الفترة الفاصلة، وربما يحتاجونوجبات صغيرة من وقت إلى آخر، ويجب أن يكون الوالدان مستعدين ليتكيفوا ويتغيروا عند الحاجة. وهناك مظهر آخر من المتطلبات ضد برنامج التغذية وكمية أكل الأطفال. فمعظم البحوث تقترح أن نتركهم يأكلون بقدر ما يريدون. فإن الطعام الأطفال عن طريق الثدي يمكن أن يتغير ويزداد في أوقات مختلفة، ففي بعض الأوقات يأخذون 15 جراماً، وفي وقت آخر اثنين وقية فقط. وباستخدام الثدي أو الزجاجة يجب ألا يحاول المرأة الضغط على الطفل لأن شهيته سوف تتغير، وهذا أمر طبيعي جداً. وإذا شعرت الأم برغبة الطفل للرضاعة كل ساعتين فمن المفيد استشارة الطبيب.

٥ – الأغذية الجامدة (الصلبة)

في الشهور القليلة الأولى سوف يدفع الطفل لسانه للخارج تجاه الطعام الجامد، في الشهور الثلاثة أو الأربع التالية سيحدث تغيير فسيدخل اللسان الطعام داخل الفم وبالتالي، إن هذا وقت مناسب لممارسات التذوق الأولى للأطعمة الجامدة. فالخضروات الطازجة واللحوم غالباً ما تستخدم أولاً، يتبعها الحبوب والحبوب الأبيض وقطع الموز وفواكه أخرى وعصير مصفي، وغالباً أي شيء يمكن أن يوضع في مزيج، ويمكن أن يكون ذلك خللاً وجبة المساء عندما تزيد فعالية الأطفال على الاندفاع والمرح، وعندما يقبل الطعام الخفيف مرة سيصبح بعد ذلك أي طعام خفيف (طري أو لين) مقبولاً لديه، والأطعمة الناعمة التي تتطلب مضيئاً يمكن أن تقدم مبكراً عن ٧ أو ٨ أشهر حتى ولو لم تظهر أي أسنان، فسوف ييلعها الطفل ويكون هذا تدريجياً جيداً للمضي.

وعندما يقبل الطفل هذا الأكل الخفيف فقد لا يقبل الزجاجة كما كان، فمذاق الأطعمة الجامدة أفضل ومتعدة اللعب بها أكثر، فالطفل يستطيع أن يلفظها أو يضعها على وجهه أو على شعره ويديرها بأصابعه، وقد يضرب الطبق ليرى الطعام يطير ويسقط على الأرض وهو مالا يستطيع أن يفعله بالزجاجة أو اللبن.

والأطفال الطبيعيون ما بين ٩ و ١٠ أشهر يضعون أي شيء في أفواههم، ومن ١٠ أشهر إلى ٤ سنوات ستتجدد أعقاب السجائر وطلاء الأظافر والدواء وكلها

أشياء غير معروفة لهم أسفل الأغطية وتحت الوسائل، وهنا يجب على الوالدين أن يشرفوها على أبنائهم بصفة دائمة. بعد ٤ سنوات، لا يُقدم الطفل على هذه الأفعال بعد ذلك لأنها يجب أن تتوقف، والخطر يكون جسيماً إذا لعب الطفل بالعقاقير الطبية السامة، وهنا يصبح العقاب (الضرب) جزءاً من المعاملة.

وتختفي الشهية وتتصبح غير منتظمة في السبعة إلى العشرة أيام الأولى، وربما يفقد المولود حديثاً ١٠٪ من وزنه في الأسبوعين الأول والثاني، ويصبح الجرع متعلقاً بالحيوية، أما المرحلة ما بين السنة الأولى والخامسة فيكون النمو فيها بطيئاً حتى يصبح ٢ كيلو جرام زيادة في وزنه كل عام، وقد تمر شهور بدون زيادة في الوزن، ويحتاج الطفل طعاماً أقل وتقل شهيته ويزداد معها مخاوف وقلق الآباء، وقد تظهر بوضوح قدرتنا على عدم إطعام الطفل، ولكن لا يوجد شيء خطأ في ذلك، فاحتياج الجسم يصبح قليلاً لأنه يكون بطيئاً النمو ويظهر ذلك في أن الطفل يأكل ربعاً مرة واحدة في اليوم، ولكن يعوض ذلك بأن يأكل كثيراً خلال الوجبة. وإذا ازداد نقص وزن طفلك وشحوب لونه فإن الروشتة من الطبيب ستساعد على تهدئتك.

إن الإجبار على الأكل عادة يكون غير ضروري وغير مؤثر، إلا إذا لاحظنا أن الطفل جواعان فعلاً ويظهر هذا بتوقفه عن اللعب وظهور الجوع عليه فالأطفال يحبون اللعب ويكرهون أي شيء يعطلهم عن ذلك، فإذا استمرت فترات لعبه مدة وأخرته عن العشاء يجب تحذيره «يجب أن تأكل بعد ٥ دقائق» ثم إجباره على الطعام ونأخذ منه اللعب إذا استدعي الأمر ذلك.

٦- ماذا نفعل عند حدوث مشكلة فقد الشهية :

نادرًا ما يفقد الطفل ما دون السنة سنتين شهيته، والطفل فقد الشهية من الصعب إرضاعه ليتقبل الطعام، فهو يحب بعض الأطعمة ويرفض البعض الآخر وعندما يسبب ذلك فقد الوزن فهنا تبدأ المشكلة.

وكثير من الناس يشيرون إلى أن فقد الشهية ما هو إلا خوف حقيقي من الطعام، وغالباً ما يبدأ عند الأطفال البالغين من العمر ١٢ سنة. وفي هذه الحالات النادرة يكون بسبب مرض ما، وهناك بعض الطرق التي تفتح شهية الطفل وتجعل

وقت الوجبة أكثر متعة، فإذا كان الطفل يكره نوعاً من الطعام فعلينا أن نبدله ب النوع آخر لكي نجعل الطعام تجربة ممتعة بالنسبة له، فالبيئة المحيطة به ووقت تناول الطعام يجب أن يُشعره بالسعادة كما يجب لا يجبر الطفل على أكل جميع ما يوضع أمامه وترك له الحرية في اختيار طعامه، ثم من الأفضل لا يناقش الآباء الأطعمة التي يكرهونها أمام الأطفال.

٧- شراهة الطعام :

واحد من كل خمسة يعانون من زيادة الوزن تقريرًا. ونجد ذلك في النساء مرتين أكثر من الرجال. ويمثل هذا الخطر الأول على الصحة وغالباً ما يبدأ في الطفولة، ولقد ثبتت الأبحاث التي تتعلق بنمو الجسم أن وزن الجسم لا يتعلق بكمية السعرات الحرارية التي يتناولها، ويجب أن نعرف ما هي الأسباب التي تؤدي إلى ذلك.

٨- أسباب زيادة الوزن :

هناك عوامل عديدة لذلك، مثل الناحية النفسية والنشاط الجسماني وعادات الطعام الموروثة، إن الوراثة تعطينا الحجم وبناء الجسم. والناحية النفسية تمننا بالسرعة التي نأكل بها، والنشاط الجسماني يحدد عدد وكمية السعرات المحترقة أثناء اليوم وعادات الطعام تحدد كمية المأكولات التي نتناولها ومتى نتناولها.

وفي الأطفال نجد أن شراهة الطعام لا يزداد بها وزن الجسم فقط ولكن حجمه أيضاً، فكمية السعرات التي تسبب التخمة تزداد عندما يصل الطفل ١٢ سنة (وربما قبل ذلك) ولهذا فإن من الصعوبة أن يفقد (أو يكتسب) الطفل كمية كبيرة من الوزن بعد ١٢ سنة. إن ٨٪ من الأطفال المصابين بالتخمة يظلون هكذا بعد أن يكروا.

بعض الآباء يعتقدون اعتقاداً خاطئاً في عدم أهمية مستوى نشاط الطفل، لأن التمارين تستهلك قدرًا ضئيلاً من الطاقة كما أن شهية الطفل تزيد كلما راد نشاطه. وفي الحقيقة أن الطفل الزائد الوزن (من ٦ - ٨ سنوات) يعاني أيضًا من قلة الحركة مقارنة بالطفل ذي الحجم الطبيعي، كما أن تقليل مستوى نشاط الطفل لا يقلل من كمية الطعام التي يتناولها الطفل الشره.

وبالطبع لا بد من وجود مشكلات نفسية لدى الطفل السمين فهو دائمًا يرى في نفسه قبح الشكل وعدم الصلاحية الاجتماعية، وعدم ملاءمته كصديق لأحد.

وفي النهاية يجب أن نوضح أن عدداً ضئيلاً جدًا من الأطفال يصيرون سميناً مالما يكُن أحد والديهم سميناً، كما أن ١٠٪ من الأطفال المصابين بالتلخمة يكُون والديهم من ذوي الحجم الطبيعي، وقد ترتفع إلى ٥٪ عندما يكُون أحدهم سميناً، وتصل إلى ٨٪ إذا كان كلاهما سميناً، وعلى أي حال نجد أن القدوة والمثل للطفل في الآباء يلعبان دوراً كبيراً في التحكم الغذائي لديه.

٩- متى تكون المشكلة...؟!

لا يجب أن يهتم الآباء بوزن أطفالهم إلا بعد أربع أو خمس سنوات، فكثير من المواليد يبدون وكأنهم زائدو الوزن، وينعكس ذلك بعد بلوغهم ثلاث أو أربع سنوات. ولقد أثبتت البحوث أن مشاكل الوزن المتعلقة بالطفولة تكون من الخامسة إلى السابعة من العمر، وفي هذه الفترة يجب أن نضع أعيننا على وزن الطفل وزنه باستمرار. فهناك دائمًا وزن معين يعتبر طبيعياً، وقد يختلف ذلك طبقاً لتكوين الطفل الجسماني أي إذا كان عريض المنكبين مثلاً.

وإذا كان الطفل في هذه السن أو أكبر قليلاً لا يزيد وزنه عن الوزن المثالي بنسبة ٢٠٪ فيجب أن يتعامل الآباء مع هذه المشكلة. كما أن هذا يتضح بشدة ويبدو مشكلة في وزن الطفل بسبب قلة مستوى نشاطه الملحوظ وتجنبه لأصدقائه ربما بسبب الأسماء التي يطلقونها عليه.

كما يجب التأكيد على أنه من الخطر الانتظار حتى تتفاقم مشكلة زيادة الوزن التي تحدث نتيجة التغذية الجيدة وقلة التمارين الرياضية.

إن الإستراتيجية التي تتبعها تصلح للأطفال ابتداء من سن الخامسة. وأخيراً يجب أن نشير إلى أنه من النادر أن يصبح الطفل سميناً بعد سن الثانية عشرة. لذلك فإن الآباء يجب أن يشعروا بالفخر إذا استطاعوا أن يحافظوا على وزن طفليهم الطبيعي خلال تلك السنوات السبع (من سن الخامسة حتى الثانية عشرة).

وهناك أشياء يجب ألا نفعلها إذا كان الطفل لديه زيادة في الوزن:

- (١) يجب ألا تترك الطفل حتى يستند جوعه.
- (٢) يجب ألا نجعل من موضوع الطعام قضية أخلاقية فنقوم بلوم الطفل وإحراجه ونقوم بمراقبته باستمرار.
- (٣) لانتسقع من الأطفال أن يفعلوا شيئاً لانفعله نحن. ولاتسقع أنهم سيرفضون غالباً تناول نوع من أنواع الطعام تناولها نحن الكبار.
- (٤) لا تصبح متحمساً أكثر من اللازم، فإن هذا تغيير يعرض الطفل دائماً.
- (٥) يجب ألا يأتي ذكر استخدام فاتحات الشهية بتاتاً إذا لم يكن هناك مشكلة صحية تتعلق بالوزن.
- (٦) أخيراً فالتبسيخ ليس له تأثير على الوزن إطلاقاً ولكنه يهدف إلى تحويل انتباه الطفل لما فيه مصلحته ويشعره بمسئوليته.

١٠ - كيفية خاشى الزيادة في وزن الطفل وكيفية معالجة ذلك :

من السهل علينا أن نتعامل مع عادات الطعام بالنسبة للأطفال، بعكس الكبار لأننا ببساطة يمكن أن نتحكم في نوعية وكمية الأكل المقدم للطفل، ومع ذلك فإن الآباء الذين يعانون من السمنة لمجدهم غير قادرين على ضبط النظام الغذائي لأطفالهم.

أولاً : على الآباء أن يفهموا أن وزن الطفل يجب أن يقاس خلال السنوات الأولى من العمر لتحاشى السمنة فيما بعد ولن يكون من السهل التحكم فيه.

ثانياً : يجب على الآباء أن يتخلصوا من الحكم القائلة «أن الطفل السمين هو الطفل السليم»، فكثير من العائلات يشجعون أطفالهم على إنهاء طعامهم، ويسعدهم أن يطلب الطفل زيادة من الطعام «هل تريد طبقاً آخر من الإسبراجتى؟» إذن سأحضر لك بعض الحلوى «هل أملؤه لك مرة أخرى؟».

ثالثاً : يجب أن نتعامل مع الوجبات الخفيفة بحكمة، فليس هناك ضرر من تقديمها، ولكن يجب التأكد من نوعية ما نقدمه خلالها وتكون بسيطة مثل البطاطس المحمصة.

رابعاً : تخصيص مكان واحد للأكل (ليس أمام التلفزيون) فيمكن أن يأكل الطفل كل ما يريد ولكن على مائدة الطعام. بهذه الطريقة يجعل الطعام يتنافس مع الأفعال الأخرى المفضلة للطفل بدلاً من أن يقسم الطفل بشئين في وقت واحد فقد يصبح هذا عادة عند الطفل. وقد تعنى مشاهدة التلفزيون إحضار أى شيء للأكل .

خامساً : إن الأشخاص الزائد الوزن غالباً ما يكون أكلهم بسبب شعورهم بالسعادة أو بالحزن، إذن فالأكل بالنسبة لزائد الوزن يرتبط بالحالة النفسية لديهم. نحن لانقل هذا الشعور كمثال لأطفالنا فقط، ولكننا نفترض أن الطعام ساعدنا خلال الأوقات العصبية، لذلك فتحن نقدم الطعام للطفل عندما يشعر بإحباط، ولا مانع من كوب من الليسمون إذا تعرض الطفل للأذى من طفل آخر. إن الطعام يجب أن يقدم بانتظام ولا يجب أن يعتمد على المزاج أو يقدم تبعاً لظروف نفسية فقد يتحول هذا إلى عادة من الصعب التخلص منها.

سادساً : الأكل ببطء وبهدوء، وننتظر من الطفل أن يفعل نفس الشيء. فإذا ازدادت سرعة أكله أكثر من اللازم فإن الإشارات الفسيولوجية ستستغرق وقتاً أطول لكي تذهب من المعدة إلى المخ لتخبرك بأنك قد شبعت. لذلك فسوف تأكل طعاماً أكثر من احتياجك، ولن يستطيع المخ أن يخبرك أن معدتك قد امتلأت. فالجوع يظهر على هيئة تقلصات عضلية في المعدة، وهذه التقلصات أو الانقباضات لا تهدأ بمجرد أن يوضع الطعام في الفم، فالطعام لابد أن يعد للهضم وبعد دقائق سيؤثر على الجوع. والأكل ببطء يسمح للمعدة والمخ أن يستوعباً كمية الطعام الذي تم أكله بالفعل ومدى امتلاء المعدة.

سابعاً : لا تسوق لشراء الطعام وأنت جائع، تسوق وأنت شبعان، وخاصة إذا كان معك طفلك. فإن كان كل منكما شبعان فلن يغريك وجود حلوى أو طعام ملتح أو نشويات.

ثامناً : اكتب قائمة للأطعمة التي تريده أن تشتريها قبل ذهابك للتسوق واشتري فقط ما كتب بالقائمة.

تاسعاً : تأكد أن طفلك ينال بعض التمارين الرياضية كل يوم. وهذا لا يمثل مشكلة مع معظم الأطفال لأن اللعب مع الأطفال أو الذهاب إلى الروضة

«ما قبل المدرسة» يهتم بذلك جيداً. ولكن الأطفال الزائد الوزن قد لا يشاركون وقد يصابون بالإرهاق بسهولة، وإذا كان الأمر هكذا، إذن فنحن الآباء والأمهات يجب أن نزيد للأطفال مهام رياضية فنستطيع مثلاً أن نذهب للتربيض مساء كل يوم بعد العمل مع طفلنا، ويمكن أن نذهب إلى السوق لمشاهدة المحلات أو التفرج عليها، ويمكن أن نقوم بتعليق سلة ونلعب كرة السلة معًا في مكان مناسب، وبالطبع من الصعب حقيقة أن نجد طرقاً للتمرينات كل يوم، وأن نجد أنشطة يتمتع بها الطفل وأبواه معًا. والمشكلة دائمًا تكون من ناحية الآباء الذين يكونون من الصعب أخذهم من عملهم أو بعيداً عن التلفزيون أو الكمبيوتر، فمفتاح التمرينات هو أن نؤدي شيئاً ممتعاً ولأنقول أنك يجب أن تمشي ميلين مثلاً. فالتمرينات يمكن أن تكون أبسط من ذلك بكثير بشرط أن تترك الطفل ينطلق. وعلى الآباء اكتشاف اللعبة المحببة لدى أطفالهم.

وهناك شيء آخر عن التمرينات، وهو أنه يجب عدم إجبار الطفل على القيام بها إذا كان متعباً، أما الأطفال الزائد الوزن فنجد أنه من الصعب عليهم أداء أي تمارين، لدرجة أنهم إذا بدءوا في أي تمرين لا يلبثون أن يشعروا بالتعب والإرهاق.

عاشرًا : وفي النهاية حين يحين وقت الوجبات، لاستخدامي الطعام السريع لفترة طويلة لأنها عملية وسهلة، ولكن جهزى أطعمة أساسية (الخضار والدجاج واللحم المشوى) في طريقة لذيدة، لأنه ليس فقط الأطعمة السريعة هي اللذيدة، ولكن الأساس هنا هو تقديم طعام عادي بطعم لذيد، وخاصة لمن يهتمون بالسعرات الحرارية الموجودة في الأطعمة لأطفالهم.

وفي أثناء إعداد الوجبات لابد أن نهتم بالبروتينات ونجعل الطفل يتناول المناسب منها. ولا مانع من تقديم الأطعمة التي لا يفضلها الطفل عندما يكون جائعاً.

ثانياً : البكاء ونوبات الغضب والانفعال

إن البكاء ونوبات الغضب غالباً ما يكون لها سبب وجيه، لذلك فعلى الآباء أن يكون لهم رد فعل دائم تجاه ذلك فنحن نقفز مسرعين عندما نسمع بكاء الطفل لأن هذا يدل بالتأكيد على أن هناك شيئاً ما قد حدث ولا بد لنا أن نساعدته فوراً، فالاستجابة لصراخ الطفل شيء أساسى بالنسبة لنا، بسبب حبنا الكبير للطفل، ولكن بمرور الوقت قد يبكي الطفل لا لأنه في حاجة إلى شيء ولكن لأنه قد يريد مكرونة أو فولا بدلاً من الأرز، أو يريد أن يلعب مع والده مع أنه مشغول في عمله.

إذن لا بد أن يأتي وقت للآباء لكي يتجاهلوا صراخ الطفل. فتحاول الأم أن تجلس في حجرة بعيدة قليلاً وتترك الطفل يبكي قليلاً لرغبتها مثلاً في النوم معها وهذا سيكون اختباراً لقدرة هذه الأم وصلابتها. فالطفل يبكي لأنه يعرف أن أمه أو أبوه سوف يأتي، ولهذا إن لم يتحقق ذلك قد يزيد الطفل من بكائه وصراخه، وقد يبدأ في فعل أشياء أخرى مثل رمي الأشياء على الأرض.

وإذا فشلت في أن تقاوم بكاء الطفل فإن البكاء والصراخ سيكون حولك طوال اليوم وفي كل دقيقة. ولا عجب من أن الدراسات أثبتت أن ٨٠٪ من الآباء يهتمون ببكاء الطفل.

عند الأطفال حديثي الولادة يستغرق وقت البكاء من ساعة إلى ٤ ساعات يومياً، وبالتالي يزداد أثناء السنة أسابيع الأولى من العمر وحتى الأسبوع الثامن لأنها فترة البكاء الطبيعي فالطفل يبكي لأنه جائع أو نائم في وضع غير مريح ... إلخ، وقد يبكي الطفل حوالي ١٢ مرة يومياً مع العلم أن هناك فروقاً بين طفل وآخر.

فعندما يبكي الطفل لا بد أن نقفز إليه ولا نتجاهل بكاءه على الأقل في السنة الأولى من عمره، وكلما حملنا الطفل واعتنينا به نقص بكاءه. فقد أثبتت الدراسات أن حمل الطفل أربع ساعات كحد أدنى ينقص بكاءه إلى النصف تقريباً. وبمرور الوقت يتناقص البكاء بعد شهرين أو ثلاثة من الولادة ويصبح حوالي ٤ مرات يومياً فقط. وبعد عام يبكي الطفل ليس لتعب جسماني أو عضوي ولكن

الأكثرية تكون لأسباب بيئية، كرؤيته لأغراض في ميعاد نومه أو لأنه يفضل أنواعاً معينة من الطعام. وفي السادسة من العمر نجد أن ١٨٪ فقط من الأطفال يكونون أكثر من مرتين أو ثلاث كل أسبوع.

وبينما يتناقض البكاء فإن نوبات الغضب تبدأ في الظهور حتى قبل أن يبلغ ثمانية أشهر من العمر، رغم أنه في هذه السن قد يكون البكاء مناسباً وذا قيمة، فهو يحدث عندما يكون الطفل قد ناله أذى، مثلما يكون خائفاً أو في حاجة إلى شيء، أما نوبات الانفعال فتبدأ كعامل جذب أعلى من البكاء، فقد يشنج الطفل جسمه ويحبس أنفاسه أو يضرب رجله في الأرض ويتطور الانفعال فيقوم بإلقاء الأشياء والضرب أو الورق على الأرض.

ونوبات الغضب بالتحديد هي محاولة الطفل لأن يجد وسيلة أو مخرجاً، ويقوم بها كل الأطفال، ورغم هذا فإنه قد يأخذ أشكالاً متعددة مع أطفال مختلفين، وهو طبيعي جداً وشائع. ومع كل فإننا في العام الأول نقفز مع أقل صرخة بل وقد نقفز لمجرد تخيلنا سماع صرخة من الطفل.

فالطفل في أول عمره يتعامل معاملة خاصة من الآباء. فهم في خدمته باستمرار. والأم تقدم الإفطار له في السرير، وقبل حتى أن يطلبها يكون قد توافر، والطفل يتعود على هذه المعاملة الحسنة، وإذا وضعت نفسك مكانه فماذا ستفعل لو تعودت أن تقوم الخادمة بكل شيء لراحتك ثم فجأة تدق لها الجرس ولا تخضر لتلبى رغباتك، فإنك سوف تصرخ في وجهها. هكذا الطفل يعتبر أنك العبد وهو السيد، وفي وقت ما لابد للطفل أن يتعلم أن هذه العبودية ستلاشى وأنه لا يمكن أن ينال كل ما يريد.

١ - متى يتحول البكاء والغضب إلى مشكلة؟

إن البكاء والغضب شينان طبيعيان عند كل طفل. وهذا السلوك لا يكون شاداً أو يمثل مشكلة، ولكن المسألة هي أنه لابد أن يتناقض بمرور الوقت. وتصبح نوبات الغضب مشكلة إذا لم يحدث هذا، وإذا استمر مدة أطول من اللازم. فإذا استمر الآباء في تلبية طلبات أطفالهم عند أقل انفعال فإن نوبات الغضب لدى الطفل سوف ترداد وسيصبح نموذجاً للطفل المسلط، وسيظهر هذا أثناء تعامله مع

الآخرين (المدرسين والأغرب أيضاً). وهذا ما يؤدي إلى عدة صعوبات ستواجه الطفل في المدرسة. وسيقل تعلم الطفل لأى شيء عن التفاعلات الاجتماعية السوية مثل المشاركة، الأخذ والعطاء، والتعاون والاندماج مع الآخرين، أو حتى أسلوبه في المطالبة بشيء.

والخلاصة أنك لا تستطيع أن تمنع انفعال الطفل، ولكن كيف نتعامل معه وكيف تعتمد داخلياً على ألا تستمر في تلبية رغباته؟ هذا هو ما سوف تتحدث عنه.

٢- كيف نتعامل مع البكاء ونوبات الغضب والانفعال؟

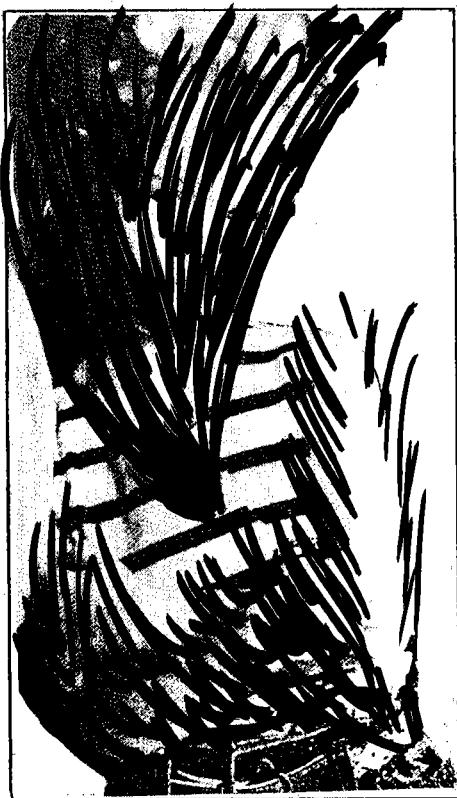
يجب ألا نقلق بسبب البكاء خلال العام الأول من عمر الطفل. ولكن بعد ذلك يجب أن نميز بين البكاء الحقيقى والبكاء الاستغلالى. فمعظم الآباء قادرون على أن يفرقوا بينهما في نقطة ما أحياناً في الستة أشهر الأولى وأحياناً بين ١٢، ١٥ شهراً. وإذا كنت غير متأكد اذهب للطفل وتفحص إذا ما كان محتاجاً لأى شيء. أما إذا اتضح أن البكاء استغلالى فهناك العديد من الأشياء يجب القيام بها للتأكد من أن هذا لن يدوم طويلاً :

(١) لابد أن تتأكد من أن نوبة الغضب لا تهدف لأن تكون وسيلة لتحقيق رغباته، وهذا يعني طبعاً أنه لابد أن نعرف بالقطع لماذا تأتي نوبة انفعال الطفل. فإن عرفت أن الطفل يريد شيئاً كمشاهدة برنامج تليفزيونى، أو تناول حلوى أو أن يذهب إلى اللعب فلابد أن تتجاهله لأن تجاهله الطفل هنا سيكون مؤثراً. فتجاهله يؤكد أنه لن يحصل على كل ما يريد وأن هذا الغضب لن يجدي أو يفيد. ولكن من ناحية أخرى إذا كان الطفل يحاول تجنب شيء ما مثل أن يذهب إلى النوم أو يأكل بالمعلقة فإن تجاهله يكون أسوأ شيء يمكن فعله، فإذا تجاهله فسيشعر أنه ليس مطالباً بترتيب لعبه مثلاً أو الذهاب إلى النوم في وقت معين، وتكون هنا نوبات غضب الطفل ناجحة لأنه قد نال ما يريد.

لا تستمع لأحد يقول لك أنه يجب تجاهل الطفل باستمرار عندما يغضب لأن هذا اقتراح شائع بين الآباء، فإن البحوث الحديثة توضح أن هذا خطأ، لأنها بشكل أو بآخر تبين للطفل أن نوبات الغضب قد تفيد أحياناً.

أثناء الغضب يجب أن تتفاهم وتتناقش مع الطفل فيجب أن تحاول إقناعه مثلاً بسبب عدم تناول الحلوى الآن، ولماذا لا يمكن أن يشتري كل اللعب التي في المتجز.

(٢) التقليل من الحوار أو المنافسة خلال الغضب :



لابد أن نوضح أو نشرح خلال الغضب لماذا يجب ألا يأكل الخلوي الآن، كل الأطفال يتطلعون إلى الرعاية والاهتمام من آبائهم لكننا يجب ألا نجعل هذا هو السبب في الغضب بحيث يصبح وسيلة للحصول على الاهتمام، إننا يمكن أن نناقش ونشرح لماذا يجب أن يذهب إلى الفراش الآن ولكن قبل أن تتباه حالة الغضب.

(٣) عندما يحل بنا التعب ونكون في حالة من الضيق والضغط العصبي فإننا قد نلبي طلب الطفل من أول سؤال هاربين من التعامل مع الغضب، لذلك سوف يتعلم الطفل جدوى الغضب وفائدة استخدامه.

(٤) نحن نعلم الطفل الطرق السليمة لطلب ما يريد :

إننا يجب أن نعلم الطفل كيف ومتى يشارك، يأخذ دوره، فإذا أراد لعبة يلعب بها طفل آخر فيجب أن يدل معه لعبة أخرى مفضلة لديه ويجب تعليم هذا في مواقف كثيرة ولا تترك الغضب يتسلل إلى طريقة عرض طلباته.

(٥) التطلع إلى الأشياء الجيدة التي يفعلها الطفل والثناء عليها. والتعامل مع الغضب يجب أن يبدأ من أول ملاحظتك لحدوثه، لكننا لانود أن توسيع العلاقة بينا وبين أطفالنا، لذلك فإننا نبذل مجهوداً خاصاً لتحديد ما هي الأشياء الجميلة التي يفعلها الطفل ونشتري عليها، أما يمكن أن نقضى معه وقتاً أطول في اللعب فبذلك يتعلم الطفل أنه ليس بالطفل السيء. إنها مجرد لحظات يظهر فيها هذا

السلوك الذى لانحبه، وبهذا يكتسب الطفل الثقة ويسهل التعامل مع تلك المشكلة.

(٦) بينما يتم التعامل مع الغضب لا يجب التطرق إلى أى مشكلة أخرى، فإذا غضب الطفل في المتوسط مرة واحدة أو أكثر خلال اليوم فلا ينبغي أن نخفي بقية يومه إلى مضائق وأحزان بتعلمه أشياء أخرى لا يود فعلها مثل تدريبات التواليت أو روتين ما قبل النوم، فمن الممكن أن نبدأ في هذا بعد التأكد من إحرارنا تقدماً كبيراً في مشكلة الغضب.

(٧) التكدر والعار وإساءة التحكم يجب ألا يكون لهم مكان في التعامل مع الغضب.

مثل هذه الأمور ليست مؤثرة بشدة ولكنها قد تعيق التقدير في معالجة الغضب. لأنك بهذه الأمور تظهر للطفل كيفية تعاملك مع الناس الآخرين، كما أنك أيضاً تعلم طرقاً جديدة للغضب بل وتشجع على فعل ذلك.

ثالثاً : عادة مص الأصابع Thumbsucking

كثير من الآباء يهتمون بتلك المشكلة لدى أبنائهم. فحوالي واحد من كل تسعة آباء يشكون من هذه المشكلة، وقد تناول العديد من الكتاب هذه المشكلة وأشاروا إلى أنها مرتبطة بأشياء متعددة في حياة الطفل بداية من عدم إحساس الطفل بالأمان إلى ارتباطها بمشكلات الأسنان والقزم.

ولكن بنظرة موضوعية سنجد أن عادة مص الأصابع لا يوجد فيها ما يُقلق. فهي سوف تختفي تدريجياً ومن تلقاء نفسها بدون ترك أي آثار جانبية، ويمكن أن نتعرف على هذه المشكلة وأحداثها ومعدلاتها وأسباب حدوثها خلال الأربعة أشهر الأولى من حياة الطفل. فـإن عادة مص الأصابع هي الطريقة الوحيدة التي يشير بها الطفل إلى أنه في حاجة إلى الطعام، وهي تستمر طوال السنة الأولى. ويمكننا القول بأن الأطفال يستمتعون بهذه العادة حتى إن لم تكن مرتبطة بحاجة الطفل إلى الطعام. فقد يقوم الطفل أحياناً بامتصاص أصبعك أنت أو أى شيء آخر ولا يعنيه إذا كان هذا الشيء ل الكبير أم صغير، لزجاً أم صلباً، المهم هو أى شيء يكون قريباً من فمه. وسوف يظل الفم هو المصدر السحري لإسعاد الطفل طوال

حياته فقد اعتاد على تناول الأطعمة من خلاله وكذلك يقوم بقرص أظافره من خلاله.



وعادة ما تبدأ عادة مص الأصابع في الشهور الأولى المبكرة من عمر الطفل، وأحياناً مع بداية مرحلة التسنين، وعادة مص الأصابع تبلغ ذروتها في حوالي ١٨ - ٢٠ شهراً الأولى من عمر الطفل، وهناك نسب عالية تؤكد تكرارها والفترات الطويلة التي تستمر فيها. وبعض الأطفال قد يستمرون ساعات طويلة وأصابعهم داخل أفواههم سواء كانوا بمفردهم أو عند مشاهدتهم لأطفال آخرين وهم يلعبون.

والطبيعي أن تختفي هذه العادة في العام الثاني أو الثالث، ولكننا قد نجد أنها تستمر حتى العام الخامس أو السادس. وحوالي ٢٩٪ من الأطفال تستمر هذه العادة بعد سن الثالثة. ولكن هناك حالات نادرة تستمر إلى عمر أكبر. وأحياناً تكون عادة مص الأصابع مرتبطة بالنوم، فالعديد من الأطفال قد يقومون بهذه العادة عندما يرغبون في النوم أو هم نائمون بالفعل، والبعض يقول إن هذه الحالة ترتبط لدى الطفل بالتوتر وعدم الأمان ولكن كل هذه الأفكار ثبت عدم صحتها إلى حد ما في بعض البحوث..

١- الآثار الجانبية لمشكلة مص الأصابع :

هناك العديد من المشكلات التي تسببها عادة مص الأصابع فهى قد تسبب عدم انتظام الأسنان أو تسبب في انتقال الأمراض المعدية إلى الطفل، وكذلك اضطرابات المعدة، وفي حالات نادرة تكون خلف ممارسة العادة السرية فيما بعد. ولكن من الممكن تلاشى انتقال الأمراض والاضطرابات التي قد تحدث للمعدة عن طريق تنظيف الطفل بصفة مستمرة لمنع دخول أي أشياء ضارة إلى فمه.

وعادة امتصاص الأصابع تسبب تشويه شكل الفم، لأن الطفل يقوم بضغط قوى أثواب عملية المص، وهذا يؤدى أيضاً إلى تورم الإبهام كما أن هذا الإصبع يكون معرضًا للتلوث بسبب وضعه في الفم وابتلاه.

ويمى أن هذه العادة لا تستمر غالباً لما فوق الثلاث سنوات، إذن فإنها لن تؤثر على الأسنان المستديمة، ولكن يكون لها تأثير على سقف الحلق والأسنان إذا استمرت لما بعد الثالثة. وفي هذه الحالة يمكن اللجوء إلى طبيب أسنان للحصول على النصائح المفيدة لحل هذه المشكلة وعلاجها.

وتصبح هذه العادة مشكلة وغير مرغوب فيها في ثلاثة حالات :

أولاً : إذا استمرت إلى ما بعد سن السادسة.

ثانياً : إذا أخبرنا الطبيب أن لها آثاراً جانبية على أسنان الطفل.

ثالثاً : إذا مارسها الطفل بعد العام الثالث بشكل مبالغ فيه لدرجة الاستغناء عن اللعب بسببيها، عندئذ يجب التعامل معها كمشكلة.

٢- كيفية التعامل مع مشكلة مص الأصابع :

الطريقة الشائعة للتعامل مع هذه المشكلة هي أن تنهى الطفل بقولك «لا تصبّع» أو أن تشغّل الطفل بشيء آخر كاللّعب، ولكن هذا يتطلب أن ترافق الطفل كظله حتى تكون مستعداً للإمساك بذراعه لمنع وصول أصبعه إلى فمه. ويجب أن يكون هذا برقّة وبدون أي عنف أو صرّاخ، ولكن يكون هذا بتهيّه البساطة.

وهناك بديل آخر لذلك وهو أن نضع شيئاً ذا طعم منفر على أصبع الطفل ولكن هناك بعض المختصين يرفضون ذلك لأنه يكون قاسياً جداً وقد يؤدي إلى نتائج عكسية لدى الطفل، وقد يؤدي إلى غضب الطفل. ولكن من الممكن القيام بذلك عندما يكون الطفل نائماً فهو لن يدرك أنك أنت الذي فعلت ذلك. وبهذه الطريقة سيجد الطفل أن طعم أصبعه منفر ولم يعد مصدر لذة له.

وهناك بديل ثالث لحل هذه المشكلة ينصح به أطباء الأسنان وهي خيطة كم الطفل لفترة من الوقت، أو نقوم بإليبسه قفازات بدون أصابع. وهذا الإجراء يؤتي نتائج جيدة إذا تم استخدامه في المراحل الأولى من بداية هذه العادة.

وآخر إجراء يمكن القيام به هو أن نقوم بإغراء الطفل بالكافآت، وفي البداية يمكن أن نقدم له هذه المكافأة بعد ١٥ دقيقة فقط لو أن الطفل توقف عن مص أصبعه لهذه الفترة، وبالتالي يمكّن أن تصبح ٣٠ دقيقة ثم ساعة ثم ساعتين ... إلخ. وسوف يجد الطفل نفسه يُمنح بسخاء كلما راى هذه الفترة التي يمتنع فيها عن امتصاص أصبعه، ويمكن أن نقول للطفل «يمكّنك مص أصبعك في حجرتك فقط» في الوقت الذي يهيا له كثير من الوسائل الترفيهية خارج حجرته.

وينصح أطباء الأسنان بضرورة وضع شيء ما خلف الأسنان يمنع وصول إصبع الطفل إلى سقف الحلق. ويتم هذا الإجراء إذا استمرت تلك العادة إلى ما بعد سن الثامنة أو التاسعة من العمر.

رابعاً : مشكلات الكلام Speech

يأخذ الكلام عند الأطفال فترة من الوقت حتى يتحسن، وفي خلال هذه الفترة يصدر منهم العديد من الأخطاء، فكل الأطفال في بداية تعلمهم الكلام يتعلمون أثناء نطق الكلام في بعض المواقف. وكذلك أحياناً لا يستطيع الطفل نطق بعض كلمات معينة ويتعلّم أثناء نطقها بدون وجود مواقف. ولكن مع الوقت سوف يتّعلم الطفل الكلام. ويمكن القول بأن الأخطاء التي تصدر من الأطفال هي بداية الطريق للتحسن وتعلم اللغة العادية حيث إنهم مع الوقت يتضجّون فسيولوجياً وعقلياً وعندئذ يبدؤون في التحسّن وتنسّع ثروتهم اللغوية. أن ما يقارب ٩٥٪ من أطفالنا لا يمثل الكلام أى مشكلة لهم. فهم في البداية يتّعلّمون

ويقهقرون وينطقون الكثير من الحروف بطريقة خطأ، فقد يتركون بعض المقطاع في الكلمة التي ينطقونها، أى يمكن القول أنهم يقضون على اللغة أثناء نطقهم، ولكن في الحقيقة هذه الأشياء تعتبر طبيعية لوصول الطفل إلى مرحلة التحسن والتمكن من اللغة. ويجب علينا أن نشجعهم على استخدام اللغة المهدبة بأن نقول لهم «عندما تريد شيئاً يجب أن تقول من فضلك». ويجب أن نعلمهم الكلمات الجيدة ونشجعهم على الحديث. وسوف نلقى نظرة على الصعوبات التي تقابل الطفل في الكلام، وكل مشكلة سوف نتناولها بمفردها حتى نستطيع التمييز بين ما يمثل مشكلة أو لا يمثل وكيفية التغلب على هذه الصعوبات.

١ - التهتهة Stuttering

هي تقطع أثناء الكلام يصدر من الفرد عند النطق، فالطفل ربما يتوقف عند كلمة واحدة ويكررها أكثر من مرة ولا يستطيع نطقها، أو قد يتعدد عند نطق كل كلمة، وكذلك لا يستطيع نطق بعض الأحرف أو يكرر بعض الحروف أكثر من مرة بطريقة لافتة للنظر.

والتهتهة يمكن أن تزداد عندما يكون الطفل قلقاً، متعباً، خائفاً أو واقعاً تحت ضغط أو اضطراب معين. ويمكن القول أن التهتهة تحدث بين العام الثاني والرابع من عمر الطفل وتزول بعد ذلك. فقد أوضحت بعض الدراسات التي أجريت على ٢٠٠ طفل من الأطفال الطبيعيين فيما بين الثانية والرابعة، أن كل واحد منهم تصدر عنه التهتهة عند نطق كلمة بها أربعة حروف، ومثال لذلك عند نطق كلمة «ماما» فهو يقول «م. م. ماما».

وبالرغم من أن هذا هو السلوك الشائع في مرحلة الطفولة، فهناك حوالي ١٪ من الأطفال يستمرون في عملية التهتهة إلى ما بعد سن العاشرة.

٢ - متى تصبح التهتهة مشكلة؟

إن الأطفال ما بين العام الثاني والرابع يحبون استخدام الكلمات الجديدة لكي تنمو قدراتهم اللغوية. ففي سن ٣٦ شهراً يكون متوسط عدد الكلمات المستخدمة لدى كل منهم حوالي ١٥٠٠ يومياً، وهذه المرحلة تشبه انفجار السد. وفي نفس هذه المرحلة قد تكون التهتهة في الكلمة المكونة من ٤ حروف، وقد

يكون هناك العديد من التكرارات في الكلمة الواحدة بطريقة لا يمكن قصدها .
وهنا نجد أن الآباء لا يلقون بالا ولا يعتبرون هذه مشكلة .

ويجب أن نضع في الاعتبار أن التهتهة لا يجب أن تعتبرها مشكلة إلا حينما يصل الطفل إلى عامه الخامس على الأقل ، وتصدر منه في هذه الفترة حوالي عشر أو ربما ١٠٠٠ تهتهة في اليوم ، وفي فترة ممتدة من الوقت (حوالي ٦ شهور متتابعة) .

وقد تكون مشكلة التهتهة مقصورة على مواقف أو كلمات معينة أو أماكن أو أشخاص معينين ، فعلى سبيل المثال: الطفل الخائف من المدرسة أو الذي يخاف المدرس ، إنه قد يكون طليق اللسان في معظم الأوقات ولكنه يبدأ في التهتهة عندما يتعرض مثل هذه المواقف .

٣- كيفية التعامل مع مشكلة التهتهة :

يجب ألا نعطي التهتهة اهتماماً كبيراً وخاصة عند الأطفال الصغار ، فذلك يجعل الأطفال أكثر ترددًا وقلقاً وخوفاً من حدوث التهتهة . فالطريقة المثلث ل التعامل مع هذه المشكلة هي ألا نعطي اهتماماً حتى يصل الطفل إلى العام الخامس . مع وجوب معرفة أنه ليس هناك علاقة بين التهتهة ودرجة ذكاء الطفل .

فالتهتهة لا تعنى بأى طريقة أن الطفل غير طبيعي أو أقل منزلة عن غيره من الأطفال ، وإنى أؤكد على ذلك لا لنجعلك تشعر بالراحة ، ولكن على أمل أن نجعلك لاتلفت نظر طفلك لحدة المشكلة ، وإنما فسوف يتوجه كل انتباهه لها ، وذلك يجعل الطفل قلقاً وأكثر ترددًا لكثير من الكلمات والتهتهة فيها مما يجعله يشعر بالدونية .

وسوف أعطى مثال لأوضح به كيف يحدث ذلك ، فهناك حالة تخص طفل يدعى «رضا» ويعد من الأطفال المتحدثين من الدرجة الأولى ، وقد فاز في العديد من مسابقات الكلام ، ثم تم نقله إلى مدرسة أخرى وقد تم إجراء اختبار المقابلة له ، وعندما تمت مقابلته بنجحه له الاختبار قالت له «إنك تهته» .

ال الطبيعي أن معظم الأطفال سوف يتجلجون إذا قلت لهم «إنى أسجل لكم أحاديثكم» وخاصة إن هذا مهم جداً وبثباته تقييم لقدرتهم على التحدث . لهذا فإن رضا كان قلقاً كمعظم الأطفال ، وقد أساءت هذه المعلمة المبتدئة توجيه الطفل الذي

كان متهدلاً ليقاً. ولسوء الحظ أن رضا قد حفظ نصائح المعلمة عن ظهر قلب فقد قالت له : « تحدث بيضاء لكي تدرك أخطاءك وتحكم فيها ».

و قبل بلوغ الطفل عامه الخامس يجب أن تتركه يتهته، و ٩٩٪ من الأطفال سوف يجتازون هذه المرحلة ببساطة، ولكن هذا لا يعني أننا يجب إلا نتحدث إلى خبراء اللغة أو الأطباء النفسيين بخصوص ذلك، فمساعدة الطفل يجب أن تتم في مرحلة مبكرة لضمان نجاحها.

ولو أنه بعد العام الخامس وجد أن التهتهة مشكلة لازالت قائمة، وإذا كانت هذه المشكلة مرتبطة بالمواضف المخيفة والأحداث المحبطة أو كانت مرتبطة بحروف أو كلمات معينة فيجب استشارة الأخصائي النفسي في هذه الحالة.

أما آثار التهتهة فهي سيئة، كأن يشعر الطفل بعدم الطمأنينة في المدرسة أو لا يرغب في المشاركة في الأنشطة المدرسية ويتجنب التحدث إلى أي شخص منعاً للحرج. ونتيجة لذلك فهو يحرص على عدم تكوين صداقات وربما يكون محبطاً بصورة دائمة. وقد تزول هذه الآثار كلما كان علاج المشكلة سريعاً.

إن إجراءات العلاج التي أثبتت نجاحها في الجدول القادم، ورغم ورود هذه النتائج في كثير من البحوث إلا أنها يجب إلا نطلع عليها بمفردها ولا بد من تدخل الأخصائي النفسي لتوضيح هذه النتائج.

٤ - تأثير عملية الكلام :

العديد من الآباء يصبحون قلقين بشأن الفترة التي يجب أن يبدأ فيها طفلهم في الكلام. فالبعض يحاولون دفع أطفالهم للتتحدث مبكراً، لأن هذا بالطبع يعني لهم أن ابنهم يتمتع بالذكاء ويطلبون العون من الله إذا جاءت مرحلة الكلام عند طفلهم متأخرة فهذا يعني لهم أن طفلهم سيكون متخلفاً أو بليداً، وبالطبع هذه الفكرة خطأة. والجدول بعد القادر يوضح العديد من الأساسيات في تطور الكلام. ولكن في الحقيقة أن هذه الأساسيات نسبة نوعاً ما، وقد تظهر عند بعض الأطفال مبكراً وقد تظهر على البعض الآخر متأخرة وهذا لا يعني أن الطفل حاد الذكاء وبطئ الفهم.

يوضح العلاج الأكفر شيوعاً لمشكلة التهتهة

ويحدث عن طريق استرجاع حديث الفرد بالاستماع إليه عن طريق السماعات (الهاتفون) وبذلك يمكن سماع الجمل الصحيحة بسرعة بطيئة ويتفسير نطق كل كلمة فذلك يمكن أن يعالج التهتهة بطريقة سريعة.

فيتمكن للطفل أن يتحدث أثناء ضربات هذا الجهاز. وهذا الجهاز يمكن من خلاله إعطاء مقياس كامل لعدد التهتهات التي تصدر من الأفراد، ويفقس مقدار الطلق في التحدث.

يمكن تجنب التهتهة عندما يسأل الفرد أن يعيد قطعة مقرودة بواسطة فرد آخر. في هذه الحالة يمارس الحديث المطلق بطريقة طبيعية.

هذه العملية تعتبر عملية جديدة نوعاً ما. ولكنها متشرة في التعامل مع التهتهة فيجب تعليم الطفل ما هي المواقف التي تؤدي إلى تهتهته. وبذلك فسيحاول الطفل التغلب على هذه المواقف والتعامل بهدوء مع التوتر المؤدي إلى التهتهة. فمثلاً عليه أن يتوقف عن الكلام لمدة دقيقة ثم يلتقط أنفاسه ببطء وبعمق ويرتب الكلمات قبل النطق بها، معتملاً بالكلمات الأولى في الجمل. كما أن عليه أن يتحدث لفترات قصيرة. ويتدرّب على ذلك في مواقف مختلفة.

(١) تأخير الاستماع للكلام
المسترجع :

(٢) استخدام جهاز المترونوم
: Metronome

(٣) المتابعة :

(٤) التحكم الذاتي :

جدول (٣)

يوضع تطور الكلام من الطفل

<ul style="list-style-type: none"> * المناغاة - تعليم غالبية الأصوات المتحركة. * يمتلك ١٢ صوتاً - ويستخدم معظم الأصوات المتحركة وربما تقليد صوت أو صوتين. * يمتلك ٣ كلمات . ويستعمل ١٨ صوتاً أو أكثر ويكرر الأصوات، ويقلد بسهولة. * يمتلك من ٢٥ إلى ٣٠٠ كلمة. يستعمل ٢٢ صوتاً مختلفاً. ويستخدم حوالي ٧٥ كلمة في الساعة أثناء اللعب الحر، ويستعمل من ٢ : جمل مثل (أنا أريد الطعام) ويستخدم بعض الضمائر. * يستعمل ٩٠٠ كلمة في جمل بسيطة، يمكن أن يعيد رقمين أو ثلاثة من الذاكرة ويسأل أسئلة ويبدا في سرد قصص. * يستعمل ١٥٠٠ كلمة في جمل بمعدل ٥ كلمات في الجملة بمتوسط ٤٠٠ كلمة في الساعة، يعد إلى ٣ ويسمى الألوان، ينسج قصصاً خيالية، والأسئلة تبلغ ذروتها، ويعنى الأغاني، ويعيد الأرقام من الذاكرة. 	٦ - ٣ أشهر ٦ - ٩ أشهر ١٤ - ١٥ شهراً ٢٤ شهراً ٣٦ شهراً ٤٨ شهراً
---	---

٥ - تعريف عملية تأخير الكلام :

كل هذه العمليات التي يقابلها الطفل أقل أهمية من مشاهدة الاتجاه العام في التحسن في عملية الكلام. ففي أثناء الخمسة عشر شهراً الأولى يجب عليك ملاحظة الزيادة في كمية الكلمات أو الأصوات المختلفة التي يستخدمها الطفل وفيما بين ١٥ - ٤٨ شهراً يجب عليك أن تساعده في اتساع عدد الكلمات وفي

طول الجمل التي يستعملها. سواء استخدم ٢٥ كلمة أو ٢٥ كلمة في العامين الأولين من حياته. ولكن الذي يعنيها هو هل كلام الطفل يتحسن بمرور الوقت، هل هو يستخدم العديد والعديد من الأصوات من الكلمات أو يستخدم جملًا أطول، فإذا وجدت الطفل يتحسن تدريجيًا عندئذ يجب الا تقلق، فقط يمكن أن تقلق إلى حد ما عندما يطأء هذا التقدم أو يتوقف لفترة طويلة من الزمن، فيجب أن تهتم بهذا الشأن لاحتمال تأخر مرحلة الكلام.

ووجهة النظر في هذا الشأن أنه نادرًا ما يحدث تأخر في مرحلة الكلام عند الأطفال. فقد أثبتت الدراسات أن حوالي ٩٩,٨٪ من الأطفال لن يتعرضوا للتأخير في الكلام فحوالي اثنين من كل ألف طفل يتعرضون لذلك، وعادة الغالبية العظمى من الأطفال تتقدم بسرعة وإن تأخرت بعض الشهور ولكنهم سوف يتعلمون كيفية الكلام وسوف يصبحون طبيعين بشتى المقاييس.

١- متى يصبح التأخر في الكلام مشكلة :

بصفة عامة هناك ملحوظتان كبيرتان على تأخر مرحلة الكلام عند الطفل :

أولاً : العملية الأساسية توضح أن مشكلة تأخر الكلام يجب أن تناوش عندما يبدأ الطفل في استخدام الكلمات عامة، ولو أن الطفل لم يستخدم خمس كلمات على الأقل عندما يبلغ ٢٤ شهراً. فيجب أن يبدأ برنامج تعليم الكلام.

ثانياً : لو أن الطفل مر بعام آخر دون كلام، فيجب عليك استشارة المتخصصين، فالعديد من الأطفال يبدؤون في استخدام أول كلماتهم ما بين ١٤ و ١٥ شهراً. وفي سن ستين يستخدم الأطفال الكلمات بانتظام.

وعومماً : فإن بعض حالات تأخر الكلام تكون نادرة الحدوث، وغالبًا إذا بدأ الطفل في ترديد بعض الكلمات فسوف يتخبط العقبة الأولى وسوف يستمر في إحراز التقدم، وفي بعض الحالات قد تجد معدلات بطيئة من التقدم (على سبيل المثال عندما يكون هناك فقدان في السمع أو إعاقة أى خلل في المخ). أو قد يكون بسبب نقص في القدرات اللغوية، وعلى أى حال لو أن الطفل بلغ ١٢ شهراً بدون إحراز أى تقدم لغوی، فيجب اللجوء إلى الأخصائيين لطلب العون.

٧ - ماذا يجب عمله لجعل عملية الكلام عملية ناجحة تماماً :

إنه من المهم أن تعرف أن (الطفل الوحيد) الذى ليس له إخوة أو أخوات والذى يأخذ الكثير من اهتمام الكبار ويحثك بهم، كثيراً ما يصبح ماهراً في عملية الكلام.

وهناك بعض النماذج التي تعتبر بدون شك أشياء مهمة يمكن أن نزودك بها إن أفضل طريقة لتشجيع الطفل على الكلام هي التحدث الكثير معه أو أن تعطيه الفرصة لكي يتكلم، وبأصوات سهلة ومحفومة، ولكن نجد أن الطفل تحدث معظم الوقت بينما الآباء لا يستمعون إليه (فهم يقولون أشياء أخرى ويتحدثون إلى أفراد آخرين). وقد يقاطعون الطفل قبل استكمال حديثه. أو قد يعطونه إجابات غير كافية لاستئثاره، وذلك لأنهم قد يكونون ذاهبين إلى أماكن أخرى أو يفعلون أشياء أخرى، بالإضافة إلى أن الآباء قد يقدمون معظم الخدمات للطفل قبل أن يطلب ذلك. ربما لأنهم عادة ما يعلمون بما يفكر فيه الطفل أو ما يريدون (مثال : يقولون له أنت جائع)، أو قد يعلمون أنه يريد مساعدة (فيقولون : أنا سأساعدك). ولكن نتيجة ذلك لا تاتح لديه الفرصة ليتكلم ليحصل على ما يريد، فكلامه يتُجاهل، والفرص التي يستطيع فيها الحديث قليلة (فلا تكون هناك فرصة لممارسة الكلمات أو التركيبات اللغوية الجديدة).

فلو أننا بدلاً من ذلك استطعنا أن ندرِّبه على النقاش كل يوم، ونستمع إليه ونعطيه الفرصة لاستكمال حديثه، ونترك له الفرصة لالقاء الأسئلة، وننصل إلى ما يقوله الطفل، عندئذ سوف نمده بالكثير من الاهتمام لحديثه وإلى استخدامه نماذج جديدة من الكلمات، مما يعطيه الفرصة لممارسة التحدث والتدريب عليه. ويجب أن ندحِّل الطفل على أي نطق يصدر منه ونشجعه على وضع الكلمات في جمل، وبهذه الطريقة فإننا لأنقذنا دوافع مطمئنة فقط للطفل ولكننا نساعدُه أيضاً على التقدم في تشكيل وإخراج الجمل الجيدة.

ولو أن الطفل لم يستطع الكلام حتى عامه الثاني ففي هذه الحالة يمكن اعتبارها مشكلة، ولسوء الحظ فإن العديد من المتخصصين بالأطفال وعلماء النفس لم يتخذوا الموضوع بجدية، وقد يتأخرون في ضوء هذه الحالات، ولا يستطيعون أن

أخصى لك عدد الآباء الذين واجهوا هذه المشكلة وقد قيل لهم أن طفلهم لم يستطع تجنبها، وقد واجهوا التشخيص البشع بأن طفلهم سوف يكون معاً اجتماعياً وربما عقلياً.

والحقيقة لو أن علماء الكلام بدءوا في التعامل مع هذه المشكلة مبكراً فسوف يمكن للطفل أن يتقدم ويصل إلى المرحلة الطبيعية، ولكن لو تأخرنا عاماً بعد هذه السن فسوف تصبح المشكلة حقيقة ولن نستطيع التغلب عليها.

خامساً: الخوف

معظم الأطفال لهم مخاوف كثيرة، وحوالي ٤٣٪ من الآباء يهتمون بهذه المشكلة لأن أولادهم يعانون منها. ولكن نجد أن معظم هذه المخاوف تختفي وتتحل محلها مخاوف أخرى، وكلما كبر الطفل فإن خياله وتفكيره ينموا فتولد مخاوف أخرى جديدة، وتختفي غيرها، ويبقى البعض منها.

فكلما نما الطفل يكتشف أن الكلب يمكن أن بعض ويؤذى، أو يمكن أن يتشر في الظلام ويقع، أو أنه لا يمكن أن يتنفس تحت الماء، أو أنه يوجد مخلوق غريب بثلاثة عيون أو مصاص للدماء يأتي له في حلمه.

ويبدو هذا قريباً جداً من الحقيقة عند الأطفال الصغار، وعندما يزداد نعوهم أكثر يكتشفون مع ذلك أن الظلام لا يحضر الوحش ويزداد قربهم من الماء والحيوانات. وبيدأ الطفل في تحديداً يجب أن يخاف منه. وبما أن الخوف مشترك عند الأطفال نجد أن (الفوبيا Phobia) ليست كذلك وهي أكثر بكثير من الخوف، والطفولة الطبيعية تتغلب على الخوف بمرور الوقت، أما إذا استمر الخوف أو ازداد في القوة والرعب والهلع من ريشة تطير مثلاً فهذه هي الفوبيا، ومع أن الفوبيا تكون نادرة في الأطفال لكن متى تحدث لهم فهي ترك آثاراً جانبية. ومثال ذلك الطفل الذي يخاف من الماء ويرفض أن يشارك الأطفال ألعاب الماء بل ويرفض الاقتراب من حمام السباحة مما يجعله أصحوكة.

ومع ذلك (فالفوبيا) يسهل علاجها وخاصة في الأطفال الصغار ومثال ذلك الطفل الذي زادت عنده تلك المشكلة بسبب المستشفيات والأطباء، فعندما وصل الطفل عمر ثلاث سنوات كسرت قدمه. وفي المستشفى كان يجب أن يمدوا قدمه

باستقامه ليتأكدوا من سلامه العظام ثم تجبيسها وهكذا. كل هذا كان مفيداً في الأسابيع الأولى. وتقول الأم : ولا يمكن أن أنسى أول مابذلوا في مقدمه باستقامه. بعد أن رأته الممرضة في غرفة الطوارئ، أخذته وتقدمت به قبل جميع المرضى المتظرين منذ ساعات (وعلمت حياله أننا في مأزق)، وسألنا الطبيب أن نمسك بذراعيه لأسفل جيداً، وبدأ الطبيب يشد هنا ويضغط هناك بينما طفل يتنزق من الصراخ والآلم. وكت أعلم أنه لا يوجد أى فائدة من أن يرى الدموع والعقاب على وجه أبيه. و تستكمم الأم حديثها : ومنذ ذلك الوقت وهذا الطفل أصبح مريضاً بالفوبيا من المرضيات والأطباء والمستشفيات وغرف الطوارئ، وحتى هذه الملابس البيضاء. ولقد اعتقلاً أننا لن نستطيع أبداً التغلب على هذا وكنا متأكدين أن مثل هذه العملية سوف تترك آثاراً من الخوف والرعب في نفسه. ولكن هذا لم يحدث. وتلا ذلك كثير من العمليات وال العلاقات مع الأطباء خارج المستشفى مع اختفاء الخوف.

وبعد أربعة أشهر من خروجنا كان لابد من دخوله المستشفى مرة أخرى كرهاً. وذلك ليرى أمه وأخته المولودة الجديدة. ولكن عندما حان موعد عودتنا إلى المنزل كان في أشد الحزن لتركه أمه في هذه (المستشفى).

ولكنا وجدنا أن هذه الحالة أصبحت أزمة مع ضيق في النفس عند ذهابنا مرة أخرى لتلك المستشفى لدرجة أن اضطر الأطباء إلى إعطائه دواء ليساعده على التنفس.

١ - ما هو الخوف وما هي الفوبيا؟

إن الطفل بصفة عامة يكون خائفاً من أي شيء فييدى رد فعل انفعالي تجاهه ويحاول تجنبه. كل الأطفال تخاف من أشياء وظهور عليهم صور مختلفة من الخوف. الأطفال الرضع تظهر عليهم علامات فزع مثل أن يغمضوا أعينهم ويتصب قواهم وظهر لهم ويتحمل أن ييكوا وذلك عند سماع صوت عال أو رؤية ضوء مفاجئ. أما الأطفال الأكبر سنًا فيظهرون ذلك بالخجل والجبن أو البكاء والاختفاء وراء آبائهم.

مثل هذا الخوف يكون طبيعياً ولا خوف على الأطفال من المرور بمثل هذه التجارب حتى يفهموا هذه الأشياء التي تخيفهم، وهذا الخوف يتغير بمرور الوقت وكل خوف يجب أن يقلل من نفسه بالتدريج ويضمحل بمرور الوقت.

عند سن الثمانية أشهر يبدأ الخوف من الغرباء، ويظل هذا الخوف حتى يتم الطفل الثلاث سنوات، والطفل بعد هذا العمر إذا خاف من الغرباء ولا يتحدث إليهم ولا يقترب منهم مهما حاولنا في وجود أبيه فهنا تكون المشكلة.

وإذا زاد الخوف بمرور الوقت يجب علينا أن نتيقن أننا أمام مشكلة أما إذا زاد الخوف بصورة كبيرة يصل إلى درجة الهلع فتسميه هنا (فوبيا).

وقد يسمى الخوف (فوبيا) عندما يخاف الطفل من موقف معين لا يستدعي كل هذا الخوف أولاً يستحق خوفاً على الإطلاق، كأن يسير الطفل بعيداً عن طريقه بعمارتين ليتجنب المرور بجانب الكلب المربوط في الحديقة أو خلف السور. هذا طبعاً غير معقول، أما إذا كان الكلب يجرى وراءه وهو يظهر له أسنانه فهذا الموقف يستحق الخوف فعلاً.

كلنا نخاف ولكن معظم الناس لا يمثل الخوف لهم أى مشكلة، فكلنا نخاف من الشعابين، والطائرات، والارتفاعات والعقارات وهذا كله بالطبع خوف طبيعي ولا يتعارض مع حياتنا اليومية فيمكن للطفل أن يكون خائفاً من الشعابين لكن نادرًا ما يقابلها.

أحياناً يكون الخوف غير معقول، فالطفل يخاف من المدرسة جداً، ويرفض الذهاب ويجرى ويدعى المرض ويقف وحيداً داخل المدرسة، وهناك طفل يخاف من القذارة والجراثيم ويقضى وقته في الاغتسال بدلاً من اللعب. وهناك طفل يخاف من المرض.

وإذا كان الخوف يزداد سوءاً بدلاً من أن يقل بمرور الوقت فهنا نسمى هذا الخوف (فوبيا).

شيء طبيعي أن يكون الخوف داخل كل طفل. وقد تلقينا تقارير من الآباء نصفهم يشكوا من أن أطفالهم عندهم عدة أنواع من الخوف في مراحل الطفولة المبكرة وتستمر حتى سن 12 عاماً.

وفي مرحلة المهد (حتى سن ستة أشهر) يخاف الأطفال من أي صوت أو حركة مفاجئة. ثم بدءاً من 8 أشهر يتكون عند الأطفال الخوف من الناس، أما ما بين 9 إلى 24 شهراً فإن الخوف الشائع يكون فين بعد عن الآباء، أو الاختفاء بالملابس، وفي هذه السن يبدأ ازعاج الطفل من الحفاظات المبللة أو غير الناعمة، ويبدأ الآباء في وضعهم في الفراش بينما هم لم يناموا بعد. وما بين 24 - 48 شهراً يأتى خوف الأطفال من الأسماك التخيلية الوهمية أكبر من الأسماك. الواقعية.

ومن أكثر أنواع الخوف شيوعاً هو الظلام والمخلوقات الوهمية والكلاب والوحدة ولا تندهن إذا رأيت الطفل يتخيل نفسه ذا ثلاث عيون أو يأخذ شكل مخلوق متوحش.

وخلال السنة الخامسة أو السادسة فإن الخوف الشائع يكون من المدرس، والمرض، والنار، والرعد، والبرق، والحشرات والقدارة.

وهناك أنواع كثيرة من الخوف تختفى بسرعة، وهناك أنواع أخرى قد تظل مع الطفل. لذلك يجب العلاج غير الآجل. ويتم نجاح عملية التداخل والتعامل مع مصدر الخوف بعنایة في أكثر من ٨٠٪ من الأطفال المصابين بالفوبيا. وكانت نتيجة العلاج طيبة جداً.

٢ - لماذا تتطور هذه الأنواع من المخوف؟

التجارب السابقة التى قام بها Pavlov أوضحت أن معظم الطرق لهذا التطور من خلال الاقتران. فمثلاً إذا أعقبنا كل جرس يسمعه حيوان معين بصدمة كهربية، نجد أن الحيوان بعد فترة يفزع من صوت الجرس. وينفس الطريقة إذا دأب الآباء على ترك أطفالهم في الظلام فإن الطفل سيفزع بمجرد وضعه في الفراش لأن هذا مصحوب دائمًا بتركه وحيدًا في الظلام.

وهناك طرق أخرى لتطور حالات الخوف والفوبيا وبعضها يكون مزمناً. وكما نتعلم القيم والأدب والمثل العليا من الآباء والأصدقاء فيمكن أيضًا تعلم الخوف عن طريقهم. فتحن نرى ونسمع ونقرأ عن الحوادث السيئة التي تحدث في حمامات السباحة، فهناك من غرق أو أصيب أثناء اللعب، فالأطفال يرون ردود

أفعالنا تجاه هذه الأخبار ويلتقطون قلقنا من طريقة تحذيرنا الدائم لهم. فإذا رأى الطفل والدته تضع أصبع قدمها في الماء ثم ترجع وهي ترتعش من الخوف قائلة «مش ممكن» فلن يسعى الطفل أبداً بالقفز في الماء.

والمطلوب هنا :

أولاً : عدم مناقشة الحوادث المفزعة أمام الأطفال.

ثانياً : عدم إظهار الخوف أمامهم من أي شيء على قدر المستطاع.

٣- كيفية التعامل مع الخوف :

لكى نتعامل مع الخوف بالطريقة الصحيحة يجب أن نفرق بين نوعين من الخوف :

أولاً : أن هناك نوعاً من الخوف يكون عارضاً ووقتاً مثل الاستيقاظ على الكوابيس أثناء الليل.

ثانياً : الخوف الذى يؤرقنا ويستمر معنا، فإن الخوف الذى يستمر ويزداد مع نمو الطفل سيكون له أسوأ الأثر على الطفل.

ففى الحالة الأولى : الخوف وقتى : يجب أن يكون رد فعلنا مريحاً للغاية ومهدئاً لروح الطفل، فإذا خاف الطفل من الكوابيس أو العواصف فإن هذا الخوف سيمر بسلام، لكن السؤال هنا: ماذا يجب أن نفعل في هذه اللحظة؟ . فهذا ليس عذراً للأباء أن يقولوا هنا «سوف يفهم إذا تركناه وشأنه» ومع أن هذا يكون منطقياً لنا ويكون عكس ذلك بالنسبة للطفل فالطفل يكون خائفاً حقيقة. لذلك من الممكن أن نجلس مع الطفل ونحتضنه ونتكلم معه أو نقرأ له قصة مضحكة ومسلية.

أما النوع الآخر من الخوف فهناك أسلوب يتبع معه، يعتمد على تقسيم الخوف إلى أقسام والتغلب على كل جزء على حدة. فنبداً بأقل المواقف وأخفها فرعاً للطفل حتى نصل تدريجياً لأصعبها وأخطرها. وفي كل مرة نعطي العناية بالكلام والأحضان والتهذئة والتشجيع المستمر، فإذا كان الطفل عصبياً إلى حد ما وهو على بعد عشرة أقدام من حمام السباحة فإننا نتوقف هنا ونبداً في الكلام ثم

اللعبة بالعرائس واللعبة حتى نشعر تماماً أنه مستريح وفي حالة الطبيعية، ثم نكرر نفس ما حدث من تهيئة إذا شعرنا أنه بدأ في الخوف ثانية عندما نقترب خطوة أخرى، في اتجاه حمام السباحة وهكذا في كل خطوة. إن هذا سيأخذ مدة عشرين دقيقة للطفل لكي يسترجع هدوءه. لكن لابد ألا تقدم حتى يتم ذلك ولا بد أن نسرف في التشجيع خطوة بخطوة حتى نصل إلى حافة حمام السباحة، وهنا الخطوة الرئيسية، فنجلس على حافة الحمام وندعوه إلى ذلك فإن قاوم فلا نرغمه بل نشجعه بوضع أقدامنا في المياه ونضجحه، ثم نضع اللعب إلى آخره وخطوة بخطوة ننزل الحمام ونبدأ اللعب بالمياه ونظهر له استمتعنا بالمياه ونمسك به ليتزل، وهكذا يستطيع الطفل التغلب على خوفه الشديد تجاه المياه. وبالتالي يتحول الطفل من رفض تماماً لرؤيه حمام السباحة إلى طفل يتحرق شوقاً للذهاب إلى الحمام والاستمتاع بالسباحة.

سادساً : سلوك ضرب الرأس بالحائط أو إصابة الطفل لنفسه

Head-Banging and self-Injurious Behavior

قليل من الأشياء تدعوا للعجب، وأحياناً الخوف لكن ليس هناك أكثر من أن نرى طفلاً يضرب رأسه في الحائط عمداً، نعم إن هذا شائع عند الأطفال في مثل سنهم، ولكن هذا يختلف عند رؤيته يحدث لطفلك أمام عينيك، ومن المستحيل أن تصدق أن هذا يمكن أن يكون طبيعياً ولكنه في الحقيقة طبيعي، ومن الشائع أن يحدث مثل هذه الجروح لنفسه، ويحدث هذا في الستين الأولين من عمره ومع ذلك فإن ظهور هذا ليس فيه خطورة، ولكن يصعب أن يحدث ذلك أمام عينيك، وعند معظم الأطفال نجد أن هذا يختفي بمرور الوقت.

إن سلوك جرح الطفل لنفسه لا يعني بالضرورة أن يؤذى الطفل نفسه، ولكن في الحقيقة إن هذا نادراً ما يسبب أضراراً، ولكن قد يؤذى نفسه بالفعل إذا فعل ذلك بكثرة، والشيء المؤسف في هذا السلوك للطفل نحسه أكثر عندما يصدم رأسه في زاوية المكتب أو سور السلم أو الحائط أو الأرض أو في ظهر كرسي خشبي أو ذراعه، أو أن بعض إحدى شفتيه أو يكسر إحدى أسنانه، ويعض لسانه مما قد يسبب له الالتهابات والإصابات.

وبالنسبة للأطفال حتى 18 شهراً فهذا يتكرر كثيراً وبتصميم قليل، أما الأطفال من ستين إلى 6 سنوات فقد يسبب هذا السلوك لهم مشاكل كبيرة، وهذا يحتاج للرعاية والاهتمام.

وغالباً ما يظهر السلوك عند سن 12 شهراً، ويظل حتى سن ستين، فقد يمكن أن يستمر هذا لأيام، أو لأسابيع، أو شهور، أو حتى سنة أو ستين، فلا توجد قاعدة ثابتة له.

إن عملية كسر الأسنان تكون لدى ما نسبته ٥٦٪ من الأطفال، أما خط الرأس أو العض أو الخريشة أو شد الشعر فهذا يحدث بنسبة تتراوح بين ٣٪ إلى ١٥٪ تحت سن ستين، وهذا يكون للذكور أكثر من الإناث ثلاثة أو أربع مرات، وعموماً فإن هناك فرصة كبيرة لحدوث هذا السلوك للطفل الطبيعي. وفي نفس الوقت إنه من النادر جداً أن يسبب هذا السلوك أي جروح أو أذى للطفل تحت سن ستين، وأن هذا يقل بالفعل حتى يتلاشى.

إن هذا السلوك يبدأ في هذه السن الصغيرة ليكون ما يسمى بـ «الإثارة الذاتية Self-Stimulation» وهذا يعني أن الطفل يشير نفسه ليفعل شيئاً أو يشعر بشيء يريد أن يكتشفه. ثم إن ضرب الرأس في الحائط يُشعّ هذه الرغبة القوية لديه، وذلك بالنسبة للحركة نفسها التي دائمًا ما تكون منتظمة وتعطى شعوراً بالسعادة لما يسمعه الطفل من أصوات تناول ما يقوم بفعله.

بينما هذا الصوت قد يعطي شعوراً بالقلق غير مرغوب فيه لى ولك ، لكن يجب أن نتذكر أننا نتحدث عن طفل لا يستطيع أن يكتشف البيئة المحيطة به عند تركه بمفرده فى فراشه ، فهناك وقت محدد للفراش أو لتركه بمفرده أثناء الليل . وبعد أن يمل الأطفال مص الأصابع والرفس بالأرجل ومتابعة الأشياء المتحركة فإنهم سيقدمون على فعل آخر كضرب الرأس في الحائط أو الخربشة والعض .

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأطفال نادراً ما يقومون بضرب رأسهم عندما يحملهم أحد أو يلعب معهم، إن ضرب الرأس في الحائط ليس صفة حميدة ولكن يبدو أنه شيء اعتاد الأطفال فعله عندما لا يجدون أي شيء آخر يفعلونه. وفي الحقيقة أن هذا السلوك لا يحدث بالدرجة الكافية التي قد تؤدي إلى الأذى، أما

السبب الثاني لهذا السلوك فهو جذب الانتباه. فإنه قد يحدث أولاً بمحض الصدفة أو كجزء من انفعالات الغضب. وعندما يكون الطفل في حالة من الضيق أو الجوع فيقوم بضرب يديه أو رأسه في ظهر الكرسي، ولكن ماذا يحدث بعد ذلك؟ الأم ستسرع بإحضار الطعام ومحاولة التهدئة والتحدث برفق لتهديه من روعه فسرعان ما يتعلم الطفل أن هناك شيئاً جميلاً يحدث بعد ضرب رأسه، فإن ذلك يجعل من حوله يسرعون إليه، يتحدثون معه ويلعبون معه ويحتضنونه، ونتيجة ذلك أن الطفل قد يكرر هذا الفعل عندما يتأخر عليه الطعام أو عندما لا يجد من يحتضنه.

١ - متى تكون المشكلة؟

هناك على الأقل ٣ مواقف تحتاج إلى تدخل مع العلم أنهم نادراً ما تحدث:

- ١ - إذا استمر هذا السلوك بعد سن ستين.
- ٢ - أن يستخدم هذا السلوك كلما أراد الطفل شيئاً في نفس اللحظة (الطعام - اللعب ... إلخ).
- ٣ - عندما يكون هناك خطر على الطفل في أي سن أو في أي وقت، و مع ذلك فإن حدوث هذا لا يستدعي القلق خلال أول ستين من العمر.

٢ - ما يجب أن نفعله :

إن رد فعلنا يجب أن يختلف تجاه هذه الحوادث، ففي حالة جرح الطفل نفسه بشكل منتظم من سن ٤ إلى ١٨ شهراً فإن هناك طريقتين من الاحتياطيات يمكن أن تبعهما :

الأولى : نحمي الطفل من الأذى أو الخطر بحشو المقاعد والأسرة الصلبة ببطانة تتصب الصدمات، وبالنسبة للخربشة فنحرص على قص الأظافر دائمًا أو نلبسه قبعة على رأسه في حالة شد الشعر.

الثانية : أن نحاول التقرب إلى الطفل دائمًا بحمله أو احتضانه أو النوم بجانبه أو هزه لينام حيث إن هذه العادة تتوقف تماماً بهذا التقرب.

وإذا كان الطفل يضرب رأسه بغرض الانتباه أو لتنفيذ طلباته فإن ذلك يسبب مشكلة إلى حد ما في حالة عدم توقف ذلك، وقد يستمر الطفل في استخدامه

ليحصل على كل ما يريد (حلوى، لعب ... إلخ) و يتعد عن كل مالا يريد (النظافة - الذهاب إلى الفراش - تعاطي الدواء ... إلخ). إن هذا يحدث غالباً بعد سن 18 شهراً لكن لابد أن يتوقف، وكلما كان أسرع كان أفضل.

كيف نستطيع أن نقول أن هذا نوع من التظاهر؟ هناك الكثير لكي نقوله، فإذا حدث هذا كجزء من الغضب فإن ذلك يكون مصحوباً بالرفس والصياح والسقوط على الأرض، وهذا عادة ما يكون ظاهراً ومتيناً. وإذا كنت تعلم أن الطفل يريد شيئاً كالطعام أو اللعب أو ما شابه ذلك فإن هذا من الخداع أيضاً، وإذا حدث هذا فقط عندما تترك الحجرة (وهذا يزعجه جداً) وعندما يقطع العمل المتع الذي كان يفعله، أو عندما لا يستطيع أن يحصل على ما يريد، فكل هذا يعتبر من قبل التظاهر. فإذا كثر حدوث ذلك وصاحبها صياح وصوت عال وبكاء فإن هذا يعتبر متيناً أيضاً (تذكر أن الإثارة الذاتية لا يصحبها أى بكاء أو صياح أو غضب، ولكنها تحدث بانتظام وبتكرار وبهدوء).

إنه من الشائع بين الأطفال أن يحاولوا إصابة أنفسهم ليحصلوا على ما يريدون، حتى ما بعد سن الستين، ويكون هذا مؤقتاً فعلاً إذا تعاملنا معه بالطريقة الصحيحة، ولكنه يكون مفزواً، فأحد الأطفال في سن 3 سنوات بدأ في ضرب رأسه بشدة للخلف في شيء وكان هذا هو المقدد واعتقدنا أنه ربما أن يكون نوعاً من اللعب ولكن بعد ذلك بدأ يضرب رأسه في الحائط ثم الأرض ويفعل ذلك عندما يغضب أو عندما يريد أياً من أبويه يلعب معه. وبتحليل نتائج البحوث حول كيفية التعامل مع هذا النوع من السلوك فقد أكدت جميعها نفس المفاهيم.

أولاً : أن خطورة هذا السلوك لا يمكن أن يكون سبباً في تلية رغبة الطفل.

ثانياً : أن الطفل يجب أن يتعلم الطرق السليمة لكي يحصل على ما يريد.

ثالثاً : يجب أن نعمل مجهزاً خاصاً لكي نشيع نشاط الطفل باللعب معه وتعليمه ألعاباً جديدة ونقرأ له القصص، وأن نقضى معه وقتاً أكبر نشره فيه بالمتعة، فإذا حدث هذا بتركيز واهتمام فإننا سوف نقلل من حدوث هذا السلوك.

إن الباحثين قد أضافوا بعضاً من العقاب إلى الخطة، وقد أثبتت هذا نجاحه (مع حدوثه في نفس الوقت الخطأ) والآن نعود إلى حديث خطوات التعامل مع أذى الطفل لنفسه بقليل من التفصيل.

إنه لشيء أساسى أن يتعلم الطفل أن ضربه لرأسه أو عضه ذراعه لن يفيده فى شيء، وإذا قمت بتلبية رغبته إذا فعل ذلك فسوف يتعلم أن هذه الطريقة فعالة للحصول على ما يريد، وإذا استسلمنا لسلوكه يزداد الأمر سوءاً ونجعل من الصعب علاجه فيما بعد، وكما ناقشنا من قبل أن المهم هو أن نعرف لماذا يفعل الطفل ذلك لتخالص منه، فإذا كان يريد لعبة يلعب بها أو أحد والديه يلعب معه، أو قطعة حلوى، أو مشاهدة التلفزيون، فوضع أيدينا على المشكلة يساعدنا في تعليميه الطريقة الصحيحة لطلبها ولاحاول ذلك بعد حدوث هذا السلوك مباشرة (لكى لا يعتقد أنه في النهاية أيضأً يستخدمه العض أو الخبط سيحصل على ما يريد) ولكن بعدها بحوالى 15 دقيقة نأخذه إلى حجرته ونعلمه أن يقول : «اللعبة من فضلك» وعندما يفعل ذلك نعطيها له (وهكذا بالنسبة للتلفزيون والحلوى)، وتتكرر العملية لأيام عديدة، والغرض هنا طبعاً تعليميه طرق التغيير عن رغبته، ولا ننسى أن نعطيه ما يريد فى كل مرة كى نجعله يشعر بتجاهه فى ذلك، وعندما يعتاد على عمل ذلك بلطف وأدب تتوقف عن تلبية رغباته، فمثلاً إذا أراد الطفل قطعة من الحلوى قبل الغذاء فنقول له : «حاضر ولكن بعد الغذاء» إنه الآن لم يقابل بالرفض ولكنه كوفئ بدبليوماسيه قد يرحب بها كثير من الأطفال حتى لو رفض طلبه .

والشيء الثالث المهم فى هذا الموضوع هو إشباعنا لطاقة الطفل ونشاطه عندما لا يفعل هذا الفعل السئ، إن ذلك سيساعدنا لأسباب عديدة. منها إذا كان عندنا كثير من الألعاب المسلية فسيقلل ذلك من هذا السلوك ربما يمنعه تماماً لأن وقت اللعب والترفيه ينتهي إذا حدث الضرب للرأس أو شد للشعر أو خربشة فى نفس الوقت، وإذا كان هناك ما يشغله ويسلى به وقته كالألعاب أو الأصدقاء أو والديه. فلن يكون هناك سبب لكى يلتجأ إلى هذا السلوك والتخالص منه سيكون أكثر سهولة، وفي الحالات النادرة عندما يؤذى الطفل نفسه بالفعل أو لم تفلح معه الطرق السابقة لتغيير هذا السلوك فإننا نضيف قليلاً من التعديل إلى الخطوة، وكما ناقشنا من قبل الصواب والخطأ فى كيفية العقاب، كمثال أن التوبيخ القاسى قد يستخدم بجذب الطفل من كلتا ذراعيه والحملقة فى عينيه وجعل وجهك ملاصقاً لوجهه وفي منتهى الصرامة قائلاً بكل حزم «لا» وربما تضيف صفعة على يديه فى حالة عض اليدين أو إصابة نفسه .

٣ – متى نطلب المساعدة؟

إذا لم ينته هذا السلوك بعد سن الستين وحتى بعد استخدام العقاب فللاسف لن يكون أمامك إلا استشارة أخصائى نفسى ، قد يمكن مناقشة نظامك ومشكلتك معه . وما الخطأ وما الصواب الذى يحدث فى الخطة التى تتبعها وأفضل أن يكون الأخصائى من المتخصصين فى الأطفال .

سابعاً : سلوك عدم الطاعة والاعتراض

Noncompliance and Oppostional Behavior

إننى لا أستطيع أن أتخيل أن هناك شيئاً يعكر الوالدين ويضايقهم أكثر من عدم طاعة أطفالهم لهم ، «خالد انتظر لحظة .. حبيبي خالد إنتظر .. خالد إنتظر عندك .. إنتظر حالا .. تعال هنا الآن».

ومع الأمر الثالث تقريراً تبدأ الأم في الانفعال والتحرك ، ومع الأمر السادس تركض وراء طفلها الذى قارب على أن يختفى قائلة «هذه المرة سوف أقتله» هذا القول يبدو مألوفاً لأنه يحدث لكل منا (ولكنه غير مقبول) والطفولة مليئة بالطباخ العادية وغير العادية .

تعد طاعة الطفل هي المطلب الرئيسي للأباء ، فمعظم شكاوى الآباء تدور حول عدم طاعة أطفالهم لهم ، والفرصة هنا جيدة لكي نعلم أنه عند نقطة معينة ستتصبح مشكلتك أنت أيضاً ، فالأطفال يتعلمون كيف يمارسون هذه المهارة التي تحرّك الناس خلفهم وتأثير عليهم ومدى تأثير ذلك ، ومعرفة إلى أي مدى يجب أن يفعلوه ، وتلك هي طبيعة الأطفال .. وإذا لم يكن هناك مفر من عدم الطاعة فيجب ألا نرغم الطفل على ذلك ، فلا يستحب أن يطيع الطفل معظم الوقت لأننا بتقليل نسبة عدم طاعته قد نجعله مطيناً لأى شخص (حتى الغريب) ومنفذًا لجميع الأوامر الصادرة له (حتى من هم في مثل سنه) . إننا لا يجب أن نتمادي في إرغام الطفل على الطاعة باستمرار ، فقليل من عدم الطاعة يجب أن يحدث ولكن لا بد أن يحتفظ الآباء بحقهم في طاعة الطفل لهم إذا احتاجوا ذلك .

وإذا كانت الطاعة تعنى أن يفعل الطفل ما يُطلب منه وعدم الطاعة تعنى عدم فعله ذلك يبقى الأمر أكثر تعقيدا عند التدخل الخاطئ. إننا نريد أن يبدأ الطفل في التنفيذ بعد فترة معقولة، من ٢٠ إلى ١٠ ثانية مثلاً ليس بعد ساعتين . كما أننا نفضل أن يكون الأمر مرة واحدة فقط، وبعض الآباء يتوقعون الاستجابة في جميع المواقف كالطلبات، الأوامر، الأسئلة، الاقتراحات والتعليمات.

إن هذا سيكون غير منطقي حدوثه، ومع ذلك فإننا يجب أن نحصل على استجابة كاملة (١٠٠٪) للأوامر فلن تصبح أوامر إلا لأهميتها القصوى. ثم أننا يمكن أن نجعل بعضًا من عدم الطاعة (حرية رأي) في حالة الاقتراحات مثل. «مارأيك لو لعبنا بالماكعبات» أو الأسئلة هل تريد أن تأكل الآن؟ أو في حالة الطلبات «يمكن أن تحضر لي ساعتي من فضلك؟».

إذن فالغالاة في إجبار الطفل على الاستجابة لهذه الرغبات ليس في مصلحة الطفل وإنما في مصلحة الآباء فقط، وقد يؤثر على الطفل فيما بعد.

والملاحظة الأخيرة أننا نذكر الفرق بين عدم الطاعة والاعتراض لأنهما في الحقيقة متشابهان جداً ويتم التعامل معهما بنفس الطريقة، فقط الاختلاف الوحيد هو أن عدم الطاعة عبارة عن عدم تنفيذ الطفل لطلباتك، أما السلوك الاعتراضي أكثر تطرفًا فهو لن يقوم برفض طلباتك وإنما قد يقوم بعض أنفك أيضًا أو عمل عكس ما قد تطلب منه، إذن فالاعتراض هو حالة متطرفة من حالات عدم الطاعة.

لقد وجد أن المعدل الطبيعي للطاعة من ٠.٦٠٪ إلى ٠.٨٪ (ولذلك فإن عدم الطاعة يكون معدله من ٠.٢٠٪ إلى ٠.٤٪) ولم تجد الدراسات أي اختلاف بين الأولاد والبنات، ولم يوجد أيضًا أي اختلاف بين الآباء والأمهات تجاه عدم الطاعة.

إن الطاعة يجب أن تزداد بعد سن الخامسة إلى النقطة التي عندها يصبح عدم الطاعة ليس ذات أهمية . وبينما مستوى الطاعة خلال السنوات الثلاث الأولى من العمر لا يدل على ماسوف يحدث في السنوات التالية لكن الطاعة في سن

الثالثة إلى السادسة وجد أنها تتعلق بالطاعة فيما بعد (أى من السادسة حتى الأربعين) وإضافة إلى ذلك فإن زيادة مستوى عدم الطاعة من الثالثة حتى السادسة يعتبر من المشاكل السلوكية التي تؤثر على الطفل فيما بعد.

لقد توصلت الدراسات إلى أن هناك علاقة بين عدم الطاعة وبقية المشاكل السلوكية الأخرى، ومثال على ذلك فإن زيادة عدم الطاعة دائمًا ماتكون مصحوبة بالغضب والبكاء.

والآباء لا يثنون على الأطفال عند طاعتهم والسبة التي تفعل ذلك لا تزيد عن ٣٪. بعض الآباء يتوقفون مجرد الطاعة من أطفالهم، وإن ذلك لا يستحق أى ثناء خاص، أما البعض الآخر فلا يلاحظون تلك الطاعة بين كل هذا الكم من التعليمات الموجهة لأطفالهم خلال اليوم أو حتى لم يخطر على بالهم مجرد الثناء عليهم.

وفي معظم الأحيان تزداد الطاعة بالرغم من غياب الثناء، ولكن وجد أنه يجب على الآباء أن يستخدموا أسلوب الثناء على أطفالهم عند حدوث الطاعة مع أنه في بعض الأحيان تقل الطاعة عند استخدام الآباء للثناء الزائد عن قيمة مطلب تنفيذه.

وبعض الآباء لا يمهلون أطفالهم لكي يطعوا ولا يساعدونهم في ذلك عند إصدارهم الأوامر أو خلال ثوان من الأمر فهذا خطأ. لأن ذلك يعلم الطفل أن هناك شخصاً سوف ينفذ الأمر بدلاً منه، والبعض الآخر من الآباء يستخدمون الصياغ أو الغضب أو التهديد مع الأوامر ليحصلوا على الطاعة. وقد يصاحب ذلك عدد أكبر من الأوامر مما يؤدي إلى زيادة عدم الطاعة وسلبية في رد الفعل.

وفي النهاية نجد أن الآباء غالباً ما يتحملون أو يتسامرون مع عدم الطاعة حتى سن الخامسة لذلك نجد أنه بعد سن الخامسة يصبح الآباء أكثر صرامة، ربما لأن سن دخول المدرسة قد حان وتكون الأوامر والتعليمات المعقدة والكثيرة التي يجب أن يبدأ بها في المنزل. فلا يوجد شيء يجعل رفاق الطفل والمدرس ينفرون منه أكثر من عدم الطاعة وعدم التعاون والمشاركة.

ومع كل ماقيل يبقى سؤال هام، لماذا لا يستجيب الأطفال بصفة دائمة؟ إن هذا بالطبع سوف يقلل من قدر الاحترام والاهتمام والثناء عليهم من الأب والأم، وعدم الطاعة عادة ماتقدّهم بالمساعدة. إن الإجابة هنا بسيطة جداً فعند معظم الأطفال روابط معينة تربطهم بوالديهم، والأطفال يتّعلمون أنه من المهم أن ينتصروا والآباء بالفطرة يعتادون ويشتّون على تحقيقهم ذلك، ويبداً هذا من اليوم الذي تطعم فيه الأم ابنها الجائع. والأبناء يتّعلمون بسرعة أن تفيذ رغباتهم يكون عن طريق آباءهم ويعتمدون عليهم في كل شيء، وبالتالي فليس من الحكمة أن يجعلوا آباءهم في حالة من الضيق والغضب منهم ولكن هذا يحدث بطريقة أوتوماتيكية حيث يهتم الآباء ويعتنون بأبنائهم وفي المقابل ينصلّت الابن ويتّعاون مع أبيه وهذا يدفعنا إلى أن نربط بين عدم الطاعة وبين التغيير في رد فعل الآباء أيضاً.

١ - عدم استجابة الأطفال :

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لعدم استجابة الطفل :

أولاً : إذا كانوا يحبون مايفعلون ومنهمكين في الاستمتعاب به، ففي هذه اللحظة سوف يرفضون أن يقاطعهم أحد (مثال : عندما أنا دى على الطفل «هيا إلى الغذاء» وهو مستغرق في اللعب مع أصدقائه).

ثانياً : ربما كان الطفل لا يحب مايطلب منه أن يفعله كالذهاب إلى الدكتور أو عيادة الأسنان أو الحمام أو النوم أو أخذ الدواء. كل هذه الأشياء مطالب شائعة يرفض الأطفال عامة الاستجابة لها.

ثالثاً : أن يرى الطفل أعلى رد فعل من أبيه أو أمه لكي يستمتع بالنظر إلى عيونهم يتّطابر منها الشرر، ويستمع إلى صوت الضغط على أسنانهم ومراقبتهم في هذه الحالة من الضيق والغضب فقد يعطي هذا للطفل تعبيراً عن الاهتمام به.

إنه لمن الطبيعي ألا يستجيب الطفل في اللحظة التي يسعد فيها ب اللعبة فقد يصل به الأمر إلى درجة من الغيظ أن يقول أبواه «هذا هو وقت الطعام اذهب إلى المائدة» فمن الطبيعي عندئذ أن يهمل الطفل هذا الأمر ويترّد ليرى ما سيحدث قائلاً : «أرجوك دقة واحدة» أو «كلا أنا أريد اللعب» أو يكون ذهابه إلى المائدة

مصحوباً بالبكاء والصياح والرفس، فقد أصبح الآن تفضيل اللعب على الطعام هو مبعث السعادة لدى الأطفال، وسنبحث فيما بعد كيفية علاج ذلك.

إن لعدم الطاعة إستراتيجية واحدة ليست أكثر ولا أقل، فإذا نجحت فسوف تستخدم بكثرة ويزداد ما يصاحبها من الغضب والصياح والبكاء. والأدهى من ذلك هو أسباب عدم طاعة الطفل «أنا لست جائعاً» «أنا انتهي من الإفطار متأخراً» «أنا لا أستطيع أن أخرج في الشمس فهي تصايبني» كل هذه الأسباب التي يقولها الطفل قد تجعلنا متربدين وفي حيرة ونتساءل إذا كان نفعل الشيء الصحيح أم لا.

ومع ذلك فقد أوضح لنا باحث كبير هو Gerald Patterson أن الطفل يتعلم كيف يصبح أكثر اعترافاً وسلبية بغرض إيقاف أوامر والديه. والآباء بدورهم يصبحون أكثر إجباراً وتهديداً للطفل في محاولة للقضاء على هذه السلبية ومن ثم فإن الطفل قد يزيد من صياغه لتقليل هذه الأوامر من قبل والديه.

وإذا استسلم الآباء فإن الأطفال سرعان ما يتعلمون أنه بالتصميم على ما يفعلون تجاه المزيد من الأوامر - حتى عند استخدام العنف - فسيكون الفوز من نصيبيهم. أما الآباء فقد يقعون بسهولة فريسة لهذه الحيل، وباختصار فإن عدم الاستجابة أمر طبيعي ومتوقع حدوثه بأكثر من شكل ويصاحبه تصرفات عديدة كالاعتراض والبكاء والغضب .. إلخ.

وليس المهم حدوث ذلك أم لا، ولكن المهم هو طول المدة التي يستمر الطفل خلالها في اتباع تلك الإستراتيجية بنجاح للحصول على ما يريد.

٤ - متى يكون ذلك مشكلة؟

بالنسبة للستين الأولين من عمر الطفل فإن القلق لا يساور علماء النفس أما من سن الثالثة إلى السادسة فقد يصبح عدم الطاعة مشكلة إلى حدماً، لأن الطفل يستخدم طريقته ويعتاد عليها فربما يحصل على المزيد من الاهتمام ورد الفعل المناسب.

هناك موقفان خلال الفترة من الثالثة إلى السادسة يظهر فيها بوضوح مشكلة عدم الطاعة: الموقف الأول هو أن حدوث الطاعة عند الطفل يكون بنسبة ٦٠٪ إلى ٨٠٪ من الوقت فإذا كانت الاستجابة أقل من ذلك فيتحتم علينا فعل شيء.

والموقف الثاني أننا يجب أن نؤكد على الطاعة لأوامرنا، ولا يشترط ذلك في الطلبات والاقتراحات أو الأسئلة، لأنه إذا لم ينصت الطفل في حالة الضرورة أو الخطر فيجب أن نعلمه ذلك.

٣- تعليم الطاعة :

عامة نحن بقصد تعليم ثلاثة أشياء:

أولاً: الاستجابة المصحوبة بالتقدير والمكافأة والثناء.

ثانياً : عدم الطاعة ليست مشكلة.

ثالثاً: في حالة الأوامر يجب أن يستجيب الطفل دائماً بدون تفكير.

وأيضاً سوف نلقى النظر على سلوكنا الخاص، فيجب أن يكون الأمر ملزماً ولا نستخدم الأسئلة والاقتراحات بين وقت وأخر عندما لا يكون ذلك واجب التنفيذ. سوف نلقى الضوء بعناية على مانصدره من أوامر وتعليمات، هل نكثر من إصدارها؟ هل بعض مانأمر به لا يهمنا إذا لم يستجب الطفل له، وماذا كنا نعني من صدوره؟ هل نقوم بكثير من التصرفات السلبية مع ذلك - الغضب - الصياح .. إلخ. أو نعيدي تكرار الأمر مرات عديدة؟ إذا كان هذا يحدث فتحن ببساطة يجب علينا الحد من ذلك فسوف لن يفيينا على أي حال. وباختصار لا يجب أن نقوم بإصدار الأوامر إذا لم يكن إصدارها مهماً بدرجة كافية وإذا لم تهتم باستجابة الطفل للأمر فهذا سوف يكون تحت مسمى السؤال وليس الأمر.

مثلاً: هل تود أن تأكل الآن؟ بدلاً من «اذهب إلى المنضدة لتأكل» و«هل تحب أن تخرج معنا» بدلاً من «ارتدي لتخرج الآن» وهنا ندع للطفل الفرصة ليقول نعم أو لا.

والآن وبعد أن تعرضاً للأوامر ستعرض معاً للطرق التي يجب أن تتبعها لكي نعطي الطفل حرية الاختيار كلما أمكن ذلك، لأن هذا سوف يساعد على الاستعداد للتغيير في الأسلوب بين الاختيار والأمر، فبدلاً من أن نقول «حان وقت الغذاء اذهب لتأكل» يمكن أن تكون «هل تريدين أن تأكل الآن أم بعد خمس دقائق؟ حسناً . فلنجعلها الساعة التاسعة» وعندما تدق الساعة التاسعة «الساعة

الآن التاسعة اذهب إلى المنضدة» إذا لم يستجب لهذا الأمر فيجب إعطاؤه إنذارا واحدا (واحدا فقط) . «إذا لم تذهب إلى السرير الآن ستحرم من قصة قبل النوم ، والآن سوف أعد واحد - اثنين - ثلاثة» إذا لم يتراجع الطفل ويستجيب يتم حمله إلى الحجرة بدون نقاش وبدون قصص ويلقى في الفراش .

إنك بدون شك عندما تحمله إلى الفراش سوف تقابل بعاصفة من الرفس والصياح ثم البكاء بشدة ، وهذا سوف يحطم قلوبنا ونحن نسمعه ولكن الأمر الذي نعطيه أهم من هذا (وإلا ما كان يجب أن نفعله أساسا) .

هناك أمور فرعية هامة تتعلق بهذا الموضوع :

أولا : لقد أنذرناه وهذا الإنذار مهم جدا فربما يتبع عنه استجابته مسبقة بدون الحاجة للبكاء والرفس والصياح ، إنه يواجه الطفل بالحقيقة التي ستنتهي به في النهاية إلى فعل شيء كما يريد أبواه . إذن وبعد حمله مرات قليلة إلى الفراش رغمما عنه سوف لا يكون عليك إلا أن تعدد فقط «واحد - اثنين» لتجد الطفل يترك مافي يديه وينفذ المطلوب .

أما الأمر الثاني المهم في هذا الشأن فهو حمل الطفل إلى حجرة النوم (ثم يتبع ذلك إلقاءه في الفراش) هذا أساسى لأنه سيتعلم أنه لن يجدى أى سلوك اعترافى لكي يؤخر أو يمنع الأمر من التنفيذ . فإذا حان وقت الذهاب إلى المدرسة فإننا نلبسه الجاكيت المدرسى ونأخذه من يده (أو حمله إذا استدعاى الأمر) فيؤخذ الطفل إلى السيارة . وإذا كان هذا هو وقت الطعام فيؤخذ الطفل إلى المنضدة ويظل هناك حتى يأكل أى شيء (لاحظ أن شهية الطفل تقل عندما يكون غضبان) لكن على الأقل يجب أن يأكل أى شيء لمجرد تعليمه أن الاعتراض لن يخدم غرضه بالامتناع عن الأكل .

الأمر الثالث المتعلق بهذا المثل هو أن تقول للطفل إنك لن تقرأ له قصة قبل النوم إذا لم يذهب إلى الفراش . إن الطفل يجب أن يتعلم أن هناك ثمنا يدفع لعدم استجابته ولكن لابد أن يكون هذا الشمن حقيقيا فإذا لم تكن قراءة قصص قبل النوم جزءا من الروتين الذى يتبع عند الذهاب للنوم فسوف لا يشكل هذا خسارة للطفل أن يفقدها ، وفي هذه الحالة يجب البحث عن ثمن آخر ، مثلاً لـن ينام الدب البني المفضل لديه بجواره أو أى لعبة يحبها .

إن الأنواع الأخرى من عدم الاستجابة تعامل بنفس الطريقة . إن ابني يفرغ الصندوق تلو الآخر من اللعب على الأرض ولا يتعب نفسه بتنظيف المكان . فنحن نطلب منه أن ينظف مكان الصندوق الأول قبل أن يبدأ باللعب بالصندوق الآخر . بالطبع لن نلجم لأن نقول أننا سنحرمه من قصة قبل النوم لأن ذلك سيكون معيناً ومتأمراً جداً . فنحن نريد شيئاً لحظياً سريعاً فيمكن أن نقول له : «إذا لم تلم المكعبات فلن تلعب بالبلي» فلنفعل ذلك مرتين أو ثلاثة وفي كل مرة نصر على تنظيف المكان أولاً ولا مانع لو أنها قمنا بمساعدته أو نأخذ منه كل اللعب لمدة عشر دقائق لكي يتتأكد من جدية هذا التهديد .

عند حدوث عدم الاستجابة فليس هناك وقت للشرح والتهذية أو حتى المناقشة فإن الطفل يريد ذلك بغض زباده في الاهتمام والانتباه له بأي طريقة لكن الرسالة الموجهة له يجب أن تكون واضحة وصريحة .

شيء آخر حول التعامل مع عدم الطاعة : إننا يجب أن نبذل مجهوداً خاصاً للثبات على الطفل وتشجيع روح التعاون عنده . فمن السهل أن نعتقد أنه لا بد أن يفعل ذلك . فلماذا لا أكون ممتناً له ، هذا الاعتقاد لن يجدي ، حتى الآباء الذين اعتادوا على أن يثنوا على أطفالهم بشدة عندما يفعلون أي شيء جيد ، فهم لا يلاحظون ذلك . ومن الإحصائيات كما أشرنا وجد أن الآباء الذين يثنون على أطفالهم عند الطاعة تبلغ نسبتهم ٣٪ .

إذن أول ما يجب أن نفعله هو زيادة هذه النسبة إلى ٩٠٪ أو ١٠٠٪ والسبب بسيط ، وهو أنه لا يوجد حافز للطفل على الاستجابة أكثر من أن تحمله في حب وتقول له «برافو عليك يا حبيبي إنني فخور بك فعلاً» ، وليس بالإندار فقط لنجعل الرسالة الموجهة له هي ترغيبه في عمل ما وليس ترهيبه .

٤ - الإفراط في الطاعة من جانب الطفل :

يبينما يكون عدم الطاعة من الأشياء التي تقلق الآباء فإننا يجب أن نكون حريصين على التفرقة بين الطاعة الالزمة لصحة وسلامة الأبناء وبين الطاعة مجرد الطاعة فقط . وفي بعض الأوقات نجد أننا نطلب من الأطفال فعل أشياء ليست من الأهمية بمكان أو مجرد أنها مناسبة لها «هيا تلعب بالمكعبات الآن» ألق هذا الشيء

في صندوق القمامات» احضر لي كوبا من الماء» ولكن طالبه بالطاعة لكل طلب أو سؤال فإن ذلك فيه إساءة للتعامل معه وسوف يؤثر عليه بشدة فيما بعد.

إذا أصبح الطفل مفرطا في الطاعة فسيعتقد أن الطاعة شيء جميل وطيب ومن ثم فإنه سيطيع كل من حوله حتى الأغراب، وهذا مالا يجب أن يراه الآباء، والأخطر من ذلك أن الإفراط في الطاعة يمكن أن تكون للطلبات غير المعقولة، وغالباً ما تكون من الأصدقاء في مثل سنه فإن معظم الأطفال لا يقبلون أن تؤخذ منهم لعبهم أو يتعرضوا لأى أذى دون أن يدافعوا عن أنفسهم لكن المفرط في الطاعة يفعل ذلك. وإذا كان هناك أحد يطيع بدرجة ١٠٠٪ فلن تكون عنده القدرة على التفرقة بين الحقوق الاجتماعية له وبين الخطأ منها.

أحد أبحاث Stanley Milgram في جامعة ستانفورد أظهرت أن الطلبة الأميركيين بالجامعات يطieten عندما يطالبون بأن يصدمو طالبا آخر معهم صدمة كهربية (بعيداً عن مستوى الخطر طبعاً) مادام هذا الأمر من المدرس الذي يقف معهم في العمل، وحتى لورأوا الضحية تنزف من الألم.

قد تظن لأول وهلة أن هذا المثل مرحلة غير التي تتحدث فيها ولكن في الحقيقة أنه يتعلق بالموضوع تماماً فهو يظهر لنا أن الإفراط في الطاعة أو عدم الطاعة هما وجهان لعملة واحدة سيئة وهي الضرر بصحة وسلامة الطفل.

نحن نستخدم الأوامر ونطالب بالاستجابة لكل الأوامر. وهناك مفهومان مهمان جداً يجب ألا ننساهما:

أولاً: عندما تكون الاستجابة مطلوبة ومهمة فيجب أن نعطي التعليمات والأوامر بحزم وصرامة ووضوح، ويظهر ذلك من تعبير الوجه الذي يقول للطفل «إنني أعني ذلك»، وعدم الاستجابة في هذه الحالة مرفوض تماماً. وعندما يؤمر الطفل بالطاعة فيجب أن تشرح له أهمية ذلك ليتعلم القواعد التي تجعله يستجيب. ويتحتم على الآباء تقييم كل موقف يأمروا فيه أطفالهم أن يستجيبوا له.

ثانياً: نحن نعلم الطفل كلماكبر عدم الطاعة لكي يكون عنده القدرة على التفرقة بين الصواب والخطأ وبين المعقول واللامعقول فعله. وعندنا من الأمثلة الكثير لاعطائها له والتي تجمع بين الطاعة وعدم الطاعة في موقف واحد (إذا قام

بتوصيلك جارك إلى المنزل فلا مانع، أما إذا لم تكن تعرف هذا الشخص فيجب أن ترفض وتهرب منه).

ثامناً: التدريب على قضاء الحاجة Toilet Training

هناك ثلاثة اعتبارات للأباء حول موضوع قضاء الحاجة:

١ - بدء تعليم الطفل كيفية استخدام التواليت بدلاً من أن يبلل البنطلون أو الحفاظة.

٢ - تلطيخ وتوسيخ ماحوله.

٣ - البلل أثناء النوم.

تقريباً كل الآباء يتعرضون لهذه المواقف، وقد نجد كثيراً من الأطفال مغربين بالتبول والتبرز أثناء تدريسيهم على ذلك. إذن فلا عجب أن نرى أنواعاً أخرى من المشاكل مثل استخدام التبرز في اللعب أو اعتباره شيئاً جميلاً وأمثال هذه المفاهيم الخاطئة.

وعندما يود الآباء تعليم أبنائهم الطرق الصحيحة لقضاء الحاجة فلا يجب عليهم أن يقلقاً مطلقاً. فعند سن السادسة أو السابعة سيختفي أي خطأ، لذلك فلنبدأ ونحاول أن نفهم المناسب للأطفال أثناء تعليمهم وتدريبهم. وما الضرورة والعجلة في أن نجعله جافاً دائماً؟

يحدث أحياناً اختلاف بين الآباء حول الوقت الذي يدعون فيه تعليم الطفل قضاء حاجته بنفسه، بعد استخدام الحفاظات، إنه عادة ما يكون الأب الذي يقوم بعمل ذلك لعدم رؤيته لأى مشاكل في ذلك. إن بعض الآباء يشعرون أن قضاء الحاجة له علاقة بالذكاء، والطفل الذي ينجح في قضاء الحاجة بنفسه مبكراً لا بد أن يكون عقريّاً. وفي الحقيقة أن الذكاء ليس له علاقة قوية بالتدريب على هذه العادة. كما أنه ليس معنى أن الطفل جاهز لتلقي التدريب أن ندرسه في نفس الوقت أو أسرع كلما أمكن فإن التدريب على قضاء الحاجة يكون أسهل كلما ازداد نمو الطفل وكبر، ومتى نقوم بذلك هو موضوع التوفيق المناسب.

ولحسن الحظ فإن كل مشاكل قضاء الحاجة يمكن التعامل معها بسهولة وبسرعة وبقليل من التخطيط . ومن نتائج الأبحاث وجد أن ٩٥٪ من مشاكل قضاء الحاجة قد تم التغلب عليها عند سن الثالثة وربما أقل من تلك السن .

إن الأغلبية العظمى من الأطفال يتوقفون عن بلل أنفسهم عند سن الخامسة . وهذا يعني أن الآباء سيرتكونهم ليتمتعوا بحياتهم الطبيعية . ومع ذلك هناك بعض الأطفال يتعلمون قضاء الحاجة في التواليت من سن ستين وربما ١٨ شهرا ، ذلك إذا دفعك خوفك أن تبدأ تدريبات التواليت في سن مبكرة .

هذه السن مناسبة للطفل ، لكن مع ذلك فإن هذا يمكن ألا يناسبه الآن فالاختيار الحقيقي لاستعداد الطفل للتدريب على التواليت ليس له علاقة بالسن ولكن يعتمد على أشياء أخرى .

ومن ناحية ثانية فالبلل أثناء النوم أصعب قليلا للطفل . وقد يستمر بعد تدريبات التواليت ، ويحدث هذا للأطفال بنسبة ١٥٪ بعد خمس سنوات وأيضا يسهل علاجه بنجاح بنسبة ٨٠٪ من الأطفال .

١ - متى يكون الطفل مستعداً لتدريبات التواليت ؟

هناك أربعة اختبارات بسيطة لذلك :

أ - تحكم المثانة :

أولاً : يجب أن يتبول الطفل كمية مناسبة كل مرة بدلاً من الكميات الصغيرة المتلاحقة خلال اليوم .

ثانياً : يجب أن يظل الطفل جافاً ساعات عديدة .

ثالثاً: عند معظم الأطفال (وليس جميعهم) نلاحظ العلامات الدالة على رغبتهم في قضاء الحاجة ، فإذا أرادوا ذلك صراحة أو يتباهمون عدم ثبات أثناء الجلوس أو الوقوف واللعب في الأصابع وما إلى ذلك من إنذارات المثانة .

ب - النضج الطبيعي :

إن الطفل يتحرك بحرية من حجرة لأخرى ، لكن هل عنده القدرة الميكانيكية على خلع البنطلون أو رفع الفستان؟ فإذا كان كذلك فهو طبيعي ، مستعد .

جـ- نمو اللغة:

إن الطفل يجب أن يفهم التعبيرات الخاصة التي تحتاجها أثناء عملية التدريب «فوق - تحت ذراع - قدم - مبلل - جاف . . .».

د- الطاعة:

هل يتبع الطفل التعليمات عادة؟ أم هو من النوع غير الطبيعى؟

إذا اجرينا تلك الاختبارات على الطفل بنجاح فهو مستعد لتدريبات التواليت أما إذا لم تكن الاختبارات واحد واثنين وثلاثة ناجحة بدرجة كافية فيفضل الانتظار لأن الوقت يعالج تلك المشاكل. أما المشكلة الرابعة فتطلب اتباع أسلوب معين في معالجتها حتى لا تزيد عملية التدريب الأمر سوءاً.

هناك تدريبات التبول Urination Training وقد أظهر المختصون لنا خطوات عديدة مؤثرة لتعليم ذلك. فإذا كان التبول باستمرار فيجب أن يتعلم الطفل كيف يقوم بإنزال السروال ويتبول ثم يرفع البنطلون بنفسه. والنتائج تكون سريعة إذا قمنا بتخصيص الوقت اللازم لمتابعة ذلك، دون أن يصرف انتباهاً أو يشتتناً أي شيء (القراءة - التليفون - تجهيز الطعام . . .)

أما إذا لم نستطع التركيز فسيأخذ ذلك وقتاً أطول ربما بضعة أسابيع.

وهذه أمور يجب أن تتبع :

١ - نعمل اختبارات عشوائية على حفاظة الطفل كل ٥ دقائق مثلاً لتأكد من أنه يحرز تقدماً في استخدام التواليت.

٢ - عندما تكون الحفاظة جافة عند اختبارها يجب إظهار الرضا والثناء على الطفل ويتعين ذلك أيضاً عندما يقف الطفل (الولد) أو تجلس (البنت) على القصرية تنفيذاً لكلامنا بمحاولة التبول.

٣ - يجب أن نمثل لهم ذلك فيطلب الآباء من أبنائهم الذهاب معهم إلى دورة المياه وتعليمهم بأنفسهم (أو يمكن استخدام عروسة Dolls) كيف يتزل البنطلون ثم يجلس ثم يجذب البنطلون ثم يغسل يديه بعد الانتهاء.

- ٤ - عندما يجلس الطفل على التواليت يقوم بعمل أي شيء لتهديته (نتحدث
- تلعب - نسمع موسيقيا - نقرأ قصصا ... إلخ).
- ٥ - تحاши دائمًا الصياح أو الغضب عند تعليمه لكي لا يقتربن التدريب
بأشياء يمقتها.
- ٦ - نحن نظهر عدم السعادة - بدون غضب - عند حدوث البطل ونقول : أنا
زعان أو خييت أملى لأنك بلالت الحفاظة بدلا من الذهاب إلى دورة المياه.
- ٧ - عند حدوث ذلك البطل يجب أن ينظف الطفل نفسه ويعير ملابسه على
قدر استطاعته، والتنظيف لا يكون متعابا بل يجب أن يصاحب بعض النقاش ليتعلم
الطفل أن يفعل ذلك بمفرده في المستقبل.
- ٨ - مراقبة أي علامة تظهر رغبة الطفل في الذهاب إلى التواليت والإسراع
بتلبية ذلك ومساعدته إذا احتاج.
- ٩ - نأخذ الطفل إلى التواليت بانتظام كل ١٥ دقيقة تقريبا ونوفر له جواً من
الهدوء والراحة ثم نتركه وبعد عشر دقائق نعود له وفي كل مرة يتم فيها التدريب
على إزالة البنطلون أو رفع الرداء ثم الجلوس ثم رفعه ... ثم الاغتسال وهكذا.
- ١٠ - اعطاء الطفل كثيرا من السوائل المحببة لديه (وبدون إرغام) فذلك
يساعد على عملية التبول بكثرة فتكون هناك فرصة أكبر للتدريب.
- ١١ - يجب التأكيد على معنى الكلام مثل «جاف - مبلل» ومتى يكون
الثانية، ومتى يكون عدم الرضا لفهم الطفل المرغوب وغير المرغوب في فعله. كل
هذه خبرات للطفل يصاحبها كثيراً من الثناء، لكن الشيء الذي يضايق الطفل هو
عملية التنظيف وما يصاحبها ولكن يمكننا التغلب على هذه المشكلة بسهولة.
- أما التبرز Soiling فهو عملية يتم فيها التعامل بالطبع في نفس وقت التبول
وبنفس الأسلوب، بل إن كلمة جاف تعنى أنه لا توجد أشياء صلبة أو سائلة داخل
الحافظة ولكنها قد تتطلب وقتاً أطول في التمرير.
- ١٢ - البطل أثناء النوم: Bed - Wetting**
- إن استجابة الطفل لإشارات المثانة شيء صعب على الطفل، ومع ذلك فهذا
من السهل أن يعالج لكي يجب التأكد أولاً من نجاح الطفل في تدريبات التواليت

فعندها ييلل الطفل فراشه يجب إشعاره بنبرة الضيق ثم إيقاظه وأخذه إلى دورة المياه ومطالبته بتغيير البيجاما أو الرداء. عادة لا يفعل أكثر من ذلك فالطفل الذي يتعلم كيف يذهب إلى التواليت يكون فخوراً بذلك قائلاً: «أنا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسي» والشيء الوحيد الباقى هو تعلم الطفل كيف يستجيب لإشارات المثانة أثناء الليل. والنقطة الهامة في هذا الموضوع هي عدم إشعار الطفل بالكسوف أو العار Shame أو عقابه أو توبيقه على ذلك عندما يفعله، فالعقاب قد يؤذى نفسية الطفل في هذه الحالة ويهبط من محاولاته للاستجابة بينما هو يبذل أقصى ما عنده لمحاولة التركيز في إشارات المثانة أثناء نومه.

تاسعاً: مشاكل النوم Sleeping Problems

إن وضع الطفل في فراشه قد يصبح من أصعب المشاكل بدءاً من سن 18 شهراً. فمعظم الأطفال لا يحبون (بل يكرهون) الذهاب للفراش، فهناك اللعب التي يلعب بها والناس من حوله والعالم كله الذي يحاول اكتشافه، لمن يترك كل هذا؟ «هل يجب كأم أن أتركه حتى يغرق في النوم؟ أو هل أهدئه أو أجلس معه حتى ينام؟ أو آخذه إلى الفراش معى؟ ماذا أفعل؟». إن الاستماع إلى صرخ الطفل في فراشه يكاد ينفطر قلب الأم له ويسعّرها بالذنب؟

ولمنع الشعور بالذنب ودموع الطفل، يجب أن يطور الطفل من الروتين اليومي للذهاب إلى النوم - أغاني، قصص، العاب، طعام، مشروبات، لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات حتى يسقط في النوم.

لكن هذا ليس الغرض فبطريقة ما يجب أن يذهب الطفل بنفسه لكي ينام بدون وجود أحد أبويه بدلًا من أن يسقط طبعاً نائماً بين يديها.

إن وضع الطفل في فراشه بدون شك من أكثر الموضوعات إثارة لقلق الآباء بل و منهم من يشكو من عدم الانتظام في النوم (الأرق Insomnias) أو الكوابيس Night Mare، أو الرعب الليلي Sleep Terror والمشى أثناء النوم. وهذا مقرن بانفعالات عاطفية لدى الطفل، وكما يبدو هذا مفزعاً، فإن ذلك أكثر الأشياء شيوعاً عند الأطفال.

١ - القواعد المتبعة لوقت النوم:

بعد أن يولد الطفل بأسبوعين فإنه ينام حوالي ١٦ ساعة في اليوم ويستمر من ١٥ - ١٦ ساعة في الشهور الأربع الأولى، وتصل إلى ١١ ساعة عند السنة السادسة. وكلما زاد نمو الطفل زاد عدد ساعات نومه مما هو معرض بالجدول الموضح لهذا. لكن لامانع من مراجعة الطبيب عند الاختلاف إذا زاد عن ساعتين. وبالنسبة لروتين النوم فيقابل وقت النوم كثيراً من الأحداث الدرامية عند بعض العائلات، فقد يفضل بعضهم وجود وقت محدد للنوم والبعض الآخر يتنتظر حتى يتعب الأطفال. فالاختيار يرجع للأباء والأطفال يهبون أنفسهم على ذلك أما فترة ماقبل النوم التي يصاحبها الكلام والغناء فيجب أن تستمر من ١٥ - ٣٠ دقيقة في المتوسط.

جدول (٤) متوسط عدد ساعات النوم والاستيقاظ لدى الأطفال

السن	عدد ساعات النوم اليومي	عدد ساعات الاستيقاظ	أطول مدة نوم بالساعات	أطول مدة استيقاظ بالساعات
أسبوع	١٦,٣	٧,٧	٤,٤	٢,٦
٣ أسابيع	١٥,٤	٨,٦	٤,٦	٣,١
٧ أسابيع	١٥,٤	٨,٦	٦,٥	٣,٢
١١ أسبوعاً	١٥,١	٨,٩	٦,٧	٣,٤
١٥ أسبوعاً	١٤,٩	٩,١	٨,٥	٣,٦
٦ أشهر	١٢,٢	١٠,٨		
٩ أشهر	١٢,٧	١١,٣		
١٢-١٠ شهراً	١١,٨	١٢,٢		
٣-٢ سنوات	١٢,٥	١١,٥		
٤-٣ سنوات	١١,٥	١٢,٥		
٦-٤ سنوات	١١	١٣,٠٠		

٢ - مشاكل ومتاعب النوم المختلفة:

صعوبات الذهاب إلى النوم تغطي جزءاً كبيراً من المشاكل وكلها تدور حول عدم حب الطفل في الذهاب للفراش، إلا برغبته أو بجانب لعبة أو أمام التلفزيون أو بجانب الأب. وقد يطلب الأطفال كوبا من الماء أو الذهاب إلى التواليت أو تفاحة أو حلوى هربا من الروتين الذي يسبق النوم رافضين ارتداء البيجاما أو رداء النوم.

بداية من ١٨ - ٢٤ شهراً معظم الآباء سوف يواجهون مثل هذه الصعوبات عند الذهاب بأبنائهم للنوم.

ومن ناحية أخرى نجد مشكلة الاستيقاظ أثناء الليل وبعد فترة وجيزة من نوم الطفل فمعظم الناس (الأطفال والكبار) قد يصيّبهم الأرق، ولكن يعودون ثانية للنوم. أما إذا استيقظ طلباً للرعاية أو بكى بصفة متنظمة بدلاً من الرجوع للنوم فتظهر هنا المشكلة، إن هذا ليس غريباً بل ويتلاشى بمرور الوقت. إن حوالي ٢٪ من الأطفال في سن ستين يوقظون آباءهم بانتظام خلال الليل و١٤٪ من هم في سن ٣ سنوات يفعلون ذلك، وتصل النسبة إلى ٨٪ عند أربع سنوات فعادة لا يحتاج هذا إلى أي علاج خاص.

أما المشى أثناء النوم فإنه نادراً ما يحدث إلا بنسبة ٦٪ بين الأطفال. فالذين يفعلون هذا قد يقفزون من النافذة أو يخرجون من المنزل أو يدورون في الحجرة بدون أن يستيقظوا، فعيونهم تكون مفتوحة لكن هناك شيء ما مختلف يدور في رأسهم . هذا بالطبع يكون مقلقاً إذا عرض الطفل للخطر.

ومن الصعب أن نحدد متى يبدأ الأطفال في الأحلام المزعجة والكوابيس ولكن أغلب الظن أنها تبدأ من السنة الثانية، وتكون شائعة الحدوث من ٣ - ٥ سنوات . إن الكوابيس تستمر بعض دقائق ثم يستيقظ الطفل بعدها وقد يتذكر بعضًا مما رأه ويخبرك به.

أما الفزع الليلي فهو يختلف عن هذا ويزداد معه خوف الآباء أكثر فهو يستمر لمدة ١٥ - ٢٠ دقيقة، ولا يكون الطفل مستيقظاً ومع ذلك تكون عيناه

مفتوحتين وعلى وجهه آثار الخوف والهلع. كما أن انفعالاته وصياغته تكون أكثر من التي تصاحب الكوابيس.

إن السبب الحقيقي وراء الكوابيس والرعب الليلي غير معلوم، ولكن لحسن الحظ بينما الكوابيس شيء شائع، نجد أنه نادراً ما يحدث هذا الرعب الليلي. ويبدو على الأطفال فوق 5 سنوات وبنسبة 2% فقط.

٣ - لماذا يقابل الأطفال تلك الصعوبات في النوم؟

ربما يقابل الأطفال مشاكل في الذهاب إلى النوم لأسباب عديدة، منها أنهم يرغبون في فعل أشياء أخرى أفضل والشيء الثاني المعروف أنهم يرفضون الوحدة أثناء الليل، أو ببساطة قد يكونون غير متعبين الآن أو ناموا أثناء النهار، والسبب الأخير أن الطفل ربما يكون قد تعرض ل موقف مخيف أو شاهد شيئاً في التلفزيون أزعجه، أو قرأ قصة مخيفة كل هذا يسبب له كراهية الظلام والوحدة والنوم.

وقد يشعر بعض الآباء بالذنب من رغبتهم أن ينام الطفل بنفسه وقد يشعر بالوحدة والانفصال، حينئذ بما يجعلهم يقفزون عند كل صرخة أو بكاء، وهذا للأسف يعلم الطفل كيف يستدعي الآباء فوراً بمجرد احتياجهم، لهم ولقد سمعنا كثيراً من الأطفال يقولون «إني حزين جداً» وهم ليسوا كذلك أو «إني خائف» وما هم بخائفين أو يبكون بشدة بمجرد ترك والديهم للغرفة... أما لماذا يقولون ذلك فالإجابة بسيطة. لأن هذا قد أثبتت تجربة من قبل فعندما كانوا فعلاً في حاجة إلى الطعام أو خائفين أو في حالة من الحزن كانوا يجدون الصحبة فوراً.

والمفهوم الوحيد للتعامل مع هذه المشكلة هو أن تقنع الآباء بأننا لن نعود ثانية في حالة لو تركنا الغرفة وننفذ مانقوله، ولكن لانشعر بالذنب نقوم بتلبية جميع رغبات الطفل من ذهاب إلى التواليت وطعام وشراب وقصص قبل أن نقول تصبح على خير ونتركه ينام في سلام.

إن الكوابيس قد تتعلق بالأحداث اليومية وخاصة عندما ينضج وينمو تفكير الطفل وخيالاته، أما الفزع الليلي والمشي أثناء النوم فيمكن معرفة المزيد عنها عند مراجعة كتاب المشكلات النفسية عند الأطفال للمؤلف زكريا الشربيني.

٤— متى تصبح صعوبات النوم مشكلة حقيقة؟

نادرًا ما تكون أى من الصعوبات السابقة مشكلة حقيقة للطفل وغالباً ما تختفي بتقدم عمره ونموه، لكن المشكلة الحقيقة تكون في الآباء أنفسهم، فهم يدفعون ثمن الشعور بالذنب ومحاولاتهم الدائمة لضبط مشاعر الطفل تجاههم، فما دام الآباء لا يتعدون حدودهم كإلقاء الطفل في فراشه وحيداً عندما يكون خائفاً فعلاً، فلابد أن تكون أوقاتهم التي يقضونها مع أنفسهم أو عندما ينام الطفل هادئاً ومرحية لمواصلة الحياة مع الطفل مرة أخرى.

وهناك طريقة أخرى فتحن تجده روتين ما قبل النوم يصبح مشكلة. إنه قد يكون مشكلة (من) الآباء بدلاً من أن يكون مشكلة (لهم) - لقد قابلنا آباء كثيرون يفضلون النوم مع أطفالهم برغبتهם وليس برغبة الطفل حتى بعد أن يبلغ الطفل الخامسة أو السادسة. إنه لا توجد أى مشكلة في أن تنعم بالراحة بجوار طفلك أو تنام بجانبه لتهديته إذا خاف، لكن كأى سلوك قد يصبح ذلك مشكلة إذا تعددت الحال. فإن هذا قد يشعر الطفل بالحماية الزائدة عن الحد فيعتمد على والديه في كل ما يحتاجه، وهذا غير طبيعي، كما يسبب ذلك مشاكل زوجية، وقد يعكس قصوراً في العواطف بين الزوجين لمنع العملية الجنسية بينهما لوجود الطفل في فراشهما.

عادة فإن الإفراط في روتين النوم قد يسبب المشاكل للطفل ووالديه في نفس اللحظة. كما أن جوء أحد الوالدين إلى استخدام الطفل ليمتنع العملية الجنسية قد يؤدي إلى نفس التبيئة السيئة.

٥— كيفية التعامل مع مشاكل النوم :

هناك بعض المفاهيم الأساسية للتعامل مع تلك الصعوبات:

- ١- من المهم أن يكون هناك روتين ما قبل النوم لكن لا يعني هذا أننا لانستطيع الاستغناء عنه - إلا في المناسبات الخاصة عند الخوف أو المرض - لكن يجب أن يشعر الطفل ببعاد النوم قبله بفترة ليكون متأهلاً نفسياً لذلك.



٢ - يجب أن يستيقظ الطفل مدة كافية خلال الصباح، أما إذا نام الطفل لساعات قليلة خلال اليوم فلا توقع أن يدخل الفراش في نفس وقت الأيام العادية فيجب أن تتأكد أن الطفل متعب لينام أما إذا اختلف النظام اليومي فيجب أن يتغير مع هذا وقت النوم أيضا.

٣ - تنبيه الطفل ببعاد النوم قبله بـ ١٥ دقيقة ليستطيع إنهاء ما يفعله عندئذ.

٤ - يتضمن وقت النوم بعضًا من الأفعال التي تؤدي إلى الهدوء والراحة مثل قراءة القصص والأغاني والكلام عن أحداث اليوم ويستمر ذلك من ١٥ - ٢٠ دقيقة.

٥ - يقدم الطفل المشروبات والطعام الذي يريده كما يذهب إلى التواليت لقضاء الحاجة لتأكد من أن الطفل لن يقوم بطلب هذه الأشياء بعد دخوله للفراش كنوع من الخداع.

٦ - يعطي الطفل كل ما يبعث على الهدوء مثل بطانيته المفضلة والدب البني أو صورة سوبرمان .. إلخ.

٧ - تحاishi إزعاج الطفل قدر المستطاع - الصوت العالى والتلفزيون - كما يكون الضوء خافتًا غير مباشر إذا احتاج، وأيضا فراش خاص به لكي لا يزعج أيا من الأبوين.

٨ - يمكن تغيير روتين ما قبل النوم لكي لا يصاب الطفل والأبوان بالملل. فإذا لم يستجب الطفل لمحاولات الأم يمكن أن يقوم الأب بذلك في اليوم التالي. تلك النقاط هي أساس المساعدة لطفلك للتغلب على أي صعوبات في النوم. يبقى بعض خطوات إضافية مهمة يمكن اتباعها كما يلى:

أولاً : وضع الطفل في الفراش: اعتاد الطفل الرضيع على النوم بين يديك بعد الرضاعة لكن بعد حوالي ١٢ شهرا يجب أن يكون هناك تغيير كبير وهو ببساطة أن يوضع الطفل في فراشه (قبل نومه) ليسهل لنا ترك حجرته قبل أن يستغرق في النوم. هناك طرق يجب أن تتبعها لذلك:

أ - يمكن أن نقول له أن وقت النوم قد حان ونتبع روتين ما قبل النوم، ثم نترك الغرفة بعد فترة. في البداية سيقاوم الطفل بشدة ترك الغرفة ويستخدم أساليب عديدة لذلك كالبكاء أو يطلب أى طلبات كالماء أو الطعام. ومع ذلك فإننا يمكن أن نخفف من شدة هذا الحزن باستخدام العوامل الخارجية كالدب البني والاحتضان لألعابه المفضلة.

ويمكن أن نجعل روتين ما قبل النوم أكثر متعة بتجهيز لعبة جديدة جميلة نعاهد بها الطفل بأنه سوف تجدها تحت الوسادة في الصباح في حالة إذا نام فورا بدون أن يستيقظ مرة أخرى، ونجعل هذا الوقت من الأوقات الخاصة لدى الطفل الذي ينعم فيها بالقبالات والمداعبات. لكننا في النهاية يجب أن نترك غرفة الطفل قبل نومه فإذا فعلنا ذلك ولم نتراجع (إلا في الحالات القصوى) مثل المرض أو (استيقاظ الطفل فجأة بعد نومه) فسيشعر الطفل أننا فعلنا نعنى ذلك، وبينما بدون مشاكل فيما بعد، بل سيصبح وقت النوم من الأوقات المفضلة لديه.

ب - هناك طريقة ثانية يمكن اتباعها تختلف عن الطريقة الأولى، ففى الأيام الأولى يمكن أن تظل فى الغرفة أو على سريره لكن بدون كلام وعيناك مغلقتان متظاهراً بأنك نائم، أو أنك نائمة، وبعد ذلك فى الأيام التالية تجلس على كرسي وتقرأ بديلاً من السرير وتقل مدة وجودك فى الغرفة كلما مضت الأيام.

ثانياً : الاستيقاظ أثناء الليل: عند حدوث ذلك لا يعتبر مشكلة مادام ذلك بسبب واقع مثل المرض أو الخوف أو الحاجة الشديدة، لكن إذا تكرر الأمر أكثر من الطبيعي فقد يشوبه بعض من الخداع من الطفل، لذلك فعند استيقاظه من النوم يجب الذهاب إليه لتهديته والتأكد من عدم وجود أي سبب حقيقي . ثم نتركه أثناء استيقاظه ولا نعود مرة أخرى .

ثالثاً : الكوابيس والرعب الليلي: عند استيقاظ الطفل خوفاً من أي شيء يجب أن تهدى بكل أنواع التهدئة والراحة، فتظهر له أنه لا يوجد أي وحش تحت السرير وهذا التنين ينام أثناء الليل، كما أن سوبرمان لا يخاف منها ويحميه طوال الليل، ولا مانع من وضع السيف الخاص به بجانبه . المهم أن تتأكد من أن الطفل قد استعاد هدوءه وراحته قبل أن تصرف ويمكن أن تنتظر حتى ينام.

١ - جعل وقت النوم للطفل ممتعاً للأباء:

يعد وقت النوم من أصعب الأوقات على الآباء . فعادة ما يصابون بالملل والتعب والرغبة في انتهاء ليلهم، وذلك لأنهم يعتبرون هذا الوقت وظيفة، مما يتبع عنه صعوبات في النوم ويصبح روتين ما قبل النوم أطول وقت وينقل الشعور بالملل للطفل أيضاً.

والحل هنا هو أن نجعل الوقت ممتعاً ومتضمناً كثيراً من الأشياء التي نحبها ونرغب في فعلها مثل الطفل. كالألعاب المسلية (مثلاً نقلب ١٢ كارت من الكوتشينة على ظهرها تتضمن التنين من كل من الواحد والشايـب والولد والبنت والعشرة والتـسعة ومحاـولة إيجـاد الكـاراتـين المـتشـابـهـين بكلـنا يـديـك مـرـة وـاحـدة وـهـذا يـعتمد عـلـى الـذاـكـرـة لـكـل مـن الـكـبـارـ والأـطـفـالـ) كما أن قـليـلاً مـن الـكـلام مـع الـطـفـلـ قد يـعـيـنه وـيـعـيـنكـ أـمـا إـذـا كـنـت قـلـيلـ الـكـلامـ فـمـنـ الـمـكـنـ أـنـ تـقـوـمـ بـقـرـاءـةـ قـصـةـ تـجـبـهاـ

فإن هذا هو أنسٌ وقت تشعر بالملائكة وأنت ترى ملامح وجهه عندما تعيش معه في تلك القصة.

٧ - العلاقة بين وقت النوم وعدم الطاعة :

إذا استخدم الآباء الطرق الموضحة في الجزء الخاص بعدم الطاعة لكي يستجيب الطفل لهم، فإن وضعه في الفراش سيكون أسهل كثيراً . فإذا حافظنا على جدية الأوامر الصادرة للطفل وإحساسه باختلافها عن الطلبات أو الأسئلة أو الاقتراحات فإن الأمر الخاص بالذهاب إلى النوم سيكون أسهل ما يكون ولا يحتاج لأى معاملة خاصة، ومع ذلك فلا يمكننا أن نأمر الطفل بأن ينام فهذا ليس مفتاحاً يغلق ويفتح وإنما يمكن أن يكون الأمر «البس البيجاما الآن» «اذهب إلى الفراش فوراً» هذا إذا احتاج الموضوع لأوامر.

عاشرًا : العدوانية Aggression

إن الصدمة تكون كبيرة عند رؤية العدوانية على أطفالنا، وربما نكره ذلك الطفل . قالت الأم لزوجها: هل تعلم ما الذي فعلته ابنتك؟ صعدت إلى السرير وتحبست وجهي «كيف تجرأ على قذفي بهذا الشئ؟» هل تصدق أن الأميرة الجميلة ابنتنا صعدت إلى المرجحة وأوقعت هذا الطفل من فوقها على الأرض.. . والحقيقة أن الباحثين يوضحون أن أكثر الأطفال طموحاً وذكاءً يكونون أكثر عدوانية في الفترة من ٢ - ٣ سنوات، ولكن هذا العداون يختفي بالقطع عند تطور حياة الطفل الاجتماعية وتقديره في السن.

إن مظاهر العدوانية كثيرة، منها أن يقوم الطفل بإلقاء وتحطيم الأشياء، وآخر يدفع ويضرب برجله الآخرين، وثالث يظهر عدم الرضا والصياح والبكاء بصفة دائمة. وهذا يؤثر بالطبع على سلوك الطفل في المستقبل لهذا فهو من أكثر الموضوعات قلقاً للأباء.

إن العدوانية عامة وهي أى سلوك مؤذ (جسدياً أو نفسياً) للآخرين، ويأخذ أشكالاً عديدة فالطفل المؤذ جسدياً ربما يضرب، يرفس، يدفع، وقد يصرخ

الطفل العدواني بأعلى مسافى رتبته من هواء ليحصل على ما يريد بإلحاح أو حتى بالتهديد، وقد يلقى هذا الطفل أى لعبة أو طبق أو يحطم الأشياء بقدم واحدة أو واحدة تلو الأخرى حتى يخلى الحجرة من كل مافيها.

من الضروري التفرقة بين العدوانية والميل إلى الحزم والصرامة . . فقليل من الحزم مطلوب لضبط الطياع والخصائص فتحن نريد أطفالنا (والكبار) أن يكونوا حازمين بدلا من الإيجابية في مواجهة الأوامر غير السليمة التي توجه إليه في حياته.

ومالم يبلغ الطفل سنتين لا يمكن أن تعتبر العدوانية مشكلة كالتى تظهر عندما يحين وقت الأكل أو النوم أو التواليت . . إلخ . ومع ذلك فنتائج البحوث تشير إلى أن حوادث العدوانية تقل بمرور الزمن وباكتساب الطفل للنشاطات الاجتماعية الجديدة . كما أن أنواع العدوانية تتغير بمرور الزمن .

لكن التجارب أثبتت أن ٧٧٪ من الكبار الذين كانوا عدوانيين في طفولتهم لم يصبحوا كذلك فيما بعد، مما يؤكد أن هذه المشكلة إذا لم تكن خطيرة في الطفولة لن تكون كذلك فيما بعد.

١ - سبب عدوانية الأطفال:

إن الطريقة التي يتعلم بها الأطفال العدوانية تكون عن طريق القدوة أو التقليد، فهم يرون الآخرين يفعلون ذلك وربما يكون هذا في التلفزيون أو النادي أو من الآباء، وعند تعرض الطفل للعدوانية فهذا خير مثال له ليفعل هو أيضا ذلك بل ولا يتوقف بعد ذلك عن فعله.

إن الكم الهائل من الأبحاث المتعلقة بالعنف في التلفزيون أو أوضح أن الأطفال تتأثر وتقلد ما يحدث حتى أبطال الكارتون . . فلا عجب إذا رأيت طفلك يحاول الطيران رافعا قدمه في حركة كراتيه . كذلك فالأطفال يتعلمون شكل العدوانية من آبائهم فلا تتعجب إذا رأيت طفلك يقسم ويتوعد ويصرخ فالحقيقة أنهم يقلدون انفعالاتنا (وهذا أحيانا يثير ضحكتنا فمن الأفضل أن تذهب وتضحك بعيدا عن الطفل).

ويجب أن نحاول منع عدوانية الطفل، فمن الحكمة ألا نعرضهم لأحداث عنيفة، وأن نقلل من وقت مشاهدة التلفزيون والتحكم فيما يشاهدونه مع عدم الدخول في جدال ومهارات أمام الأطفال . لكن من المستحيل أن تمنع كل هذا أمام الطفل، وإذا فعلت فسيقوم بذلك أصدقاء المدرسة.

إن بعض الأسر تميل إلى الموافقة والتأييد لعدوانية أطفالهم، ومثال على ذلك فالعدوانية عند الأطفال شائعة عندما يكون على درجة كبيرة من التساهل والتسامح، فالآباء الذين يدللون أطفالهم ولا يتعاملون بحزم وصرامة مع السلوك غير السليم يعلمون أطفالهم أن العدوانية هي المتفذ وطرق النجاة من الغرق . وكما في القول المؤثر أن التسامح يجعلك بعيدا عن الجريمة و يجعل الجريمة تقترب منك ، هكذا يعلمون أطفالهم.

إن الإسراف في استخدام الرفض ، النك، العقاب قد يزيد من عدوانية الطفل، وأيضا فالآباء يمثلون قدوة أساسية للطفل فعند قيامهم بفعل أى شيء، يعتبر هذا تصريحا للطفل بفعله وغالبا ما يقوم بذلك.

في بعض العائلات نجد الآباء لا يجنبون مشاعرهم وانفعالاتهم عن الأطفال، خاصة بمشاكل العمل أو تكلفة المعيشة، فالطفل قد يعتقد أنه قد أخطأ في عمل شيء بسبب هموم أبيه ولا يدرى ما السبب . فإذا استمرت هموم أبيه وإحساسه بها، فقد يشعره ذلك بالحزن والإحباط ثم يتحول ذلك إلى العدوانية. كما أن الآباء إذا فشلوا في الثناء على الأشياء الجيدة التي يقوم بها الطفل ويكونون مهتمين بالجزء الخاص بالعقاب فقط ، فإن الطفل يحفظ مثل هذا السلوك في الحقيقة. إن الطفل قد يحاول الصياغ أو القيام بالأفعال الاعتراضية الأخرى ليحصل على اهتمام والديه أو يمنعهم من الصياغ والرفض له ، فمن هذا المنطلق نجد أن العقاب من أكثر الأسباب الواضحة لعدوانية الطفل.

إن هذا يوضح لماذا توجد مشاكل مع الأطفال الذين ينفصل آباؤهم وأمهاتهم عن بعضًا ، بالطلاق. فلا يكون عداونهم بسبب الانفصال وإنما بسبب النموذج العدواني الذي أعطوه لهم، إن الأسر التي تتعامل مع الغضب بنجاح - مع أن الغضب يظهر ولكن سرعان ما يختفي و يجعل محله السلوك الاجتماعي السليم - لهم الخصائص التالية :

- (١) إنهم ينذرون أطفالهم قبل استخدام العقاب.
- (٢) إنهم شديدو الحرص على إبعاد همومهم وانفعالاتهم عن الطفل (أو أي من أفراد الأسرة)، لذلك فالطفل لا يعاقب إلا إذا فعل شيئاً يستحق ذلك.
- (٣) أنهم يفضلون التوضيح والمناقشة بدلاً من العقاب، إلا إذا تأكدوا من عدم جدوى التوضيح.
- (٤) عدم السماح لعدوانية الطفل أن تؤدي إلى أن يحصل على ما يريد.
- (٥) أن يعلموا الطفل الطرق الصحيحة السليمة للعدوانية (المشاركة، الطلبات، التعاون، مساعدة الآخرين . . .).
- هذه الصفات أو الخصائص سوف تساعدنا في الحقيقة على التعامل مع عدوانية أطفالنا.

٢ - متى تعتبر العدوانية مشكلة؟

إذا كان يجب أن تزيد العدوانية ويزيد معها الطرق التي يسيطر بها الطفل ليحصل على ما يريد فهنا تكون المشكلة. فهذا يكون مصحوباً بصعوبات أخرى، فيكون الطفل غير محبوب من أصدقائه، ويشعر بالحزن، فيقوم بتحطيم الأشياء أو إيذاء الآخرين ونادراً ما يشاركونهم أو يتعاونون معهم. وتبداً هذه المشكلة في المدرسة. أما إذا لم يظهر طفلك أياً من هذه المشكلات إذاً فمعنى واته من النوع الطبيعي ومع ذلك تظل غير مقبولة.

هناك اختبار بسيط يمكن أن نجريه وهو مدى استجابة الطفل للأوامر الصارمة. فإذا كان طفلك يستجيب بنسبة من ٦٠ - ٨٠٪ فإن فرصة تخلصه من العدوانية كبيرة.

٣ - كيفية التعامل مع العدوانية :

هناك طرق إيجابية كثيرة يمكن أن تتبعها بغرض تقليل العدوانية ثم تعليم الطرق البديلة :

(١) نحن متأكدون من أن العدوانية لاتخدم الطفل للحصول على ما يريد فمعظم العدوانية عند الأطفال تكون ظاهرية، فالطفل قد يريد حلوى أو لعبة أو قد

لارييد أن يفعل شيئاً يجب عليه القيام به كالنظافة أو النوم، أو تعاطي الدواء . . . إلخ، فيعبر عن ذلك بالعدوانية، وعندما يبدأ ذلك يجب أن لانعطيه اللعبة التي يريدها، وقد نحمله ونلقى به في الفراش بدون مناقشة.

(٢) التحذير قبل الإقدام على العقاب «إذا لم تتجه إلى الفراش الآن سوف أعد واحد - اثنين - ثلاثة وسوف نذهب للنوم بدون قراءة القصة بعد ذلك مباشرة» هذا النوع من التحذير شائع وإذا اتبعته يكون له تأثير على الطفل. فالطفل يجب عليه أن يتوقف عما يفعله ويتبع التعليمات قبل الرقم ثلاثة.

النوع الآخر من التحذير هو أن نجعل الطفل يعلم بوقت كاف بعيداً الذهاب مثلاً إلى السوق فهذا يحل محل إيقاف الطفل فجأة عما يفعله.

(٣) يجب أن نحرص على الثناء والانتباه عندما يتحسن سلوك الطفل ونبحث عن الأشياء التي تجعلنا نثنى عليه، ولا نجعل أسلوب العقاب يطغى على علاقتنا معه. فلا يجب أن نتحفظ وننفعل عندما يفعل الطفل شيئاً خطأ، وننظر على هدوتنا ونتصرف التصرف الصحيح.

(٤) يجب أن نتأكد من تعليم الطفل الطرق السليمة للحصول على ما يريده فنعلمه كيف يستأذن صديقه للعب بلعنته. فذلك يكون بلهفة وأدب، كما نعلمه مدى أهمية المساعدة والتعاون وإدخال السرور على الآخرين مع عدم إهمال الثناء عندما يفعل ذلك.

(٥) لا تدخل مع الطفل في جدال حاد، إلا إذا كنت متأكداً من أنك الفائز في النهاية. فإذا كنت متعباً جداً أو مشغولاً بشيء عن التعامل مع عدوانيته فلتسأل زوجتك لتقوم بذلك بدلاً منك أولاً تبدأ ذلك أبداً. وإذا لم تستطع أن تقوم بروتين قبل النوم فدع طفلك يغرق في النوم حتى لو كان على الأرض. ثم يجب عليك أن تلبى رغبته قبل أن يلتجأ إلى العدوانية، أو تأخذه بعيداً عن لعبه (وهو يرفس ويبكي في ذلك الوقت يبدو هذا كحرب). فالطفل يدري بعض الانفعال ليحصل على ما يريده لكن هذا لا يستمر طويلاً بمجرد أن يتعلم الطفل أنه لن يجني شيئاً من وراء ذلك.

(٦) يجب أن يكون هناك ثمن العدوانية. إن هناك أشياء هامة كثيرة نذكرها حول موضوع التوبیخ والعقاب: أولاً : لاتطرق عشرة أبواب مرة واحدة ، فإذا كنت تحاول التعامل مع العدوانية لاتبدأ في تدريبات التواليت أو نظام جديد للنوم لأن هذا قد يصبح ملا .

ثانيًا : كل منا له همومه ومشاكله ولكتنا لاينبغى أن نعامل الطفل على أساس ذلك فيمكن أن نقول : «أنا آسف يا حبيبي لكن والدك عنده شيء آخر يجب أن يفعله» بدلاً من «كلا اتركني وشأنى». فقد يصيب ذلك الطفل بالحزن والأسى والإحباط ، خاصة إذا لم يكن قد فعل شيئاً .

ثالثاً : إذا استخدمنا العقاب فيجب أن يكون مؤثراً . فلا فائدة من أن نغلق التلفزيون أمام الطفل إذا لم يكن يشاهده ، أو نأخذ منه لعبة إذا كان أمامه لعب أخرى . كما يجب أن نعلمه أن العدوانية قد تؤدي إلى أشياء سيئة بala نأخذه إلى الحديقة ولا نجعله يلعب مع الأطفال الآخرين . وإذا قام بدفع أحد الأطفال الآخرين نأخذ كل الألعاب التي أمامه بعيداً عنه . وقد نوجه له توبينجا شديد اللهجة . ومع أن هذه الطريقة مؤثرة فإنها يجب ألا تستخدم في حالة العدوانية غير المتقدمة .

وإذا كانت العدوانية خطيرة ومتكررة أو مصحوبة بمشاكل عديدة كما شرحتنا من قبل (فقد النشاط الاجتماعي - عدم الطاعة - تجاهد المشاعر... إلخ). فالأفضل البحث عن متخصص ليضع الخطوات الرئيسية للتعامل مع هذا الطفل وهذا ليس معناه أن الطفل يعاني من مرض نفسي خطير، لكن هذا من قبل المعرفة للطرق السليمة.

٤- الرد على العدوانية :

يصيب الآباء حيرة شديدة فيما سيقولونه لطفلهم عندما يتعرض للأذى أو الضرب من طفل آخر، هل يجب أن يرد له الضرب؟

الخطوة الأولى هنا أن تتأكد من أن الطفل الآخر قد توقف، فلا يجب أن نسمح بأن يتعرض طفلنا للأذى ، فقد يصيّبه ذلك بمتاعب نفسية كالخوف ، والعزلة ، وقد يكره المدرسة واللعب مع زملائه. كمثال لذلك إذا أراد الطفل الآخر

أن يركب المرجحة أولاً فإن هذا يحدث عادة وليس من العدوانية في شيء، ومع ذلك إذا تعمد أن يفعل هذا بصفة منتظمة فإنه يجب أن يتوقف أولاً بطريقة أو بأخرى، وهناك طرق عديدة لإيقاف عدوانية الطفل. ويمكن أن نقول لطفلنا أن يرد له الضرب أو نطلب من المدرس مراقبة الأمر، أو قد نذهب إلى الحديقة أو المدرسة ونقوم بتوبیخ الطفل العدواني، وأخيراً نخبر والديه بذلك ونطلب مساعدتهم.

يجادل بعض الآباء حول وجوب دفاع الطفل عن نفسه وتعلم كيفية رد الأذى، لكن في الحقيقة هذا أقل أهمية من أن نتأكد من توقف العدوانية على طفلهم. كثير من الأطفال، يشعرون بالخجل وصعوبة أن يدفعوا أو يردوا ضرب أي طفل آخر، أو قد ينفذوا تعليمات والديهم بضرب الطفل العدواني فيضره مرة أخرى أكثر شدة مما يتبع عن شعور الطفل بالإحباط والضيق. فقد تكون النتائج أسوأ عندما نأمر طفلنا برد الأذى إذا كان خجولاً أو جسمه ليس أكبر من بقية زملائه، إن الحل الوحيد لذلك أن نتعنت بهذا الموضوع (بطلب المعلم أو آباء الطفل الآخر بالتدخل أو التعامل مع الطفل نفسه، أو إلحاقه بإحدى دور تعليم الدفاع عن النفس) وبذلك تكون قد أوقفنا المشكلة الحالية ونعد الطفل لأى مشكلة أخرى.

وبالنسبة للطفل القوي جسدياً هل نطلب منه رد الأذى أم لا؟، هذا في الحقيقة يرجع إلى الآباء، فإذا كان الطفل لديه الرغبة والقدرة على رد الأذى فلن يحتاج إلى تحفيزه أو الضغط عليه، أما إذا فعل ذلك لرغبة والديه وتصريح منهم فقد يشكل ذلك مسؤولية كبيرة على الآباء، فيجب تعليم الطفل متى يتشارج ومتى لا يتشارج، فقد يبادر الطفل بالشجار ليأخذ حقه، أو قد يتعدى الحدود الازمة لذلك كأن يكيل اللكمات في وجه طفل بمجرد أنه أخذ لعبته. وباختصار فإن الشجار لابد أن يحكم بواسطة الآباء، ولا بد أولاً أن يتتأكدوا من سلامة موقف طفلهم والتأكد عليه في ذلك تماماً.

حادي عشر : السلوك الاجتماعي وال العلاقات

Social Behavior and Relationships

في وقت ما تجد أن بعض الأطفال على درجة من الانطواء والخجل وقد يكون عندهم مشاكل في المشاركة الاجتماعية، ولكن في الحقيقة أن هذا شيء

بسيط وسريع الاختفاء بمجرد تقدم عمر الطفل، أو المشكلة هنا تقع على توقعات الآباء، فبمجرد إجاده الطفل للكلام يظهر في نظرهم كرجل عاقل ويتسوّقون منه الكثيرون، وتنسى أنه لا يزال في مرحلة اكتشاف ما حوله، ومع ذلك فالمشكلة الحقيقة تظهر عندما تتعلق بالأحداث اليومية. مثلًا الطفل الذي يرفض اللعب مع أصدقائه ويكتفى بالمشاهدة لمدة طويلة جدًا (حتى عندما يبلغ ست سنوات) فهذا مؤشر لتابع مستقبلية له.

١ - الصداقة : Friendship

لا شيء ينمّي السلوك الاجتماعي لدى الطفل أكثر من أن يكون له صديق، ولحسن الحظ أن الصداقة شيء سهل الحدوث بالنسبة للأطفال، فمعظمهم يكون له نفس الهدف في الحياة، كل ما في الأمر أن يجد طفل آخر يلعب معه - بدلاً من أن يلعب كل منهما على حدة - وبدون شجار، إذن سيكون لديه الصديق الذي يقوم والدها بدعوته إلى البيت وزيارة بيته بانتظام.

إن الطفل يحتاج إلى صديق واحد جيد على الأقل، فإذا كانت هناك مشكلة بسبب عدم المشاركة في المدرسة أو في المنزل، فهذا الصديق سيتمثل له المندى والمعلم له، لذلك فإننا نسأل طفلنا من هو صديقه أو أصدقاؤه المفضلون، ثم ندعوه كل واحد منهم على حدة حتى نرى أن العلاقة قد توطدت مع أي منهم، وهنا ندعوه هذا الطفل ثانية لنجعلهم يقضون فترة أطول مع بعضهم البعض، يذهبان إلى الحديقة مثلاً. وإذا كانا في نفس الفصل الدراسي فسيكون لديهم الكثير ليفعلاه معًا، وتكون هذه هي بداية تكوين صداقات أخرى.

يجب على الآباء أن يكون لهم وظيفة فعالة هنا، فلا بد أن يعرفوا من المدرس (أو الطفل) من هو أكثر الزملاء قرباً من طفلهم، ثم يقوموا بدعوة هذا الطفل وتوطيد علاقتهما معاً، والمرور عليه عند الذهاب إلى المدرسة. إن ذلك سيعود على طفلك بالمنفعة خاصة إذا انتقل إلى فصل أو مدرسة أخرى أو إلى مسكن آخر.

٢ - المشاركة : Sharing

إن حب التملك صفة من صفات الأطفال من سن ٣ إلى ٤ سنوات، وهذا يمنعه من أن يعطي أيًا من الأطفال الآخرين لعبته المفضلة - لماذا؟ - إذا وصل طفل

آخر لهذه اللعبة، فلاتتعجب من أن ترى طفلك يتثبت بها قائلاً : إنها ملكي، ثم يذهب لإخفائها في مكان سري حتى لو لم يكن له الرغبة في اللعب بها.

هناك طرق عديدة يمكن أن نساعد بها الطفل لكي يتعلم المشاركة، والنقطة التي نبدأ بها هي أن نتأكد من أننا نمتلك ما يريد الطفل، وإذا زاد امتلاكه فيجب استبداله بشيء قيم في المقابل، فلاتعطي له دراجة جديدة في مقابل أن يعطيك عصى الآيس كريم. فإذا عرض الطفل في المقابل أيّاً من لعبه ليركب تلك الدراجة الجديدة فنقول : «لا، أنا أريد هذا السيف (المفضل لديه) بدلاً من هذه اللعبة» وبهذه الطريقة فهو لن يتعلم المشاركة فقط ولكن يعرف الطرق الصحيحة التي يطلب بها ما يريد كما يقلل هذا (إذا نجح) من حدة العدوانية والغضب والبكاء عندما يقوم به، ولأنّي الثناء على الطفل عندما يشارك الآخرين، موضعين مدى الأثر النفسي الجيد الذي يتركه هذا عليهم - «انظر كيف جعلت ميرام سعيدة، انظر إنها معجبة بك كثيراً إنها تبتسّم، يجب أن تفتخّر بنفسك أنك جعلتها سعيدة». وما الشيء الثاني الذي يجب أن تفعله لتعليم المشاركة في حالة وجود طفل أصغر؟ إن الأطفال يميلون عادة إلى مشاركة ومساعدة من هم أصغر منهم، فإنّي أرى كثيراً من الأطفال يدعون الطفل الأصغر للعب بلعبيهم أو أن يأخذ دورهم في المراجيح بينما يقومون برفس الطفل الأكبر إذا جرّأ على ذلك.

عامة نحن نثنى على أي نوع من أنواع المشاركة «أنا فخور بك لأنك سمحت للصغير باسم أن يلعب بلعبيك» إن الطفل لن يتعلم فن الإحساس بالمشاركة ولكنه يتعلم الإحساس السحري الذي يسببه ذلك، فلاتتعجب أن تخبره قادماً إليك فرحاً قائلاً «أنا شاركت مارن، لقد أعطيته سيفي ليلعب به، ألا يعجبك ذلك يا أمي؟» إنّي أعلم أن كثيراً من الآباء يعلمون أطفالهم المشاركة بطلب ذلك منهم «دع ذلك لأنّك» لا يجب أن يتم ذلك بهذه الطريقة، فالطفل يستجيب إلى الأمر دون أن يتعلم فائده، فهذا يعلم الطفل الطاعة فقط دون أن يتطرق لموضوع المشاركة. والوقت الوحيد المسموح به في إعطاء الأوامر عندما تكون تصرفات الطفل غير طبيعية. كمثال إنها تريد ببساطة أن تردد لعبه الطفل الآخر وفي هذه الحالة يجب أن تأمرها بذلك، ونوضح لها بعناية ما السبب في هذا التصرف.

٣ – الانسحاب والاعتزال والخجل

Withdrawal, Isolation and Shyness

إذا أخذ الطفل يراقب بقية الأطفال وهم يلعبون عن بعد دون أن يُشرك نفسه، فيجب أن نساعديه بطرق عديدة، ولكنّي نعلم ما يجب أن نفعله لابد أن نحدد سبب عدم مشاركة الطفل، فهناك احتمالات عديدة، بعض الأطفال لا يشاركون لأنّهم لا يعرفون كيف ذلك (اللعبة أو الأغنية) ربما يجب علينا تعليم الطفل هذه الألعاب بعيداً عن الأطفال الآخرين، فإذا تعلّمها فسيكون أكثر مقدرة على المشاركة.

والبعض الآخر من الأطفال لا يشاركون باللعب بسبب الخوف أو الخجل. نحن نتعامل مع هذا كأى مشكلة من مشاكل الخوف بتقسيمها إلى خطوات صغيرة والتغلب على كل خطوة على حدة بالتهئة والكلام واللعب. إنّي ربما أذهب معها إلى الحديقة أولاً، أضم يدها أو ألعب معها أيضاً ف تكون في وسط الأحداث بجانبي، ثم أشجعها لتجاهول أن تُقذف لـي الكرة، وعندما تعتاد على ذلك أترك يدها وأذهب لأنّلقي الكرة. إنّي أنتظر في نفس المكان لدقائق معدودة لأرى ما إذا كانت ستستمر أم لا، وأتركها تلعب بالكرة بمفردها (ذلك قد يستمر لمدة ٣ أيام). وقد نستخدم بعض خطوات أقل من هذه الخطوات، كأن يبدأ في اللعب مع طفل واحد آخر في البيت أو في المدرسة ثم نجعلهم اثنين . . . إلخ.

السبب الثالث لعدم مشاركة الأطفال أن الآباء يبالغون في الرعاية والاهتمام بأطفالهم عندما يكونون بجانبهم، فالطفل سرعان ما يتعلم أن عدم المشاركة يؤدي إلى اهتمام كثير من الناس به، وفي هذه الحالة فإن الآباء أو المعلم يجب أن يعطى اهتمامه باللعب والمشاركة وليس بالوحدة والعزلة. يجب أن نعلم بأن الطفل ربما لا يشارك بسبب عدم رغبته في اللعب أو تفضيله لشيء آخر يفعله، ففي هذه الحالة لا توجد هناك مشكلة على الإطلاق حيث لا يلتجأ الطفل فيها إلى العزلة أو الخجل.

٤ – مساعدة الآخرين

هناك طريقتان لتشجيع الطفل على مساعدة الآخرين، الأولى : أننا يمكن أن نفعل أشياء كثيرة جيدة باعتمادنا على مساعدة أطفال آخرين، أو قد يُعجل هذا

من الوصول إليها مثال ذلك قولنا «عمرو (الأخ الأكبر) إن أختك ياسمين لا تعرف كيف تفعل ذلك، هل يمكن أن تساعدها» أو «نحن لانستطيع أن نخرج قبل أن ينطف طارق حجرته فإذا استطعت أن تساعدته سوف نخرج كلنا في أسرع وقت» وبهذه الطريقة فإننا نحرك روح المساعدة عند الطفل بدون استخدام الأوامر، فالطفل يتظر شيئاً سعيداً يحدث له ولشريكه عندما يستطيع المساعدة.

الطريقة الثانية هي وضع الطفل في موقف يعطيه الفرصة والقدرة على مساعدة طفل آخر، فإن الأطفال يميلون إلى المساعدة ولو من قبيل التظاهر.

إذا كنا نلعب لعبة تتضمن أسئلة، واللعبة توقفت انتظاراً للإجابة طفل آخر فإننا نجد طفلنا يحاول المساعدة والتدخل، وهذا يسرى على الرياضة، المهم هنا أن نراقب هذه الفرص وأن ننتهى على الطفل الذي يقدم المساعدة، ولكننا لاننتهي على ذكائه في سرعة الإجابة لكي لا يتعمد ذلك، ولكن ننتهي على تعاونه فقط، وبالإضافة إلى ذلك فإذا كان الطفل لديه أصدقاء فسوف نجد أنهم يساعدون ببعضها بالفعل، فعندما نود الثناء على الطفل يجب الانتظار لزيارة معهم والإشارة إلى أي تعاون يديه، وقد يمكن أن نتدخل بأن نمسك بأحد هم ثم نقول له ضاحكين «هاها !! لن يستطيع أحد أن يحميك الآن» وقد يصبح الطفل «مازن، ساعدني». أما ما يحدث بعد ذلك فهو شعور جميل وإحساس كل منهم بمدى التضحيه والمساعدة التي أسداها بعضهم البعض.

٥ - عاطفة الحب Affection

الطريقة المثلثى لإثارة العواطف في التمثيل وإظهار مدى تأثيرها على الناس ثم المطالبة بها من الآن فصاعداً. إذا التقى طفلك وغمرته بكثير من الأحضان والقبلات وأطبقت على يديه وأجلسته على رجلك، وأضعماً يديك حول ظهره، بينما تقرأ له قصة، فسوف يثير ذلك رغبة الطفل في أن يقلدك (وبالفعل يقوم بوضع يديه حول كتفك عند القراءة). ويجب أن تنظر إلى مدى فعلك لهذه الأمور مع زوجك أو مع الأقارب والأصدقاء، لأن الطفل الذي لديه جمود في العواطف غالباً ما يميل والده إلى عدم إظهار شعورهما.

وما يجعل تعليم العواطف أسهل من بقية الصفات أنها ببساطة تؤدي إلى أشياء جميلة، فعندما يندفع الطفل نحوى عند عودتى من العمل فأتركه يتعلق برقبتي ليحصل على كثير من القبلات والأحضان، وأى طفل يُعمر بالعواطف التى تؤدى إلى كثير من الارتباط واللعب وهذا يحدث طبيعياً.

ثاني عشر: النشاط الزائد Hyperactivity

في خلال الخمس إلى العشر سنوات الأخيرة، أصبح موضوع النشاط الزائد من المشاكل التي يطول بحثها، وبالتأكيد هي واحدة من أعظم المشاكل الشائعة بين الوالدين. وتقريراً الآباء والأمهات يشكرون من أن لدى أطفالهم نشاطاً زائداً. في عام ١٩٥٠ تم تلخيص الأنشطة الزائدة مبدئياً كمشكلة مرحلة الطفولة الوسطى، ولكنها الآن عُرفت كمشكلة تبدأ قبل سن السابعة وهذا مفید للتركيز أكثر بالعناية والرعاية على مستوى الأنشطة للأطفال الصغار.

والذى نعنيه بـ«المصطلح الأنشطة الزائدة» يختلف تماماً عما يعتقده العامة. وهو في الحقيقة أكثر بكثير من مجرد «طفل له نشاط زائد»، وقد بذلت جهود كبيرة لحل المشاكل التي تبع من الطفل ذى النشاط الزائد وهذه المشاكل حقيقة.

والطفل ذو النشاط الزائد لا يمثل مشكلة حقيقة فهو قد يقوم بذلك لاختبار مدى صبر أمه. والآباء كثيراً ما يستخدمون لفظ النشاط الزائد ببساطة لكي يصفوا مستوى النشاط لأطفالهم. وهم عادة يستخدمون هذا المصطلح عندما يكون أطفالهم ذوى نشاط ملحوظ عن باقى الأطفال. فهم يقولون عن طفلهم «أنه يبعث في كل شيء» «إنه صعب السيطرة عليه».

والطفل يُعجب بنفسه إذا كان كذلك لأن هذا يجعل أبويه مهتمين به بدرجة كبيرة لأن هذا بالطبع يتطلب انتباها وتنبؤاً. ومثال على ذلك الطفل الذى يبعث بالأدوية والأشياء الكهربائية والاختفاء خارج الأبواب، فيكون بالطبع بعكس الطفل الذى يبقى فى حجرة المعيشة يلعب مع الأصدقاء أو مع لعبة. وكل هذه التصرفات شائعة جداً وخاصة بين الأولاد وتطور بتقدم عمرهم.

١ - خصائص الطفل ذي النشاط الزائد :

- أولاً : تنحصر مشاكل الطفل في ثلاثة جهات : الاندفاع *Impulsiveness*، ضعف الانتباه والتركيز، عشوائية الانطلاق.
- ثانياً : لديه مشاكل ملحة تتعلق بالنقاط الثلاث السابق ذكرها.
- ثالثاً : أن هذا يعني أن هذه الصعوبات التي تواجهه تزيد المواقف سوءاً عندما يطلب منه السيطرة على النفس - في المرحلة الأولى من التعليم، مثل خلال الوقت الذي يسوده الهدوء عندما تحاول قراءة قصة، أو عند انتظار دوره في اللعب أو عند تنظيف المكعبات التي كان يلعب بها، وهكذا.
- رابعاً : ولكى تعتبر هذا نشاطاً زائداً لابد أن تستمر هذا الأمور معه لفترة ستة أشهر على الأقل.

جدول (٥)

مؤشرات النشاط الزائد

بالمقارنة مع الأطفال في نفس عمره أو عمرها، يظهر على الطفل علامات ضعف التركيز، الاندفاع ومستوى عال من النشاط أو الانطلاق، وهذا بالطبع ينعكس انعكاساً سلبياً على بناء المواقف (في الفصل مثلاً) وعندما يُطلب منه السيطرة على النفس.

(١) عدم الرعاية والاهتمام بالأمور (التركيز) : وفي الأغلبية تتعكس عليه في الصور التالية :

أ - يفشل دائمًا في إنهاء ما بدأه.

ب - غالباً لا يحسن الاستماع ولا المشاهدة أو المتابعة.

ج - من السهل إثارةه.

د - يجد صعوبة في أى مهام أو نشاطات تحتاج إلى تركيز كبير.

هـ - يجد صعوبة في التعلم.

(٢) الاندفاع : وغالباً ما تتعكس عليه الصور الآتية :

أ - غالباً ما يتصرف بدون تفكير.

ب - يتقلد دائمًا من نشاط لأخر.

ج - لديه صعوبة في تنظيم اللعب أو مواد العمل.

د - يحتاج لقدر كبير من المراقبة والإشراف.

هـ - يجد صعوبة في انتظار دوره في اللعب.

(٣) مستوى النشاط العالى أو الانطلاق، وغالباً تتعكس في:

أ - يجري أو يتسلق الأشياء بطرف.

ب - يصعب عليه الاستقرار في مكان ما.

ج - يجد صعوبة في الجلوس مستقراً.

د - يتحرك كثيراً أثناء النوم.

هـ - دائمًا يتحرك أو يتصرف كأنه يعمل بمحور.

(٤) تستمر هذه المؤشرات لفترة ٦ أشهر على الأقل.

والطفل ذو النشاط الزائد (مفرط النشاط) يكون لديه صعوبة كبيرة في المراقبة على مهام أو أوامر أو تعليمات تُلقى إليه، فهُي تدخل من أذن وتخرج من أذن، وهو من السهل إشارته بكم قليل من الضوضاء أو الحركة. والمصطلح «الاندفاع» يدل على قصور في السيطرة على النفس، وعدم القدرة على الانتظار أو التعايش مع الأحداث، فالطفل ربما يتسلق قمة الأسطح، أو الأرفف (ويقفز من فوقها) أو ربما يدفع بنفسه إلى حمام السباحة وهو لا يجيد السباحة.

والطفل الزائد النشاط له مشاكل في مستويات الأنشطة وبالتحديد عندما توضع قيود أو متطلبات على عاته، وبالبحث وجدنا أنه لا اختلاف في مستويات النشاط بين الطفل العادي والطفل الزائد النشاط في أوقات اللعب الحرة، ولكن يجد الطفل ذو النشاط الزائد صعوبة في التحكم في مستوى نشاطه، أو تغييره، أو عندما يطلب منه الهدوء.

وعلى كل حال فإن مستوى نشاط الأطفال ليس هو العامل الفاصل في تعريف أو تحديد الطفل ذي النشاط الزائد، ولكن هناك عوامل أخرى مهمة: الطفل غير قادر على السيطرة على نفسه هو غالباً ما يكون مصدر إزعاج، فهو لا يسمع لمن هو أكبر منه، ودائماً الحركة في كل مكان، ولا بد أن ننتبه له سواء كان هذا الانتباه من المدرسين أو الآباء. ولكن الطفل الشيطة فحسب، يلعب في هدوء ويتصرف بتصرفات طبيعية وملائمة فهذا ما نطلق عليه النشاط الطبيعي. ولكن الطفل الزائد النشاط نطلق عليه هكذا لما يصدر منه من سلوك وتصروفات تثير المشكلات حتى ولو كان نشاطه لا يزيد عن نشاط الطفل الطبيعي. وفي الواقع هناك بعض التساؤلات مثل: هل النشاط الزائد يختلف في حقيقته عن مشكلة سلوكية؟ هناك بعض الباحثين يشعرون بأنه لا اختلاف بينهما.

يظهر النشاط الزائد بوضوح في سن الثامنة إلى العاشرة، وهذه تعتبر من المراحل الدراسية الأولى، والمشاكل الناتجة عن النشاط الزائد تكون قد بدت، فالطفل لا بد أن يجلس على مقعد لفترات طويلة، يذاكر أو يتبع كتاباً ما، أو يؤدي نشاطاً ما في نفس المكان لفترة طويلة، وينظف ويترتب مكانه بعد ما يتنهى.

وعندما يكون النشاط الزائد نادراً، فيجب التعامل معه عند ظهوره. وقد أوضحت الدراسات أن النشاط الزائد غالباً ما يستمر في الطفولة المتأخرة، ويختفي طبيعاً عند البلوغ، ويصبح الطفل طبيعاً عند هذه السن.

إن النشاط الزائد لا يعني أن هناك خطأ تنظيمياً فادحاً، وكثيراً من الدراسات فشلت في أن تربط بين النشاط الزائد والوظائف العقلية. وفي الحقيقة أن حوالي ١٠٪ من الأطفال ذوي النشاط الزائد يظهر عليهم قصور في الناحية العقلية والإدراك.

والطعام والغذاء لهما دور فعال في الأنشطة الزائدة، وخاصة أن الآباء يبالغون في النظام الطبيعي للغذاء. ولا تحسن حالة الأطفال ذوي النشاط الزائد عندما يتغير الطعام.

والدراسات قد سجلت أن الأطفال ذوي النشاط الزائد لديهم كميات كبيرة من الرصاص في أوعيتيهم الدموية. وهذا يسبب اللا مبالاة وضعف في التركيز وصعوبة في التعليم. والرصاص الآن أصبح متوفراً في التلوث الصناعي. وتشير الدراسات أن الرصاص عامل مقلق وسبب في النشاط الزائد.

٢ - ماذا تفعل حيال النشاط الزائد ومستوياته؟

بالرغم من أن النشاط الزائد شائع، والأطفال تخلص منه بالنمو إلا أننا يجب أن نشجع الطفل على الهدوء (كالجلوس على السفرة ومساعدته في تنظيف مكان لعبه وتعليمه القراءة في الكتاب) فكل هذه الأشياء لها تأثير قوي و مباشر على نشاط الطفل. والبعض قد أضاف بعض المكافآت (مشاهدة برامج مفضلة في التلفزيون - وقت للعب - الذهاب إلى السباحة ... إلخ) أو مفاجآت ولعب بسيطة إذا شعرنا بيده الهدوء وفي المقابل لدينا التوبيخ إذا لم يحدث ذلك.

عامة إننا نتمنى في المراقبة لهذه التصرفات مع التأكيد على حدوث الأشياء الجميلة إذا أظهر الطفل بعضاً من ضبط النفس. مثلاً سوف أدعك تلعب بعرية السباق الجديدة عندما تنظف مكان لعبك بالمكعبات، ثم ننزل الثناء إذا نجحت الخطة ولا مانع من مساعدته في بادئ الأمر، وبالمثل عند قراءة القصص يجب

أولاً توفير جو من الهدوء حوله والقراءة معه بمنتهى اللطف، فإذا تململ بجانبك وفز واقفاً وتحدى بصوت عالٍ أو سريع، إذن فلننقل إنك لم تدعني أكمل القصة، فسوف أتركها حالاً.

للأسف هناك حل شائع للنشاط المفرط وهو استخدام الدواء، وهذا لسوء الحظ تكون نتائجه غير إيجابية على المدى البعيد، فإن العلاج بالدواء للطفل المريض بالنشاط الزائد يجعله أسوأ حالاً من الذي لا يتعاطى أي دواء، وقد يجعله هذا الدواء هادئاً في الوقت الحالي ولكنه لا يعلمه أي شيء، وقد تمنع العقاقير الطفل من عمل المشاكل للأباء والمعلمين، ولكنها لها تأثيرها الضار على حياة الطفل الاجتماعية وضبط النفس فيما بعد، هذا ما يقرره Rincover.

ثالث عشر: الاستحواذ والإكراه والطقوس

Obsessions, Compulsions and Rituals

عمرو يستحوذ على لعبة السوبرمان في كل وقت، عند مشاهدة التلفزيون، عند شرائه كل سوبرمان جديد ليأخذه معه في كل وقت، عند ذهابه إلى التواليت، في المدرسة، إلى أصدقائه، عندما ينام، ولابد أيضاً من ارتداء فانلة السوبرمان، والنوم على الملاعة المرسوم عليها السوبرمان، وطبعاً لابد من الغطاء ببطانية السوبرمان، ولابد من ارتداء كل لبس السوبرمان (القناع، الحزام، علامة الصدر، السيف والخناء الطويل) ولاتنس الصورة الكبيرة في حجرته.

إن هذا مجرد مثال لموضوع الاستحواذ الذي يمتلك الأطفال، وفي الحقيقة ليس هناك ما يقلق تجاه ذلك وليس هذا استحواذاً بالمعنى الحقيقي، فإن الطفل يتعلق بالألعاب يمتع بها نفسه ولكن سرعان ما يكبر ويتخلص منها ويكتشف أن هناك أصدقاء وألعاباً جديدة (ركوب الدرجات، كرة القدم . . .) يمكن أن تنافس هذه الألعاب القديمة.

إن فكرة الاستحواذ التي يجب أن تعالج ترجع إلى الأفكار المخيفة، أما الإكراه فيرجع إلى سلوك الخوف، أي أن كليهما تنصب على المخاوف. وكمثال أن الطفل قد يغسل يديه في اليوم ١٠ مرات خوفاً من القذارة ويخاف منها بل ويرفض الذهاب إلى منزل آخر خوفاً من القذارة، وعدم اللعب في الحديقة لأنها

قد تكون قذرة، وعامة فإن القذارة تسبب له قدرًا هائلاً من المخاوف، وطقوس غسيل اليدين تريحه إلى حد ما، وهذا ما يجب أن يعالج لكنه نادر الحدوث عند الأطفال أقل من 6 سنوات.

إذا كان هناك كثير من تلك المخاوف تتدخل في حياة الطفل اليومية وتستمر على الأقل لمدة 6 أشهر، فيجب أن يعالج هذا الموضوع معالجة الفوبيا (انظر الجزء الخاص بالخوف والفوبيا) ومن الأفضل أن تأخذ النصيحة من الأخصائي قبل عمل أي شيء.

رابع عشر: طلب المساعدة Getting Help

الآباء يجب ألا يخجلوا من طلب المساعدة في تربية أبنائهم وإن سيطر بهم الإحساس بأن هذه المشكلة خاصة بهم فقط نتيجة تصرفاتهم. أو أن الأخصائيين النفسيين وجدوا للمشكلات العويسة والخطيرة، وهذا ليس حقيقاً.

أولاً : يجب أن نعلم أن الأخصائيين النفسيين يبحثون عن ثقتك، ولا يمكن أن يغلقوا أى باب في وجهك بدون علاج، ولا بد أن يثق الآباء فيما يقال بينه وبين الأخصائي ويعتمد عليه.

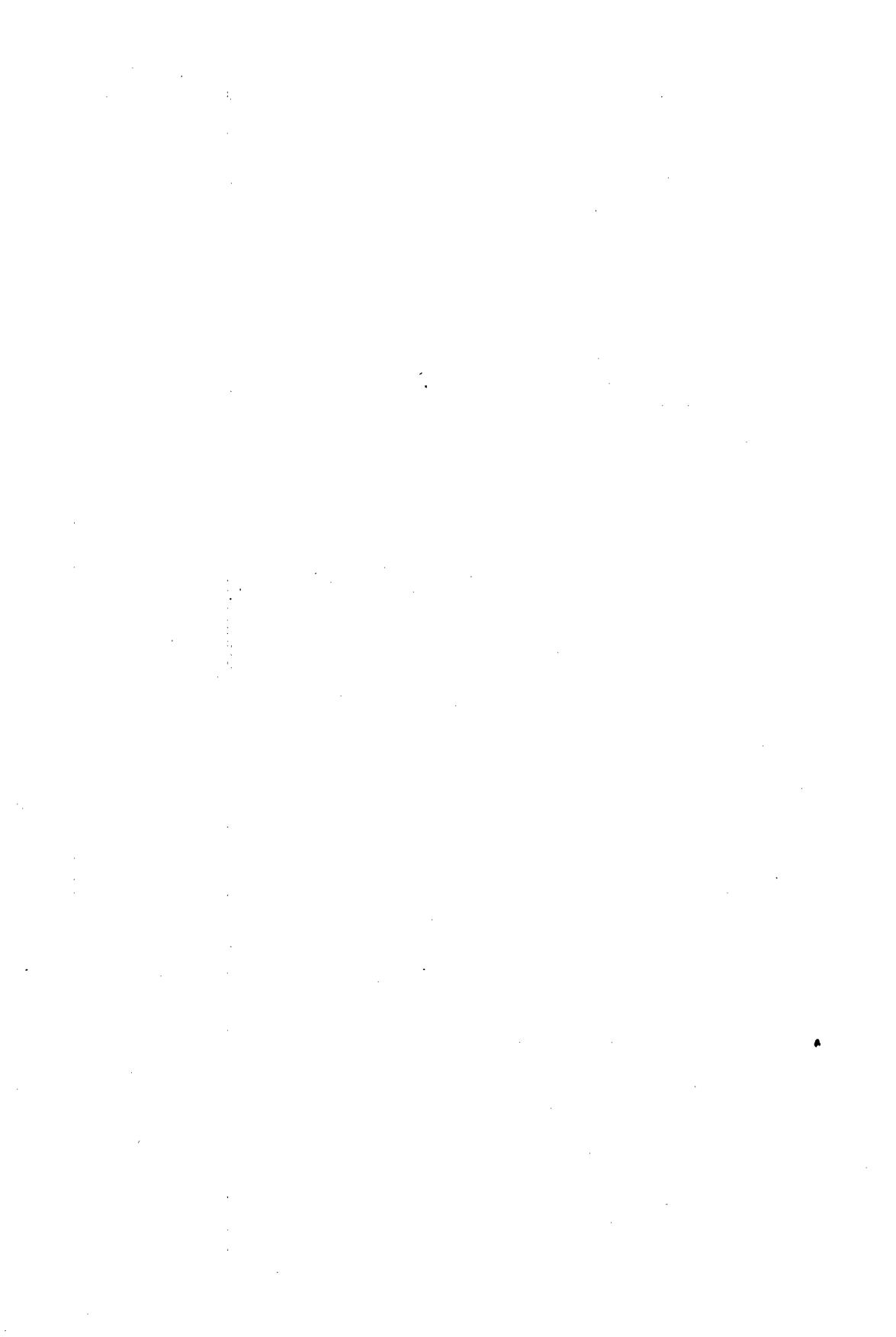
لقد وجد الأخصائيون لمساعدتك إذا احتجت أى شيء، إذا انتابك أى قلق بخصوص طفلك، وتوجيهك التوجيه السليم أثناء تقديم حالة الطفل أو تأخره، المهم هنا هو اختيار الأخصائي السليم، ولا بد أن يسأل الآباء وينقبو عن أسمائهم وتخصصاتهم.

لقد أوضحنا من قبل متى يكون سلوك الطفل مشكلة، وماذا يجب أن نفعل حيال ذلك والنظم التي وضعت ليست جميعها مصممة لطفلك أنت، وإنما هي أمثلة ومفاهيم من خبرات سابقة وقراءات، الأمر الذي يجعلك تبحث عن النظام الخاص بك، وإذا لم تفلح محاولاتك الشخصية في وضع النظام لتقويم الطفل فلامفر من أن تلجأ إلى المساعدة، وسوف يصبح طفلك في أحسن حال مادمت ترعاه وتهتم بمشكلاته مبكراً.

تم بحمد الله وأخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع





أولاً : المراجع العربية

- (١) إبراهيم خليفة (١٩٨٦) : المribيات الأجنبية في البيت العربي الخليجي .
الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- (٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (د.ت) : المفردات
في غريب القرآن . تحقيق محمد سيد كيلاني .
بيروت : دار المعرفة .
- (٣) السيد محمد خيري وآخرون (١٩٧٥) : التلفزيون والصغرى . القاهرة : المركز
القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .
- (٤) بشينة قنديل (١٩٦٤) : دراسة مقارنة بين أبناء المشتغلات وغير المشتغلات من
حيث بعض نواحي شخصيتهم . رسالة دكتوراه ،
كلية التربية - جامعة عين شمس .
- (٥) جابر عبد الحميد وسليمان الخضرى (١٩٧٨) : دراسات نفسية في الشخصية
العربية . القاهرة : عالم الكتب .
- (٦) حامد زهران (١٩٨٤) : علم النفس الاجتماعي . القاهرة : عالم الكتب .
- (٧) ذكريا الشريينى (١٩٨١) : التوافق النفسي وعلاقته بدافع الإنماز في مرحلة
الطفولة المتأخرة . رسالة دكتوراه ، كلية البنات -
جامعة عين شمس .
- (٨) ذكريا الشريينى (١٩٩٤) : المشكلات النفسية عند الأطفال . القاهرة : دار
الفكر العربي .
- (٩) سعد عبد الرحمن (١٩٧٠) : عملية التطهير الاجتماعي وأزمات التحامل
والتعصب في مجتمعاتنا المعاصرة . الكويت :
وزارة الإعلام .
- (١٠) سيد أحمد عثمان (١٩٧٤) : علم النفس الاجتماعي التربوي ، التطهير
الاجتماعي . القاهرة: الأنجلو المصرية .
- (١١) صالح البكارى (١٩٨٤) : أنماط تنشئة الطفل اجتماعياً . طرابلس : الدار
العربية للكتاب .

- (١٢) عادل عز الدين الأشول (١٩٨٩) : علم نفس النمو. القاهرة : الأنجلو المصرية.
- (١٣) عصام عبد الجود (١٩٨٧) : أثر الخدم الآسيوي والمربيات الأجنبيات في أبناء دولة الإمارات العربية. بيروت : دار الوسام.
- (١٤) على عبد الواحد وافي (١٩٥٨) : عوامل التربية. القاهرة : الأنجلو المصرية.
- (١٥) على عبد الواحد وافي (١٩٧١) : الأسرة والمجتمع. القاهرة : نهضة مصر.
- (١٦) غريب سيد أحمد وآخرون (١٩٩٥) : دراسات في علم الاجتماع العائلي. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
- (١٧) فؤاد البهى السيد (١٩٨٠) : علم النفس الاجتماعي. القاهرة : دار الفكر العربي.
- (١٨) فاروق العندلى (١٩٨٤) : النشئة الاجتماعية الأسرية للطفل القطري. حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. العدد السابع.
- (١٩) فالح حنظل (١٩٧٨) : حجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات. أبو ظبى: مؤسسة دار الفكر للطباعة.
- (٢٠) كاميليا عبد الفتاح (١٩٧٢) : في سيكولوجية المرأة العاملة. القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة.
- (٢١) ماهر محمود عمر (١٩٩٢) : سيكولوجية العلاقات الاجتماعية. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
- (٢٢) مبارك ربيع (١٩٨٤) : عواطف الطفل. طرابلس - ليبيا : الدار العربية للكتاب.
- (٢٣) محمد فايز (١٩٨٤) : مدخل إلى علم الاجتماع : دراسة نظرية في فهم المجتمع. الرياض : منشورات دار الفيصل الثقافية.

- (٢٤) محمد فرح (١٩٨٩) : البناء الاجتماعي والشخصية. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
- (٢٥) مصطفى سويف (١٩٥٩) : الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر). القاهرة: دار المعارف.
- (٢٦) مفيد حواشين وزيدان حواشين (١٩٨٩) : النمو الانفعالي عند الأطفال. عمان : دار الفكر.
- (٢٧) مملوحة سلامه (١٩٨٧) : مخاوف الأطفال وإدراكيهم للقبول والرفض الوالدى. مجلة علم النفس العدد الثانى: ص ص ٥٤ - ٦١.
- (٢٨) وزارة الشئون الاجتماعية والعمل (١٩٨٣) : أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة الكويتية: إدارة التخطيط والمتابعة.
- (٢٩) وزارة الشئون الاجتماعية والعمل (١٩٨٣) : أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة في البحرين. البحرين : قسم التخطيط والبحوث.
- (٣٠) وزارة الشئون الاجتماعية والعمل (١٩٨٤) : أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة العمانية. عُمان : المديرية العامة للشئون الاجتماعية.
- (٣١) وليم لامبرت وولاس لامبرت (١٩٨٩) : علم النفس الاجتماعي. ترجمة سلوى الملا، القاهرة : دار الشروق.
- (٣٢) يسرية صادق (١٩٧٩) : العلاقة بين حجم الأسرة وبعض نواحي شخصية الطفل. رسالة ماجستير، كلية البنات - جامعة عين شمس.
- (٣٣) يسرية صادق (١٩٨٢) : دراسة لتغيرات ترتبط ببعض أبعاد التكوين النفسي للطفل داخل الأسرة. رسالة دكتوراه، كلية البنات - جامعة عين شمس.
- (٣٤) يوسف القاضى و محمد زيدان (١٩٨١) : السلوك الاجتماعي للفرد. القاهرة : شركة مكتبات عكاظ.

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- (35) Ammar, H. (1954): Growing Up in Egyptian Village, Silwa Provience of Aswan. London : Routledge and Kegan Paul.
- (36) Atkinson, J. (1958): Motives in Fantasy Action and Society. New York: D.van Nostrand Company, Inc.
- (37) Bandura, A. (1971): Social Learning Theory. New York: General Learning Corp.
- (38) Baumrind, D. (1971): Current Patterns of Parental Authority. Developmental Psychology Monographs. 4-A, PP. 1-103.
- (39) Baumrind, D. (1980) : New Directions In Socialzation Research. American Psychlogist, Vol. 35, pp. 639 - 652 .
- (40) Becker, W. (1969): Consquences of different kinds of parental discipline. In M.Hoffmen and L.Hoffmen (Eds). Review of Child Development Research. Vol. 1, PP. 169-206.
- (41) Belsky. J. (1980) : Child Molteratment : An Ecolohical Intergration. American Psychologist, vol. 35, pp. 320 - 335 .
- (42) Belsky, J. (1984) : The Determinets of Parenting : Process Model. Child Development, Vol. 55, pp. 83 - 96 .
- (43) Brazelton, B. (1974) : The Origins of Recipocity : the Early Mother Infant Interaction. In Lewis, M. and Rosenblum, L. (1977) : The Effect of the Infant on Its Caregiver: The Origins of Behavior, vol.1. New York: Wiley and Sons.

- (44) Brodzinsky, D. Gormly, A. and Amborn, S. (1986): Life Span Human Development. New York: CB Publishing.
- (45) Bronfenbrenner, U. (1970) : Two worlds of Childhood, U.S.A. and U.S.S.R. New York: Russell Sage Foundation.
- (46) Denham, S., Zoller, D. and Couchoud, E. (1994) : Socialization of preschoolers' Emotion Understanding. Developmental psychology, Vol. 30, No.6, pp. 928-936.
- (47) Doreen, R. (1972): Programs are Tools, Not Religious in Teacher of Young Children. Houghton: Mc Million Comp.
- (48) Dunn, J., Brown, J., Slomkowski, C., Tesla, C., Youngblade, L. (1991) : Young Children's Understanding of other People's Feelings and beliefs : Individual Differences and their Antecedents. Child Development, 62, pp. 1352-1366.
- (49) Eliason, C. and Jenkens, L. (1977): A practical Guide Early Childhood Curriculum. Sant Louis: The C.V. Mosly Comp.
- (50) Elkin, F. and Hardel, G. (1972) : The Process of Socialization. New York : Random House.
- (51) Etaugh, C. (1974): Effects of Maternal Employment on Children: A review of recent research. Merrill-Palmer Quarterly. vol. 20 (2), PP. 71-98.
- (52) Field, T. (1991) : Quality Infant day-care and Grade School Behavior and Performance. Child Development, 62, PP. 863-870.
- (53) Fong, B. and Resnick, M. (1980): The Child, Development Through Adolescence. Menlo Park: The Benjamin Cummings Pub. Co.

- (54) Gruse, J. and Kuczynski, J. (1980) : Direction of Effects In Socialization : A Comparison of The Parents Versus the child Behavior as Determinates of Disciplinary Techniques. Developmental Psychology, vol 1. pp. 1 - 9.
- (55) Hetherington, E. and Park, D. (1979): Child Psychology Conter. New York: McGraw-Hill.
- (56) Hetherington, E. and Parke, R. (1980): Child Psychology: A Contemporary Viewpoint. New York: McGraw-Hill Book Co.
- (57) Kagan, J. (1971): Personality Development. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.
- (58) Klaus, M. and Kennel, J. (1976) : Maternal Infant bonding. St. Louis. Mosby.
- (59) Krumboltz, J. and Krumboltz, H. (1972): Changing Children's Behavior. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.
- (60) Lambert, W. and Lambert, W. (1973): Social Psychology. New Jersey: Printice-Hall, Inc.
- (61) Maccoby, E. (1961) : The Choice of Variables In the Study of Socialization. Sociometry, Vol. 24, No.4.
- (62) Maccoby, E. (1980): Social Development, psychological Growth and the parent-Child Relationship. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.
- (63) Maccoby, E., and Martin, J., (1983) : Socialization in the Context of the Family : Parent-Child interaction. In P.H. Mussen (series Ed.) and E.M. Hetherington (vol. Ed.), Handbook of Child psychology : Vol. 4. Socialization, Personality and Social Develop, PP. 1-102. New York : Wiley.
- (64) Marjoribanks, K. (1981): Birth Order and Family Learning Environments. Psychological Reports, 49, PP. 915-919.

- (65) Mead, M. (1935) Sex and Temperament in There Primitive Societies. New York: Morrow.
- (66) Michalson, L. and Lewis, M. (1985) : What do children know about emotions and when do they know it? In M. Lewis and C.Saarni (Eds.), The Socialization of emotion, pp. 117-140. New York : Plenum.
- (67) Park, R. and Collmer, C. (1975) : Child Abuse. An Interdisciplinary Analysis. In E.Hetherington (Ed). Review of Child Development Reasearch, Vol. 5, PP. 139-146.
- (68) Parsons, T. (1955) : Family, socialization and Interaction. London: The Free Press.
- (69) Parsons, T. (1965) : Social Structure and Personality. London: The Free Press.
- (70) Patterson, G. (1979): Aperformance Theory for Coercive Family Interaction. In R. Carins (Ed.) Social Interaction. New Jersey: Lawrence Erlbaum.
- (71) Reber, A. (1985): Dictionary of psychology. London: Hazell Watson and Viney Limited.
- (72) Rincover, A. (1990) : The Parent-Child Connection. New York : Simon and Schuster, Inc.
- (73) Schaefer, E. (1959): Acercomplex Model for Maternal Behavior. J. Abnormal and Social psychology. vol. 59, PP. 225-235.
- (74) Sears, R., Maccoby, E. and Levin, H. (1957): Patterns of Child Rearing. Evanston, III.: Row, Paterson.
- (75) Selzick, L. (1954) : Sociology. London : Brentic-Hell.
- (76) Sewell, W. (1963) : Some Recent Developments in Socialization Theory and Research. In the Annals

- of the of the American Academy of political and Social Science, Philadelphia, Vol. 349, pp. 163-181.
- (77) Sewell, w. and Shah, v. (1986) : Social Calss Parental Incou-ragement and Educational Aspriation American Journal of Sociology, vol. 33, pp. 559 - 572 .
- (78) Shaffer, D. (1993) : Developmental psychology California : Wadsworth, Inc.
- (79) Stern, D., (1974) : Mother and Infant at blay; the Dyadic interaction involving facial and Gaze Behavior. Dans. In Lewis, M. and Ronsenblum, L. (1977) : The Effect of the Infant on its caegiver : The Origins of Behavior, Vol.1. New York : Wiley and Sons.
- (80) Watson, R. and Lindgren, H. (1979) : Psychology of the Child and the Adolescent. New York : MacMil-lan Publishing Co., Inc.
- (81) Whiting, B. (1963) : Six Cultures Studies of Child Rearing. New York: Jahn Wiley.
- (82) Zahn-Waxler, C., Ridgeway, D., Denham, S., Usher, B., and cole, p. (1993) : Research Strategies for assessing mothers' interpretations of infants' emotions. In R. Emade, J. Osofsky, and P. Butterfield (Eds.), Parental percep-tions of infant emotions, pp. 217-236. Madisoon, CT: International Universities Press.
- (83) Olevra - Ezzell, N., Power, T., and Cousins, J. (1990): Maternal Socialization of children's Eating Habits: Strategies used by obese Mexican-American Mothers. Child Development, 61, PP. 395-400.

- (84) Power, T., and Parke, R. (1986): Patterns of Early Socialization: Mother and Father-infant Interaction in the Home. *International J. of Behavioral Development*, 9, PP. 331-341.
- (85) Power, T., McGrath, M. Manire, S., (1994): Compliance and Self -Assertion: Young Children's Responses to Mothers versus Fathers. *Developmental psychology*, 30, PP. 980-989.
- (86) Alexander, K., and Entwistle, D. (1988): Achievement In the First 2 Years of School: Patterns and Processes. *Monographs of the Society for Research in child Development*, 53 (2, Serial No. 218).
- (87) St. Peters, M., Fitch, M., Huston, A. and Wright, J., (1991): Television and Families: What do young Children Watch with their parents?. *Child Development*, 62, PP. 1409-1423.
- (88) Selroade, J. (1993): Genetic Influence on Family Enviroment: The Role of personality. *Developmental psychology*, 29, PP. 110-118.
- (89) Fabes, R., Eisenberg, N., Karbon, M., Bernzweig, J., and Speer, A. (1994): Socialization of Children's vicarious Emotional Responding and Prosocial Behavior: Relations with Mothers' perceptions pf children's Emotional Reactivity. *Developmental psychology*, 30, PP. 44-55.
- (90) Belsky, J., Fish, M., and Isabella, R. (1991): Continuity and Discontinuiy in Infant Negative and Positive Emotionality: Family Antecedents and Attachment Consequences. *Developmental Psychology*, 27, PP. 421-431.

- (91) Melton, G. (1991): Socialization In the Global Community : Respect for the Dignity of Children. American Psychologist, 46, PP. 66-71.
- (92) Denham, S., Zoller, D., and Couchoud, E. (1994): Socialization of Preschoolers' Emotion Understanding. Developmental Psychology, 30, PP. 928-936.

٩٥ / ٨٩١٢	رقم الإيداع
977 - 10 - 0780 - 7	I. S. B. N الترقيم الدولي